

مجلة المنارة

AL MANARAH JOURNAL

مجلة علمية محكمة تُعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية

تصدر عن كلية الآداب الأصابع جامعة غريان

Refereed scientific journal

It is issued by the Faculty of Arts, Al-Asabaa, Gharyan University.

ISSUE 7

العدد السابع

JAN 23 - RAJAB 1444 H

يناير 2023 م - رجب 1444 هـ

المشرف العام

د. عبد الله المختار اللباد

مدير التحرير

د. عبد المنعم محمد الصادق

رئيس التحرير

د. عادل إبراهيم المحروق

عضو التحرير

د. عادل أحمد لمود

الهيئة الاستشارية

رئيس الجامعة

وكيل الشؤون العلمية

جامعة طبرق

جامعة غريان

جامعة غريان

د. محمد إبراهيم غومة

د. علي محمد الفقيه

د. بشير محمد الجراري

أ. عبد الوهاب إبراهيم عبدالله

أ. مصطفى رمضان أحمد

تصميم وإخراج أ. مصطفى رمضان الوحيشي

رقم الإيداع 387 / 2020
دار الكتب الوطنية – بنغازي

التقييم الدولي الموحد للدوريات ISSN

موقع المجلة على الشبكة

[/http://gu.edu.ly/manara_journal](http://gu.edu.ly/manara_journal)

جميع الحقوق محفوظة ©

كلية الآداب الأصابعة . جامعة غريان 2023

WWW.GU.EDU.LY

Email: manara_journal@gu.edu.ly

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾

من سورة العلق (3 - 5)

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى

- أن تكون ميدانا فسيحا للبحث والمناقشة في سائر العلوم وفي شتى المجالات، فتكون منبرا لعلمائنا ومفكرينا يضيئون بواسطته طريق الحق وسبيل الرشاد.
- إثراء المعرفة وتطويرها، وخدمة الباحثين والمهتمين بالمجال العلمي.
- رصد الحركة العلمية، ومواكبة ما يستجد من قضايا، وبحوث.
- إتاحة الفرصة لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات خاصة، وبالمتقنين عامة؛ لنشر بحوثهم العلمية، وتشجيعهم بتذليل العقبات البحثية، والمثبطات العلمية أمامهم.
- الإسهام في النهوض بالمجتمع وتنميته في كافة المجالات، وذلك من خلال المعلومات والنتائج التي تتمخض عنها البحوث العلمية المطروحة في المجلة.

ضوابط النشر

- أن يكون البحث مبتكراً، يتسم بجودة الفكر، ورصانة الأسلوب، وألا يكون منشوراً من قبل، أو مُستلاً من كتاب أو رسالة علمية.
- مراعاة أصول البحث العلمي وضوابطه.
- أن يكون العنوان مقتضباً، ومعبراً عن مضمون البحث.
- يُقدّم الباحث في ورقة مستقلة، اسمه، عنوان بحثه، جهة عمله، درجته العلمية، ورقم هاتفه.
- لا يقل عدد صفحات البحث عن عشر صفحات، وألا يزيد عن ثلاثين صفحة.
- يتم نشر الأبحاث باللغة العربية، وكذا اللغات الأجنبية، على أن يكون البحث مرفقاً بملخص باللغة العربية للبحوث الأجنبية، وباللغة الإنجليزية للبحوث العربية .
- يُقدّم البحث على النموذج المعد (قالب المجلة) المنشور على صفحة المجلة على شبكة المعلومات الدولية .
- يجب أن يُقدّم البحث موافقاً للقالب الخاص بالنشر المشار إليه .
- يُشار للمصادر والمراجع التي تم الاستعانة بها في متن البحث، بذكر لقب المؤلف، وسنة النشر، ورقم الصفحة المقتبس منها، ويوضع كل ذلك بين قوسين، مثلاً: (القرطبي، 1990، ص50) وفي حالة وجود أكثر من مؤلف يكتب (القرطبي وآخرون، 1990، ص50)، وعند وجود أكثر من مصدر للمؤلف، تُرتب المصادر بالحروف الأبجدية "أبجدهوز" مثلاً: (القرطبي أ، 1990، ص50).
- توضع قائمة بالمصادر في نهاية البحث وترتّب ألفبائياً، على النحو الآتي: اسم المؤلف أو المؤلفين، اسم الكتاب، اسم المحقق إن وجد، دار النشر، مكانها، الطبعة، وسنة النشر.
- إذا كان المرجع بحثاً في دورية، فيكتب اسم الباحث، ثم عنوان البحث، واسم المجلة، والعدد، وتاريخ النشر.
- في حالة استخدام الجداول، يوضع كل جدول في صفحة مستقلة.
- تنظر هيئة التحرير في صلاحية البحوث المقدمة قبل إرسالها إلى التحكيم.
- يتم تحكيم البحث المقدم من قبل محكم مختص، وذلك في سرية تامة.
- البحوث المقدمة لا تُردّ إلى أصحابها، سواء قبلت أم لم تقبل.
- الدراسات المقدمة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تتحمل المجلة أي مسؤولية.
- يدفع الباحث 150 ديناراً عند تسليم بحثه.

دعوة

يسرّ هيئة تحرير مجلّة المنارة المحكّمة الصادرة عن كلية الآداب
الأصابعة جامعة غريان، أن تحييكم وتدعوكم إلى الكتابة فيها، والتّواصل
معها بأبحاثكم العلميّة القيّمة التي من شأنها إثراء مسيرة البحث العلمي في
سائر العلوم وشتّى المجالات.

فهرس المحتويات

15 - 28	أ. توفيق مصباح البرهني	1. مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف عند ابن جنى من خلال كتابه الخصائص
29 - 46	د. خالد عبدالسلام خليفة	2. السيرة الذاتية النسائية في الأدب الليبي المعاصر
47 - 63	أ. حسين فرج محمد الحمدي	3. أحكام المفقود عند المالكية
65 - 83	د. فتحي المبروك إبراهيم إلمحمد	4. العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وفاته 631/570م
85 - 97	أ. فاطمة عبد الكريم الصادق	5. أسباب الحرب في الإسلام
99 - 130	د. محمد يوسف عمر	6. بيع السلم دراسة فقهية مقارنة
131 - 146	د. محمد الصادق الخازمي	7. المديح النبوي في قصيدة (النايات) للشاعر محمد المزوغي
147 - 161	أ، أيوب رمضان الوحيشي	8. استثمار ريع الوقف في تمويل المشروعات دراسة فقهية اقتصادية
163 - 174	د. عمر محمد سواوي	9. (النظم التجارية لمدن بلاد المغرب الساحلية ودورها في تنشيط الحركة التجارية خلال القرنين (3 - 5 هـ))
175 - 202	أ حنان حسين محمد	10. مدي فاعلية أنشطة برنامج البورتاج في تنمية مهارات رعاية الذات والمهارات الحركية لدي أطفال متلازمة داون
203 - 225	د الياس امحمد مسعود شريحة	11. الهوية الثقافية واحترام التنوع كطريق إلى التنمية (حماية الحقوق والحريات نموذجاً).
227 - 249	أ عبد العظيم رحومة بشير الساعدي	12. (تطورات الحياة السياسية في الأندلس خلال عصر الولاة حتى قيام الإمارة الأموية (95-182 هـ / 714-788م))
251 - 277	د. محمد مصباح الأمين	13. الوقف: مشروعيته، وأحكامه من المنظور الفقهي
279 - 290	إيناس رمضان الشتيوي	14. البعد النفسي للصور الأدبية في نتاج الذات العقلية " مقارنة نصية نفسية في نص هشاشة "
291 - 312	أسماء محمد حمودة أبو منيغل	15. رؤية مستقبلية لتطوير الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد

335 - 313	د. مصطفى خليفة إبراهيم	16.	بعض الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال ودور الإعلام في الحد منها" دراسة ميدانية
359 - 337	د. نادية جمعة على الغرياني د. ربيعة الصادق احمد الأطرش	17.	رؤية وتصورات طلاب علم الاجتماع لمفهوم وصفات الباحث الاجتماعي "دراسة استطلاعية
379 - 361	د. خيرى الصادق عبد الله رحومة	18.	بعض آليات الضبط الاجتماعي وتأثيرها على تربية الأبناء دراسة ميدانية لأرباب الأسر الليبية بمدينة الجميل
395 - 381	د. عبد الحكيم حسن أحمد رحومه	19.	الاعتراب الفكري وأزمة العلاقة بين الباحث وواقعه الاجتماعي "دراسة في المنهج والنظرية في الفكر العربي"
410 - 397	د. مفيدة مصطفى الاشهب د. ماجدة سالم صالح حريبيش	20.	الإرشاد الأسري لعائلات أطفال اضطراب التوحد
438 - 411	د. الضاوي علي أحمد المنتصر	21.	التحليل الجغرافي لتساقط الأمطار في مدينة الأصابعة للفترة من (1984-2020)
450 - 439	د . منيرة علي مسعود الشخي	22.	الصناعات اليدوية والحرفية التقليدية في ايالة تونس خلال فترة القرن التاسع عشر (1837-1881م)

المقالات والبحوث الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها

والمجلة ترحب بإثرائها ومناقشتها

مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف عند ابن جنى من خلال كتابه الخصائص

أ. توفيق مصباح البرهمي
المعهد العالي للعلوم والتقنيات الطبية جادو

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين.

وبعد:

فاللغة العربية من أشرف اللغات منزلة وأعلاها مكانة ، بها نزل القرآن الكريم ، الذي رفعها وأسهم في انتشارها ، حتى صارت لغة التواصل والحوار ، ولغة العلم والتفكير ، ولقد أرسى قواعد هذه اللغة علماء أجلاء ، تفرغوا للغوص في أعماقها ، فنشأ الدرس اللغوي العربي بمعناه الواسع أو بما يصطلح عليه اليوم الدرس اللساني ،

ومن هؤلاء الأعلام الذين كتب لهم القبول والانتشار ابن جنى (ت392هـ) الذي تناول دراسة الصوت اللغوي، وما يطرأ عليه من تغيرات تحدث له بفعل المجاورة: كالمند والقصر والإمالة والإدغام والمشابهة ، وقد اشتمل هذا البحث على ما يلي :

أولاً: التعريف بابن جنى، ومذهبه النحوي، ونبذه عن كتابه الخصائص.

ثانياً: موضوع مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف من خلال كتاب الخصائص وقد قام البحث بالاستعانة ببعض المصادر والمراجع لبيان جهود العلماء في هذا المجال ، وقد ختم البحث بخلاصة حوت أهم نتائج الدراسة.

التعريف بابن جنى:

أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلي النحوي المشهور؛ كان إماماً في علم العربية، قرأ الأدب على شيخه أبي علي الفارسي، وفارقه وقعد للإقراء بالموصل، فاجتاز بها شيخه أبا علي فرآه في حلقة والناس حوله يشتغلون عليه، فقال له " زبيت وأنت حصرم "، فترك حلقة وتبعه ولازمه حتى تمهر، وكان أبوه جنى مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصل (ابن خلكان، بدون تاريخ 246/3) وهو من أحذق النحاة، وكان أكمل علومه التصريف، ولم يتكلف أحد ولم يتكلم أدق من كلامه في التصريف ، ولد قبل الثلاثين والثلاث مائة ، وخلف من الأولاد علياً وعالياً والعلاء، وكلهم

أدباء فضلاء، قد خرّجهم والدهم وسمعهم وحسّن خطوطهم، وهم معدودون في صحّحي الضبط وحسّني الخط (الصفدي، 1420، 311/19) وارتحل إلى حلب كثيرا وتناظر مع المتنبّي فيها، ثم توثقت بينهما أواصر المحبة، ومؤلفاته تبهر الأفكار فإنها مع كثرتها في غاية الاتقان، منها في النحو الخصائص، وسر الصناعة، والمذكر والمؤنث والمحتسب، واللمع (الطنطاوي، 1426، ص165) وغيرها .

مذهبه في النحو :

اختلف المحدثون في مذهب ابن جني النحوي، ففئة تؤكد بصريته وعلى رأسها الاستاذ محمد علي النجار محقق كتاب الخصائص حيث قال: " وكان ابن جني كشيخه أبي علي بصريا، فهو يجري في كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب " (ابن جني، د.ت، 44/1) ويؤيد هذا القول الدكتور فاضل السامرائي بقوله: " إنه بصري المذهب لا بغدادي ، ولا كوفي، إلا إذا قلنا أن المذهب البغدادي هو المذهب البصري بمصطلحاته وأساسه ومسائله ومع ذلك فالنصوص لاتسعفنا إذ هو لم يعد نفسه من البغداديين ولا من الكوفيين بل جعل نفسه بمعزل عنهم وارتضى لنفسه أن يكون من البصريين (السامرائي، 1389هـ، ص290). ومنهم من يرى أنه لايمثل مذهبا معينا، لا بصريا ولا كوفيا، ولا بغداديا على الرغم من انتسابه الى المذهب البصري، وإنما كان صاحب مذهب مستقل انفرد به مع أستاذه الفارسي (محمود، د.ت، ص350) ، وابن النديم يذكر ابن جني في الفهرست ضمن جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن خلط المذهبين، وعلى هذا فهو يُعَدُّ من نحاة المدرسة البغدادية (ابن النديم، 1417هـ، ص105) ويؤيد هذا القول الدكتور شوقي ضيف الذي ترجم له بقوله: " هو بغدادي من طراز أستاذه أبي علي النحوي والزجاجي ، إذ كانا ينتخبان من المذهبين البصري والكوفي، مع نزعة شديدة إلى البصريين (شوقي ضيف، د.ت، ص268)

كتابه الخصائص :

كتاب الخصائص هو أشهر كتب ابن جني على الإطلاق، ووفقا لعدد من الباحثين والمؤرخين فهو أفضل كتب علم اللغة وفقه اللغة في التراث العربي، والكتاب جامع شامل لكثير من قضايا اللغة والتصريف والنحو، بث فيه ابن جني فكره اللغوي وفلسفته اللغوية، وتحدث فيه عن خصائص اللغة ومشتقاتها وتصاريفها ولهجاتها وأصواتها ونشوتها بأسلوب علمي يشابه إلى درجة ما الأسلوب المتبع في الدراسات اللغوية الحديثة، وضمّنه عددا كبيرا من الآراء التي استنتجها وانفرد بها (عبد

الجيل، 2001م، ص181) ويعتبر ابن جنبي أول من عامل المباحث الصوتية كعلم مستقل، كما أنه أول من يُسوّي دراسة الأصوات علماً، وأطلق عليها هذه التسمية في «سر صناعة الإعراب» فيقول: «ولكن هذا القبيل من هذا العلم، أعني علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم" (ابن جنبي سرصناعة الإعراب، 1421هـ، 22/1)

وفاته :

تذهب أغلب المصادر إلى أنّ وفاة ابن جنبي كانت في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر صفر سنة (392هـ)، وذلك في خلافة القادر بالله، وخالف هذا الإجماع ابن الأثير وذهب إلى أن وفاته كانت في سنة (393هـ) (ابن الأثير، 1997م، 553/7)

مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف من خلال كتاب الخصائص لابن جنبي (ت 395 هـ) ، وهو من الموضوعات الصوتية التي أفرد لها باباً في كتابه الخصائص، أوضح فيه مواضع المضارعة بين الحروف والحركات والحركات للحروف .

والفارق بين الحركات وما يناظرها من حروف (أصوات) في اللغة العربية . كما هو معلوم عند أهل الاختصاص . هو فارق في المدة الزمنية التي تستغرقها كل من الحركات وما يناظرها من حروف ، ويؤكد ذلك أنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها (فتح الله، 2018 ، ص41) وفيما يلي عرض لموضوع مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف من خلال كتاب الخصائص:

فالمضارعة من الفعل ضارع ومعناها المشابهة والمقاربة ، والمضارعة للشيء أن يضارعه كأنه مثله (ابن منظور، 1414، 221/8) ومعناها في هذا الباب مشابهة الحروف للحركات والحركات للحروف وسبب ذلك يقول ابن جنبي " إن الحركة حرف صغير ، ألا ترى أن من متقدمي القوم من كان يسمى الضمة الواو الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والفتحة الألف الصغيرة " (ابن جنبي، د.ت، 302/2). ويؤكد ذلك عندك أنك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفاً من جنسها. وذلك قولك في إشباع حركات ضُربَ ونحوه: ضوريا ، ولهذا إذا احتاج الشاعر إلى إقامة الوزن مطلق الحركة، وأنشأ عنها حرفاً من جنسها. وذلك قوله(البيت للفرزدق، شُرَّاب، 1427هـ، 137/2) :

تنفي يدها الحصى من كل هاجرة نفى الدراهم تنقاد الصياريف

يُريد دراهم وصيارف، فأشبع الكسرة على كلِّ من الهاء والرَّاء، فنشأت ياء خالصة .
وقوله(البيت لابن هرمة، ابن هرمة، 1969م، ص92):

وأنت من الغوائل حين ترمى ... ومن ذمّ الرجال بمنتراح

الشاهد منتراح أصله منترح لكنه لما اضطرَّ لإقامة الوزن أشبع فتحة الزاي، فنشأ عن هذا الإشباع ألف .

وقوله(ابن هرمة، 1969م، ص239):

وأني حيثما يثني الهوى بصري ... من حيثما سلكوا أدنو فأنظور

أنظور: هي أنظر، اضطر إلى إقامة الوزن فمدّ ضمة الظاء فأصبحت واوا (ابن يعيش، 1422هـ، 203/2).

فإذا ثبت أن هذه الحركات أبعاد للحروف ومن جنسها، وكانت متى أشبعت ومُطِلت تَمَّت ووفت جرت مجرى الحروف، كما أن الحروف أنفسها قد تجد بعضها أتمَّ صوتًا من بعض، وإن كانت كلها حروفًا يقع بعضها موقع بعض في غالب الأمر(ابن جنى، د.ت، 303/2).

فمما أجري من الحروف مجرى الحركات:

- الألف والياء والواو، إذا أعرب بهنَّ في تلك الأسماء الستة و التثنية والجمع .
- النون إذا كانت علمًا للرفع في الأفعال الخمسة ، وحذفها في الجزم
- حذف الحرف استخفافا كما تحذف الحركة .

يرى ابن جنى أنه من المواضع التي شبهت بها الحروف بالحركات ، الألف والواو والياء في الأسماء الستة ، حيث أعربت الاسماء الستة على إحدى اللغات بالواو رفعًا مشابهة بالضمة ، والألف نصبًا مشابهة بالفتحة ، والياء جرًّا مشابهة بالكسرة . كذلك في التثنية حيث رفع المثنى بالألف مشابهة بالضمة ، ونصب وجرّ بالياء مشابهة بالفتحة في حالة النصب ، وبالكسرة في حالة الجر ، وأيضا في جمع المذكر السالم حيث رفع بالواو مشابهة بالضمة ، ونصب وجرّ بالياء مشابهة بالفتحة في حالة النصب ، والكسرة في حالة الجر .

كذلك النون في الأفعال الخمسة حيث ثبوتها علامة للرفع مشابهة للضمة ، وحذفها علامة للنصب مشابهة للفتحة في حالة النصب.

ومما أجري من الحروف مجرى الحركات حذفها استخفافا كما في قوله (البيت لابن يعفر، البغدادي، 1417هـ، 1/122):

فألحقتُ أخراهم طريق ألاهم ... كما قيل نجم قد خوى متتابع

يريد أولاهم حيث حذف الواو استخفافا .

ومما جاء في التنزيل من الحروف المحذوفة تشبيها بالحركات، وذلك يجيء في الواو والياء، وربما يكون في الألف قال الله تعالى: ﴿ مَا كُنَّا نَبْعُ ﴾ [الكهف: 64]، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ﴾ [الفجر: 4]، ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: 9]، وما أشبه ذلك، حذف الياء تشبيها بالحركة استخفافا، كما حذف الحركة لذلك (الزجاج، 1420هـ، 3/238) ومن ذلك قوله (البيت لرؤبة، البغدادي، 1417هـ، 1/131):

وصاني العجاج فيما وصّني ..

الشاهد حذف الألف من وصاني، واكتفى عنها بالفتحة

ونظير حذف الحروف للتخفيف حذف الحركات أيضا نحو قوله (البيت للأقيشر الاسدي، البغدادي، 1417هـ، 4/484):

رُحِتِ وفي رِجْلَيْكَ ما فيهما وقد بَدَا هُنْكَ من المِزْرِ

والشاهد فيه قوله: "هنك" حيث سَكَنَ النون تشبيها بـ "عَضْد" وهي لغة (ابن يعيش، 1422هـ، 1/147).

وقوله (البيت لامرئ القيس، شُرَّاب، 1427، 2/329)

فاليوم أشرب غير مستحقب ... إثمنا من الله ولا واغل

والشاهد: «أشرب»، جاء مجزوما بلا جازم (ابن يعيش، 1422، 5/492، شُرَّاب، 1427هـ، 2/329)

وقوله (البغدادي، 1417هـ، 354/8):

إِذَا عَوَّجَجْنَ فَلْتُ صَاحِبِ قَوْمٍ ... بِالذَّوِّ أَمْثَالَ السَّفِينِ الْعُومِ

فأجرى الوصل مجرى الوقف في صاحب (سيبويه، 1408هـ، 203/4) والأصل يا صاحب قوم، ولكنه حذف مُضْطَرًّا ، وكأنَّ الضم بعد الكسْرِ والكسر بعد الكسر يستثقل (الزجاج، 1420هـ، 275/4).

وقوله (الفارابي، 1424هـ، 234/4):

وَمَنْ يَتَّقِ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ * وَرَزَقَ اللَّهُ مَوْتَابَ وَعَادِي

قال السيوطي " ويجوز في الشعر تسكين ما قبل هذه الحروف بعد حذفها تشبيها بما لم يحذف منه شيء " (السيوطي، د.ت، 203/1)

وقوله البيت للبيد، شراب، 1427هـ، 140/3):

تَرَكَ أَمْكِنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا * أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضَ النَّفُوسِ حِمَامُهَا

الشاهد فيه حذف حركة " يرتبط " مع أنه في موضع رفع .

وقيل : إنه مجزوم على الأصل، لأن أصل الأفعال ألا تعرب، وإنما أعربت للمضارعة. ولكن هل

ذهبت المضارعة هنا؟

وقال قوم: إنه منصوب، لأن (أو) بمعنى إلا أن، وأسكنه رداً إلى أصله. وهذا كسابقه، إلا أنه

يجعل «أو» ناصبة.

والقول الثالث: أنه مجزوم عطفاً على (لم أرضها) وهو الصحيح، فالمعنى: إنني أترك الأمكنة إذا

رأيت فيها ما يكره، أو إذا لم أرضها، أو لم يرتبط بعض ... (فأو) حرف عطف (ابن جنى، بدون

تاريخ، 74/1).

وقوله (البيت لجري، البغدادي، 1417هـ، 484/4):

سَبَرُوا بَنِي الْعَمِّ فَلْأَهْوَاؤِ مَنَازِلِكُمْ ... وَنَهْرُ تَبْرَى وَلَا تَعْرِفُكُمْ الْعَرَبُ

أراد: لا تعرفكم، فأسكن الفاء استخفافاً لثقل الضمة مع كثرة الحركات (ابن

جنى، المحتسب، 1420هـ، 123/1) ومنه وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ دِكْرًا﴾ [طه: 110] على

قراءة من قرأ بالإسكان تخفيفاً قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون هذا مما يسكن استثقلاً للضمة (ابن

جنى، المحتسب، 1420هـ، 59/2).

ومن مضارعة الحرف للحركة أن الأحرف الثلاثة: الألف والياء والواو إذا أشبعن ومطلن أدين إلى حرف آخر غيرهنّ، إلا أنه شبيه بهن، وهو الهمزة، ألا تراك إذا مطلت الألف أدتك إلى الهمزة، فقلت: آء، وكذلك الياء في قولك: إيء، وكذلك الواو في قولك: أوء. فهذا كالحركة إذا مطلتها أدتك إلى صورة أخرى غير صورتها، وهي الألف والياء والواو في: منتزح، والصياريف، أنظور (ابن جنبي، دون تاريخ، 305/2).

ومن ذلك أن تاء التانيث في الواحد لا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا، نحو: حمزة وطلحة وقائمة، ولا يكون ساكنًا. فإن كانت الألف وحدها من بين سائر الحروف جازت. وذلك نحو: قطة وحصاة وأرطاة وحبنطاة أفلا ترى إلى مساواتهم بين الفتحة والألف حتى كأنها هي هي وهذا يدل على أن أضعف الأحرف الثلاثة الألف دون أختيها؛ لأنها قد خصت هنا بمساواة الحركة دونها (ابن جنبي، دون تاريخ، 305/2).

ومن ذلك قوله :

ينشب في المسعل واللهاء ... أنشب من مآشر حداء

قالوا: يريد حدادا، فأبدل الحرف الثاني، وبينهما ألف حاجزة كما لم يعدد الحركة في نحو أمليت الكتاب في أمليت (ابن جنبي، دون تاريخ، 235/2).

ومن مضارعة الحرف للحركة أنهم بينوا الحرف بالهاء نحو : وازيداه ، واغلامهامه، واغلامهوه، واغلامهموه، واغلامهيه، وانقطاع ظهريه كما بينوا الحركة بها نحو أعطيتكه، ومررت بكه، واغزؤه ولا تدعؤه. والهاء في كله لبيان الحركة لا ضمير (ابن جنبي، دون تاريخ، 305/2).

ومن مضارعة الحرف للحركة أن الالف لا يمكن تحريكه كما أن الحركة لا يمكن تحريكها

ومن مضارعة الحركة للحرف ففي نحو تسميتك امراة بـ " هُند " و " جُمَل " فلك فيها مذهبان الصرف وتركه ، فإن تحرك الأوسط ثقل الاسم، فقلت في اسم امرأة سميتها بقدم بترك الصرف ، أفلا ترى كيف جرت الحركة مجرى الحرف في منع الصرف. وذلك كامرأة سميتها بسعاد وزينب. فجرت الحركة في قدم وكبد ونحوه مجرى ألف سعاد وياء زينب (ابن جنبي، دون تاريخ، 305/2).

ومن ذلك أنك إذا أضفت إلى الرباعي المقصور أجزت إقرار، الألف وقلبها واؤًا، نحو: الإضافة إلى حُبَلَى ، إن شئت قلت: حُبَلَى، وهو الوجه. وإن شئت: حبلوى.

فإن كان المقصور على أربعة أحرف، والحرف الثاني ساكنًا، فلا تخلو الألف في آخره من أن تكون منقلبة، أو زائدة للتأنيث، نحو: "حُبْلَى"، و"سَكْرَى"، و"عَطَشَى"، و"خَزْوَى". فالأجود في هذا حذف الألف، فيقال: "حُبْلَى"، و"سَكْرَى"، و"عَطَشَى". وذلك أنهم شبهوا ألف التأنيث بتاء التأنيث في الحذف، فحذفوها كحذفها. ويجوز مدّها، فيقال: "حُبْلَاوِيٌّ"، و"سَكْرَاوِيٌّ" تشبيهاً بالمؤنث الممدود، نحو: "حمرَاء"، و"صَفْرَاء". ويجوز قلب الألف واوًا، فيقال: "حُبْلَوِيٌّ"، و"سَكْرَوِيٌّ"، كما يُقال "كَسْرَوِيٌّ". شبهوها بالمنقلبة في نحو: "مَلْهَوِيٌّ"، و"مَعْرَوِيٌّ". فهذه ثلاثة أوجه: أحدها "حُبْلَى" بحذف الألف، وهو أجودها، ثم "حُبْلَاوِيٌّ"، ثم "حُبْلَوِيٌّ" (ابن يعيش، 1422هـ، 3/450).

قال أبو علي الفارسي: هذا نحو حُبَارَى، ومُرَامَى، يريد تستوي الزيادة التي للتأنيث إذا كانت خامسة والأصل إذا كان خامسًا في أن يحذف إذا أضيف إليهما، فتقول في حُبَارَى: حُبَارِيٌّ، وفي مُرَامَى: مُرَامِيٌّ، فتحذف الألفين جميعًا، فكما استويا هنا وفي مَدَارَى وحَبَالَى، كذلك استويا إذا كانا رابعين، فأجيز في كل واحد منهما الحذف وقلبه واوًا، فقول: حُبْلَوِيٌّ وحُبْلِيٌّ، ومَلْهَوِيٌّ ومَلْهِيٌّ. وأما جَمَزَى فلا يكون جَمَزَوِيٌّ ولكن جَمَزِيٌّ، لأنها نُقِلَتْ، وجاوزت زنة مَلْهَى فصارت بمنزلة حُبَارَى لتتابع الحركات (أبو علي، 1410هـ، 3/178). قال ابن يعيش وتقول في "جَمَزَى"، و"بَشَكِيٌّ" وما كان مثلهما: "جَمَزِيٌّ"، و"بَشَكِيٌّ"؛ لأنّ الألف في حكم الخامسة؛ لأنّ الحركة في الثاني بمنزلة الحرف، ألا ترى أنّ من يصرف "هِنْدًا"، و"دَعْدًا" لا يصرف "سَقَرًا"، و"قُدَمًا" عِلْمَيْنِ؛ لأنّ الحركة فيه صيرته في حكم "زَيْنَب"، و"سَعَادًا"، فلذلك قال: هو في حكم "حُبَارَى"، يعني تصير الألف في آخره في حكم الخامسة؛ لتحرك حرف ما هي فيه (ابن يعيش، 1422هـ، 3/452).

ومن مضارعة الحركة للحرف أنك تفصل بها ولا تصل إلى الإدغام معها، كما تفصل بالحرف ولا تصل إلى الإدغام معه. وذلك قولك: وتد ويطد. فحجزت الحركة بين المتقاربين كما يحجز الحرف بينهما، نحو: شمليل وحَبْرَبْر (ابن جنى، د.ت، 2/306).

ومنها أنهم قد أجروا الحرف المتحرك مجرى الحرف المشدد، وذلك أنه إذا وقع رويًا في الشعر المقيد سكن؛ كما أن الحرف المشدد إذا وقع رويًا في الشعر المقيد خفف. فالمتحرك نحو قوله (البيت لرؤية، شُرَاب، 1427هـ، 2/165)

وقائم الأعماق خاوي المخترق ... مشتبه الأعلام لَمَاع الخفق

أصله المخترقن بالتنونين ، وكسِر الحرف الذي قبله لالتقاء الساكنين(المرادي،1428هـ،280/1).

والمشدد نحو قوله(البيت لطرفة،شُرَاب،1427هـ،411/1):

أَصْحَوْتُ اليَوْمَ أَمْ شَأَقْتُكَ هِرْ وَمِنَ الْحَبِّ جَنُونَ مُسْتَعِر

والشاهد حذف إحدى الراءين ويجوز تخفيف كل مشدد في قافية لأن الذي بقي يدل على أنه قد حُذِفَ منه مثله لأن المشدد حرفان وإنما اقتطعت القافية لأن الوزن قد تم (ابن السراج، بدون تاريخ،3/448).

قال ابن جنى " فحذف إحدى الراءين كما حذف الحركة من قاف المخترق، وهذا إن شئت قلبته فقلت: إن الحرف أجري فيه مجرى الحركة، وجعلت الموضوع في الحذف للحركة، ثم لحق بها فيه الحرف. وهو عندي أقيس " (ابن جنى، بدون تاريخ، 307/2).

ومنها استكراههم اختلاف التوجيه: أن يجمع مع الفتحة غيرها من أختيها، نحو: جمعه بين المخترق وبين العقق والحمق. فكراهيتهم هذا نحو من امتناعهم من الجمع بين الألف مع الياء والواو ردفين (ابن جنى، بدون تاريخ، 307/2). ويقصد بأختيها الضمة والكسرة واختلاف التوجيه هو حركة ما قبل الروي المقيد في قوله المخترق .

ومن ذلك عندي أن حرفي العلة: الياء والواو قد صحا في بعض المواضع للحركة بعدهما، كما يصحان لوقوع حرف اللين ساكنًا بعدهما. وذلك نحو: القود والحوكة والخونة والغيب والصيد وحول وروع وقوله تعالى ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب:13] فيمن قرأ كذلك. فجرت الياء والواو هنا في الصحة لوقوع الحركة بعدهما مجراهما فيها لوقوع حرف اللين ساكنًا بعدهما، نحو: القواد والحوكة والخونة والغياب والصيد وحويل ورويع، وإن بيوتنا عويرة(ابن جنى، بدون تاريخ، 307/2).

وتلخيص هذه الجملة أن كل واحد من هذه الأمثلة قد جاء مجيبًا مثله مقتضى للإعلال، وهو مع ذلك مصحح، وذلك أنه قد تحركت عينه، وهي معتلة وقبلها فتحة، وهذا يوجب قلبها ألفًا، كباب، ودار، وعاب، وناب، ويوم راح، وكبش صاف، إلا أن سبب صحته طريف، وذلك أنهم شبهوا حركة العين التابعة لها بحرف اللين التابع لها فكأن فعلاً فعال كأن فعلاً فعيل. فكما يصح نحو جواب، وهيام، وطويل، وحويل، فعلى نحو ذلك صح باب القود والحوكة والغيب الروع والحول والشول،

من حيث شبهت فتحة العين بالألف من بعدها "وكسرتها بالياء من بعدها" (ابن جنى، بدون تاريخ، 54/3).

الخلاصة

- موضوع مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف عند ابن جنبي ، جديد في بابهِ ، وقد صنعه بجمع الأمثلة المختلفة ، ومن خلال هذا البحث توصلت إلى بعض النتائج :
- استعمل ابن جنبي مصطلح الحروف ولم يستعمل مصطلح الاصوات .
 - أكد ابن جنبي وجود ظاهرة المضارعة بين الحروف والحركات والحركات للحروف .
 - حصر ابن جنبي المواضع التي أجريت فيها الحروف مجرى الحركات .
 - بين ابن جنبي مواضع مضارعة الحرف للحركة والحركة للحرف .
 - أبان ابن جنبي مكانة الحركات في كونها ضمن منظومة الأصوات العربية والتي تشبه الحروف .
- هذا أهم ما توصلت إليه بعد أن فصلت القول فيه، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

المصادر والمراجع

- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن الاثير الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي - بيروت. ط1، 1997 .
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت .
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي (ت ٤٣٨هـ)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان ، دار المعرفة بيروت - لبنان ط2، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- ابن جنى، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ط / 1420هـ- 1999م .
- ابن جنى، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 4 .
- ابن جنى، أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلي (ت ٣٩٢هـ) سر صناعة الإعراب ، ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ، ط1 ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (ت ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس ، الناشر: دار صادر - بيروت، بدون تاريخ .
- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر - بيروت ط 3 - 1414 هـ .
- ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي ، شرح المفصل للزمخشري، قدم له: إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط 1 ، 1422 هـ - 2001 م .
- إعراب القرآن المنسوب للزجاج ،علي بن الحسين بن علي الأصفهاني الباقولي (ت 543هـ) ،تح إبراهيم الإبياري ، دارالكتاب المصري القاهرة ، ودارالكتب اللبنانية بيروت ، ط 4 ، 1420 هـ .
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط 4 ، 1418 هـ - 1997م .
- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب - بيروت ، ط 1 ، 1408 هـ - 1988 م .
- السامرائي، فاضل صالح السامرائي، ابن جنى النحوي، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع، 1389هـ، 1969م .
- سيويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ط 3 ، 1408 هـ - 1988 م .
- السيوطي، أبو بكر، جلال الدين همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هندواي المكتبة التوفيقية - مصر .

- شُرَّاب ، محمد بن محمد حسن، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري» مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1 1427 هـ - 2007 م .
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركبي مصطفى ، دار إحياء التراث - بيروت ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (ت ١٤٢٦هـ)، المدارس النحوية، دار المعارف .
- الطنطاوي، محمد الطنطاوي رحمه الله، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تحقيق: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط1 ، ٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ .
- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، التعليقة على كتاب سيبويه تحقيق: عوض بن حمد القوزي (الأستاذ المشارك بكلية الآداب) ط1 ، 1410هـ - 1990م
- المباحث التشكيلية لأصول اللغة العربية ، محمود فتح الله ، المجلة الجامعة ، العدد 20 ، المجلد الثاني ، 2018 .
- محمود، محمود حسني محمود، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ، مؤسسة الرسالة ، دار عمار .
- المرادي، أبو محمد بن عليّ لمصري المالكي (ت 749هـ) ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ط 1 1428هـ - 2008م
- منقور عبد الجليل، علم الدلالة، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق، د.ط. 2001.

السيرة الذاتية النسائية في الأدب الليبي المعاصر (رباب أدهم أنموذجاً)

د. خالد عبدالسلام خليفة
كلية الآداب الأصابعة/ جامعة غريان
khaled.khalifah@gu.edu.ly

المقدمة :

يقتصر هذا البحث على دراسة الأدب الليبي الخاص بالمرأة وإبداعاتها، ولمّا كان هذا الموضوع يحتاج إلى حصر وتوثيق كل الأدبيات الليبية - وما أكثرهن - اخترنا الأدبية الليبية (رباب أدهم)، التي تُعد من الأدبيات الليبية الرائدات في أدب المرأة الليبي من خلال سيرتها الذاتية في كتابها دروب في الحياة، حيث فرضت وجودها في هذا الأدب منذ العقد الأول من القرن الواحد والعشرين بأكثر من أربع عشر رواية أغلبها في الجانب السياسي، ومن بين تلك الأعمال: (دروب في الحياة) الذي تم تناوله بالدراسة في هذا البحث.

أسباب اختار الموضوع:

الرغبة في دراسة أدب المرأة الليبي الذي تفتقر إليه إمكاناتنا في هذه الفترة.1.
أهمية الأعمال الأدبية الخاصة بالمرأة؛ ودورها في تنمية الحس الجمالي في الأدب الليبي المعاصر.

إبراز مكانة المرأة في مجتمعنا الليبي من خلال التعريف بالمبدعات الليبية.

المنهج العلمي:

بطبيعة البحث تم الاستعانة بالمنهجين الوصفي والتحليلي في هذه الدراسة من خلال إيراد الشواهد الأدبية وفق تقسيمات البحث.

الدراسات السابقة:

لم أعتز على دراسة منفصلة تتناول السيرة الذاتية لرباب أدهم، وفي المقابل كانت هنالك بعد الإشارات والمقالات لأعمالها عبر صفحات التواصل الاجتماعي.

إشكاليات البحث:

يجيب البحث على عدة تساؤلات منها:

ما الدور الذي تلعبه المرأة الليبية في الأدب الليبي المعاصر؟

ما النتاج الأدبي الذي قدمته المبدعة رباب الأدهم لقراءها؟

ما هي مضامين السيرة الذاتية التي وضحتها الكاتبة في مؤلفها دروب الحياة؟

وعدت تساؤلات أخرى يجدها القارئ في طيات بحثنا هذا.

تقسيمات البحث:

تم تقسيم البحث على: مقدمة، ومهاد نظري: للتعريف بمصطلح السيرة الذاتية وبدايتها في الأدب الليبي، وثلاثة مباحث: الشخصيات، والأمكنة، ودراسة فنية لأعمال الأديبة، والخاتمة التي تم رصد النتائج التي توصل إليها البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

مهاد نظري

المعنى اللغوي:

تتركب هذه التسمية من لفظتين في تركيب ومعنى، فالسيرة موصوف والذاتية صفة لها، وتدل كلمة السيرة، على الحالة أو الطريقة التي يكون عليها الإنسان أو الشاعر سير من السير؛ سار يسير سيراً وميسراً وتيساراً وميسرة وسيورة، ويقال سار القوم يسرون سيراً وميسراً إذا امتد بهم المسير في جهة توجهوا لها (ابن منظور، 1414هـ، 392) وتدل الذاتية على صفة الخصوصية للمتكلم السارد أو الشاعر وبذلك فإن المعنى اللغوي للسيرة الذاتية: حديث الكاتب عن نفسه في وثيقة مكتوبة يقدمها للمتلقي تتضح من خلال إشارات توضح بالعنوان وتدل على ذلك، مثل:

سيرة، أو مذكرات، أو أوراق من الحياة وقد تكون تلك الإشارات من خلال مقدمة المؤلف أو في صفحة الغلاف الأولى، أو في عتبات النص الأخرى مثل: الإهداء أو مقطع أولى من النص المكتوب.

المعنى الاصطلاحي:

أ. عند الغرب:

السيرة الذاتية عندهم: "حكي استعادي ثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصية" (لوجن، 1944م: 7)،

ويقترح أحد الباحثين الغربيين تعريفاً للسيرة الذاتية "حياة فرد ما مكتوب من طرفه" (لوجن، 1944م: 7).

ب. عند العرب:

ظهر هذا المصطلح عند العرب متأخراً، وذلك عقب الاتصال بالغرب في عصر النهضة في بداية القرن التاسع عشر، واستعمل بمعنى الكتابة عن الحياة الخاصة عندما يصل الإنسان إلى مرحلة متأخرة من العمر حيث يبدأ عنصر التذكر لديه في التضرر لإعادة بعض ماخترته الذاكرة ولعل كتاب (الأيام) لطفه حسين، يعد من أوائل هذا النوع من الكتابة عن الذات في أدبنا العربي الحديث. والراجع أن العرب عرفوا فن الكتابة عن الذات، ولكن لم يستعملوا لفظ السيرة، بل استعملوا مسميات أخرى، السيرة الذاتية، السيرة الغيرية، السيرة الأدبية، الترجمة الذاتية (اليومي، 2012م: 2). (3).

والسيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث نوع يذيع إلى الانفتاح على مجالات أخرى منها: علم التحليل النفسي: حيث تظهر من خلال السيرة الذاتية أمور يمكن أن تكشف عن جوهر العمل الأدبي من خلال تحليل لشخصية الكاتب، هل كان متفائلاً، وما الذي فرحه أو حزنه أو مشاركته في العمل السردية، ويمكن للمتلقي أن يعرفها بسهولة من خلال تكرار ألفاظ دالة، ولا بد أن يشعر المتلقي بالتطابق بين المؤلف السارد والشخصية ويمكن أن يتحقق هذا بطريقتين:

- 1- استعمال عناوين لا تترك أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى اسم المؤلف مثل: (قصة حياتي . سيرة ذاتية . أوراق من ذاكري).
- 2- مقطع أولى للنص يتحمل فيه السارد التزامات أمام القارئ، وذلك بالتصرف مثل المؤلف، بطريقة تجعل القارئ لا يحمل أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى الاسم القائم على الغلاف وبأن كان هذا الاسم غير وراذ في النص، وحالة الميثاق تعني: ميثاق العنوان، أو ميثاق التمهيدي" (لوجن، 1944م: 13).

دواعي كتابة السيرة الذاتية:

تبعاً للحوافز التي تدفع الأدب كتابة سيرته، يمكن تقسيم السيرة الذاتية إلى ما يأتي:

- 1- النبروية: حيث تُكتب للدفاع، أو الاعتذار، ومن أمثلتها في التاريخ العربي:

أ. ترجمة "حنين بن إسحاق" التي عبر فيها عما أصابه من خسارة ونكبات، وبرر أسباب كثيرهم له (لوجن، 1944م: 33)

ب. الرغبة في اتخاذ موقف ذاتي من الحياة، مثل ما كتبه عن نفسه محمد بن زكريا الرازي في كتابه (السيرة الفلسفية) وابن الهيثم في سيرته التي احتفظ لنا بها ابن أبي الأصبغ في كتابه "عيون الأبناء في طبقات الأطباء" (ابن أبي أصيبعة، 1995م: 41)

ج. التخفيف من ثورة أو انفصال:

ومن أمثلة ذلك كتابا: "مثالب الوزيرين" و"الامتناع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي (البيومي، 2012م: 33)، وكذلك بعض رسائل أبي العلاء المعري (البيومي، 2012م: 45).

د. تصوير الحياة المثالية:

وهي أشبه بنحوي الذات برغم كتابتها لكي يمتد بها الناس والإتباع، وهي تفصح عن حياة صاحبها ومما أتيح له من خيارات روحية أو نكرية، ومن أمثلة ذلك: كتاب عبد الرحمن الحوزي (لغنة الكبر في تضحية الولد) وما كتبه عن نفسه كل من: الحلاج، ابن عربي وعبد الوهاب الشعراني في "الطائف".

هـ. تصوير الحياة الفكرية:

حيث يسجل صاحب السيرة كل ما أثر في تكوينه العضلي والفكري من كتب وأساتذة، ويظهر ذلك جلياً في كتابات البيروني، الرازي، السيوطي وغيرهم (لوجن، 1944م: 64).

و. الرغبة في استرجاع الذكريات:

ومن الأمثلة على ذلك كتاب "الاعتبار" لأسامة بن منقذ وكتاب "طوق الحمامة" لابن حزم الذي يجري فيه مجرى الاعتراف حيث ييوح بذكريات شبابه (لوجن، 1944م: 81).

أشكال السيرة الذاتية:

اليوميات: ما يحدث في حياته اليومية من أحداث مشوقة حزينة كانت أم كئيبة.

الاعترافات: وفيها يذكر السارد بعض الأسرار التي كان يحتفظ بها لنفسه ولكنه يتقن بضرورة الإعلان عنها، بحيث لا يتضرر من ذكرها.

المذكرات: وفيها يذكر بعض الأحداث التي حصلت معه وقام بتدوينها ثم رجع إليها في وقت آخر، ومن أمثلة ذلك: مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري في غرناطة، حيث نقل إلينا انعكاس تلك الأحداث والوقائع على نفسه (لوجن، 1944م: 36). ويمكن تقسيم السيرة الذاتية على النحو التالي:

1- السيرة التاريخية: وفيها يسلك المؤلف نهجاً تاريخياً حيث يهتم بذكر الوقائع والأحداث والشخصيات التاريخية، ومن أمثلة ذلك السيرة التي بين أيدنا للكتابة الليبية "رباب أدهم" بعنوان: دروب في الحياة"، موضوع البحث.

2- السيرة الفنية: وفي هذا النوع يتأنق المبدع ويقترّب بعمله السردي إلى الرواية حيث يوظف البيان والتصوير والزخرفة القولية من حيث اختيار الألفاظ والإكثار من الجناس وسائر ألوان البديع ومن أمثلة ذلك كتاب (الأيام) لطف حسين.

3- الموضوعات السياسية: وفيها يذكر السارد بعض الأحداث السياسية التي كان طرفاً فيها ومن أمثلتها "مذكرات سجين" للكاتب والسياسي الليبي عبد القادر الفيتوري "وقد تحدث في كتابة هذا عن حياته السياسية في إحدى الفترات التاريخية في ليبيا حيث كان موظفاً كبيراً في الجنوب الليبي".

أشكال بناء السيرة الذاتية:

في الغالب يتم البناء الفني لهذا النوع من السرد وفق منهجية تقوم على الربط بين إظهار الفكرة والقالب الفني الذي تصاغ فيه، ويمكن ملاحظة الأشكال التالية في البناء السير ذاتي:

1. الشكل التعاقبي: وذلك يسرد الأحداث على هيئة قصص تتبع بعضها بعضاً ومن أمثلة ذلك كتاب (محطات) (المقهور، 2002م: 18)، للكاتب الليبي كامل المقهور الذي تحدث فيه بشكل متتابع عن حياته وتعليمه ورحلاته إلى مصر.

2- الشكل المقالي: وفيه يضيف الكاتب الأحداث دون مراعاة لعامل التتابع حيث يتم تقسيم العمل كله إلى فقرات يوضع لكل فقرة رقم أو عنوان ويكون المعول عليه هو الشرح والتعليق من قبل السارد ومن أمثلة ذلك السيرة الذاتية لعلي فهمي خشيم وعنوانها "هذا ما حدث" (خشيم، 2005م: 28).

3. الشكل المعاكس: حيث يجعل الكاتب الأحداث الأكثر أهمية في بداية عمله حتى وإن سبقتها أحداث كثيرة، ويكثر هذا النوع عند كُتاب السيرة ذات الموضوعات السياسية، حيث يذكر في البداية أسوأ ما وقع حتى تاريخ الكتابة ومن أمثلة ذلك السيرة الذاتية لجيهان السادات "سيدة من مصر" حيث بدأت الكتابة بمأساة قتل الرئيس المصري أنور السادات "زوجها" (السادات، 1987م: 68).

المبحث الأول: الشخصيات.

تُعد الشخصية من أهم العوامل في العمل السردي سواء كان خيالياً مثل الرواية، أو حقيقياً مثل السر ذاتي... ومن المعلوم أن للأثر الأدبي عموماً مظهران فهو في الوقت ذاته: حكاية وخطاب، فهو حكاية بمعنى أنه يوحي بشي من الواقع ويوحي بأحداث قد تكون وقعت وأشخاص يتماهون مع غيرهم في صنع تلك الأحداث. ولكن الأثر الأدبي في الوقت ذاته خطاب فثمة سارد يقص سيرته وثمة قارئ يواجهه يتلقى الحكاية (الباروني، 2004م: 2)، وعلى هذا الأساس يصبح السارد العامل المهم للتمييز بين الحكاية والخطاب...

ولاشك أن السارد يظل مقولة رئيسية في الخطاب الروائي الحديث بما فيه السيرة الذاتية وصورته المتعددة والمتنوعة يمكن أن تحدد المراحل الكبرى التي مرت بها مراحل الحدث. ويمكن القول إن شخصية السارد في السيرة الذاتية لا يمكن أن تنفصل عن الشخصيات المحورية الأخرى في العمل السردي؛ لأن حياة السارد مرتبطة بالجماعة في السراء والضراء فلا بد من الإشارة إلى أدوار الشخصيات.

وقد تميزت الشخصيات في (دروب) رباب أدهم بالتعدد ويمكن أن تنقسم إلى قسمين: أ. شخصيات ذات أثر إيجابي: وهي تلك الشخصيات التي خطيت بمكانة مرموقة واحترام من خلال ما قامت به من أعمال جليلة تقول الكاتبة: "اضطرت الظروف القاهرة جدي إلى الهجرة، فقرر التوجه إلى مصر شأن معظم مهاجري المناطق الشرقية من ليبيا وقد اصطحب معه جدتي لأمي وكانا لا يزالان عروسين شابين لم ينجبا أطفالا بعد ولا أدرى الظروف التي جمعتهما وربطتهما بالزواج، فجدتي من أبناء المنطقة الشرقية (بنغازي وضواحيها) بينما تنتمي جدتي "فاطمة الكريتلي" إلى أسرة من أصل كريتلي "نسبة إلى جزيرة كريت اليونانية" وكانت أسرتها تقيم في مدينة الخمس القريبة من مدينة طرابلس شرقاً" (أدهم، 2012م: 20).

ومما يدل على مكانة هذه الشخصية ما صرحت به الكاتبة عندما ذكرت ترددهم على مصر حيث قالت: "أستقبله أهله في الصعيد بالترحاب وأكرموا وفادته وكانوا حسب ما رُوى لنا، يقيمون في بيوت واسعة متقاربة. وقد خصصوا له وجدتي جزءاً من البيت الكبير ليؤويهم فظن جدي أنه وجد أخيراً الراحة والاستقرار وسطه أهله وعشيرته" (أدهم، 2012م: 23).

ثم تشير الكاتبة إلى والدها الذي أدي واجبه النضالي فقرر السفر إلى دمشق وقد ظلت شخصية خال الوالدة وأسمه حسن غالب مساعد الأسرة في الأردن وقد كان هذا الرجل أديباً وعنده ديوان شعر أسمه "ديوان أبي غالب"

وقد كان دور الوالد كبيراً في خوفه الوطني حيث تذكر أنه كان يمتلك مكتبة تضم العديد من الوثائق حيث كان عضواً في الجمعية الوطنية التي تأسست (1928) لتوصل إلى العالم صوت ليبيا التي كانت تعاني من ظلم الطغيان وقد جاء في إحدى الوثائق. "تنادينا في دمشق لتنظيم العمل وتوسيعه واتصلنا بإخواننا في الأردن، تم إخواننا في مصر تونس تركيا، وتبادلنا الآراء والاقتراحات وأنباء الجهاد القائم في البلاد وما يعاينه الأهلون في المناطق المحتلة من كبت واضطهاد وإفقار ومغادرة للأراضي والأموال، وما يلاقه المتعلقون والأسرى من إذلال وتعذيب حتى الموت ثم استقرّ عزمنا على تأليف جمعية وطنية دفاعية تقويم بجمع أخبار الجهاد ومظالم البغاة الإيطاليين وإذاعتها على العالم في نشرات ورسائل مصورة تذكره فيها الوقائع كما جرت مدعومة ببيان الأمكنة والتواريخ والأسماء، مصحوبة بإيقاظ الضمائر الإنسانية وطلب مؤازرة من الشعوب العربية والإسلامية لإخوانهم المجاهدين". (أدهم، 2012م: 32).

وهكذا فقد كان والدها من الرجال الذين قدموا كثيراً من التضحيات من أجل الوطن وقد أشارت الكاتبة على دوره في الجانب الوطني.

وتشير الكاتبة على الدور الإيجابي للشخصيتين الجد والجددة ودورهما في تربتها: "استأنس جدي وجدتي بإقامتي معهم حيث ملأت سنوات شيخوختهم بنشاطي وحركتي وقد غمراني بمحبة فائقة خصوصاً جدي الذي كان يتميز بطيبته وخفة ظله وكانت خالتي التي تصغر أمني قليلاً لم تتزوج بعد، وكنت شديدة التعلق بها وأحبها حباً جمماً، وكانت بدورها توليني من الاهتمام والحب والرعاية الشيء الكثير" (أدهم، 2012م: 40)، ومن الشخصيات الإيجابية في حياتها تذكر رباب أدهم أحد المعلمين الأردنيين الذي قدم لها المساعدة في الدراسة فتقول: "فلجأ والدي إلى صديق قديم

يُقيم في عمان ويشتغل مركزاً مرموقاً في الدولة يُدعى فوزي عزالدين، وطلب منه أن يستخدم نفوذه لقبولي في المدرسة وبالفعل نجحت وساطته والتحقّت بالصف الأول الابتدائي بمدرسة الزهراء" (أدهم، 2012م: 52).

وتشير في موقف سردي آخر إلى النشاط والدها على المستوى الفردي من أجل توفير لقمة العيش للأسرة فتقول: "كان والدي كثير الإسفار إلى كلّ من عمان ودمشق، فقد كان يقصد عمان بغرض الاتصال بتجارها لشراء ما يحتاجه متجره في المفرق من بضائع، وكانت هذه البضائع تردهم غالباً عبر مينائي يافا وحيفا، وقد هيأت له هذه التعاملات الفرصة لعقد صداقات وعلاقات طيبة مع بعض التجار المعروضين في عمان مثل الأخوين مكو وراشد وجودت، أما دمشق فكان يتردد عليها لزيارة أسرته المقيمة هناك وحضور اجتماعات جمعية الدفاع الطرابلسي - البرقاوي التي كانت مقرها في دمشق" (أدهم، 2012م: 41).

شخصيات ذات أثر سلبي: ويقصد بها تلك الشخصيات التي كانت معاول هدم، وكانت تقف مجرة عثر أمام التقدم وهي قليلة عند مقارنتها بالشخصية الإيجابية.

وفي دروب رباب أدهم تذكر أن من بين جيرانهم في طرابلس بداية الستينيات جارتة يهودية وكان لهم متجر في أحد شوارع طرابلس وفي أحد الأيام تغيب أبناء تلك الأسرة وذكرت أمه إنه ذهب ليعمل في إيطاليا "وفي أحد الأيام جاء والدي إلى البيت يحمل مجلة مصرية مكتوب فيها خبر إسقاط المدفعية السورية لطائرة عسكرية إسرائيلية اخترقت المجال الجوي السوري، وتم أسر قائدها الذي قفز بالمظلة، كان أسم ذلك الطيار وصورته مرافقين للخبر وكانت دهشتنا شديدة عندما تبين لنا أن ذلك الطيار لم يكن سوى ابن جيراننا اليهودي، الذي ادّعت أمه أنه يعمل ويقوم في إيطاليا، هذه الحادثة إن دلّت على شيء تدل على خيانة اليهود وعلى أن ولاءهم الأول والأخير هو للوطن الذي أقاموه قسراً على أرض فلسطين العربية، التي أجلوا عنها أبناءها وأقاموا فيها دولة الغدر والطغيان إسرائيل" (أدهم، 2012م: 42).

لقد كان ذلك اليهودي مثلاً للمنافق الذي يدعي أنه صديق للعرب وكان حقه هو أصله اللعين على ذاته الهمجية فذهب إلى اليهود ليقاتل العرب الذين تربى بين أهلهم.

ومن الشخصيات السلبية تروي الكاتبة موقفاً لطيبه مع طفلة عمرها أربعة أشهر فتقول "تعرضت لمحنة صحية خطيرة كادت تؤدي بحياتها أصيبت بحالة جفاف، وكان والدها مسافراً إلى مصر وفي

ليلة ساءت حالتها فاستجدت بإخوتي جاء لؤي ومازن على وجه السرعة نقلها إلى المستشفى، هناك حدث أمر غريب! إحدى الطبيبات المناوبات " كانت تنتمي إلى دولة شقيقة" فحصتها ثم قالت: "حالة هذه الطفلة ميئوس منها، خذوها وابعثو لي مريض آخر" إذ ذاك هب فيها أخي مازن صارخاً: "هذا كلام هراء وإجرام... وعليك أن تفعلي شيئاً" (أدهم، 2012م: 281).

ويلاحظ من الشخصيات في هذه السيرة الذاتية خلوها من عنصر التشويق فلم تصور الكاتبة الشخصية التي تناولها بشكل شفاف يخبر عن نفسه تلك الشخصية وأنماط سلوكها ولكنها أكتفت ببعض الإشارات في قوالب لغوية جاهزة جافة... ويدل هذا أن أفلحت في الكناية التاريخية وتسجيل الوقائع بشكل صحيح وهذا لحساب لعالج هذا العمل السردى الكبير.

المبحث الثاني: الأمكنة

تعد الأمكنة من الأركان المهمة في العمل السردى بوصفه الساحة أو المساحة التي تجري عليه الأحداث (النهرواني، 1993م: 43).

فالمكان "هو الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه ويحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار وعي ساكنيه".

ويمكن المتلقي أن يجد أنواعاً مختلفة من الأمكنة في دروب بنت أدهم ولكن الظاهر منها بشكل لأفت في سيرتها يمكن حصره في الأنواع التالية:

1- المكان الأليف: وهو المكان الذي ألفه الإنسان وأعتاد عليه أو عاش فيه بعض الوقت وقد جاء في الشعر الجاهلي حديث الشعراء عن الأطلال التي تذكرهم لذكرياتهم، والمكان الأليف هو الذي يلتقي فيه الإنسان بمن يحب ومن الأماكن الأليفة في مسيرة رباب أدهم:

أ. المنزل: بعد أن عادت رباب مع أسرتها إلى بلادها ليبيا تمكنت أسرتها من الحصول علي سكن طيب في شارع ميزران أشهر شوارع طرابلس تقول: "انتقلنا إلى بيتنا الجديد وسط أجواء غريبة، غير أننا ما لبثنا أن تعودنا عليها، تعرفنا إلى جيراننا وأقاربنا وتبين لنا أن هناك تقاليد وعادات للمجتمع الليبي، فبدأنا نتكيف معها بالتدرج، وكانت أكثرنا انسجاماً مع الأجواء المستجدة والديني، فقد كانت بطبعها اجتماعية، تحب اختلاط الناس؛ لذا فقد أحببتها الجارات، وأصبحن يتبادلن معها الزيارات، ولقد أعجبتني الجلسات الليلية في الغرف المفروشة على الطريقة الليبية وتسمى غرفة المنادير، حيث

تجلس عليهم وتقوم أحدي المضيفات بإعداد الشاي بالكشكوشة، وهي جالسة أرضاً، وأمامها الموقد الفحمي وبجانب الموقد طاولة صغيرة مستديرة "طبلية" وضعت فوقها كافة متطلبات الشاي من صواني وأطباق وكؤوس شاي زجاجية صغيرة الحجم وملاعق شاي وسكر وشاي ونعناع أخضر، ويدور الشاي على الضيفات ثلاث مرات، وفي المرة الأخيرة يُضاف إلى كأس الشاي الصغير اللوز المنزوع قشرة بعد غليه، أو الفول السوداني ويسمى في ليبيا "كاكاوية" ويكون الشاي في الدورة الأخيرة أخف من الدوريتين السابقتين، ومعه النعناع" (أدهم، 2012م: 118).

ويلاحظ أن الكاتبة قد وصفت البيت الطرابلسي الجميل خلال منتصف القرن العشرين على الرغم من وجود الاحتلال الإيطالي في تلك الفترة الزمنية، ولعل الكاتبة أرادت أن تزيل توهم القارئ بأن طرابلس في تلك الفترة لم تكن على ما يرام؛ لذلك تتحدث عن مكان آخر في المدينة ألفه الناس فتقول "أما المدينة القديمة المحاطة بسور فقد بنيت منذ العهد العثماني وتميزت بضيق أزقتها وبالبيوت المبنية على الطريقة العربية القديمة، حيث الحوش الكبير يتوسط البيت وتحيط به الغرف، وفي أحد أركانه يوجد درج "سلم" يؤدي إلى الدور الثاني الذي يحتوي غرفاً وممرات تطل على صحن البيت" (أدهم، 2012م: 119).

ب. المدرسة.: تُعد المدرسة مكاناً أليفاً لفئة عمرية تبدأ بعد السادسة وتستمر إلى نهاية المرحلة الثانوية عندما يصل عمر الطالب إلى ثماني عشرة سنة حيث ينتقل إلى المرحلة الجامعية مكان آخر أليف مختلف، تقول رباب أدهم عن دراستها الأولى وقد كانت في الأردن: "في مدرسة الملكة زين الشرف مارسنا الرياضة على نطاق واسع بالنظر لتوفر الملاعب لكرة السلة والكرة الطائرة وسواها الألعاب، وكانت مدرسة التربية الرياضية الأستاذة النشطة ماجدة المفتي، كنا نرتدي أثناء اللعب زياً خاصاً مكوناً من شورت أبيض وبلوزة بيضاء، كم كانت تستهويننا حصص الرياضة تلك فقد أحببناها كحبنا لمدرستها" (أدهم، 2012م: 94).

وتحدثت الكاتبة عن المدارس في ليبيا في فترة الخمسينيات من القرن الماضي حيث قالت أما المدارس العربية فكانت قليلة نسبياً غير أنها كافية لاستيعاب المترددين إليها، فقد كان عدد السكان قليلاً والأمية متفشية، ونسبة المقبلين على تلقّي العلم ضئيلة خصوصاً في صفوف البنات، وكانت هناك ثانوية واحدة للبنين في مدرسة طرابلس الثانوية للبنين التي خرجت أول دفعة من الشباب في طرابلس،

وهؤلاء تم إرسال من رغب منهم للدراسة الجامعية في الخارج مثل مصر وبريطانيا، إذ لم تكن قد تأسست الجامعة الليبية بعد... وكذلك كان الحال بالنسبة لبنغازي.

بيد أن الفتيات في بنغازي كن أوفر خطأ في بداية الخمسينات من القرن الماضي، إذ كانت لديهن مدرسة ثانوية تخرجت منها مجموعة من الطالبات أرسل بعضهن إلى كل من مصر وبريطانيا (أدهم، 2012، 120).

ج. دار المصلحات: من الأماكن الأليفة التي حظيت باهتمام الكاتبة (معهد المعلمات بطرابلس) وقد كان مدرسة ثانوية للبنات أيضاً حيث قالت "كانت دار المعلمات في ذلك الوقت منارة تُضيء درب المرأة الليبية "بطرابلس" ونستطيع الجزم بأنها كانت الأرضية الصلبة التي وقعت عليها الفتاة الليبية أولى خطواتها وهي تشق طريقها نحو التقدم.

وأدت خريجاتها الأدوار المنوطة بهن كمربيات فضليات متفانيات في أداء رسالتهن على مدى عقود طويلة وكانت الهيئات الرسمية والإعلامية لا تدخر وسعاً في تشجيع الفتيات بكافة الوسائل المتاحة للمضي قدماً في تلقي العلم (أدهم، 2012م: 129).

وتوجد أماكن أليفة أخرى في سيرة رباب منها الجامعة الأميركية في بيروت، وقد أتاحت الكاتبة فرصة مواصلة دراستها في تلك الجامعة وهي الطالبة الليبية الأولى التي تحدثت الصعاب وواصلت دراستها في تلك الديار البعيدة (أدهم، 2012م: 143).

2- المكان المعادي: ويقصد به المكان الذي يسبب الضيق أو الكآبة وقد يضطر الإنسان إلى التعامل معه مثل: السجين وقد ورد في "دروب" رباب بعض تلك الأمكنة تقول وهي تصف غضب العرب خلال حرب 1967 م وكيف تحولت الجموع الغاضبة إلى عمل الفوضى والشغب: "في مساء يوم من أيام غضب الجماهير كنت في البيت مع أولادي عماد وناصر، بينما كان زوجي خارج البيت، سمعتُ ضجيجاً في شارع وأصواتاً لصبية ينادون "يا سكان العمارة أخرجوا سريعاً" أطلقت من الشرفة لأستطلع الأمر فرأيت أولاد يحملون جرادل مليئة بالكاز، وقد أخذوا يصبّونه علي جدران العمارة، وأبوابها استعداداً لإضرار النار بها، فصرحت بهم: "توقفوا عما أنتم فاعلون" فسكان العمارة معظمهم ليبيون وعرب ولا ذنب لهم في ما تعتزمون ارتكابه لكن صراخي لم يجد نفعاً، ولم يجد أذانا صاغية، واستمروا يهتفون ضد اليهود ويقولون: "أنزلوا حالاً" فما كان مني إلا أن أخذت

أولادي وحقبة يدي وأسرت خارجة من المنزل وكذلك فعل الجيران المتواجدون في العمارة في ذلك الوقت" (أدهم، 2012م: 264).

أرادت أن تقول إن العمارة كلها بما فيها بيت الأسرة قد تحولت إلى مكانٍ معادٍ حيث اشتعلت النيران وتهدمت الجدران وهدمت البيوت ووصفت ذلك في نبرة ألم... كما أن ذلك القرب كان ينتج في فرصة تفقد القسم الداخلي في الفترات المسائية، حيث أفاجئهم بزيارات غير متوقعة سواءً في غرفة النوم أو في المطبخ (أدهم، 2012م: 265).

وتصف في مقطع سردي آخر كيف تحول المكان إلي ركام فتقول: "وقد وُجّهت ضربات جوية أيضاً إلى منشآت عسكرية، وإلى منزل معمر القذافي في باب العزيزية أسفر عن هدم جزء منه، غير أن أحداً من أسرته لم يصب بأذى، على عكس ما أشاعه من أن أبناءه أصيبوا، وأن أبنته المتبناة لاقت حتفها جزاء العدوان (أدهم، 2012م: 335).

ويلاحظ أن الأماكن المعادية قليلة في نص "دروب في الحياة" لهذه الكاتبة ويبدو أنها لا تريد الإكثار من الذكريات الأليمة أو لأنها اشغلت بذكر أمور أخرى أكثر أهمية.

وقد أشارت في بعض فقرات السرد إلى أنها كانت تعيش بعض فترات العزلة ولا بد أن يكون للمكان دور في هذا الحزن، تقول: "مضت بنا أيام الاغتراب في إيطاليا الحنين إلى الوطن..." (أدهم، 2012م: 338)، فهل يمكن أن تكون "روما" المدينة لإيطاليا مكاناً معادياً لهذه الكاتبة وهي تعترف بهذا في مذكراتها؟.

4. المكان المفتوح: يقصد المكان الذي تتم فيه الأحداث دون معوقات، ويكون واسعاً هادئاً مثل الشوارع عندما يحل بالبلد السلام، ومثل البحار أو الصحراء حيث التمدد والانبساط الذي يستنتج بمظاهر الحياة في راحة وحتى في شفاء في بعض الأحيان ومن أمثلة الموافق التي تحدث في المكان المفتوح غرق المراكب في البحار أو ضياع الناس في الصحاري، ولهذا نجد المكان المفتوح لا يخلو من مخاطر محتملة ومن الأماكن المفتوحة في هذا الموضوع الدراسة فقول الكاتبة: "أجمل ما تميّز به بيت جدي الذي نشأت فيه في عمان حديقته التي أولاها جدي رعاية فائقة فقد كان يزرعها ويسقيها ويقلم أغصان الشجر المنتشر في أرجائها، مبتدئاً من الصباح الباكر فور انتقائه من أداء صلاة الفجر وتناول فنجان الشاي، لقد زرع جدي عند مدخل الحديقة مباشرة شجرة الياسمين فنمت وتسَلّقت أغصانها السور ونثرت عقبها في كافة أرجاء الحديقة والبيت، وكان - رحمه الله -

يعشق الورد والزهور فزرع منه أصناف شتي وتعددت ألوان الورد بين أحمر وأصفر وأبيض ووردي، وتميزت بروائحها الزكية النفاذة، وكان هناك القرنفل والزنبق وسواها (أدهم، 2012م: 75).

5- المكان المغلق: هو المكان المحدود "الضيق" وغالباً ما يكون مغطى بسقف يجد من الحركة المتكاملة، تقول الكاتبة: "في ذلك الوقت لعبت السينما دوراً هاماً في تفتحنا على العالم الخارجي ولم يكن قد عُرف بعد التلفزيون أو الكمبيوتر أو الموبايل، فكنا نشاهد الأفلام المصرية والأجنبية ونقلد نجيمات السينما اللاتي اشتهرن آنذاك بتسريحاتهن ولباسهن، وكانت لكل واحدة منا نجاتها ونجومها المظلمين من عرب وأجانب ممن لمعت أسماؤهم في دنيا الفن" (أدهم، 2012م: 185).

تتحدث من دار العرض وهي مكان مغلق حيث تتاح فيه الفرصة لمن يدخل لمشاهدة العروض المرئية لكن المكان نفسه مغلق حيث يكون التواجد فيه لوقت محدود "وقت العرض فقط"، وليس فيه حرية كافية للحركة حيث الجلوس إلزامي لكل من يحضر وأيضاً لا يسمح بالكلام، وتطفأ كل الأنوار عدا الشاشة والكتابة، هنا خرجت في سردها فتناولت أن هذا المكان يذكرها بأهل الفن ونجومه. وكان مكان آخر مغلق تذكره الكاتبة فتقول: "في اليوم المحدد لإجراء العملية ذهبت إلى المستشفى الجامعي تصحبي صديقتاي سميرة وإحسان اللتان جلستا تنتظرانني في غرفة الانتظار إلى أن تمت العملية، وقد استخدم الدكتور في العملية البنج الموضوعي، هو والممرضات يتحدثون معي طيلة الوقت ويطلقون النكات لتوفير جو من المرح وكنت أبادلهم الحديث وبعد انتهاء العملية وضع مكانها شريطاً لاصقاً وقال: لقد انتهينا وحدد لي موعداً" (أدهم، 2012م: 185). نذكر غرفة الانتظار التي بقيت بها صديقاتها وهذا مكان يثير بالقلق والتوتر لأنهما يتشوقان لمعرفة أخبار صديقتهم في كل لحظة بل تحاول كل واحدة لو خرجت من هذا المكان لتدخل غرفة العمليات، "وهذا مكان مغلق" قريب من الخطر. وفي ذكر هذه الأماكن تنويع للكتابة يحسب لها من الناحية الفنية.

المبحث الثالث: الدراسة الفنية

يُلاحظ أن الكاتبة لم تحفل كثيراً بالنواحي الجمالية في عرضها لأحداث حياتها، فقد كانت حريصة على إظهارها دون زيادة أو زخرفة قولية مما يجعل كتابها هذا أقرب إلى التاريخ منه إلى الأدب، فالميثاق الذي تمت الإشارة إليه مكتوب بالأبيض بعد كلمة دروب التي كتبت بالأحمر! ولعل هذا ليس مصادفة بل تم بمعرفة المبدعة وقد تكون أرادت بالدروب "الحمراء" صعوبة الحياة التي مرت بها

وكتابة "سيرة ذاتية" باللون الأبيض دلالة على عودة الهدوء والأمن الذي أحست به بعد رحلة الحياة ومن المعلوم إن السيرة الذاتية تدخل في صميم الأدب ويأتي الأثر الفني وراء ذلك، وبعد قراءة النص بتأنٍ يمكن تحديد ثلاثة مظاهر فنية حظيت بعناية الكاتبة وتتصل بالقيم الفنية في عملية السرد بالتحديد، وهي:

1- أساليب السرد : اتكأت الكاتبة على الأسهل وهو توالي الأحداث ولم تحطم هذا النمط بالرغم من طول الفترة الزمنية ولتحقيق هذا استخدمت أفعالاً دالة على الحركة والميسر، وذكرت وسائل المواصلات وأماكن الراحة مثل الفنادق وأماكن التسلية والأهم بينها أماكن التعليم... تقول " مرحلة الطفولة والدراسة الابتدائية" قدومي إلى هذه الدنيا عمّر الأسرة بفرحة عارمة، خصوصاً والدي الذي خصّني بحب وحنان منقطعي النظر، واكتملت فرحته بعد أقل من ثلاث سنوات بولادة أخي لؤي، ثم من بعده إخوتي الستة حيث كوّنّا أسرة سعيدة متحانّة مترابطة يرعاها أبوان فاضلان متفانيان في تنشئة أبنائهما (أدهم، 2012، 45)، والكاتبة تعلن البداية من هنا: منذ ولادتها في الأردن وتعليمها هناك "وكان والدي يصحّبني معه أحياناً إلى معه أحياناً إلى متجرة... (أدهم، 2012م: 45)، وفي مقطع سردي آخر تضع عنواناً جديداً "مرحلة الدراسة الثانوية": انتقلت إلى مدرسة جبل خرفان لمواصلة الدراسة الثانوية " (أدهم، 2012م: 83)، ويستمر السرد المتتالي على هذا النسق إلى أن تعود إلى طرابلس، ثم تتحصل على فرصة الدراسة في لبنان وقد وضعته تحت عنوان: مرحلة الدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت" (أدهم، 2012، 183). ويمكن تتبع الأحداث التي ذكرتها الكاتبة بعد رجوعها إلى البلاد عملها في معهد المعلمات ثم انتقالها إلى العمل في مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية ثم وصفها للرحلات إلى مصر وبعض الدول الأوروبية، وقد كانت الأحداث والترتيب الزمني أولاً بأول وهذا بحسب لها من جانب الأمانة العلمية أما من الناحية الفنية فذلك يلزمه راقية فنية يعرفها المبدع المتخصص في اللغة العربية ولم تكن رباب من أولئك!

2- الصور الفنية : تأثرت في هذه السيرة بعض الصور البانية التي استعانت بها الكاتبة للتعبير عن بعض الانفعالات النفسية أو للتأثير في المتلقي بما يمكنه من متابعة القراءة، تقول: "أما مكتبة الجامعة فهي القلعة الشامخة التي يؤمها الطلبة والطلبات وأعضاء هيئة التدريس وسواهم على مدى ساعات طويلة" (أدهم، 2012م: 183).

تقوم الصورة في هذه الفقرة على التشبه، فقد صورت المكتبة "المشبه" بالقلعة "المشبه به" وحذفت وجه الشبه، ومن المعلوم أن التشبيه: "التمثيل في الصورة والشكل، كتشبيه الشيء المستدير مرة بالكرة، ومر بالقمير: ومنها التشبيه في اللون؟ ومنها التشبيه في الصورة واللون معاً؟ كشبهه الترجس بمداهن دُرَّ حشوهن، ومنها التشبه في الغريزة والطبيعة، وإذ كانت القلعة تحمي البلدة من الأعداء، فإن المكتبة تزود الطلاب بالعلوم التي يعنهم على تنظيم حياتهم والنجاح فيها، ومن وجهة أخرى تشبيه المكتبة القلعة في الشكل أيضاً فالقلعة بناء وكذلك مبني المكتبة، (أبوبكر، 2005م: 42)، وتقول رباب أدهم في موقف سردي آخر: "نجحت في أول امتحان وبدأت أقود سيارتنا من آن لآخر وقهرت بذلك العونيا" الخوف "التي كانت تملكني... (أدهم، 2012م: 188)، والصورة في هذه الفقرة استعارة مكنية حيث صورت الخوف "وهو أمر معنوي" بإنسان أو حيوان يمكن التغلب عليه ومن هذا القبيل قولها "طوبنا أفندتنا على جراحننا وسارت بنا مركب الحياة وعادت بنا الذاكرة إلى الورا... في قولها سارت "بنا مركب الحياة" و "عادت بنا الذاكرة إلى الورا" استعارة مكنية: والمعلوم أن الاستعارة المكنية: "النقل أو قسم من أقسام المجاز، وفي المعني هي: تشبيه حذف منه حرف "التشبيه" لفظاً وتقديراً .

وفي الاصطلاح هي: ادعاء معني الحقيقة في الشيء مبالغه في التشبيه وتقول رباب في مقطع آخر: "فركبت الطائرة وقلبي يكاد ينفطر (أدهم، م: 352)، كناية عن الحزن وتكون عنواناً في آخر سيرتها بعنوان: "البيع العربي يزهري في ليبيا" (أدهم، 2012م: 367)، وهذا العنوان كناية عن سعادتها بذلك الربيع وقد أختتمت به بقول سيرتها.

2. التعدد اللغوي:

تُعد اللغة من أهم مكونات الخطاب السردي معني الواسطة بين المبدع والقارئ، وهي أيضاً الأداة القادرة على رسم الأجواء وتقديم الموافق داخل عوالم النص وقد كانت لغة دروب ابنت أدهم فصيحة، غير مبتدلة، سليمة، نقية... أحسنت مراجعتها فجاءت صافية معبره، ويُلاحظ أنا الكاتبة قد لجأت إلي التهجين اللغوي في السرد ولكن على نطاق محدود جداً، ومن وجوه هذا التهجين استعمال اللغة العامية، حيث استعملت الكاتبة بعض الألفاظ العامية من اللهجة المصرية، حيث تقول "مع مرور الزمن وانتهاء عهد شقاوة العيال" انتقل خالي محمود إلي مرحلة الشباب... (أدهم، 2012م:

(367). ذكرت "شقاوة العيال" وهي لفظ فصيح لكنة يستعمل في اللهجة المصرية بتغير "القاف" إلي همزة أما لفظة "العيال" فمن العاصي المتداول بين الأقطار العربية بمعنى "الصغار" وفي مقطع سردي آخر تذكر شيئاً من الألفاظ العامة الأردنية حيث تقول: "لما كان موقع المدرسة فوق الجبل فقد عرفت باسم المدرسة "الفوقا" تميزاً لها عن مدرسة الزهراء التي تقع في الوادي وسميت بمدرسة "التحتا" (أدهم، 2012م: 51)، ويلاحظ قرب اللفظتين من الفصيح "فوق_تحت" لكن تعريفها "بال" أدخلها في دائرة اللهجة العامية.

الخاتمة:

- وبعد إتمام هذه المرحلة رفقة الأديبة: رباب الأدهم التي اكتشفنا فيها كونها الأدبي، وقف البحث على بعض النتائج من أبرزها:
- أفلحت الكتابة في إظهار نضالها الشخصي في ظل أسرتها، فقد كانت خارج الديار في سن طفولتها الأولى، وكان ذلك النضال من أجل دفع الجهل من منابع العلم؛ حتى ينشأ جيل من المتعلمين يقودون البلاد نحو التقدم والازدهار.
 - أوضحت الكتابة أن طلب العلم لا يمكن أن يكون في نطاق محدود، حيث عادت إلى بيروت لتكمل دراستها العليا في الجامعة الأمريكية، وكانت الطالبة الوحيدة في بداية التحاق الطلبة الليبيين بتلك الجامعة.
 - الكتابة أول معلمة ليبية ترتقي للوصول إلى مدير معهد البنات بطرابلس، على الرغم من صغر سنها في تلك الفترة فإنها قادت العمل باقتدار وكان من حولها معلمات من أقطار عربية في مقدمتها مصر، بيد أن أبنيت الوطن كانت في المقدمة.
 - تنوع دراستها إلى الشخصيات البانية للقصة بشكل ملحوظ.
 - التنوع الواضح من خلال دراستها للأمكنة التي كانت موجودة بها، بخاصة أنها كانت متنقلة بين ليبيا ومصر والأردن ولبنان.
 - الدراسة الفنية في أعمالها كان يغلب عليها السرد التاريخي، لعل ذلك راجع للحياة الصعبة التي عاشتها

المصادر والمراجع

- الجنس الصالح الكافي والأنيس الناصح، (2005م)، أبو فرج المعافى بن زكريا النهرواني، تحقيق عبدالكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، ط1.
- السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ، (1944م)، فليب لوجون، ترجمة: عمر حلى، المركز الثقافي العربي بيروت.
- إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، (2007م)، محمد الباروني، مركز النشر الجامعي، تونس، ط1.
- بين الأدب والنقد، (2012م)، محمد رجب البيومي، مركز النشر، الدار المصرية، القاهرة.
- دروب في الحياة، (2012م)، رباب أدهم، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا.
- روضة الفصاحة، (2015م)، أبو عبدالله محمد أبوبكر، دار وائل للنشر، القاهرة.
- سيدة من مصر، 1987م، جيهان السادات، المكتب المصري الحديث، القاهرة.
- عيون الأبناء في طبقات الأطباء، (1995م)، ابن أبي أصيبعة، ترجمة وتحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت.
- لسان العرب، (1414هـ)، أحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت،
- محطات، (2002م)، كامل المقهور، دار الكتب الوطنية، مصر.
- هذا ما حدث، (2005م)، علي فهمي خشيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.

أحكام المفقود عند المالكية

أ. حسين فرج محمد الحمدي
كلية التربية القصيبة جامعة الزيتونة

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان بعض أحكام المفقود في الشريعة الإسلامية على مذهب المالكية، وقد مهدت لهذا الموضوع بمقدمة، وتعريف المفقود لغة واصطلاحاً، ومقارنته بالغائب، وكذلك أقسام المفقود وما يتعلق بكل نوع من هذه الأنواع.

ثم تطرقت بعد ذلك إلى: متى يحكم القاضي بموت المفقود باعتبار نوع الغيبة، ومتى يعتبر مفقوداً؟ ومدة انتهاء الفقد.

ومن ثم تطرقت إلى بعض الأحكام المتعلقة بزوجة المفقود، من حيث المدة التي تنتظرها هذه الزوجة، ومتى يحق لهذه الزوجة طلب الفرقة، بسبب فقدان الزوج أو غيبته، ونوع هذه الغيبة. وفي الختام عرجت على مسألة ظهور هذا المفقود حياً بعد أن حكم القاضي بموته، وما يترتب على ذلك من أحكام في زوجته، سواء كانت قد تزوجت ودخل بها زوجها أم بقيت بدون زواج، وفي أمواله، وما بقي منها على حاله، وما أنفق منها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،،

فإنه لما كثرت الهرج والمرج، وكثرت الفتن والحوادث في زمننا هذا، وما ترتب عليها من فقدان لكثير من المسلمين، بل ولما صعبت ظروف المعيشة على كثير من الناس؛ فيخرجون سعيًا على الرزق ولكن قد لا يعودون، ومع ذلك أيضاً انتشرت وتيسرت وسائل الاتصال بين الدول حتى أصبح العالم كقرية صغيرة، من السهل والميسر فيها التواصل بين أفراد العالم أجمع، بطرق بسيطة، وفي أوقات قصيرة، وتكلفة يسيرة.

لذا، كان من الواجب علينا أن نقف على حال الشخص المفقود في حادثة من الحوادث، أو في غير حادثة، وهي من أبرز القضايا والمسائل التي تناولها الفقه الإسلامي في موضوعاته، حيث تم

تفصيل أحكام المفقود من حيث تعريفه، وكيفية التحقق من فقد الشخص، وهل نحكم على هذا الشخص المفقود بالموت أم بالحياة، وهل زوجته تبقى على عصمته فلا تحل لغيره من الأزواج أم لا، وهل توزع أمواله كميراث لمن يخلفوه أم لا؟

نعرض هذه الأحكام - بحول الله وقوته - في بحث مبسّر على القارئ، أدعو الله أن يوفقني فيه بعرضه بأسلوب يفقهه الجميع، وأن يلهمني فيه سبيل الرشد، وأن يجعل اختياري فيه لما يحبه الله - عز وجل - ويرضاه، فهو الهادي إلى سبيل الرشاد.

وكان عنوان البحث: أحكام المفقود عند المالكية

وجاءت خطة البحث مشتملة على ثلاث مباحث ومطلبين لكل مبحث:

المبحث الأول: تعريف المفقود وأقسامه.

المطلب الأول: تعريف المفقود لغة واصطلاحاً، ومقارنته بالغائب.

المطلب الثاني: أقسام المفقود عند المالكية.

المبحث الثاني: متى يحكم القاضي بموت المفقود باعتبار نوع الغيبة.

المطلب الأول: مدة انتهاء الفقد، ومتى يعتبر مفقوداً؟

المطلب الثاني: الحكم بموت المفقود باعتبار نوع الغيبة.

المبحث الثالث: الأحكام المتعلقة بزوجة المفقود.

المطلب الأول: المدة التي تنتظرها زوجة المفقود.

المطلب الثاني: طلب الزوجة للفرقة.

ثم الخاتمة وأهم نتائج البحث.

المبحث الأول: تعريف المفقود وأقسامه.

المطلب الأول: تعريف المفقود لغة واصطلاحاً.

أولاً: تعريف المفقود لغة: مأخوذ من فقد الشيء - فقداً وفقداناً أي ضاع منه.

يقال: فقد الكتاب وفقد المال إذا ضاع منه. (مصطفى، وآخرون، 730)

ويأتي بمعنى: خسره وعدمه، فيقال: فقد الصديق - أي: خسره فهو فاقد، وفقدت الزوجة زوجها فهي فاقدة، أي: خسرتها وعدمته، والمفعول منه: مفقود وفقيد.

ثانياً: معناه اصطلاحاً: عرفه ابن عرفة بقوله: « من انقطع خبره ويمكن الكشف عنه». (الرصاع، 1430هـ، 222)

وقيل معناه: من غاب فلم يوقف على أثره ولم يوصل إلى خبره من الفقد والفقدان وهما خلاف الوجود والوجدان. (نجم الدين النسفي، 1406هـ، 192)

ويبدو بحسب التعريف أن مدار الفقد هو انقطاع أخبار الشخص، بحيث يصير مجهول الحال لا يعلم أحيي هو أم ميت، يقول الإمام مالك - رحمه الله - ولو عرف البلد الذي نزع (ذهب) إليه وغاب كان مفقوداً. (ابن رشد، 1408هـ، 471/5)

فإن من خرج في عمل من الأعمال وانقطع خبره، أو من اختفى أثناء كارثة طبيعية، أو من لم يعرف مصيره عند حصول حرب أو فتنة مسلحة، كل واحد من هؤلاء الأشخاص وأمثالهم يسمّى مفقوداً.

ثالثاً: تعريف الغائب ومقارنته بالمفقود.

تعريف الغائب: الغيب: الشك، وجمعه: غياب وغيوب.

والغيب كل ما غاب عنك، وما غاب عن العيون وإن كان محصلاً في القلوب، تقول: غاب الرجل غيباً ومغيباً وتغيب: سافر، أو بان، وقوم غيبٌ، وغياب: غائبون.

وامرأة مُغيبٌ ومغيبية: غاب بعلها أو أحد من أهلها. (ابن منظور، 1412هـ، 655/1)

وذهب الفقهاء إلى أن المعنى اللغوي هو نفسه المعتمد عند حديثهم عن الغياب والغيبية، وهو: السفر والبعد.

وقد قسم الفقهاء الغيبة إلى نوعين: (سحنون، 1415هـ، 113/2، والحطاب، 1412، 436/3)

1- غيبة انقطاع.

2- غيبة ارتجاع.

وقد اختلفت بعض المسميات لهذه الغيبة ولكنها كلها في المعنى نفسه.

وغيبية الارتجاع هي: الغيبة القريبة، التي لم تنقطع فيها أخبار هذا الغائب، كمن خرج لتجارة أو لحاجة ولم ينو الإقامة والاستيطان في تلك البلاد التي سافر إليها.

وتقسم هذه الغيبة إلى قسمين أيضاً:

1- الغيبة البعيدة.

2- الغيبة القريبة.

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن مسافة القصر في الصلاة هي الحد الفاصل بين الغيبة البعيدة والقريبة، وبنو أحكام الغيبة البعيدة والقريبة بناء عليها. (الغزالي، 75/5)

المطلب الثاني أقسام المفقود عند المالكية:

يقسم فقهاء المالكية (المفقود) بحسب المكان الذي يعتقد أنه فقد فيه أو الظروف التي أحاطت بانقطاع أخباره إلى أربعة أقسام: (ابن عبدالبر، 2000هـ، 311/17، ابن رشد، 1408هـ، 277/1، النفراوي، 1415هـ، 72/2)

1- المفقود في البلدان الإسلامية:

مثال ذلك: الشخص الذي يخرج في تجارة، أو في عمل من الأعمال بين البلاد الإسلامية فتقطع أخباره فلا يعرف موضعه، ولا تعلم حياته ولا وفاته، فهذا يعد مفقوداً، غير أن بعض الفقهاء يرى: أن هذا القسم من المفقودين يتفرع إلى وجهين: مفقود في ظروف معتادة، كما في المثال السابق، ومفقود في ظروف طارئة، وهو الذي تنقطع أخباره أثناء مجاعة حلت بإحدى المناطق مثلاً، أو جراء وباء أصاب أحد الأقاليم.

2- المفقود في البلدان غير الإسلامية:

مثاله: الشخص الذي يسافر إلى تلك البلاد لغرض العمل أو التجارة، ثم لا يعلم عنه شيء، وشبهه الأسير الذي عرفت أخباره في بادئ الأمر، ثم لم تعلم حياته ولا مماته.

3- المفقود في الحروب التي تقع بين المسلمين وأعدائهم من غير المسلمين:

فمن شهد حرباً من هذه الحروب وحينما انجلت المعركة فلم يعد إلى أهله، ولم يوجد من ضمن المقتولين، كما أن الأعداء لم يبلغوا عن أسرته، فإنه يعد مفقوداً، ولا فرق في الأمر أن تقع هذه المعارك في أراضي الدولة الإسلامية أو في بلاد الأعداء.

4- المفقود في الحروب والفتن التي تقع بين المسلمين بعضهم البعض:

فالذي شوهد في المناطق التي تسودها حرب أو فتنة من هذا القبيل، وسواء شارك فيها أو لم يشارك، فإذا ما جهلت حاله فلم يعرف أقتل أم لم يقتل، فإنه يعتبر مفقوداً. (ابن عبد البر، 2000هـ، 311/17، ابن رشد، 1408هـ، 282/1، المواق، 1416هـ، 504/5)

المبحث الثاني:

متى يحكم القاضي بموت المفقود باعتبار نوع الغيبة.

المطلب الأول: مدة انتهاء الفقد. ومتى يعتبر مفقوداً؟

أولاً: مدة انتهاء الفقد:

تنتهي حالة الفقد بزوال الجهالة التي كانت تحيط بحياة المفقود وموته، فإذا أن يظهر حياً ويعود إلى موطنه للإقامة مع زوجته، والتصرف في أمواله، إن كان له زوجة وأموال، وإما أن يثبت بالبينة القاطعة أنه قد مات فتعتد زوجته عدة الوفاة، وتقسم تركته بحسب أحكام الموارث.

والكثير من الفقهاء لا يرون استمرار حالة انتظار ظهور المفقود حياً أو ميتاً إلى الأبد، بل يقولون إنه ينبغي تحديد مدة معينة من الزمن، فإذا أن يتبين خلالها حال المفقود حياً أو ميتاً، وإما ألا يعرف عنه شيء فيتم على إثرها الحكم باعتباره ميتاً.

ثانياً: متى يبدأ اعتباره مفقوداً:

سئل مالك - رحمه الله - عن الأربع سنين من يوم الفقد أو من يوم الإياس؟ فقال: من يوم الإياس.

فإذا رفعت الزوجة أمر زوجها إلى الحاكم، فإنه يرسل في النواحي للكشف عنه، فإن انكشف عنه فحينئذ يضرب له الأجل، وليس المراد: أنه يضرب له الأجل بمجرد الرفع، بل بعد تمام الكشف والعجز عن خبره. (النفاوي، 1415هـ، 41/2، ابن رشد، 1426هـ، 39/2)

قال مالك في المدونة: لو أقامت عشرين سنة، ثم رفعت أمرها إلى السلطان، نظر فيها وكتب إلى موضعه الذي خرج إليه، فإذا يئس منه ضرب لها من تلك الساعة أربع سنين.

فقبل لمالك: هل تعتد بعد الأربع سنين عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً من غير أن يأمرها السلطان بذلك؟

قال: نعم، مالها وللسلطان في الأربعة أشهر التي هي العدة، (سحنون، 1415هـ، 450/5)، فبعد انقضاء الأجل المضروب تعتد زوجة المفقود، كعدة زوجة الميت أربعة أشهر وعشراً، ولا تحتاج إلى إذن من القاضي في العدة، أو في الزواج بعد انتهاء العدة، (النفراوي، 1415هـ، 41/2، الشاذلي، 123/2)

أما من فقد في حروب بين المسلمين والكفار، فإن زوجته تعتد سنة، ويبدأ هذه حساب السنة من يوم رفع أمرها إلى الحاكم، وليس بعد انتهاء النظر والتفتيش فيه، وقيل: يؤجل سنة بعد النظر والكشف عنه. (الدردير، د - ت، 483/2، العدوي، 694/2)

وأما من فقد في حرب المسلمين بعضهم بعضاً، ومثله المرتحل لبلد الطاعون أو في زمنه، فإن زوجته تعتد يوم انفصال الصفيين، وبعد ذهاب الطاعون بعد أن تكون قد استقصت أمره واستبرأت خبره.

والراجح: أنه لا يحتاج لضرب القاضي لمدة العدة في الأقسام كلها. (العدوي، 482/2)

المطلب الثاني: الحكم بموت المفقود باعتبار نوع الغيبة.

حكم القاضي بموت المفقود له أهمية عظيمة؛ فإن للحي أحكاماً، وللميت أحكاماً أخرى، والمفقود هي حالة لا تعرف فيها يقيناً حياته أو موته.

وبما أن المفقود كما سبق ذكره هو: الغائب الذي لا تعلم حياته ولا موته، فإن حكم الحاكم بموته، ينبني على نوع هذه الغيبة والفقد عند الفقهاء، وقد سبقت الإشارة إلى أن فقهاء المالكية يقسمون المفقود إلى عدة أقسام؛ لذلك يختلف تحديد المدة التي ينبغي أن تنقضي قبل الحكم باعتبار المفقود ميتاً بحسب كل نوع على التفصيل الآتي:

1- المفقود في بلاد المسلمين:

يقول فقهاء المالكية: إنه إذا ما رفعت المرأة أمر زوجها الذي فقد في بلاد الإسلام في غير مجاعة ولا وباء إلى القاضي، فإنه يطلب منها إثبات زوجيتها، وغيبة الزوج، وبعد أن يسعى في البحث عنه والكشف عن حاله، فإن انتهى من ذلك دون الوقوف على خبر المفقود، فإنه يأمر بتحديد مدة أربع سنين يحكم بعدها بموته، ويبدأ احتساب هذه المدة من يوم الرفع لا من يوم الفقد، ويدل على ذلك ما جاء في المدونة، قال مالك: وإن أقامت - يعني امرأة المفقود - عشرين سنة ثم رفعت أمرها إلى السلطان، نظر فيها وكتب إلى موضعه الذي خرج إليه، فإن يئس منه ضرب لها من تلك الساعة

أربع سنين، (سحنون، 1415هـ، 450/5) غير أن صاحب الفواكه الدواني يوضح أن المقصود من ابتداء الأجل من يوم الرفع، معناه: أنه حينما ترفع زوجة المفقود الأمر للقاضي وبعد أن يرسل في النواحي للكشف عنه، فحينئذ يتم ضرب الأجل، وليس المراد أنه يضرب له الأجل بمجرد الرفع بل بعد تمام الكشف. (النراوي، 1415هـ، 70/2)

وبعد أن ينقضي الأجل، ويتعذر ظهور المفقود، أو أي خبر عنه، تعتد زوجته عدة وفاة، ثم تزوج إن شاءت، لما روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: (أيما امرأة فقدت زوجها فلم تدر أين هو، فإنها تنتظر أربع سنين ثم تعتد أربعة أشهر وعشراً ثم تحل)، (مالك، حديث رقم: (52)، 1413هـ، 450)، وروي مثله عن عثمان بن عفان، وهو قول عبدالله بن عمرو وعبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - ولأن التفريق قد وجب بين الزوج وزوجته بسبب العنت، والإيلاء، وهي لم تفقد بسببهما إلا الوطاء، فيكون التفريق في المفقود أولى؛ لفقد المرأة الوطاء، والعشرة، والنفقة.

وإذا كان للمفقود أكثر من زوجة، فرفعت إحداهن الأمر للقاضي فضرب لها أجلاً لزوجها المفقود، فإن وقت ابتداء هذا الأجل يعتبر وقتاً للأخريات إن أردن الرفع للقاضي، فإنه لا يضرب لهن أجلاً مستأنفاً بل يكفي أجل الأولى لهن جميعاً. (ابن رشد، 1408هـ، 277/1، النراوي، 71/2)

أما من فقد في بلاد المسلمين زمن المجاعة أو الوباء، فإذا ما رفع أمره للقاضي فليس عليه أن يقدر له أربع سنين للحكم باعتباره ميتاً؛ لأن الحالة هنا طارئة سينجلي أمرها، ويعرف من مات ومن بقي حياً، ومن انقطعت أخباره في فترة وجيزة، لذلك فما على القاضي سوى التأني في أمر من فقد حتى زوال تلك المجاعة، أو انتهاء ذلك الوباء، فإن ظهر له خبر كان بها، وإلا حكم باعتباره ميتاً، وأمر زوجته بأن تعتد عدة وفاة، ثم تزوج إن شاءت.

أما عن أموال المفقود في كلتا الصورتين السابقتين، فإنها لا تقسم ولا تورث بحسب المدة المشار إليها آنفاً، بل تبقى على ما هي عليه إلى أن يظهر حياً، أو يعلم موته، أو إلى أن يأتي على ذلك المفقود من الزمان ما لا يعيش إلى مثله، وهو ما يعرف عند الفقهاء بمدة التعمير، والتي اختلفوا في تحديدها، فقيل: هي سبعون سنة، وهو ما روي عن مالك وابن القاسم واختاره القاضي عبدالوهاب؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين.)، (ابن ماجه، 3550)، (553/5) إذ يرى الفقهاء أنه لا معنى لهذا الحديث إذا لم يكن فيه إخبار بحكم، وقيل: إن مدة التعمير هي ثمانون سنة، وقيل: تسعون سنة، وقيل: مائة سنة. (البغدادى، 1416هـ، 123/1)

وقال في العاصمية لابن عاصم: (هو القاضي أبو بكر بن محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي الغرناطي، ت: 829هـ. ابن فرحون البهجة في شرح التحفة)

ومَنْ بأرض المسلمين يُفقدُ فأربعٌ من السنينِ الأمدُ
وباعتدَادِ الزوجةِ الحُكْمُ جرى مُبْعَضاً والمالُ فيه عُمرًا.

2- المفقود في البلاد غير الإسلامية.

إن من فقد في البلاد غير الإسلامية، والأسير الذي لم تأت عنه معلومات مؤكدة عن حاله، إذا ما رفع أمر أحدهما إلى القاضي، فإن عليه أن يطلب من الزوجة الانتظار إلى أن يأتي ما يفيد التأكد من موته، أو أن تمضي عليه مدة من الزمن لا يعيش إلى مثلها؛ ليحكم بعدها باعتباره ميتاً، وهي مدة التعمير، على أن هذه المدة تسري على قسمة أمواله على ورثته.

وإنما اختلف في تحديد المدة في من فقد في بلاد الشرك، وكانت أطول مدة ممن فقد في بلاد المسلمين، وخاصة فيما يتعلق بالزوجة؛ لأن الكشف عن المفقود في غير دولة الإسلام ومعرفة ماله متعذر، أو على الأقل أكثر صعوبة ممن يفقد في البلاد الإسلامية.

قال ابن عاصم في منظومته:

وحكمُ مفقودٍ بأرضِ الكفرِ في غيرِ حربٍ حكمٌ منُ في الأسرِ
تعميرهُ في المالِ والطلاقِ ممتنعٌ ما بقيَ الإنفاقُ
وكلُّ منُ ليسَ لهُ مالٌ حريٌّ بأنَّ يكونَ حُكْمُهُ كالمُعسرِ

3- المفقود في القتال الواقع بين المسلمين وغيرهم.

لقد اختلفت الروايات عن الإمام مالك في حكم من يفقد في هذه الظروف، ففي إحداها: روى أشهب وابن نافع أنه يقدر له سنة بعد انتهاء القتال، فإذا أن يظهر خلالها حياً أو ميتاً، وإلا حكم بموته، ومن ثم تعتد زوجته عدة وفاة، ويورث ماله، ولا يختلف الأمر في ذلك سواء جرى القتال في أرض الدولة الإسلامية، أم على أرض الأعداء. (ابن رشد، 1408هـ، 368/5).

وفي ثانيها: أن المفقود هنا يأخذ حكم من فقد في البلاد غير الإسلامية، فلا يحكم باعتباره ميتاً، ولا تعتد زوجته، ولا يقسم ماله إلا أن تتقن وفاته، أو يأتي عليه من الزمن ما لا يعيش إلى مثله، وهي رواية ابن القاسم. (الخرشي، 1417هـ، 153/4)

أما الرواية الثالثة: قيل إنه يأخذ حكم من فقد في أرض الإسلام، فتقدر له مدة أربع سنوات، فتعتد زوجته، أما أمواله فلا تقسم حتى يأتي عليه من الزمان ما لا يعيش إلى مثله، وقد حكى هذا القول ابن المواز، إلا أنه عابه كما نقل ذلك صاحب المقدمات الممهديات.

قال ابن عاصم في منظومته:

وإن يَكُنْ في الحَرْبِ فالمشهُورُ	في مالِهِ والرَّوَجَةُ التَّعْمِيرُ
وَفِيهِ أَقْوَالٌ لَهُمْ مُعَيَّنَةٌ	أَصَحُّهَا الْقَوْلُ بِسَبْعِينَ سَنَةً
وَقَدْ أَتَى قَوْلٌ بِضَرْبِ عَامٍ	مَنْ حِينَ يَأْسُ مِنْهُ لَا الْقِيَامُ
وَيُقَسَّمُ الْمَالُ عَلَى مَمَاتِهِ	وَرَوْجَةً تَعْتَدُ مِنْ وَقَاتِهِ

4- المفقود في الفتن والحروب التي تدور فيما بين المسلمين.

فالمفقود في فتن المسلمين بينهم البين أورد الفقهاء فيه قولين:

أولهما: أن يقدر له القاضي مدة سنة بعد انتهاء الفتنة، فإما أن يظهر خلالها حياً أو ميتاً، وإلا حكم باعتباره ميتاً، فتعتد امرأته، وتتزوج بعد ذلك إن شاءت، غير أن ماله لا يقسم إلا بعد أن يأتي عليه من الزمن ما لا يعيش لمثله. (ابن يونس، 1433هـ، 625/10).

ثانيهما: أن القاضي يحكم بموت هذا المفقود من يوم انتهاء المعركة، وقيل: بل يحكم بذلك بعد أن ينجلي أمرها، فيعرف من عاد منها، ومن أسر، ومن قُتل، على أن يراعي القاضي في ذلك - كما يرى البعض - قُرب وُبُعد مكان المعركة من محل إقامة المفقود، على أنه متى حكم باعتباره ميتاً - على هذا القول - فإن زوجته تعتد عدة الوفاة، ويقسم ماله على ورثته في نفس الوقت. (ابن عبد البر، 2000هـ، 311/17، ابن رشد، 1408هـ، 282/1، المواق، 1416هـ، 504/5)

قال ابن عاصم في منظومته:

وَحُكْمُ مَفْقُودٍ بِأَرْضِ الْفِتَنِ	فِي الْمَالِ وَالرَّوَجَةِ حُكْمٌ مَنْ فَنِي
مَعَ النَّوْمِ لِأَهْلِ الْمَلْحَمَةِ	بِقَدْرِ مَا تَنَصَّرِفُ الْمُنْهَزِمَةَ
وَإِنْ نَأَتْ أَمَاكِنُ الْمَلَاكِمِ	تَرَبُّصُ الْعَامِ لَدَى ابْنِ الْقَائِمِ
وَأَمْدُ الْعِدَّةِ فِيهِ إِنْ شُهِدَ	أَنْ قَدْ رَأَى الشُّهُودُ فِيهَا مَنْ فُقِدَ

المبحث الثالث: الأحكام المتعلقة بزوجة المفقود

وموضعه، ضرب له الأجل وهو أربعة أعوام، والتأجيل بأربعة أعوام تعدي أجمع عليه الصحابة. (العبادي، 1322هـ، 2/22)

ويبدأ حساب المدة من حيث العجز عن خبره بعد البحث عنه، فإن انتهى الكشف عن حياته وموته فجهل ذلك، ضرب له الحاكم الأجل، فإن انتهت مدة السنوات الأربع اعتدت زوجته عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا وحلت للأزواج، وقد صرح في المدونة وغيرها: بأنها تعدت الأربعة وعشراً دون أمر الإمام بالعدة، حتى ولو لم يبين بها. (سحنون، 1415هـ، 5/448، 451)

2- وأما المفقود في بلاد الحرب: فحكم زوجته حكم زوجة الأسير، فتبقى للتعيمير إن وجد ما ينفق عليها منه، وإلا فلها التطليق، كما يجوز لها طلب الفرقة لو خشيتا على أنفسهما الزنا، حتى لو وجدت النفقة. (النراوي، 1415هـ، 2/42، العدوي، 2/479)

ومعنى بقائه للتعيمير، أي: أن لا تتزوج امرأته، ولا يقسم ماله حتى يثبت موته، أو تمضي عليه سبعون سنة من يوم ولد. (الصاوي، 2/694)

3- والمفقود في حروب المسلمين بعضهم مع بعض: فإن الزوجة تعتد بعد انفصال الصفيين؛ لأنه الأحوط، وحكمه حكم المقتول دون تلوم له، وقيل يتلوم له بحسب بُعد الموضع الذي كانت فيه المعركة وقربه، وأقصى الأجل في ذلك هو سنة من آخر يوم التقاء الصفيين وهو يوم الانفصال. ويشترط هنا أن تشهد البيئة العادلة أنها رأته حضر الصف، فإن شهدت أنه خرج مع الجيش فقط فحكم زوجته يكون كزوجة المفقود في بلاد الإسلام فيجري فيه ما مر.

4- أما المفقود في حروب المسلمين والكفار: فإن الزوجة تعتد بعد مضي سنة من فقده، وذلك بعد النظر من السلطان في أمره، والتفتيش عليه سواء كانت المعركة في بلاد الحرب، أو بلاد الإسلام، ويبدأ حساب السنة: من رفع أمرها إلى الحاكم، وليس بعد انتهاء النظر والتفتيش عنه. (العدوي، 2/482، ابن رشد، 1426هـ، 2/40)

المطلب الثاني: طلب الزوجة للفرقة:

أولاً: طلب الزوجة للتفريق لعدم النفقة.

دَلَّ كتاب الله - سبحانه وتعالى - والسنة والإجماع، على وجوب نفقة الزوجات على أزواجهن (الكاساني، 1406هـ، 4/15)

واشترطوا لجواز طلبها التفريق: أن تكون تزوجته على الغنى، أما إذا علمت حين العقد فقره فليس لها الفسخ بالإعسار، إلا إن كان مشهوراً بالعطاء وانقطع، وكذلك إذا علمت أنه من السؤال، فليس لها الفسخ، إلا إذا تركه فلها الفسخ، ووجه ذلك: أنها راضية بعيه، فقد أقدمت على الزواج، وهي تعرف حاله، كمشتري السلعة بها عيب يعلمه، فلا ترد بهذا العيب. (العدوي، 520/5، الباجي، 1332هـ، 132/4)

وتباع عروضه وداره في نفقتها، إن لم يكن له مال غيرها، حتى لو احتاج هذه الدار للسكنى، وقد صرح بذلك في المدونة حينما سئل هل تكسر عروضه في نفقتها في قول مالك؟ قال: نعم، وقال لا يؤخذ منها حميلاً (كفيلاً) بما دفع إليها من نفقة، حذار أن يدعي الزوج عليها حجة، فإذا قدم فهو على حجته، فإن ادعى مسقطاً للنفقة، فإن أثبتته رجع عليها بما أنفق عليها. (العدوي، 520/5، الباجي، 1332هـ، 132/4).

ثانياً: التفريق بسبب غيبة الزوج.

إذا غاب الزوج عن زوجته فأقام في بلد آخر، فتضررت بذلك وخشيت على نفسها الفتنة، فهل من حقها طلب الفسخ بذلك؟

إذا طال غيبة الزوج عن زوجته، وتضررت بها الزوجة، فإن هذه الغيبة تصلح سبباً لطلبها التفريق، ولو ترك لها الزوج ما تحتاج إليه من نفقة مدة غيبته؛ لأن إقامتها بعيدة عن زوجها مع محافظتها على عفتها مما يتعذر على الطبيعة البشرية احتمالها، ويفوت على الزوجة مصالح النكاح، وهو ضرر بالغ يجب دفعه، والقاعدة الفقهية تقول: (لا ضرر ولا ضرار)، (السيوطي، 1403هـ، 83/1)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَأَمَّا أَتَىٰ نَمِ نِيٍّ﴾، (سورة: البقرة، من الآية: (231)) وقال أيضاً: ﴿ثَأْتَىٰ أَتَىٰ﴾ □ □ □ (سورة: البقرة، من الآية: (229))، فإن لم يأخذها الزوج حيث هو يقيم ولم يحضر إليها، فيفرق بينهما لرفع الضرر، ولأن هذا ليس إمساكاً بمعروف، فيتعين التسريح بإحسان، فإن لم يقم به هو، قام به القاضي مقامه فيه.

وإذا غاب الزوج عن زوجته، ورفعت أمرها إلى القاضي تطلب الفرقة بينها وبين زوجها، فإذا كان الزوج في مكان معلوم، وتصل إليه الرسائل، أعذر إليه القاضي، بأن يحضر، أو ينقلها إليه، وإلا طلق عليه. قال الإمام مالك: ولقد أصاب عمر بن عبدالعزيز وجه الأمر في ذلك عندما بعث للذين غابوا بخراسان، وطلب منهم أن يقدم إليها، أو يرسلها، أو يطلق. (ابن عبد البر، 1400هـ، 261/1)

فإذا أعذر إليه القاضي، يضرب له أجلاً بحسب ما يراه ليقوم بما طلب منه، فإن فعل فيها ونعمت، وإلا طلق عليه بعد مضي الأجل، فلا يجوز تطليقها بغير الكتابة إليه، إلا إذا جهل مكانه، أو كان في موضع لا تصل إليه رسائل، ففي هذه الحالة يطلقها القاضي بدون عذر. ثالثاً: أثر ظهور المفقود حياً:

وإذا ظهر المفقود حياً بعد الحكم بموته بالنسبة للزوجة، فهي زوجته مالم تتزوج ويدخل بها الثاني، فقد كان الإمام مالك - رحمه الله - يقول: إذا تزوجت زوجة المفقود ولم يدخل بها، ثم عاد زوجها الأول، فلا سبيل لزوجها الأول إليها.

ثم عدل الإمام عن ذلك قبل موته بعام أو نحوه، فقال: إن زوجها الأول أحق بها، ما لم يدخل بها زوجها الثاني. (سحنون، 1415هـ، 449/5) بمعنى: أنه إذا تزوجت بعد مضي المدة المقررة شرعاً، والعدة، ودخل بها زوجها الثاني، فلا سبيل لزوجها الأول إليها؛ لأنها قد بانت منه بدخول الثاني بها، وتأخذ من الأول جميع المهر. (المواق، 1416هـ، 157/4)

وأما بالنسبة لماله: فإن كانت تركته لم تقسم بين ورثته، وكذلك نصيبه الموجود له من الميراث، إذا توفي من يرثه هذا المفقود، أخذ ماله ونصيبه الذي وقف له، وأما إذا ظهر بعد قسمة أمواله، لم يمض القسم لتركته، ويرجع له متاعه، فما وجده من أمواله بعينه أخذه؛ لتبين عدم انتقال ملكه عنه، سواء كان هذا المال في يد ورثته، أو في يد غيرهم. (العدوي، 482/2)

وأما ما أنفقه القاضي، أو وكيله، بأمره على زوجته وأولاده، وماله وغلته، وديونه، فلا يرجع في شيء من ذلك عليهم؛ لأن القاضي لما ثبتت له ولاية الإنفاق، كان فعله كفعل المفقود بنفسه.

وأما ما أنفقت المرأة على نفسها وعلى أولادها الصغار من مال المفقود في الأربع سنين، أو بعدها، ثم جاء الخبر أنه قد مات قبل ذلك، فترد ما أخذت من ماله من يوم توفي فكان لها الميراث، وكذلك ولده فيما انفق عليهم. (الباجي، 1332هـ، 94/4).

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث:

خلص البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

- إن مقاصد الإسلام الكبرى: المحافظة على حق الإنسان في حالة حضوره وفقده، وقد أثبت الفقه الإسلامي أحكاماً فقهية تتعلق بالمفقود.
 - من الأهمية بوجه خاص في زمننا الحالي وقد تعددت فعلاً أسباب الفقد، وأيضاً أصبح من اليسير الوقوف على حالة هذا الشخص المفقود إذا كان حياً أو ميتاً؛ نظراً لتعدد وسائل الاتصال من تليفونات، واتترنت، وإذاعات، وقنوات وغيرها، وأيضاً: وجود سفارات لكل بلدة في غيرها من البلدان.
 - المفقود هو الغائب الذي لا يدري حياته ولا موته.
 - أن المفقود يحكم بموته بعد أربع سنوات من رفع دعوى التفريق للفقد في الظروف الطبيعية.
 - تعتد زوجة المفقود اعتباراً من تاريخ الحكم بوفاته.
 - تعود زوجته إلى عصمته إن تبين أنها لم تتزوج من آخر، ولم يدخل بها.
- وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن رشد: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، ت: 520هـ، تحقيق: محمد العرايشي، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م.
- ابن رشد: المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، ت: 520هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1408هـ، 1988م.
- ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تنقيح وتصحيح: خالد العطار، دار: الفكر - بيروت - لبنان، طبعة جديدة ومنقحة، 1426هـ - 2005م.
- ابن عبد البر: الاستدكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ت: 463هـ، تحقيق: سالم محمد عطا- محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 2000م، مكان النشر بيروت
- ابن عبد البر: الكافي في فقه أهل المدينة، ت: 463هـ، تح: محمد محمد أحمد ولد مادريك الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1400هـ/1980م.
- ابن منظور: لسان العرب، ت: 711هـ، دار صادر بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية 1412هـ - 1992م.
- ابن يونس: الجامع لمسائل المدونة والمختلطة، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي، الطبعة: الأولى، 1433هـ - 2012م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- الأصبحي: موطأ الإمام مالك، تح: تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى 1413هـ - 1991م
- الباجي: المنتقى شرح الموطأ، ت: 474هـ، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر الطبعة: الأولى، 1332هـ.
- البخاري: صحيح البخاري ت: 256هـ، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1407هـ - 1987م.
- التسولي: البهجة في شرح التحفة، ت: 1258هـ، تح: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1418هـ - 1998م.
- الحطاب: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ت: 954هـ، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، 1412هـ - 1992م.

- الخرشبي: شرح الخرشبي، ت: 1101هـ، على مختصر خليل، ت: 767هـ. ضبطه وخرج آياته وأحاديثه، الشيخ زكريا عميرات. دار: الكتب العلمية - بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م.
- الدردير: الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، ت: 1201هـ، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، دار: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - مصر - د - ط - د. ت.
- الدسوقي: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تحقيق: محمد عليش، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.
- الرصاع: شرح حدود ابن عرفة الموسوم (الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية)، ت: 894هـ، القدس للنشر- القاهرة، الطبعة: الأولى 1430هـ.
- الزبيدي: الجوهرة النيرة، ت: 800هـ، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، 1322هـ.
- سحنون: المدونة الكبرى، ت: 179هـ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ، 1994م.
- السيوطي: الأشباه والنظائر، ت: 911هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1403هـ.
- الشاذلي: حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، د - ط، 1414هـ - 1994م، دار الفكر- بيروت.
- الغزالي: الوسيط في المذهب، ت: 505هـ، دار السلام، د - ط - ت.
- القزويني: سنن ابن ماجه، ت: 273هـ، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: مكتبة أبي المعاطي، د - ط - ت.
- الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ت: 587هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م.
- الكشناوي: أسهل المدارك لشرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك. جمعه: أبو بكر بن حسن، ضبطه وصححه: محمد عبدالسلام شاهين. دار: الكتب العلمية - بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م.
- مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د. ت.
- المواق: التاج والإكليل لمختصر خليل، ت: 897هـ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م.
- النسفي: طلبه الطلبة، ت: 537هـ، دار القلم، بيروت، الطبعة: الأولى، 1406هـ.
- النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ت: 1126هـ، الناشر: دار الفكر، الطبعة: د - ط، تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م.

العلاقات بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الحبشة من ميلاد الرسول

صلى الله عليه وسلم حتى وفاته 631/570م

د. فتحي المبروك إبراهيم إمام
كلية التربية ككله جامعة غريان

المقدمة:

إن العلاقات بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الحبشة قديمة جداً وتنوعت هذه العلاقات فشملت العلاقات الدينية والسياسية والاقتصادية ومما ساهم في تعزيزها قرب بلاد الحبشة من شبه الجزيرة العربية حيث يفصل بينهما البحر الأحمر. وتقترب المنطقتان من بعضهما عند مضيق باب المندب حيث يمكن عبوره بكل سهولة ويرجع بعض المؤرخين اسم الحبشة إلى القبيلة العربية (حبشت) التي هاجرت من اليمن إلى تلك المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم الحبشة لفترات طويلة وتغير اسمها فيما بعد إلى اسم اثيوبيا، وقد تبادلت التجارة بينهما وقويت وتعززت العلاقات التي يسودها أحياناً السلم والهدوء وتزدهر العلاقات التجارية بينهما، وأحياناً يسودها النزاع والقتال مثل غزو الأحباش لليمن لنصرة المسيحيين لأن ملوك اليمن فرضوا الديانة اليهودية عليهم فجاءت حملة أرباط وانتصر على الحميريين، ثم محاولة الأحباش عن طريق إبرهة هدم الكعبة وفشل هذه الحملة، أما في العهد الإسلامي فتعتبر الحبشة أول المناطق خارج شبه الجزيرة العربية التي دخل إليها الإسلام، حيث كانت هجرة المسلمين الأولى إليها وانتشر فيها الإسلام بدون قتال، ورغم ذلك لم يترك المشركون المسلمين في حالهم، وحاولت قريش استرجاع المهاجرين المسلمين، وبعد الحوار الذي جرى بينهما أمام ملك الحبشة واقتناعه أنهم على الدين الصحيح لم يسمح لوفد قريش باسترجاعهم وتركهم يعيشون في بلاده بسلام، مما زاد في تقوية تلك العلاقات، التي يسودها الاحترام المتبادل والتعاون بينهما، مما زاد من حجم التبادل التجاري على سبيل المثال في مختلف أنواع البضائع، ومع مرور الوقت ترك المسلمون أثراً طيباً في بلاد الحبشة، فدخل الكثير من الأحباش في الدين الإسلامي لما وجدوه فيه من عدل ومساواة، وقد تجسد ذلك من خلال أخلاق المسلمين التي أخذت من هذا الدين، المتمثلة في الصدق والأمانة والوفاء بالعهد والاحترام المتبادل وعدم الظلم أو الاعتداء على الغير أو أخذ ممتلكاته

بغير وجه حق، وبعد فترة من الزمن تكونت الجاليات الاسلامية بالحبشة التي جاء أصلها من أولئك المهاجرين الذين فروا بدينهم من أجل عبادة الله الواحد الأحد وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر وترك العادات السيئة مثل شرب الخمر ووآد البنات وممارسة الربا وارتكاب الفواحش بكافة أشكالها وسيطرة القوي على الضعيف، وإن الدين الإسلامي هو آخر الديانات السماوية الذي جاء لكافة أرجاء المعمورة، وقد دخل أعداد كبيرة من أهل الحبشة في هذا الدين، ورجع المهاجرون المسلمون إلى الحبشة على شكل أفراد أو جماعات في مراحل زمنية مختلفة.

أسباب اختيار الموضوع:

- 1 . توضيح حقيقة هذه العلاقات.
 - 2 . إن هذه العلاقات قديمة بين شبه الجزيرة وبلاد الحبشة وتعززت بانتشار الإسلام. منطقة الدراسة:
 - 1 . الحدود الجغرافية تشمل شبه الجزيرة العربية وبلاد الحبشة.
 - 2 . الحدود الزمنية: تبدأ من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 570 حتى وفاته 631م. أهمية الدراسة:
 - 1 . إن حملة إبرهة من أجل تحطيم الكعبة كانت في العام الذي عرف بعام الفيل نسبة للفيل الذي أُسْتُذِمَ لغرض هدم الكعبة والذي ولد فيه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.
 - 2 . هجرة المسلمين الأولى كانت إلى الحبشة وانتشر فيه الإسلام بدون قتال.
 - 3 . تنوع هذه العلاقات.
- إشكاليات الدراسة وتساؤلاتها:
- بعد سيطرة الأحباش على اليمن ومحاولة إبرهة تحطيم الكعبة ونشر الديانة المسيحية في مكة وما حولها بالقوة، إلا أن الله حمى الكعبة المشرفة وانهزم إبرهة وجيشه، وبعد نزول الرسالة الإسلامية على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهجرة المسلمين إلى الحبشة انتشر الإسلام فيها بكل سهولة، وأراد الأحباش نشر المسيحية في مكة بالقوة فانتشر الإسلام في الحبشة بسهولة وفي وقت قصير وبدون قتال.

التساؤلات:

1. لماذا قام الأحباش بغزو بلاد اليمن؟
2. ماهي أهداف إبرهة بحملته على مكة؟
3. كيف كانت نهاية إبرهة وحملته على مكة؟
4. ما هي أسباب هجرة المسلمين إلى الحبشة؟
5. كيف كان موقف النجاشي من المسلمين؟
6. ما هي الآثار التي خلفها المسلمون في الحبشة؟
7. متى عاد المسلمون من الحبشة؟

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي والتحليلي المتمثل في جمع المادة وتحليلها للوصول إلى نتائج صحيحة

وسيتم عرض الموضوع من خلال مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: غزو الأحباش لشبه الجزيرة العربية.

المبحث الثاني: هجرة المسلمين إلى الحبشة.

المبحث الأول . غزو الأحباش لشبه الجزيرة العربية:**أولاً: غزو الأحباش لليمن:**

مدخل الدراسة:

تشير المصادر التاريخية إلى أن العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة ترجع إلى فترات تاريخية قديمة حيث إن المنطقتين قريبتين من بعضهما البعض ولا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر ولا يشكل عائقاً للانتقال بينهما بل كان طريقاً ومعبراً لهجرة القبائل العربية إلى الحبشة ومجيء الأحباش إلى شبه جزيرة العرب (محمد أمين، ب ت، 33). وهذا يدل على كثرة الهجرات وسهولة الانتقال عبر البحر الأحمر إلى الحبشة أو العكس والتبادل التجاري، ومع مرور الوقت والتصاهر بين الجنسين تكونت الجاليات واستقر كثير من المهاجرين وخاصة في المناطق الساحلية في اليمن أو الحبشة.

معنى كلمة الحبشة:

تشير كثير من المصادر التاريخية، أن كلمة الحبشة جاءت من اسم القبيلة العربية (حبشت) وهي قبيلة عربية كبيرة وقوية هاجرت من اليمن إلى الساحل الإفريقي منذ القرن السابع قبل الميلاد، وبسبب انتشارها في تلك المنطقة وسيطرتها عليها أصبح سكانها يعرفون باسم الأحباش (طرقان، ب ت، 5) ومن جهة أخرى تعني الاختلاط، حيث هاجرت العديد من القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية إلى الحبشة واختلطت مع القبائل التي فيها، ونتج عن هذا الاختلاط عنصر جديد عرف باسم الأحباش ثم اطلق على المنطقة بالكامل، وفي لسان العرب أن كلمة حبشات هم أجناس ليس من قبيلة واحدة ولكنهم تجمعوا فيها يعني التجمع (ابن منظور، ب ت، 299). أما الإغريق فاطلقوا اسم الحبشة على تلك المناطق والتي تعني (ذو الوجه المحروق) ويقصدون السكان ذو البشرة السوداء، ثم جاء البرتغاليون وأطلقوا اسم أثيوبيا على تلك المنطقة بدلاً من اسم الحبشة (القنائي، ب ت، 4).

غزو الأحباش لليمن:

يرجع الكثير من المؤرخين أن غزو الأحباش لليمن له العديد من الأسباب وأهمها، العامل الديني وهو المحرك لهذه الحرب وهو الحجة التي يتخذها الأحباش ذريعة لغزو اليمن وهناك العديد من العوامل الأخرى مثل العامل الاقتصادي من أجل السيطرة على التجارة في البحر الأحمر، وهناك الأسباب السياسية التي تعتبر الأحباش لهم علاقة مع الروم وأن السيطرة على اليمن التي يحكمها الحميريون الذين تربطهم علاقة مع الفرس وبعدها يمكن القضاء على نفوذ الفرس في اليمن وبالتالي يدخل هذا الصراع ضمن دائرة الصراع بين الفرس والروم للسيطرة على شبه الجزيرة العربية وما حولها والسؤال الذي يطرح نفسه كيف انتشرت الديانة المسيحية في الحبشة وكيف انتشرت الديانة اليهودية في اليمن؟

كان أهل اليمن يعبدون مظاهر الطبيعة مثل الشمس، وتشير المصادر أن دخول المسيحية إلى الحبشة يرجع إلى القرن الرابع الميلادي حيث تقول بعض المصادر: إن بعض السفن التجارية التي تحمل بعض التجار المسيحيين على ظهرها اضطرت إلى اللجوء إلى ساحة الحبشة بسبب الرياح القوية في عهد ملك الحبشة (لاميدا) حاكم أكسوم وعهد هذا الملك إلى البعض منهم بمهمة تربية ابنه (عيزانا) فعلمه المسيحية وعندما تولى العرش اتخذها ديناً رسمياً في بلاده (زاهر رياض، ب ت،

ص28) و هناك قول آخر يقول: إن دخول المسيحية إلى الحبشة نتيجة هجرة جماعة من المصريين المسيحيين إلى الحبشة في القرن الثالث الميلادي (مصطفى سعد، ب ت، 48). ويرى بعض المؤرخين أن غزو الأحباش لليمن هو بسبب العامل الاقتصادي من أجل السيطرة على الطرق التجارية في البحر الأحمر والمحيط الهندي وبالتالي السيطرة على تلك المنطقة الموالية للفرس (السيد عبدالعزيز سالم، ب ت، 75).

حملة أرباط على اليمن 525 م :

تولى الحكم في اليمن الملك (ذونواس) الذي اعتنق اليهودية واتخذها الدين الرسمي للدولة الحميرية في اليمن واجبر المسيحيين من أهل اليمن على الدخول في الديانة اليهودية وعندما رفضوا حفر لهم أخدود وحرقتهم في ذلك الأخدود (ابن بسام، ب ت، 29) وتذكر الكثير من المصادر أن عدد المسيحيين الذين تم حرقهم في ذلك الأخدود حوالي عشرين ألفاً (ابن الأثير، ب ت، 429) وقد ذكرت هذه القصة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (سورة البروج، الآية 3-6) ووصل خبر هذه الحادثة إلى إمبراطور الروم (جستينيان الأول) الذي أرسل إلى ملك الحبشة يطلب منه الثأر للمسيحيين هناك فقام ملك الحبشة (آل صحبة) بإرسال حملة إلى اليمن بقيادة أرباط ويقدر عددها بحوالي سبعين ألف مقاتل وتمكنت هذه الحملة من الوصول إلى اليمن وبعد العديد من المعارك تمكن الأحباش من الانتصار على (ذونواس) الذي فرّ بحصانه إلى البحر ومات غرقاً بعد هزيمة جيشه (ابن خلدون، 1965، 114).

وهكذا تمكنت هذه الحملة من الانتصار للمسيحية والسيطرة على اليمن والسيطرة على طرق التجارة في البحر الأحمر وقد سبب الأحباش دماراً كبيراً في اليمن، وانتهى حكم ملوك حمير ودمروا قصورهم ويقول الشاعر علقمة دوجدان:

أو رأيت وكل شيء هالك
بيوت خاوية كأن لم تعمر
أو رأيت وكل شيء هالك
سحلين خاوية كظهر الأدير
أو ما سمعت بحمير وقصورها
أمست معطلة مساكن حمير (السيد عبدالعزيز سالم، ب ت، 72).

الصراع بين الأحباش في اليمن:

سيطر الأحباش على اليمن بقيادة (أرباط) وانهى حكم الحميريين وتكدست عنده الأموال وأصبح يوزعها على من يشاء فأعطى البعض وحرّم البعض الآخر فكرهه الناس وثار عليه الأحباش بقيادة (إبرهة) وانقسم الأحباش إلى فريقين فريق مع أرباط وفريق مع إبرهة وقبل القتال تبارز كل من أرباط و إبرهة وضرب أرباط إبرهة بالحربة شمرت شاربه ولذلك سمي بالأشرم، وضرب إبرهة أرباط بالسيف على رأسه فقتله وسيطر بذلك على الأحباش واليمن (الطبري، 1358 هـ، 933) وغضب ملك الحبشة النجاشي على إبرهة وحلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويؤطى تربته يقصد أرض اليمن، فبلغ ذلك إبرهة فاستخدم الحيلة من أجل أن يرضي النجاشي وقام إبرهة بجز ناصيته وأخذ جزءاً من تراب اليمن وجعل جزءاً من دمه في قارورة، وأرسلهم إلى النجاشي مع هدايا كثيرة وقال له انه تحت طاعته واقسم على ذلك بالمسيح، وقام الملك بجز الناصية ووطأ التراب الذي أرسله له وأهرق الدم الذي في القارورة، وبذلك أبر بقسمه وهو على سرير ملكه وأعجب النجاشي بعمل إبرهة وحسن تدبيره فصّح عنه وأقره على حكم اليمن (المسعودي، 1958، 78) وهكذا أصبح إبرهة ملكاً على اليمن دون منازع، وقضى على الثورات التي قامت ضده، واستقبل الوفود التي جاءت لتنهئته من ملك الروم وملك الفرس وملك الحيرة وغيرهم، وقام بترميم سدّ مأرب والسيطرة على التجارة في البحر الأحمر (جواد علي، ب ت، 204) وهكذا تمكن إبرهة من إخضاع اليمن تحت حكمه وأصبح حاكم اليمن ونائباً للنجاشي في حكم اليمن .

ثانياً: حملة إبرهة على مكة 570م

وتذكر بعض المصادر أنه في هذا العام ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم في 12 /ربيع الأول/ 570م وهو ما يعرف بعام الفيل نسبة إلى حملة إبرهة (ابن هشام ، 1955، 158) ولما استقام الأمر لإبرهة وبسط سيطرته على اليمن اهتم اهتماماً كبيراً في نشر الديانة المسيحية في اليمن ومن أجل ذلك قام ببناء كنيسة كبيرة في اليمن أطلق عليها اسم (القليس) ويذكر ياقوت الحموي أن إبرهة أستدل العرب في بنائها وجشمهم فيها أنواع من الصخر وكانوا ينقلون إليها آلات البناء كالرخام والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر الملكة بلقيس صاحبة النبي سليمان عليه السلام وكان موضع هذه الكنيسة على بعد فرسخ من القصر، وكان فيها بقايا من آثار ملوكهم، فاستعان بذلك على من رآه ببناء الكنيسة وبهجتها و بهائها ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس

(الحموي، 1955، 395) وقام بتزيينها بالذهب والفضة والفسيفساء ومختلف ألوان الأصباغ، وهذا دليل على عظمة هذا البناء والجهد الكبير الذي بُذل من أجل بناءه وبعد استكمال بناء الكنيسة أرسل إبرهة إلى النجاشي رسالة قال فيها: (إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنتهي حتى أصرف إليها حجاج العرب) (الطبري، ب ت، 130) لقد كانت لإبرهة أهدافاً بعيدة المدى من وراء بناء هذه الكنيسة حيث رأى زيادة الأهمية التجارية لشمال الجزيرة العربية وما تحصل عليه من أموال من خلال هذه التجارة، وكذلك أهمية المركز الديني والحضاري المتمثل في مكة، فأراد السيطرة على تلك التجارة وجعل كنيسة القليس مركزاً دينياً وتجارياً يحصل منه على أموال طائلة ولم ترض القبائل العربية عن ذلك، أن تصحح كنيسة القليس بدلاً عن مكة، فقام رجل من بني فقيم بن عدي بن عامر بتدنيس الكنيسة ببعض القاذورات، ووصل الخبر إلى إبرهة فغضب غضباً شديداً و ساءه أن يفعل ذلك رجل من العرب وأقسم ليسيرن إلى الكعبة ويهدمها حجراً حجراً (السيد عبدالعزيز سالم، ب ت، 165) وجمع إبرهة قواته وسير جيشاً كبيراً من أجل تحطيم الكعبة وتحقيق أهدافه الدينية والتجارية، وأن حادثة تدنيس الكنيسة ما هي إلا دريعة اتخذها لكسب الرأي العام وانطلقت هذه الحملة عام 570م وكان في مقدمتها ثلاثة عشر فيلاً وفي مقدمتهم فيل ضخم كثيف الشعر يقال له محمود (الزمخشري، ب ت، 568) ومّر إبرهة على مدينة الطائف في طريقه إلى مكة وأخذ رجلاً من الطائف يقال له أبورغال ليدله على الطريق وفي مكان يقال له المغمس بين مكة والطائف مات أبورغال فرجمت العرب قبره بعد ذلك (المسعودي، 1958، 79). وعندما اقترب إبرهة من مكة أرسل بعض جنوده لاكتشاف الطريق والقيام بغزوات خاطفة فأصابوا إبلاً لعبد المطلب بن هشام بن عبد مناف سيد قريش وتقدر بمئتي بعير، وتقدم إبرهة حتى اقترب من مكة ونزل في مكان يسمى (بحب المحصب) (الحموي، 1955، 62) وفي هذا المكان جاء عبدالمطلب بن هاشم وطلب مقابلة إبرهة فسمح له بذلك وكان عبدالمطلب ذو شخصية بارزة وسيماً له غزيرتان، ودقيق الهديان رقيق البشرة سهل الخدين (البلادي، 1959، 63) فعظمه إبرهة وهابه وأجلّه وأحترمه ثم قال له: سلني يا عبدالمطلب فأبى أن يسأله إلا إبله فأمر بردها عليه ثم قال: قد كنت أعجبتي حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وترك بيتاً فيه دينك ودين أبائك قد جات لهدمه ولا تكلمني فيه ولا تسألني الرجوع؟ " فقال عبدالمطلب: انا رب هذه الإبل وإن للبيت رب يحميه، فقال إبرهة ما كان ليمنع مني (ابن هشام، ب

ت، (51) فقال عبدالمطلب انت وذلك وأخذ إبله وذهب وعندما وصل إلى مكة أمر قومه باللحاق ببطون الأودية ورؤوس الجبال ثم قال:

يا أهل مكة قد وافاكم ملك
 هذا النجاشي قد سارت كتائبه
 يريد كعبتكم، والله مانعه
 مع الفيول على أنيابها الزرد
 مع الليوث عليها البيض تتقد
 كمنع تبع لما جاءها حرد

ثم وقف عبدالمطلب بباب الكعبة وهو يقول:

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا
 إنّ عدو البيت منّ عاداكا
 يا ربّ فامنع منهم حماكا
 امنعهم أن يخربوا قراكا (المسعودي، 1958،

(128)

وعندما عزم إبرهة على هدم البيت برك الفيل الذي في المقدمة ولم يتحرك في اتجاه الكعبة فضُرب ونُخص بالرماح فلم ينهض وهنا بعث الله إلى جيش إبرهة طيراً أبابيل مع كل طير ثلاث احجار فلم ينج منهم إلاّ القليل وهلك معظم جيش إبرهة وتفشى بينهم المرض وقد ذكر الله تعالى ذلك في القرآن الكريم في سورة الفيل في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَّ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ (سورة الفيل) وهكذا فشلت حملة إبرهة في تحقيق أهدافها وحمى الله بيته كما قال عبدالمطلب ولم يستطع إبرهة تهديمه وفي هذا العام الذي سُمي عام الفيل وُلد خاتمُ الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولعلها كرامة لسيدنا محمد أن حمى الله بيته الحرام في ذكرى مولده وسلم أهله من إبرهة وجنوده، وهكذا فشل إبرهة في تحويل الحجاج العرب من مكة إلى كنيسة القليس التي بناها في اليمن ويعتقد بعض المؤرخين ان إبرهة كان ينوي بعد السيطرة على مكة و السيطرة على جميع مدن الحجاز ثم يهاجم إمبراطورية الفرس وبذلك يتصل بالروم مباشرة ويحرم الفرس من طرق التجارة في بلاد الحجاز (صالح أحمد العلي، 1959، 260) وهكذا انهزم إبرهة هزيمة نكراء ولم يحقق حلمه الذي يهدف إلى تحطيم الكعبة والسيطرة على القبائل في شبه الجزيرة العربية ثم مهاجمة الفرس والاتصال مباشرة بالإمبراطورية البيزنطية ونشر الديانة المسيحية، ولكنه عاد إلى اليمن مهزوماً مجروحاً مريضاً ومات عند وصوله إلى اليمن.

فترة حكم أبناء إبرهة مكسوم ومسروق لليمن:

بعد موت إبرهة تولى الحكم بعده في اليمن ابنه (مكسوم) فاستمر حكمه حوالي عشرين سنة (المسعودي، 1958، 89) وكان أشدّ من أبيه وأخبث سيرة وقد أدل خلال حكمه أهل اليمن وسيطر عليهم بالقوة، وبعد موته خلفه أخوه مسروق ولم يكن أرحم من أخيه بل كان أكثر تعسفاً في معاملة أهل اليمن (عبد العزيز سالم ، ب ت، 89) وبسبب هذه المعاملة القاسية كره أهل اليمن حكم الأحباش وقرر التخلص منه فظهر من بيتهم زعيم وطني يسمى (سيف بن ذي يزن) (الدينوري ، 1961، 63) الذي اتبع أسلوب السياسة في محاربة الأحباش من أجل إخراجهم من اليمن لأنه لم تكن له القوة الكافية وكذلك ضعف أهل اليمن وإنهم لا يمتلكون السلاح والمعدات اللازمة، فذهب إلى القسطنطينية وقابل الإمبراطور البيزنطي (جستينيان الثاني) وطلب منه مساعدته في التخلص من حكم الأحباش ولكن طلبه قوبل بالرفض وهذا الرفض طبيعي لأنه يرتبط بالأحباش بعلاقات دينية وسياسية واقتصادية، ثم ذهب (سيف بن ذي يزن) إلى كسرى الفرس الذي كان له أطماع في السيطرة على اليمن والسيطرة على طرق التجارة في البحر الأحمر فطلب منه مساعدته لإخراج الأحباش من اليمن فاستجاب له وأرسل معه جيشاً بقيادة (وهرز) وتمكن هذا الجيش من هزيمة مسروق بن إبرهة الذي قُتل في المعركة وسيطر الفرس على اليمن وهكذا استبدل احتلال الأحباش باحتلال الفرس لليمن (جواد علي، ب ت، 212) وتمكن الفرس من السيطرة على طرق التجارة البحرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي وكذلك الطرق البرية في بلاد الحجاز فاستمر الفرس في حكم اليمن حتى الفتح العربي الإسلامي لها وطرد الفرس من اليمن ومن مختلف المناطق العربية وانتهت امبراطوريتهم على يد المسلمين.

المبحث الثاني - هجرة المسلمين إلى الحبشة:

لعل السؤال الذي يتبادر على ذهن هو لماذا هاجر المسلمون إلى الحبشة دون غيرها؟ والسبب الرئيسي هو معارضة قريش للدعوة الإسلامية معارضةً شديدةً واتباع مختلف الطرق والوسائل للحدّ من انتشار الإسلام مثل تعذيب أتباع النبي وخاصة الضعفاء منهم وكان من أشدّ المشركين قسوةً على المسلمين والرسول عمه أبولهب وامراته أم جميل (أروى بنت حرب) فكان أبولهب يضع القاذورات على باب دار النبي وكانت زوجته أم جميل تضع الشوك في طريق النبي (البلاذري، ب ت، 122) فكانت كل قبيلة من قريش تقوم بتعذيب كل من أسلم من أبنائها بالضرب والتوبيخ والحبس... إلى آخره ولمّا لم تنفع هذه الإجراءات وتبت المسلمون على دينهم اتبع كفار قريش أسلوباً آخر فذهبت مجموعة منهم إلى عمّ النبي أبي طالب الذي يعتبر أكبر عون له وقالوا: إن ابن أخيك سبّ آلهتنا وعاب ديننا وطلبوا منه أن يمنعه من ذلك، ومهما يريد من مال أو جاه أو غيره نعطيه حتى يرضى، وأمام ضغوط قريش أخبر أبو طالب ابن أخيه بما قالت قريش وطلب منه ألا يحمله ما لا يطيق، فظن الرسول أنّ عمه ضعف فقال: (والله يا عمّ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه " فقال له: عمه أذهب يا ابن أخي وقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لشيء تكرهه أبداً) (ابن هشام ، ب ت، 265). وبعد فشل هذه المحاولة ازداد إيذاء قريش للمسلمين فتعرض الكثير منهم للإيذاء مثل بلال بن رباح الذي عذبه أمية بن خلف في رمضان مكة فكان يضع الحجارة على صدره ويجلده بالصوت ويقول له: اترك دين محمد وهو يقول أحدٌ أحد، وكذلك تعذيب آل ياسر وقد استشهدت سمية أم عمار حيث طعنها أبو جهل بحربة في قلبها وهي أول شهيدة في الإسلام (ابن كثير، 1966، 495) وعذب زوجها وابنها حتى فقد الوعي، وضيقت قريش الخناق على المسلمين عامة والضعفاء منهم خاصة فكان لا بد من إيجاد حلّ ينقذ الموقف، فجاء الحلّ حيث أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى الحبشة بسبب اشتداد البلاء والاضطهاد للمسلمين من قبل كفار قريش وعدم قدرة الرسول صدّ هذا الإيذاء، أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة وقال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحدٌ حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه (النووي، ب ت، 321) ولعل الأسباب التي دفعت الرسول أن يختار الحبشة لهجرة المسلمين تتمثل في :-

1 . العلاقات القديمة التي تربطها بشبه الجزيرة ومعرفتهم بها، ومعرفة مسالكها المختلفة وخاصة

أهل قريش الذين كانوا على تجارة مع أهل الحبشة (الطبري، ب ت، 221).

2. إنّ بها ملكاً عادل سوف يقوم بمساعدتهم وحمايتهم من الأعداء.
3. لا تستطيع قريش الاعتداء على المسلمين في الحبشة لأنها دولة بعيدة عن قبائل العرب (أحمد إبراهيم الشريف، ب ت، 45)
4. إنّ الحبشة تعتنق الديانة المسيحية وهي عبادة الله وبعيدة عن عبادة الأصنام وهو ما جاء به الإسلام وإنّ الأحباش حاربوا الحميريين وسوف يتعاطفون مع المسلمين.
5. هدف الرسول من هذه الهجرة نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية وقد أثمرت هذه السياسة أن أسلم النجاشي ودخل في الإسلام وقد أرسل عشرين رجلاً من بلاد الحبشة إلى النبيّ وهو بمكة فأمنوا به وصدّقوه (ابن هشام، ب ت، 392).
- وكانت هجرة المسلمين إلى الحبشة على مراحل:

1. المرحلة الأولى:

كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة عام 615م حيث خرج هؤلاء المهاجرون سراً من قبيلة قريش باتجاه الحبشة فعبروا البحر الأحمر بواسطة سفينتين نقلتهم إلى الحبشة ثم توالى هجرة المسلمين إلى الحبشة وبلغ عدد المهاجرين إلى الحبشة في المرحلة الأولى اثني عشر رجلاً وأربع نساء منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول وأبو حديفة بن عتبة وزوجته سهلة بنت سهيل والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف ومصعب بن عمير وأبو سلمى بن الأسود وامرأته أم سلمى وعمرو ابن عثمان بن مطعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى وآخرون (ابن كثير، 1966، 5).

2. المرحلة الثانية:

في هذه المرحلة بلغ عدد المهاجرين ثلاثة وثمانين رجلاً وعشر نساء وكان على رأسهم جعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميش وعمر بن سعيد بن العاص وامرأته فاطمة بنت صفوان واخوه خالد وامرأته أميمة بنت خلف وعبدالرحمن بن جحش وأخوه عبيد الله وامرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان وقيس بن عبدالله وعتبة بن غزوان وعبدالله بن مسعود والمقداد الأسود وغيرهم (ابن هشام، ب ت، 330).

ووصل هؤلاء المهاجرون إلى أرض الحبشة بعد سفرٍ طويلٍ وما عانوه من مشاق فوجدوا الأمن والأمان واستقروا في تلك الأرض الجديدة وعبدوا الله مطمئنين لا يتعرض لهم أحد، وقد عبرت عن ذلك أم سلمى فقالت: (لما نزلنا أرض الحبشة جاوزنا بلاد وجاورنا خير جار النجاشي أمناً على ديننا وعبداً لله تعالى لا نُؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه) (القلقشندي، ب ت، 321) وهذا دليل على أن هجرة المسلمين إلى الحبشة كانت فراراً بدينهم وليس لها أهداف أخرى وكانت هذه الهجرة زمن النجاشي (أصحمه) ويقال (صحمه) ومعناها بالعربية عطية.

محاولة قريش إعادة المسلمين من الحبشة:

لما عرفت قريش إن المسلمين هاجروا إلى الحبشة واستقروا بها وإنهم يعيشون في أمن وآمان لم يرضوا بذلك وقرروا إعادة المسلمين المهاجرين إلى مكة، ولم يتركوهم في شأنهم حتى وهم بعيدين عنهم وكان يحركهم الحقد والجهل والعصبية القبلية، واجتمع زعماء قريش وقرروا إرسال وفدٍ إلى الحبشة يطالب بإعادة المسلمين إليهم بحجة خروجهم عن دينهم، وقد كلفت مهمة قيادة الوفد إلى كل من عمرو بن العاص وعبدالله بن ربيعة باعتبارهم صديقا النجاشي وكانت لهما تجارة مع الحبشة وإن هذين الرجلين كانا يجيدان النقاش والحوار مع الغير، وقد حمل معهما مختلف أنواع الهدايا إلى النجاشي وحاشيته حتى تقف معهم هذه الحاشية أمام النجاشي ضد المسلمين فأعطوهم الهدايا وقالوا لهم: (إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرف قومهم، ليردوهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عيناً) (ابن هشام، ب ت، 333) ووعدهم حاشية النجاشي بتأييدهم، ثم ذهبوا إلى النجاشي وقدموا له الهدايا وطلبوا منه أن يرد عليهم المسلمين، وأيدتهم حاشية النجاشي من وزراء و بطارقه، فغضب النجاشي ذلك الملك العادل، ورفض أن يسلمهم قوم استجاروا به واحتموا به دون غيره، قبل أن يسألهم ويسمع رأيهم فيما قيل عنهم، وهنا تظهر حكمة النجاشي فإنه من الصحيح أن تسمع الطرفين ولا تسمع لطرف واحد فقط، ثم أمر النجاشي بإحضار المسلمين فسألهم عن الدين الإسلامي الذي فارقوا من أجله دين قومهم ولم يدخلوا في الدين المسيحي فتقدم جعفر بن أبي طالب فقال: (أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الرحم ونسئ الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا كذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى

عبادة الله وتوحيده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... فصدّقناه وآمنا به واتبعنا ما جاء به من عند الله) (ابن هشام، ب ت، 334).

ثم قص عليه ما حل بالمسلمين من اضطهاد قريش وتعذيبها لهم وارغامهم للعودة إلى الوثنية، وإنهم آثروا أن يفروا بدينهم الحق إلى بلاد لا يظلمون فيها، وقد أمرنا رسولنا بالهجرة إلى الحبشة، فطلب النجاشي منه أن يقرأ عليه شيئاً من القرآن فقرأ عليه الآيات الأولى من سورة مريم ﴿ كَهَيَّعَصَ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ (سورة مريم ، الآية 1-3) فبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته، ورفض أن يرد المسلمين إلى وفد قريش، وهنا غضب عمرو بن العاص وعبدالله بن ربيعة وقال للنجاشي إنهم يطعنون في عيسى بن مريم، فسأل النجاشي جعفر بن أبي طالب عما يقوله القرآن في عيسى بن مريم فقال: (هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول) وأعجب النجاشي بإجابته، وتأكد النجاشي أنّ محمد بن عبدالله هو الرسول الذي بشر به المسيح، فرحب بالمسلمين وامنهم في أرضه، ووعدهم بأنه لن يتعرض لهم أحد بسوء، وقال لهم أذهبوا فأنتم آمنون ثم قال لوفد قريش لن أسلمكم هؤلاء المسلمين بجبل من ذهب وأمر برد هدايا قريش إلى أصحابها(ابن الأثير، ب ت، 163) وأقام المسلمون آمنين في أرض الحبشة يتمتعون بحرية تامة ورعاية كاملة من قبل النجاشي وبذلك اعتبر المسلمون أنفسهم في حماية النجاشي وربطوا مصيرهم بمصيره حتى أنهم قلقوا وخافوا عندما نزع منافس على العرش واعتبروا انتصاره نكسة لهم ولكن تمكن النجاشي من القضاء على منافسه، وتروي المهاجرة أم سلمى زوج النبي تلك المعاناة فتقول: (فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزننا عن ذلك تخوفاً من أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه النجاشي) (ابن هشام، 21، 81). وقد عانى المهاجرون من الأوضاع الصعبة وقاسوا أشد الظروف التي واجهتهم، والمثال على ذلك المهاجرة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان التي هاجرت مع المرحلة الأولى إلى الحبشة، حيث كان أبوها من زعماء قريش ومن أشد الناس معارضة للإسلام ورغم ذلك تركت مكة وهاجرت مع زوجها عبيد الله الأسود فراراً بدينها وبعد وصولهم إلى الحبشة بعدة أشهر تنصر زوجها ودخل في المسيحية وأصبحت وحيدة في تلك الديار وبقيت على

دينها لم تزعزع إيمانها رغم تلك الظروف الصعبة، وعندما سمع بها الرسول أرسل إلى النجاشي يخطبها ودفع لها مهرها وعندما رجعت من الحبشة تزوجها النبي تشجيعاً لموقفها وأصبحت من أمهات المسلمين، وقد وصلت الأخبار إلى مهاجري الحبشة، إنّ أهل مكة أسلموا وصالحوا النبي فعادت طائفة منهم إلى مكة وعندما اقتربوا من مكة أيقنوا ببطلان ما سمعوه فلم يدخل منهم أحداً إلى مكة إلاً مستخفياً أو في جوار، ومن الذين عادوا عثمان بن عفان وزوجته رقية وأبو حديفة بن عتبة وزوجته سهلة والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وكلهم دخلوا بجوار إلى مكة إلاً عبدالله بن مسعود فعاد إلى الحبشة (ابن سعد ، 1957 ، 206) ورغم ذلك استمر اضطهاد قريش وإذائهم للمسلمين ووصلت معاناة المسلمين إلى درجة كبيرة ولم يسلم حتى رسول الله من ذلك فكذبوه ورموه بالشّعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله صابراً لا يبالي بما يقولون (ابن هشام ، ب ت ، 289) ولم يقتصر الإيذاء على الرسول والضعفاء من المسلمين فقط بل شمل كلّ من دخل في الدين الإسلامي مثل أبو بكر الصديق وبالرغم من مكانته في قومه فقد عان الكثير من إيذاء قريش، فاستأذن الرسول بالهجرة إلى الحبشة فأذن له ورحل الصديق متسللاً مغادراً مكة قاصداً أرض الحبشة حتى وصل (برك الغماد) وهو مكان في أرض اليمن، حيث أعترضه الحارث بن يزيد المعروف بابن الذغنة سيد قبيلة بن الحارث بن كنانة وهي قبيلة مشهورة بجودة الرمي، فقال له أين تريد يا أبي بكر فقال أخرجني قومي وأريد أن أهاجر إلى الحبشة لأعبد ربي، فقال له ابن الذغنة: (إن مثلك لا يخرج فإنك تكسب المعدم وتصل الرحم وترعى اليتيم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر وأنا لك جار فارجع وأعبد ربك في بلدك) ورجع به إلى مكة وقبلت قريش جوار ابن الذغنة واشتروطوا أن يعبد أبو بكر ربه في داره، وبعد فترة بنى أبو بكر مسجداً في فناء داره فلم ترض قريش بذلك، وقالوا نخاف أن يفتن به أبنائنا ونساءنا، وحدثوا بذلك ابن الذغنة فجاء إلى أبي بكر وطلب منه أن يعبد ربه في داره أو يرد جواره فقال أبو بكر إنّني رددت إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل (البلادري، ب ت ، 205) واستمر أبو بكر يعبد ربه بعزيمة قوية واقفاً إلى جانب رسول الله وأصحابه حتى أمرهم الله بالهجرة إلى يثرب، ولما رأت قريش إنّ المسلمين في الحبشة أصبحوا في أمان منهم وإن النجاشي آمنهم في بلاده ولا يستطيعون فعل شيء ضده، وإنّ الإسلام زاد قوة بإسلام حمزة بن عبدالمطلب وإسلام عمر بن الخطاب وتشجع كثير من الناس على الاقتداء بهما ودخلوا في الإسلام، فاجتمع زعماء قريش وقرروا مقاطعة بني هاشم و المسلمين وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة، وانحصر بنو هاشم والمسلمون في هضاب بني هاشم لمدة ثلاث سنوات ولم يخرج من بني هاشم إلا أبو لهب وعبد العزة عما الرسول

وانضمنا إلى قريش (الطبري، ب ت، 190) وتعاهدا بعدم التعامل مع بني هاشم في البيع والشراء أو الزواج إلى آخره، وعندما قرّر نفرٌ من قريش تمزيق هذه الصحيفة لأنّهم اعتبروا بني هاشم أبناء عمومتهم، وعندما دخلوا الكعبة وجدوا أن الصحيفة أكلتها الأرضة ولم يبق منها إلا (باسمك اللهم) وهذه آية من آيات الله لتثبيت الرسول وأصحابه، وأثناء الحصار مات عم الرسول أبو طالب الذي يعتبر أكبر عون له وكذلك ماتت زوجته خديجة السند الثاني له ولذلك سمي ذلك العام بعام الحزن، وحاول الرسول نشر دعوته خارج مكة فذهب إلى الطائف ولكنهم لم يستجيبوا له بل أمروا صبيانهم وسفاهم برميّه بالحجارة حتى دميت قدماه، ورجع النبي إلى مكة ولم يؤمن به أحد من أهل الطائف ثم هاجر الرسول والمسلمون إلى يثرب ومازال كثير من المسلمين في أرض الحبشة بعيدين عن إيذاء قريش (ابن كثير، 1966، 69)، لقد كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة ذات شأن عظيم في تاريخ الإسلام، فقد كانت برهاناً ساطعاً لأهل مكة على مدى إخلاص المسلمين لدينهم وتفانيهم في احتمال ما واجههم من صعوبات وخسائر في سبيل عقيدتهم حيث تركوا كل ما يملكون في مكة وتمكنوا من نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية، وعن طريق هذه الهجرة وطّد الرسول العلاقة مع دولة تؤمن بالنصرانية ودخلت أعداد كبيرة منهم في الإسلام وعلى رأسهم النجاشي نفسه، لما وجدوه من سماحة هذا الدين وحسن أخلاق المسلمين ومعاملاتهم الحسنة والصادقة معهم وقد آمن النجاشي بهذا الدين وعمل على نشره فقد ساهم في إسلام عمرو بن العاص الذي كان يتردد على الحبشة في تجارة وفي أحد المرات سأله النجاشي لماذا لم تؤمن يا عمرو؟ فقال له إن محمداً رسول الله حق وانه سوف ينتصر على معارضيّه وأقنعه بالإسلام فرجع عمرو من الحبشة إلى مكة ثم ذهب إلى المدينة ليدخل في الإسلام وفي الطريق ألتقى مع خالد بن الوليد وهو يريد أن يسلم كذلك ودخل المدينة فاعلنا اسلامهما ونطق بالشهادتين وكان ذلك بعد غزوة الخندق (محمد خالد، ب ت، 438) وهكذا تحول عمرو بن العاص من مطارّد لمسلمي الحبشة إلى مسلم يدافع عن الإسلام والمسلمين وساهم في نشر الإسلام في الكثير من المناطق .

عودة المسلمين من الحبشة:

لم يرجع المسلمون من الحبشة دفعة واحدة وليس في وقت واحد، فالبعض رجع عندما سمع إن قريش تصالحت مع النبي ودخلت في الإسلام، وعندما وصلوا وجدوا أن ما سمعوه غير صحيح فالبعض منهم عاد إلى الحبشة مثل عثمان بن عفان وزوجته ومصعب بن عمير وغيرهم، والبعض بقى

في مكة فترة من الزمن ثم عاد إلى الحبشة مرة ثانية، واستمر المسلمون في الحبشة فترة طويلة من الزمن ولم يكن بقاؤهم برغبة منهم، لكن الرسول أمرهم بالبقاء هناك، وقد جرت العديد من الأحداث أثناء غيابهم في الحبشة مثل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وتكوين الدولة الإسلامية بها ووقوع العديد من المعارك بين المسلمين والكفار مثل معركة بدر وأحد وغزو بني قينقاع وبني نظير وصلح الحديبية وغيرها، ولما أحس الرسول بثبات دولته وقوتها بعث الصحابي عمرو بن أمية إلى مهاجري الحبشة يطلب منهم العودة، وكان ذلك في السنة السابعة من الهجرة بعد فتح خيبر (ابن هشام، ب ت، 191) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحتفل مع المسلمين بفتح خيبر حين طلع عليهم قادماً من الحبشة جعفر بن أبي طالب ومعه غالبية المسلمين الذين كانوا بالحبشة وفرح الرسول برجوعهم سالمين، وشعر بسعادة كبيرة بعودتهم، وعانق النبي ابن عمه جعفر وهو يقول: لا أدري بأيهما أنا أسرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وأصحابه (ابن الأثير، 1964، 191) ثم عاد البقية الباقية في السنة نفسها (السابعة الهجرية) إلى المدينة وعددهم حوالي ثلاثة وثلاثين مهاجراً وثماني مهاجرات بعد فتح خيبر (ابن سعد، ب ت، 207) وهكذا نرى ما عاناه هؤلاء المسلمون في هجرتهم إلى الحبشة من صعوبات ومخاطر تعرضوا لها خلال سفرهم فتحملوا مشاق السفر، حتى أذن لهم الله ورسوله بالعودة، وعند عودتهم كانوا عوناً ونصراً لإخوانهم المسلمين فشاركوا معهم في نشر الإسلام والدفاع عنه، وتعتبر الهجرة إلى الحبشة من الأحداث المهمة التي جرت في تلك الفترة، وتعتبر من أهم الهجرات التي غيرت مجرى التاريخ وساهمت في انتصار الإسلام وانتشاره في الحبشة خاصة وأفريقيا عامة.

نتائج هجرة المسلمين إلى الحبشة :

إن هجرة المسلمين إلى الحبشة لم تكن أمراً سهلاً وبسيطاً بل كانت مجازفة للابتعاد عن إيداء قريش والوصول إلى بلاد آمنة، وقد حققت العديد من النتائج استفاد منها المهاجرون خاصة والمسلمون عامة وأهم تلك النتائج:

- 1 . تعتبر هجرة الحبشة أهم الجسور التي فتحت آفاق المستقبل أمام الدعوة الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية.
- 2 . ساعدت الهجرة للحبشة على ثبات المسلمين على دينهم.
- 3 . مكانة مهاجري الحبشة العالية والكبيرة عند الله ورسوله.

4 . ساهم مهاجر الحبشة في نشر الإسلام بين الأحباش .

5 . ساهموا في زيادة التبادل التجاري بين الحبشة والبلاد العربية وتكوين علاقات اجتماعية

بينهما..

الخاتمة:

إنّ هذه العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة كانت قديمة وازدهرت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فعندما حاول إبرهة تحطيم الكعبة ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم في هذا العام الذي سمي عام الفيل، أكرم الله نبيه في عام مولده أن حمى الله بيته ودمّر إبرهة وجيشه ولم يستطع تحقيق هدفه المتمثل في تحطيم الكعبة ونشر دين المسيحية والسيطرة على الطرق التجارية والاتصال مباشرة بالروم ولمّا بلغ محمد بن عبدالله سنّ الأربعين نزلت عليه رسالة الإسلام وآمن به العديد من الناس وخاصة الضعفاء منهم وما تعرضوا له من ظلم وقسوة من كفار قريش لأنهم آمنوا بالله وتركوا عبادة الأصنام والأوثان ولذلك أمر النبي أصحابه بالهجرة إلى الحبشة للتخلص من إيذاء قريش حيث عاشوا في أمن وأمان ورفض النجاشي أن يعيدهم إلى كفار قريش واستمر غالبية المهاجرين بتلك الديار حتى أمرهم الرسول بالعودة في السنة السابعة الهجرية. وأهم نتائج الدراسة:

1. أراد إبرهة نشر المسيحية في مكة بالقوة، فانتشر الإسلام في الحبشة دون قتال.
2. حمى الله الكعبة من إبرهة وانهمزم هو وجيشه من عند الله بدون قتال.
3. إنّ هجرة المسلمين إلى الحبشة كانت فراراً بدينهم وليس لأهداف تجارية وغيرها.
4. نجى المسلمون بأنفسهم وعاشوا آمنين في الحبشة وتخلصوا من إيذاء قريش وتوطدت العلاقات بينهما.
5. فشل وفد قريش في استرجاع المسلمين.
6. إنّ من ضمن مهاجري الحبشة رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.
7. إنّ من ضمن مهاجري الحبشة أم سلمى وأمّ حبيبة التان أصبحتا من ضمن زوجات الرسول فيما بعد.
8. نتج عن تلك الهجرة تكوين ممالك إسلامية فيما بعد وساهمت في زيادة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بينهما.
9. إنّ هجرة المسلمين إلى الحبشة ساهمت في تحويل الدعوة الإسلامية من نطاق ضيق إلى نطاق واسع شمل الحبشة وشرق أفريقيا وتنوعت العلاقات معهم.
10. تكونت علاقات اجتماعية بين المسلمين وأهل الحبشة عن طريق المصاهرة.

- 11 . انتشر الإسلام بين أهل الحبشة وعلى رأسهم النجاشي الذي دخل في الإسلام.
- 12 . توطدت العلاقات المختلفة بين المسلمين والأحباش.
- 13 . ساهمت هذه الهجرة في زيادة حجم التبادل التجاري بين الحبشة والبلاد العربية.
- 14 . ساهمت هجرة المسلمين إلى الحبشة في البحث عن أماكن جديدة غير مكة لنشر الإسلام فتمخضت عنها الهجرة إلى يثرب فيما بعد.
- 15 . إن هجرة المسلمين إلى الحبشة نبهت الرسول إلى الاتصال بالعالم الخارجي، فأرسل الرسل لتبليغ الرسالة الإسلامية إلى ملوك الروم والفرس والحيرة ومصر واليمن وغيرهم، حيث انتشر الإسلام في تلك المناطق فيما بعد.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر :

1. القرآن الكريم ، سورة البروج ، الآية 3-6 .
2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، لبنان ، دار صادر ، ج 1 ، 429.
3. البلاذري، أنساب الأشراف ، القاهرة، 1959، ص 63.
4. ابن بسام ، السيرة النبوية ، بيروت ، المكتبة العالمية ، ج 1، ص 29.
5. ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ، 1965 ، ج 2 ، ص 114 .
6. الدينوري، الأخبار الطوال ، القاهرة، 1961، ص 63.
7. الزمخشري، الكشاف عن غموض التنزيل وعيون الأفاويل ، القاهرة ، دار النهضة ، ج 2 ، ص 568.
8. ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت ، 1957، ج 1 ، ص 206.
9. الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة، 1358 هـ ، ج 3 ، ص 933.
13. ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، ج 6 ، ص 299.
14. النووي شهاب الدين أحمد ، نهاية الأرب ، القاهرة ، المؤسسة العامة للتأليف ، ص 321.
15. ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج 1 ، ص 51.
16. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج 5 ، ص 62.

ثانياً: المراجع:-

1. إبراهيم علي طرقتان ، الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة ، القاهرة ، دار النهضة ، ص 5.
2. أحمد إبراهيم الشريف ، الدولة الإسلامية الأولى ، المكتبة التاريخية ، القاهرة ، ص 45.
3. أحمد الحنفي القنائي ، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشيان ، القاهرة ، المطبعة الكبرى ، ص 4.
4. خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، لبنان ، دار الفكر ، ص 438.
5. جواد علي ، تاريخ العرب ، ج 3 ، ص 212.
6. السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص 89.
7. السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ العرب في الجاهلية ، القاهرة ، دار النهضة ، ص 165.
8. صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، بغداد ، 1959 ، ج 1 ، ص 260.
9. زاهر رياض ، تاريخ الحبشة ، المكتبة الإنجلو مصرية ، ص 28 .
10. محمد أمين ، تطور العلاقات العربية الافريقية في العصور الوسطى ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ص 33.
11. مصطفى سعد ، الإسلام وبلاد النوبة ، المكتبة الإنجلو مصرية ، ص 48.

أسباب الحرب في الإسلام

فاطمة عبد الكريم الصادق
كلية الآداب الاصابة جامعة غريان
fatimah.miftah@gu.edu.ly

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

،،، وبعد

إن الحرب في الإسلام ليست حرباً همجية ولا عدواناً سافراً ولا قتالاً مجرداً من كل خلق وفضيلة ، فالإسلام دين سماوي لا يحب سفك الدماء ولا يدعو إلى الحرب من أجل الحرب ، ولا يهدف إلى إهلاك الخلق ولا إلى إبادة البشرية ، بل هو رسالة الرحمة والرأفة ورسالة إنقاذ البشرية وتخليصها من الظلم والبغي والعدوان ، ورسالة نشر السلم والأمن والأمان ، والحرب فيه ضرورة واستثناء ، لكن الإسلام بطبيعة رسالته العالمية ومهمته السامية وغرضه بأن تكون كلمة الله العليا وأن لا يعبد إلا الله وحده في سائر بقاع الأرض وان يعم الأمن والأمان والعدل في كل مكان قد تقف في طريق رسالته بعض الأنظمة النفعية المستكبرة ، وذلك لأنها ترى فيه ضياعاً لمصالحها وذهاباً لسطوتها فلا تكون هناك وسيلة أو أسلوب لإزاحتها حتى تفسح الطريق لنشر نور الرسالة المحمدية إلا عن طريق الحرب ، وذلك طبعاً بعد استنفاد كل وسائل الإنذار والبلاغ والدعوة ، وبعد عرض للدخول تحت حكم الإسلام على ما هم عليه من دين ، فبعد كل ذلك وأكثر تكون الحرب ، ومن هنا تبرز إشكالية البحث حيث زعم بعض الطاعنين أن الإسلام ليس دين سلام ولو كان كذلك لما فُرض فيه الجهاد القتالي ، وأدعو أنه حرب وأن النبي ﷺ دعا لنشر الإسلام بحد السيف والقوة ، وتنتزع عن هذه الإشكالية بعض الأسئلة مثل :

ما أسباب الحرب ؟ ومتى تكون الحرب مشروعة ؟ ومتى تكون غير عادلة ؟
 ما أبرز الأسباب التي تؤدي إلى اندلاع الحروب بين المسلمين ؟ وما آلية التعامل مع الفئة
 المسلمة الباغية ؟

متى يُعلن الجهاد ؟ ومتى تكون الحرب جهاداً ؟

وسأحاول الإجابة على كل هذه الأسئلة من خلال هذا البحث :

أهمية الموضوع :

إن موضوع البحث عن مفهوم الحرب وأسبابها وما يتعلق بها من أحكام له أهميته البالغة لاسيما وأن الناس بحاجة إلى معرفة هذه الأحكام في شريعة الإسلام والقانون الدولي ، لأن الحرب غير منقطعة ولا منتهية في العالم ، علماً أن للمسلم على المسلم حقوقاً مقررّة أبسطها المحافظة على دمه ، ثم إن الاعتداء على المقهورين والمأسورين حتى ولو كانوا غير مسلمين دونما أسباب ظلم طبقاً للشريعة الإسلامية.

أهداف البحث :

تهدف هذه الدراسة للوصول أن الإسلام لا يدعو إلى سفك الدماء وإهدار الأرواح والممتلكات، أو الحرب من اجل الحرب ، بل هو دين السلام والمحبة والأمان والحرب فيه ضرورة واستثناء تدعو لها أسباب متعددة ، كما أنه لا يدعو الناس للدخول فيه بحد السيف أو بالقوة والإكراه .

الدراسات السابقة :

تعددت الدراسات السابقة عن أسباب الحرب في الإسلام ، ولكن أغلبها لم تفرد لها بالبحث والدراسة ، وإنما بُحثت ضمن كتب الفقه ومسائل الجهاد وأبواب السياسة الشرعية ، ومن خلال تقسيم بعض الآيات والأحاديث النبوية الواردة في القتل والحروب ومنها نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي العام ضوء مفتاح غمق ، وكتاب نظرية الحرب في الإسلام ، محمد أبو زهرة ، وغيرها من الدراسات المختلفة التي تنشرها مواقع شبكة المعلومات وتنوع بين مقالات وأبحاث ، وكتب ودوريات .

منهج البحث :

سيتم الاعتماد في هذا البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي وذلك باستقراء النصوص الشرعية الواردة في البحث ، والوقوف على آراء العلماء المتعلقة به وتحليلها للوقوف على دلالاتها المتعلقة بموضوع البحث .

هيكلية البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم إلى : مقدمة ومبحثين وخاتمة :

المقدمة : ذكر فيها الإشكالية وأهمية الموضوع وأهداف البحث والدراسات السابقة***** وهيكلية البحث .

وجاءت الخطة على النحو الآتي :

المبحث الأول : مفهوم الحرب وتحديد طبيعتها :

المطلب الأول : مفهوم الحرب .

المطلب الثاني : مشروعية الحرب .

المطلب الثالث : طبيعة الحرب .

المبحث الثاني : الحرب مع المسلمين وغير المسلمين :

المطلب الأول : الحرب مع غير المسلمين (قتال الفئة الباغية) .

المطلب الثاني : أسباب الحرب مع غير المسلمين .

الخاتمة : وفيها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث .

المبحث الأول : مفهوم الحرب وتحديد طبيعتها :

المطلب الأول : مفهوم الحرب .

المطلب الثاني : مشروعية الحرب في المنظور الإسلامي .

المطلب الثالث : طبيعة الحرب .

إن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هي السلم والمسالة إلى أن يقع اعتداء ، فإن الحرب تكون أمراً لا مفر منه فالمغالبة بين الخير والشر توجب بلا ريب أن يقع القتال بين الجماعات وبين

الدول ، وتلك هي سنة الله في خلقه ، قال تعالى : ﴿ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : 62]

وقال أيضاً : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة : 251] .

والفضيلة لا بد أن تكون لها شوكة تمنع طغيان الرذيلة ، ولذلك أباحت الأديان السماوية القتال دفاعاً عن النفس وعن الدين والعرض ، من هذا المنطلق ندرك أن الحروب ضرورة واستثناء ؛ لإعلاء كلمة الله تعالى ، وليعم الأمن والأمان .

لذا كان لزاماً أن نعرف معنى الحرب ونحدد طبيعتها والدوافع من ورائها وتفصيل ذلك في هذين المبحثين .

مفهوم الحرب :

أولاً : التعريف اللغوي :

الحرب من حَرِبَ حرباً ، من باب تعب ، جاء في القاموس المحيط وأنا حرب لمن حاربني ، وتحاربوا ، واحتربوا ، وحاربوا وعدو محارب ، دار الحرب ، بلاد المشركين الذين لا صلح معهم (الفيروز آبادي ، 55/1) .

والحرب : المقاتلة والمنازلة من ذلك ، لا ولفظها : أنثى يُقال : قامت الحرب على ساق ، إذا اشتد الأمر وصعب الخلاص (المصباح المنير ، ص70) .

والحرب : نقبض السلم ؛ لشهرته ، يعنون بها القتال ، ورجل حرب : أي شديد الحرب ، شجاع ، عارفاً بها (تاج العروس ، ص70) .

وفي القرآن الكريم جاء كلمة (الحرب) بمعنى القتال (معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص373) ، قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴾ [الأنفال : 57] .

من خلال المعاني السابقة يمكن أن نستنتج أن الحرب عبارة عن مفاعلة بين طرفين ، أي ك قتال بين فريقين أو طائفتين أو قبيلة وأخرى .

الحرب في الاصطلاح :

يعرف الفقهاء بعدة تعريفات أهمها :

"كفاح مسلم بين الدول ؛ لتغليب مصلحة سياسية لها مع اتباع القواعد التي يقرها القانون الدولي " (قواعد العلاقات الدولية ، ص 644) .

تعرف أيضاً بأنها : " حالة عداة تنشأ بين دولتين أو أكثر تُنتهي حالة السلام بينهما ، وتستخدم فيها القوات المسلحة في نضال مسلح تحاول فيه كل دولة إحراز النصر على أعدائها ، ومن ثم فرض إرادتها عليهم ، وإملاء شروطها المختلفة من اجل السلام (مبادئ القانون الدولي ، ص 321) .

" هي استخدام القوة المسلحة من قبل دولة ضد سيادة وسلامة أراضي دولة أخرى واستقلالها السياسي (القانون الدولي العام) .

وأيًا كان الفارق بين هذه التعاريف ، إلا أن مضمونها قد اتحد من حيث استخدام القوات المسلحة بين الأطراف التجارية ، وبغض النظر عن أصناف هذه القوة مادام أن الغرض منها تغليب مصلحة أحد الأطراف المتصارعة على مصلحة الطرف الآخر .

مشروعية الحرب في المنظور الإسلامي :

مما هو معلوم أن النبي ﷺ حينما أمره الله تعالى بنشر الدعوة فوقف الكثير في وجه هذه الدعوة فوقف الكثير من المشركين في وجه الدعوة ، فكان النبي ﷺ إزاء ذلك ملتزماً بالصبر ولم يُقابل ذلك التصدي والإعراض بالقتال وإشهار السيف ، وقد كان القتال قبل الهجرة محظوراً بآيات كثيرة (التفسير المنير ، 178/2) منها قوله تعالى : ﴿ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [فصلت : 34] ، قوله تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : 13] .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : 125] ، وقوله : ﴿ وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ [الفرقان : 63] ، وغيرها من الآيات التي تدعو على العفو والصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان ، إلى أن جاء الإذن الإلهي من السماء بأن يُقاتل النبي ﷺ والمسلمون تلك الفئة الظالمة المشركة التي أبت إلا أن يكون السيف هو الحد الفاصل والرادع القوي للحد من بقائها على وثنتها وشركها بالله تعالى فقال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ... ﴾ [الحج : 39 ، 40] .

شرعت الحرب في الإسلام ، أي أذن فيها بدستور كامل للحدود التي تأولها وآخرها ، وتخفف من شرورها ، وتكبح جماح النفوس عن الاندفاع فيها إلى الخروج عن الاعتدال وتعدى الحدود (آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، 92/5) .

وقد زعم أعداء الإسلام أن هذا الدين قائم على القتال وهو دين حرب ، إلا أنهم في دعواهم هذه تناسوا أن تلك الحروب الإسلامية التي خاضها النبي ﷺ ما كانت سوى حروب دفاعية ووقائية ، لرد اعتداء العدو ورفع الظلم ، وإعلاء كلمة الله تعالى ، بدليل أن هذا الإذن الإلهي لم يأت إلا بعد مالا في المسلمون الكثير من الاضطهاد والظلم والعداء .

فقد كان مشركوا مكة يُؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون محزونين بين مضروب ومشجوج ، ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال ، ثم أنزل الله الآيات وهي أول آيات أذن الله فيها بالقتال ، أي أن الله تعالى في هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : 39] .

قد أذن للمسلمين الذين بدأهم أعداؤهم أعداء الله بالقتال أن يُقاتلوا ويدفعوا يد الظلم والبغي عنهم وهذا هو القتال المشروع ، بل إنه واجب ، إذا كان فيه تقليص لأظفر الطغيان لشوكة الطغاة ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : 179] .

ويقول : ﴿ فَمَنْ عَتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا عَتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : 194] ، أما الاستسلام للبغي والسكوت على الظلم ، تمكين البشر ، وتدعيم لبناته ، وإطلاق ليد يضرب بها كيف يشاء في مواقع الحق ومواطن الخير (التفسير القرآني للقرآن ، 9/1043) .

ثم فرض الله عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم (زاد المعاد ، 64/3) ، فقال جلا وعلا : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : 190] .

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان الأمر مطلقاً (نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي العام ، ص53) ، فقال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال : 39] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : 193] .

وهذا القتال الذي شرعه الله للمسلمين وأمرهم به هو الجهاد في سبيله تعالى لإعلاء كلمته (سبل السلام من صحيح سيرة الأنام ، ص294) .

وهكذا كان الرسول ﷺ في بادئ الأمر مأموراً بمجادلة أهل الكتاب بالحسنى ، ثم أذن له بالقتال وأمره بحربهم إلى أن يصيروا إلى الإسلام أو دفع الجزية ؛ بمعنى أن تصبح دارهم تحت أحكام الشريعة

الإسلامية ، فقال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : 29] (السياسة الشرعية ، 234/1) .

مما سبق نلاحظ أن القتال تدرج على مراحل هي :

المرحلة الأولى :

مرحلة الإذن بالقتال بعد الهجرة من مكة إلى المدينة ، وتتجسد في قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : 39] .

المرحلة الثانية :

الأمر بالقتال ولكن بضوابط وتتجسد هذه المرحلة في قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال : 39] .

المرحلة الثالثة :

الأمر بالقتال العام ، قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ [التوبة : 36] .

طبيعة الحرب :

هل الحرب غريزة فطرية في البشر ؟

يرى ابن خلدون أن الإنسان والحيوان على السواء قد أمده الله تعالى بما يدافع عن نفسه ، ويرد العاديات عنه سواء من بني جنسه ، أو من خلافهم ، إلا أن الإنسان أضعف من كثير من المخلوقات ، ولكنه بعقله ، يمكن أن يصنع ويتكبر ما يجعله متفوقاً عليهم .

ربما اجتماع الناس وتكاتفهم فيه ضد أعدائهم ، لصون أرواحهم وبقاء نوعهم ، لكن اجتماعهم هذا يحتاج أيضاً إلى وازع يدفع بعضهم ؛ لما في طباعهم من العدوان والظلم هذا الوازع يتمثل في السلطان أو الحاكم (نظرية الحرب في الإسلام ، ص76 – 84) .

فهنا يبين هذا العالم الجليل : أن التدافع أمر طبيعي في الإنسان ، وهذا الأمر خاضع لتأثيرات البيئة من حوله عليه وعلى معاملاته وأخلاقه بحيث يكون لكل شخص أسلوبه وطريقته في تعامله مع الآخرين تختلف عن أساليب غيره من البشر ، فالإنسان مفطور على أن يكون خيراً أو شراً .

قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : 10] ، فالنجدين هما سبيلاً الخير والشر وظلم الناس (مفاتيح الغيب ، 167/31) وهنا يحصل التدافع بالخير والشر ، حينها لابد من دفع الشر بالخير من قبل البشر قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج : 40] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ لِلنَّاسِ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة : 251] .
 عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من مولود إلا يُولد على الفطرة فأبواه يهودونه أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء " ، ثم يقرأ أبو هريرة رضي الله عنه : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم : 20] (أخرجه مسلم في كتاب القدر ، 456/1)

إذاً الحرب ضرورة اجتماعية لحسم الصراع القائم بين الخير والشر ، إذا لم تُجد الوسائل السلمية في تقديم الحل الناجح ، فالإسلام لا يُقر إلا الحرب العادلة التي فيها خلاص النفوس حتى ترى النور ويتحقق الأمن والسلام والطمأنينة .

المبحث الثاني : الحرب مع المسلمين وغير المسلمين :

المطلب الأول : الحرب بين المسلمين (وقتل الفئة الباغية) .

المطلب الثاني : أسباب الحرب مع غير المسلمين .

الحرب بين المسلمين وقاتل الفئة الباغية :

إن من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ النفس ، لاسيما إن كانت هذه النفس مسلمة تدين بدين الإسلام وتوحد الله وتؤمن برسوله فقال ﷺ : " أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء " (أخرجه مسلم في صحيحه ، 304/3) ، فلا يجوز إهدار دمها أو القضاء قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعُضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : 93]

أما القتال وهو دفع العدوان والتصدي وكف الشر ، فللمسلم أن يدفعه ويرده إن كان دفاعاً عن نفسه وماله وعرضه ، ولو أدى ذلك إلى قتل المعتدي ، روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : " من قُتل دون ماله فهو شهيد " (أخرجه مسلم في صحيحه ، 124/1) .

وفي الحديث أيضاً أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي قال : لا تعطه ، قال : فإن أبي ، قال : قاتله ، قال " فإن قتلني ؟ قال : أنت في الجنة ، قال : فإن قتلته : قال هو في النار " (أخرجه مسلم في صحيحه ، 340/16) .

ولا تنشأ الحرب بين المسلمين سواء كانوا أفراداً أم جماعات إلا إذا دعت لذلك أسباب دوافع ، والأسباب لذلك كثيرة كرد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والعرض وأحياناً نتيجة نزاعات داخلية كالتي بين القبائل مثلاً لكن في كل الأحوال إن أبرز الأسباب ما كان متعلقاً بالبغي وإيقاف الظلم من طرف على طرف آخر .

وهذا ما اشتملت عليه سورة الحجرات وتحدثت عنه فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : 9] .

تبين أولاً سبب نزول هذه الآية حيث تعددت الروايات في سبب النزول ، إلا أن الراجح منها ما رواه قتادة والسدي أنها نزلت في فتنة بين الأوس والخزرج بسبب خصومة بين رجل وامرأته ، أحدهما

من الأوس والآخر من الخزرج ، انتصر لكل منهما قومه حتى تدافعا وتناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال والعصي فنزلت الآية ، فجاء النبي ﷺ فأصلح بينهما (التحرير والتنوير ، 239/26) .

والمراد من البغي هو : الظلم والاعتداء على حق الغير ، يقول ابن عاشور (المصدر السابق ، 240/26) : " وهو هنا مستعمل في معناه اللغوي وهو غير معناه الفقهي ، فالتبغي هي الطائفة الظالمة الخارجة عن الحق وإن لم تُقاتل ؛ لأن بغيها يُحمّل الطائفة المبغي عليها أن تدافع عن حقها

أما خروج فئة عن جماعة المسلمين فهو أشد وهذه الآية ليس محلها، ولكنها أصل له في التشريع.

يقول ابن كثير - رحمه الله - (تفسير القرآن العظيم ، 374/7) : هنا يأمر الله تعالى بالإصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم على بعض فسماهم مؤمنين مع الاقتتال .
تفسير الآية :

وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا فأصلحوا بينهما أيها المؤمنون بالدعاء إلى حكم الله والرضا بما في كتاب الله وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل ، فإن بغت إحداهما على الأخرى أي أبت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة على حكم كتاب الله ، وأجابت الأخرى منهما فقاتلتها التي تعتدي وتأتي الإجابة إلى حكم الله حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه ، فإن رجعت الفئة الباغية بعد قتالكم إياها إلى الرضا بحكم الله فأصلحوا بينهما بالعدل أي بالإنصاف وعدم الظلم أو الميل لطرفٍ على حساب الطرف الآخر (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، 292/22) .

وقتال الفئة الباغية هو لدفع البغي والاعتداء ، فإن اقتتل على البغي منهما جميعاً ، أصلح بينهما ، فإن لم يصطلحا وأقامتا على البغي قوتلت (التفسير المنير في العقيدة والشريعة ، 241/26)

وفي الآية دليل واضح على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الغمام أو على أحد من المسلمين ، وعلى إبطال قول من منع قتال المؤمنين محتجاً بحديث ابن مسعود : " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر " فلو كان قتال المؤمن الباغية كفر لكان الله تعالى قد أمر بالكفر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، هذا وقد قاتل أبو بكر الصديق ﷺ من تمسك بالإسلام وامتنع عن الزكاة (الجامع لأحكام القرآن ، 317/16) ، ويستفاد من هذه الآيات عدة فوائد منها :

- إن الله سماهم مؤمنين .
- إنه أوجب قتالهم .
- إنه أسقط قتالهم إذا رجعوا إلى الله تعالى .
- إنه أسقط عنهم التبعية فيما أتلّفوه في قتالهم .

أسباب الحرب مع غير المسلمين :

أساس العلاقة بين المسلمين ومخالفهم في الدين السلم ، فالإسلام يجنح للسلم لا للحرب ، ولا يُجيز قتل نفس لمجرد أنها تدين بغير الإسلام ، ولا يُبيح للمسلمين قتال مخالفهم في الدين وإنما يأذن في قتالهم ويوجبه لأسباب تطرأ من أبرز هذه الأسباب ، هو الاعتداء هنا يكون على المسلمين التعامل مع الموقف المعادي بما يصلح له من رد العدوان وكسره ، وتعتبر البلاد الإسلامية في حالة نفير عامة ، فيخرج الرجال وغيرهم القارون على الحرب ، ليتمكنوا من العيش وإقامة شعائر دينهم بأمان ، لأن العدو يخلق نوعاً من الفوضى والإرباك وعلى من جاورهم من المسلمين أن ينجدوا إخوانهم على رد هذا العدوان قال تعالى : ﴿ أَلَا تَفْقَاتُلُونَ قَوْمًا نَكُتُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُوُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَحْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : 13] (السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية ، ص79) .

ومن الأسباب أيضاً الوقوف في سبيل الدعوة الإسلامية ، فإذا وقف العدو حائلاً بين المسلمين ونشر الدعوة حينئذ يجب القتال ؛ دفعاً للعدوان ، وحماية للدعوة ، فإذا لم يكن هناك عدوان لا على المسلمين ولا على دعوتهم فلا يحل قتاله ، ولا تحرم معاملته ومبادلته المنافع فالنبي ﷺ لم يؤذن له في القتال لأنه طريق إلى الدين ، وإنما أذن فيه لحماية الدعوة من اعتداء المعتدين بدليل أن آيات القتال في القرآن جاءت في كثير من السور المكية والمدنية مبينة السبب الذي من أجله أذن في القتال ، وهو يرجع إلى الكفار في عهد النبي ﷺ سواء كانوا من المشركين أم من أهل الكتاب أمعنوا في إيذاء المسلمين بألوان العذاب فتنة لهم وابتلاء حتى يرجعوا من أسلم عن دينه ويتبسطوا من عزيمة من يريد الدخول في الإسلام (المصدر السابق ، ص79 - 83) .

وغايتهم هو إخماد الدعوة وسد الطريق في وجه الدعاة فأوجب الله تعالى على المسلمين أن يقاتلوا هؤلاء المعتدين دفاعاً لاعتدائهم حتى لا تكون فتنة فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة : 193] .

وبهذا يكون الأمان بين المسلمين ومخالفهم ثابت على أساس أن الأصل هو السلم ما لم يطرأ ما يهدم هذا الأساس وبناء على ذلك فالجهاد مشروع لحماية الدعوة الإسلامية، ودفع العدوان على المسلمين ، فمن لم يُحب الدعوة ولم يقاومها ولم يبدأ المسلمين باعتداء لا يحل قتاله ولا تبديل أمنه خوفاً.

في حين ذهب آخرون إلى أن غير المسلمين إذا دعوا على الإسلام وأقيمت لهزم دلائله الحقّة وأبليت معاذيرهم برفع الشبهات وإيضاح الآيات كان إصرارهم على خلافهم وإعراضهم عن الإسلام وآياته بمثابة إيدان المسلمين بالحرب فيجب على المسلمين أن يسوقوهم إلى الحق قسراً ماداموا لم يدعنوا له بالكلمة والموعظة الحسنة (السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية ، ص79) .

إلا أن النظر الصحيح يؤيد أنصار السلم القائلين بأن الإسلام أسس علاقات المسلمين بغيرهم على المسالمة والأمان لا على الحرب والقتال إلا إذا أريدوا بسوء لفتنتهم عن دينهم أو صدهم عن دعوتهم فحينئذ يفرض عليهم الجهاد دفاعاً للشر وحماية للدعوة وهذا بين في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة : 8 ، 9] .

الخاتمة.

في نهاية البحث يمكن إثبات النتائج التالية :

- إن السلم هو الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم .
- إن الحرب استثناء من الأصل العام ، ولا حرب إلا لمن حارب المسلمين على الأرجح ، أو وقف في طريق نشر الدعوة .
- لا إكراه في الدين ، إنما الحرب لإزالة العوائق لتبصير الناس بمحاسن الإسلام .
- إن تالله أوجب قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى الله تعالى .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية الغمام حفص عن عاصم .
- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 1997م .
- تاج العروس ، الزبيدي ، تح : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د.ت ، د.ط .
- التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية ، تونس ، ط 1984م .
- التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت ، د.ط .
- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تح : سامي سلامة ، دار طيبة النشر ، ط الثانية ، 1420هـ - 1999م .
- التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط الثانية ، 1418هـ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري ، تح : عبد الله التركي ، دار هجر للطباعة ، ط الأولى ، 1422هـ - 2001م .
- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، تح : احمد البردوني ، وإبراهيم اطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط الثانية ، 1384هـ .
- زاد المعاد ، لابن القيم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 27 ، 1415هـ - 1994م .
- سبل السلام من صحيح سيرة الأنام ، صالح طه ، مكتبة الغرباء ، الدار الأثرية ، ط الثانية ، 1428هـ .
- السياسة الشرعية ، أحمد بن تيمية ، تح : علي بن حسن وآخرون ، دار العاصمة ، السعودية ، ط الثانية ، 1419هـ - 1999م .
- السياسة الشرعية ، عبد الوهاب خلاف ، دار القلم ، ط 1408هـ .
- صحيح البخاري ، للإمام البخاري ، تح : مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة ، ط الثالثة ، 1407هـ - 1987م .
- صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت ، د.ط .
- القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، تح : مكتب تحقيق التراث ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثامنة ، 1426هـ - 2005م .
- القانون الدولي العام ، محمود سامي جنيبة ، د.ت ، د.ط .
- قواعد العلاقات الدولية ، جعفر عبد السلام ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، ط الأولى ، 1401هـ - 1981م .
- مبادئ القانون الدولي العام ، إحسان هندي ، دار الجيل ، ط الأولى ، 1948م .
- المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي المقري ، المكتبة العصرية ، د.ت ، د.ط .
- معجم مفردات القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تح : نديم مرعشلي ، دار الفكر ، د.ت ، د.ط .
- مفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط الثالثة ، 1420هـ .
- نظرية الحرب في الإسلام ، ضوء مفتاح غمق ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ط الأولى ، 1426هـ .

بيع السلم دراسة فقهية مقارنة

د. محمد يوسف عمر

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
drmylibya@gmail.com

ملخص البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من بعثه ربه رحمة للعالمين، وبعد:

علمنا من خلال بحثنا إن عقد السلم مما تدعو إليه الحاجة، ومن هنا كان في إباحته رفع للحرَج عن الناس، فالمزارع مثلاً قد لا يكون عنده المال الذي ينفقه في إصلاح أرضه وتعهده زرعها إلى أن يدرك، ولا يجد من يقرضه ما يحتاج إليه من المال، ولذلك فهو في حاجة إلى نوع من المعاملة يتمكّن بها من الحصول على ما يحتاج إليه من المال، وإلا فاتت عليه مصلحة استثمار أرضه، وكان في حرج ومشقة وعنت، فمن أجل ذلك أبيع السلم.

كما أنه يمكن تطبيق عقد السلم في تمويل الحرفيين وصغار المنتجين الزراعيين والصناعيين عن طريق إمدادهم بمستلزمات الإنتاج في صورة معدات وآلات أو مواد أولية كرأس مال سلم مقابل الحصول على بعض منتجاتهم وإعادة تسويقها.

هذا وبالله التوفيق.

Research Summary

Praise be to God alone, and prayers and SALM be upon whomever his Lord sent as a mercy to the worlds, and after:

Through our research, we learned that the SALM contract is something that is needed, and from here its permissibility lifted people's embarrassment, so the farmer, for example, may not have the money that he spends in repairing his land and undertaking his cultivation until it is realized, and he does not find someone to lend him what he needs of money. Therefore, he is in need of a kind of treatment that enables him to obtain what he needs of money, otherwise he misses out on the interest of investing his land, and he was in hardship and hardship, and for that reason Islam was permitted.

The SALM contract can also be applied in financing artisans and small agricultural and industrial producers by providing them with production requirements in the form of equipment, machinery or raw materials as salam capital in return for obtaining some of their products and re-marketing them.

This, and reconcile with God.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فقد شاءت إرادة الله سبحانه أن تكون شريعته سمحة سهلة، أقامها الله سبحانه على قواعد وأصول راعت مصلحة الخلق في كل شؤون حياتهم، فهذه الشريعة قامت على أساس رعاية مصالح العباد ورفع الحرج عنهم، فشرعت لهم الرخص الشرعية؛ لتراعي فيها ما قد يطرأ على المكلفين من حاجات، وما يحتاجون إليه في حياتهم من معاملات، والتي جاءت على خلاف الأصول، ومنها بيع السلم والذي جاء استثناءً من بيع الدين بالدين والذي نهت عنه هذه الشريعة، ومن القواعد العامة أن الحاجة تنزل منزل الضرورة عامة كانت أو خاصة، ولذا أجاز الفقهاء بيع السلم مع كونه بيع المعلوم دفعًا لحاجة المفلسين، وقد أجمع العلماء على أن إباحة السلم كانت لحاجة الناس إليه، وهكذا فقد اعتمد العلماء على السلم وعلى أمثاله من نصوص الشريعة في إباحة الحاجات التي لا تتم مصالح الناس في معاشهم إلا بها.

أما في وقتنا الحاضر فيمكن القول: أن عقد السلم يصلح لتمويل عمليات زراعية مختلفة حيث يمكن أن يتعامل المصرف مع المزارعين الذين يتوقع أن توجد لديهم السلعة في الموسم من محاصيلهم أو محاصيل غيرهم التي يمكن أن يشتروها ويسلموها إذا أخفقوا في التسليم من محاصيلهم فيقدم لهم بهذا التمويل نفعًا بالغًا ويدفع عنهم مشقة العجز المالي عن تحقيق إنتاجهم.

ويمكن استخدام عقد السلم في تمويل النشاط الزراعي والصناعي ولا سيما تمويل المراحل السابقة لإنتاج وتصدير السلع والمنتجات الرائجة وذلك بشرائها سلمًا وإعادة تسويقها بأسعار مجزية.

ويمكن أيضًا تطبيق عقد السلم في تمويل الحرفيين وصغار المنتجين الزراعيين والصناعيين عن طريق إمدادهم بمستلزمات الإنتاج في صورة معدات وآلات أو مواد أولية ك رأس مال سلم مقابل الحصول على بعض منتجاتهم وإعادة تسويقها.

ولذلك رأيت أنه من المهم دراسة عقد السلم كي نفق على أهميته وما كان للفقهاء فيه من شروط وأحكام، فجاء عنوان بحثنا موسومًا بـ " بيع السلم دراسة فقهية مقارنة " .

وكانت خطة البحث فيه على النحو التالي .

المبحث الأول: السلم لغة واصطلاحًا وأدلته.

المطلب الأول: تعريف السلم.

المطلب الثاني: الأدلة على جواز السلم.

المبحث الثاني: شروط السلم والأحكام المترتبة عليه.

المطلب الأول: شروط السلم.

المطلب الثاني: الأحكام المترتبة على عقد السلم.

وأما الخاتمة فتناولت فيها أهم النتائج التي استفدتها من كتابة هذا البحث.

وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وهو ولي التوفيق.

المبحث الأول: السلم لغة واصطلاحًا وأدلته.

المطلب الأول: تعريف السلم.

أولاً: في اللغة:

يقال: سَلِمَ الْجِدْلُ يَسْلِمُهُ: دَبَعَهُ بِالسَّلْمِ، وَالذَّلْوُ: فَرَعٌ مِنْ عَمَلِهَا، وَأَحْكَمَهَا.

وَسَلِمَ مِنَ الْآفَةِ، بِالْكَسْرِ، سَلَامَةً، وَسَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا تَسْلِيمًا.

السلم والسلف بمعنى واحد، والسَّلْفُ: الْقَرْضُ، وَالْفِعْلُ أَسْلَفْتُ، يُقَالُ: سَلَفْتُ مَالًا، أَي: أَقْرَضْتَهُ.

وَكُلُّ مَالٍ قَدَّمْتَهُ فِي ثَمَنِ سِلْعَةٍ مضمونة اشتريتها بصفة فهو سَلَفٌ وَسَلَمٌ.

يُقَالُ: سَلَفْتُ وَأَسْلَفْتُ وَأَسْلَمْتُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ عَوَامُّ النَّاسِ عِنْدَنَا السَّلْمَ.

وَالسَّلْفُ فِي الْمَعَامَلَاتِ لَهُ مَعْنَانِ: أَحَدُهُمَا الْقَرْضُ الَّذِي لَا مَنَفَعَةَ لِلْمُقْرِضِ فِيهِ وَعَلَى الْمُقْرِضِ

رَدُّهُ كَمَا أَخَذَهُ، وَالْعَرَبُ تَسَمِّيهِ السَّلْفَ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي فِي السَّلْفِ: السَّلْمُ وَهُوَ فِي الْمَعْنَيْنِ مَعًا اسْمٌ

مِنْ أَسْلَفْتُ، وَكَذَلِكَ السَّلْمُ اسْمٌ مِنْ أَسْلَمْتُ.

ويقال: أسلّمت إليه في كذا وكذا وسلّمت وهو السّلم وتسلمته مني: قبضه وكذلك أسلّفت وسلّفت: وهو السّلف.

وفي حديث ابن عمر: " أنه كان يكره أن يقال: السّلم بمعنى السّلف، ويقول: الإسلام لله عزّ وجلّ ". (الخطابى، 1982م، 1 / 665).

كأنّه ضنّ بالإسم الذي هو موضع الطاعة والالتقياد لله عزّ وجلّ عن أن يُسمّى به غيره، وأن يُستعمل في غير طاعة [الله] ، ويذهب به إلى معنى السّلف، وهذا من الإخلاص من باب لطيف المسنك.

(و) السّلم: (الاستيلاء) والاستيحاء والالتقياد، ومنه قوله تعالى: { وألقوا إليكم السّلم } [النساء: 90]، أي: الالتقياد، وهو مصدر يقع على الواحد والثنى والجمع.

السّلم: شجر من العضاة وورقها القرظ الذي يدبغ به الأديم، وبه سمّي الرّجل سلّمة، ويجمع على سلّمات. (ينظر: الأزهرى، 2001م، 12 / 299، وابن سيده، 1996م، 3 / 442، وابن منظور، 1414هـ، 12 / 296، والفيروز آبادي، 1426هـ، ص 1122، والزبيدي، 32 / 372).

فمن المعنى اللغوي علمنا أن السلم والسلف بمعنى واحد، غير أن السلف يستعمل أكثر في القرض.

ثانياً: في الاصطلاح:

اتفقت تعريفات الفقهاء في تعريفهم للسلم حيث يمكن القول بأنهم عرفوا السلم بأنه: دفع مال مقدماً في سلعة موصوفة في الذمة إلى أجل. وهذه أشهر تعريفاتهم من خلال كتبهم:

أولاً: عند الأحناف:

عرف الأحناف السلم بعدة تعريفات وكلها بمعنى واحد حيث قالوا: السلم هو: " أخذ عاجل بأجل، وهو: نوع بيع لمبادلة المال بالمال اختص باسم؛ لاختصاصه بحكم يدل الاسم عليه وهو تعجيل أحد البديلين وتأخير الآخر كالصرف ". (السرخسي، 1993م، 12 / 124).

أو هو: " كل شيء عرفته صفته وقرب تفاوته يجوز فيه السلم، وكل شيء جهلت صفته وبعد تفاوته لا يجوز فيه السلم.

وبلفظ آخر: كل موجود مقدور عليه من حين عقده الى حين حله يجوز فيه السلم وكل شيء لم يكن موجوداً ولا مقدوراً من حيث عقده الى حين حله لا يجوز فيه السلم". (السغدري، 1984م، 456 /1).

وهو: " اسم لعقد يوجب الملك في الثمن عاجلاً وفي الثمن آجلاً، وسمي به لما فيه من وجوب تقديم الثمن". (ابن مودود، 1356هـ، 2 /33).

وهو: " بمعنى السلف لغة، فإنه أخذ عاجل بإجل". (الزيلعي، 1313هـ، 4 /110).

ثانياً: عند المالكية:

عرف ابن عرفة السلم بأنه: " عقد معاوضة يوجب عمارة ذممة بغير عين ولا منفعة غير متماتل العوضين". (الورغمي، 2014م، 6 /230).

فيخرج بهذا التعريف: شراء الدين وإن مائل حكمه حكمه؛ لأنه لا يصدق عليه عرفاً والمختلغان بجواز اشتراكهما في شيء واحد والكراء المضمون والقرض ولا يدخل إتلاف المثلي غير عين ولا هبة غير معين. (الحطاب، 1992م، 4 /514).

وهو والسلف واحد في أن كلا منهما إثبات مال في الذمة مبذول في الحال، ولذا قال القرافي: " سمي سلماً؛ لتسليم الثمن دون عوضه، ولذلك سمي سلفاً، ومنه الصحابة سلف صالح لتقدمهم". (القرافي، 1994م، 5 /223).

فالسلم هو: بيع يتقدم فيه رأس المال ويتأخر الثمن لأجل.

وقال الشيخ الدردير: " السلم حقيقته: بيع شيء موصوف من طعام أو عرض أو حيوان أو غير ذلك مما يوصف، وخرج المعين فبيعه ليس بسلم". (الصاوي، 3 /261).

ثالثاً: عند الشافعية:

عرف الإمام النووي السلم بقوله: " السلم والسلف، وألفظة السلف تطلق أيضاً: على القرض، ويشترك السلم والقرض في أن كلا منهما: إثبات مال في الذمة بمبذول في الحال، ودكروا في تفسير السلم عبارات متقاربة، منها: أنه عقد على موصوف في الذمة ببدل يعطى عاجلاً، وقيل: إسلام عوض

حاضرٍ في مَوْصُوفٍ فِي الدِّمَّةِ، وَقِيلَ: إِسْلَافٌ عَاجِلٌ فِي عَوْضٍ لَا يَجِبُ تَعَجُّيْلُهُ". (النووي، 1991م، 3/4).

ثم قال: " وفي الاصطلاح الفقهي: السلم أن يسلم عوضًا حاضرًا في عوض موصوف في الذمة إلى أجل، ويسمى سلمًا وسلفًا وهذا السلف يهمز ويجرد فيقال: أسلف وسلف، وهو نوع من البيع ينعقد بما ينعقد به البيع، ويعتبر فيه من الشروط ما يعتبر في البيع". (النووي، 13/94).

رابعًا: عند الحنابلة:

لم يختلف تعريف الحنابلة للسلم عن تعريف الشافعية حيث قال ابن قدامة: " السلم: أن يسلم عينًا حاضرةً في عوض موصوفٍ في الذمة إلى أجل، وهو نوع من البيع ينعقد بلفظ البيع والسلف". (ابن قدامة، 1994م، 2/62).

وقال في المغني: " السلم وهو: أن يسلم عوضًا حاضرًا، في عوض موصوف في الذمة إلى أجل، ويسمى سلمًا، وسلفًا، يقال: أسلم، وأسلف، وسلف". (ابن قدامة، 1968م، 4/207).

ثالثًا: حكمة مشروعية السلم:

إن عقد السلم مما تدعو إليه الحاجة، ومن هنا كان في إباحته رفع للحرج عن الناس، فالمزارع مثلا قد لا يكون عنده المال الذي ينفقه في إصلاح أرضه وتعهده زرعها إلى أن يدرك، ولا يجد من يقرضه ما يحتاج إليه من المال، ولذلك فهو في حاجة إلى نوع من المعاملة يتمكن بها من الحصول على ما يحتاج إليه من المال، وإلا فاتت عليه مصلحة استثمار أرضه، وكان في حرج ومشقة وعنت، فمن أجل ذلك أباح السلم. (الموسوعة الكويتية، 1404هـ، 25/194).

وقد أشار إلى هذه الحكمة ابن قدامة في المغني حيث قال: " ولأن المثلث في البيع أحد عوضي العقد، فجاز أن يثبت في الذمة كالمثلث، ولأن بالناس حاجة إليه؛ لأن أرباب الزروع والثمار والتجار يحتاجون إلى النفقة على أنفسهم وعليها لتكامل، وقد تعوزهم النفقة، فجاز لهم السلم ليرتفقوا ويرتفق المسلم بالاسترخاص". (ابن قدامة، 4/207).

المطلب الثاني: الأدلة على جواز السلم.

اتفق الفقهاء على جواز السلم وأنه رخصة، واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة وإجماع العلماء.

أولًا: الكتاب.

السلم في الدِّمَّة فإنه جائز في كل ما تضبطه الصفة والأصل في جواز ذلك قوله تعالى: { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا }، [البقرة: 275] أخذ بعض العلماء من عموم الآية جواز السلم؛ باعتبار السلم نوعاً من البيع. (الديبان، 1432هـ، 8/ 24).

وقوله: { إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ }، [البقرة: 282]، فدل ذلك على أن من التجارات ما لا يكون حاضراً. (عبد الوهاب بن علي، 2/ 983).

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ }، [البقرة: 282]، قال ابن عباس: هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي السَّلْمِ خَاصَّةً، مَعْنَاهُ أَنَّ سَلَّمَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ كَانَ سَبَبَ الْآيَةِ، ثُمَّ هِيَ تَتَنَاوَلُ جَمِيعَ الْمَدَائِنَاتِ إِجْمَاعًا. (القرطبي، 1964م، 3/ 377).

ثانياً: من السنة.

ما وروي: أنه - صلى الله عليه وسلم - ((نَهَى عَنِ بَيْعِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ، وَأَرْخَصَ فِي السَّلْمِ)) . (الجزء الأول من الأول من الحديث أخرجه الترمذي، كتاب - البيوع، باب - ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك، حديث رقم 1234، 1998م، 2/ 526، والجزء الثاني من الحديث وهو: ((وَأَرْخَصَ فِي السَّلْمِ))، لم أفد عليه).

قال السرخسي: ففي هذا دليل أنه جوزه للحاجة مع قيام السبب المعجز له عن التسليم وهو عدم وجوده في ملكه ولكن بطريق إقامة الأجل مقام الوجود في ملكه رخصة؛ لأن الوجود في ملكه يقدر على التسليم وبالأجل كذلك فإنه يقدر على التسليم إما بالتكسب في المدة أو مجيء أوان الحصاد في الطعام. (12/ 124).

وروي عن ابن عباس، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ، وَهُمْ يُسَلِّفُونَ فِي التَّمَارِ السَّنَةَ وَالسَّنَتَيْنِ، فَقَالَ: ((مَنْ أَسْلَفَ فِي تَمْرٍ، فَلْيُسَلِّفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ)) . (البخاري، كتاب - البيوع، باب - السلم في وزن معلوم، حديث رقم 2240، 1422هـ، 3/ 85، ومسلم في اللفظ له، كتاب - المساقاة، باب - السلم، حديث رقم 1604، 3/ 1226).

وهذا نص في جوازه، ولا خلاف فيه.

كما روى البخاري بإسناده من طريق شعبة، عن ابن أبي المجالد قال: اِخْتَلَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ، وَأَبُو بُرْدَةَ فِي السَّلْفِ، فَبَعَثُونِي إِلَى ابْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: ((إِنَّا كُنَّا

نُسِلِفُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ فِي الْحَنْظَلَةِ، وَالشَّعِيرِ، وَالزَّيْبِ، وَالتَّمْرِ))، وَسَأَلْتُ ابْنَ أَبِيزَيٍّ، فَقَالَ: مِثْلُ ذَلِكَ. (كتاب - السلم، باب - السلم في وَزْنِ مَعْلُومٍ، حديث رقم 2242، 85/3).

ثالثًا: الإجماع.

اتَّفَقَ الفقهاء بلا خلاف بينهم على جَوَازِ السَّلْمِ الْمُؤَجَّلِ، وَهُوَ بِمَعْنَى السَّلْفِ. (ابن هبيرة، 2002م، 408/1).

وقال الإمام الشافعي: " وَالسَّلْفُ بِالصِّفَةِ وَالْأَجَلِ مَا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ حُفِظَتْ عَنْهُ ". (الشافعي، 1990م، 94/3).

ويرى بعض الفقهاء أن السلم قد شرع على خلاف القياس إذ هو من بيع المعدوم، ورخص في السلم وعليه الإجماع، ويسمى بيع المفاليس شرع لحاجتهم إلى رأس المال، لأن أغلب من يعقده من لا يكون المسلم فيه في ملكه؛ لأنه لو كان في ملكه يبيعه بأوفر الثمنين فلا يحتاج إلى السلم، وينعقد بلفظ السلم. (ابن مودود، 34/2).

وبيع ما ليس عند الإنسان غير جائز ولكنه أجاز استثناء للنص، والإجماع على جوازه. ويرى البعض الآخر ومنهم ابن تيمية وابن القيم أن السلم مشروع على وفق قواعد الشريعة ويقتضيه القياس إذ أن المثلث في البيع أحد عوضي العقد فجاز أن يثبت في الذمة كالثمن، كما أن من مصلحة البائع قبض الثمن معجلًا؛ ليصلح به زراعته وتجارته وللنفقة على نفسه، ومن مصلحة المشتري الحصول على الثمرة رخيصة مقابل الأجل قبل قبض المبيع، وليس ذلك من قبيل بيع المعدوم. قال ابن تيمية: " فإباحة هذا على وفق القياس لا على خلافه. (ابن تيمية، 1416هـ، 20/530).

وقال ابن القيم: " وأما السلم فمن ظن أنه على خلاف القياس توهم، والصواب أنه على وفق القياس، فإنه بيع مضمون في الذمة موصوف مقدور على تسليمه غالبًا، وهو كالمعاوضة على المنافع في الإجارة ". (ابن القيم، 1991م، 301/1).

ويمكن القول أن حاجة الناس إلى جواز السلم ملحة، والشريعة إنما جاءت لتلبية حاجة الناس فيما لا ظلم فيه، فأرباب الثمار وأصحاب الصناعات ربما احتاجوا إلى السيولة النقدية لتمويل مشاريعهم، وإكمالها، وإصلاح ثمارهم، وربما أعوزتهم النفقة، فجوز لهم السلم؛ ليرتفقوا بذلك، ويرتفق

به من لديه فائض مالي يبحث عن استثماره وذلك في حصوله على سلع بسعر رخيص، سواء كانت حاجته للسلع للتجارة، أو للاستهلاك. (ينظر: الديان، 8 / 27).

المبحث الثاني: شروط السلم والأحكام المترتبة عليه.

المطلب الأول: شروط السلم.

ذهب الفقهاء إلى أن للسلم شروطاً لا بد من توافرها أثناء العقد منها ما هو محل اتفاق، ومنها ما هو محل خلاف بينهم، ومن هذه الشروط:

1- أن يكون رأس المال معلوماً.

لا خلاف بين الفقهاء في أنه يشترط في رأس المال أن يكون معلوماً، وذلك لأنه بدل في عقد معاوضة مالية، فلا بد من كونه معلوماً، كسائر عقود المعاوضات. (الموسوعة الكويتية، 25 / 201).

2- أن يكون في الذمة لئلاً يكون بيعاً معيناً إلى أجل.

وحقيقة الذمة: أمر تقديري يفرضه الذهن وليس بذات ولا صفة لها، فيقدر المبيع وما في معناه كأنه في وعاء عند من هو مطلوب به، فالذمة هي الأمر التقديري الذي يجري ذلك المبيع أو عوضه مجراه. (الجندي، 2008م، 6 / 30).

ولا خلاف بين الفقهاء في أنه يشترط أن يكون رأس المال معلوماً، وذلك لأنه بدل في عقد معاوضة مالية، فلا بد من كونه معلوماً كسائر عقود المعاوضات.

إلا أن رأس المال تارة يكون معيناً عند العقد، كأن يكون حاضراً مشاهدًا، ثم يقع العقد على عينه، وتارة يكون موصوفاً في الذمة، ثم يعين في مجلس العقد عند التسليم، وقبل التفرق. (الديان، 8 / 81).

فإن كان موصوفاً في الذمة فقد قال ابن قدامة: " ولا خلاف في اشتراط معرفة صفته، إذا كان في الذمة؛ لأنه أحد عوضي السلم ". (ابن قدامة، 1968م، 4 / 225).

وإذا كان لا بد من معرفة صفته، فقد نص الحنفية على أن الصفة يجب بيانها بأمر:

أن يكون رأس المال مدفوعاً قبل الافتراق وفي قول أبي يوسف ومحمد وأبي عبد الله شرائطه ستة أشياء. (السغدي، 1/ 459).

منها بيان الجنس، كقولنا: دراهم، أو دنانير، أو حنطة، أو تمر، وهكذا.

ومنهما بيان النوع كأن يقول: تمر برني، أو سكري، ونحو ذلك.

ومنهما بيان الصفة: كقولك: جيد، وسط، رديء.

وعملوا ذلك بأن جهالة الجنس، والنوع، والصفة مفضية إلى المنازعة، ومانعة من صحة البيع، فإن قبل الطرف الآخر وجب تعيين رأس المال في مجلس العقد، وتسليمه إليه وفاء بالعقد. (ينظر: الكاساني، 1406هـ، 1986م، 5/ 201، والخرخشي، 5/ 202، والنووي، 4/ 6، والبهوتي، 3/ 292).

3- تسليم رأس المال في مجلس العقد.

اتفق الجمهور من الحنفية والشافعية والحنابلة أن رأس المال لا بد أن يكون حاضرًا بمجلس العقد، قال الكاساني: " أن يكون مقبوضًا في مجلس السلم؛ لأن المسلم فيه دين، والافتراق لا عن قبض رأس المال يكون افتراقًا عن دين بدين، وإنه منهي عنه لما روي أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((نَهَى عَنْ بَيْعِ الْكَالِيِّ بِالْكَالِيِّ)) . (أخرجه الحاكم، كتاب - البيوع، حديث رقم 2342، 1411هـ، 1990م، 2/ 65).

أي: النَّسِيئَةَ بِالنَّسِيئَةِ " . (بدائع الصنائع، 5/ 202).

ووافق الشافعية الأحناف بأنه لو تأخر القبض عن مجلس العقد كان في معنى بيع الكالئ بالكالئ؛ لأن تأخير التسليم نازل منزلة الدينية في الصرف وغيره. (الرافعي، 9/ 208، 209).
فَلَوْ تَقَرَّقَا قَبْلَ قَبْضِهِ، بَطَلَ الْعَقْدُ، وَلَوْ تَقَرَّقَا قَبْلَ قَبْضِ بَعْضِهِ، بَطَلَ فِيمَا لَمْ يُقْبَضْ، وَسَقَطَ بِقِسْطِهِ مِنَ الْمُسْلَمِ فِيهِ. (النووي، 4/ 3).

كما قال الحنابلة لا يجوز تأخير رأس مال السلم عن مجلس العقد؛ لأنه عقد معاوضة لا يجوز فيه شرط تأخير العوض المطلق. (ابن قدامة، 4/ 334).

وذهب المالكية إلى القول بجواز تأخير رأس المال عن مجلس العقد اليومين والثلاث، ويُمنع به أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. (ينظر: ابن عرفة الدسوقي، 3/ 195).

ولكن إن كان التأخير من غير شرط جاز بأكثر من ثلاث، كالشهر، حيث جاء في التوضيح: وإنما يجوز التأخير إلى اليومين والثلاثة على المشهور، وإن تأخر رأس المال أكثر من ثلاثة أيام من غير شرط فيجوز أيضاً. (ينظر: خليل، 4/6).

4- أن يكون البيع معلوماً كميلاً أو وزناً أو عدداً إلى أجلٍ معلوم.

معرفة مقدار المسلم فيه من الشروط المتفق عليها عند الفقهاء؛ لأن السلم متعلق بالذمة، وما تعلق بالذمة يستحيل أن يكون جزافاً غير مقدر؛ لأن ما في الذمة لا يمكن معرفته إلا بالتقدير، بخلاف غيره، فإنه يمكن معرفته عن طريق الإشارة والتعيين. (الديبان، 8/127).

قال ابن قدامة: " ولا نعلم في اعتبار معرفة المقدار خلافاً ". (ابن قدامة، 1968، 4/216).

حيث قال الأحناف: أن يكون (المسلم فيه) معلوم القدر بالكيل أو الوزن أو العد أو الذرع؛ لأن جهالة النوع، والجنس، والصفة، والقدر جهالة مفضية إلى المنازعة وأنها مفسدة للعقد. (الكاساني، 5/207).

وقال المالكية أن من شروط السلم: " أن يكون مقدراً بكيل معلوم أو وزن معلوم أو عدد أو ذرع أو غير ذلك من المقادير التي تعتبر في ذلك النوع ". (عبد الوهاب علي، 1/983).

وقال الشافعية: يُشْتَرَطُ كَوْنُهُ أَيْ: الْمُسْلَمُ فِيهِ مَعْلُومٌ الْقَدْرُ كَيْلًا فِيمَا يُوزَنُ، أَوْ عَدًّا، فِيمَا يُعَدُّ كَالْحَيَوَانَ وَاللَّبَنِ، أَوْ ذَرْعًا، فِيمَا يُدْرَعُ، أَوْ عَدًّا وَذَرْعًا، فِيمَا يُعَدُّ وَيُدْرَعُ كَبُسْطٍ، وَيَصِحُّ فِي الْمَكِيلِ وَزَنًا وَعَكْسُهُ إِنْ عُدَّ الْكَيْلُ ضَابِطًا فِيهِ ". (الهيثمي، 1983م، 5/15).

وقال الحنابلة: " أن يقدر المسلم فيه: بكيل معلوم عند العامة، إن كان مما يكال، أو يوزن كذلك إن كان مما يوزن، أو بعدد، أو ذرع كذلك، قياساً على ما تقدم؛ ولأنه عوض ثبت في الذمة، فاشترط معرفة قدره كالثمن، ولا يتعين ما عيناه من كيل العامة، ونحوه على المذهب، لعدم الفائدة في ذلك ". (الزركشي، 1993م، 4/8).

وفي المذروع عندهم روايتان حيث قالوا: " وَأَمَّا الْمَذْرُوعُ: فَالصَّحِيحُ مِنَ الْمَذْهَبِ: صِحَّةُ السَّلْمِ فِيهِ، كَمَا قَالَ الْمُصَنِّفُ، وَعَلَيْهِ الْأَصْحَابُ.

وَعَنْهُ لَا يَصِحُّ السَّلْمُ فِيهِ. ذَكَرَهَا إِسْمَاعِيلُ فِي الطَّرِيقَةِ ". (المرادوي، 5/85، 86).

أما السلم في المعدودات المتماثلة فقليل: يجوز، وهو مذهب الأئمة الأربعة في الجملة.
قال في البحر: " وَيَصِحُّ فِي الْعَدَدِيِّ الْمُتَقَارِبِ كَالْبَيْضِ وَالْحُجْرِ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ مَضْبُوطٌ
مَقْدُورٌ التَّسْلِيمِ وَمَا فِيهِ مِنَ التَّفَاوُتِ مُهَدَّرٌ عُرْفًا وَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ عَدَدًا". (ابن نجيم، 6/169).

5- تعيين مكان تسليم السلم.

لما كان تسليم المسلم فيه مؤجلاً، وقد يعقد العاقدان عقد السلم في مكان ليس بلدهما الأصلي، فهل يشترط تعيين مكان الوفاء؟.

اختلف الفقهاء في هذه المسألة إلى أقوال:

القول الأول:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجب على العاقدين تعيين مكان التسليم سواء أكان التسليم يحتاج إلى مئونة أم لا، ويكون موضع العقد هو موضع التسليم، فإن كان لا يصلح للتسليم كالبحر والصحراء فإن الوفاء يتعلق بأقرب الأماكن إلى موضع العقد.

وهو اختيار أبي يوسف، ومحمد بن الحسن من الحنفية، والمذهب عند المالكية، وقول في مذهب الشافعية، واختاره القاضي أبو يعلى من الحنابلة، إلا أن المالكية قالوا يفضل تعيين المكان، ولا يجب.

فقد جاء في البدائع: " بيان مكان إيفائه ليس بشرط عند أبو يوسف ومحمد بن الحسن خلافاً لأبي حنيفة، ومنهم من فرق فقال: إذا كان حالاً يتعين مكان العقد للتسليم بالإجماع، وحاصل الاختلاف راجع إلى مكان العقد ". (الكاساني، 5/ 213).

وقال المالكية: ولا يلزم المسلم إليه دفع المسلم فيه بغير محله ولو خف حمله إلى المسلم إذا طلبه ويريد إلا العين وعكس هذا إذا طلب المسلم إليه أن يدفع المسلم فيه إلى المسلم، وهو كذلك. (الحطاب، 4/ 544).

وذهب الشافعية في أحد قوليهما إلى أنه لا يجب تعيين مكان التسليم بل يحمل على موضع العقد. (ينظر: النووي، 13/ 142).

وقال الحنابلة: وَلَا يُشْتَرَطُ دَكْرُ مَكَانِ الْإِيْفَاءِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَوْضِعَ الْعُقْدِ لَا يُمَكِّنُ الْوَفَاءَ فِيهِ؛ كَالْبَرِّيَّةِ، فَيُشْتَرَطُ دَكْرُهُ، وَإِذَا كَانَ مَوْضِعَ الْعُقْدِ يُمَكِّنُ الْوَفَاءَ فِيهِ لَمْ يُشْتَرَطْ دَكْرُ مَكَانِ الْإِيْفَاءِ، وَيَكُونُ

الْوَفَاءُ فِي مَوْضِعِ الْعَقْدِ وَقَالَ الْقَاضِي: لَا يُشْتَرَطُ ذِكْرُهُ، وَيُؤَفَّقُ بِالْقُرْبِ الْأَمَّاكِنِ إِلَى مَكَانِ الْعَقْدِ. (المرداوي، 5/ 107).

القول الثاني:

إن كان في التسليم مؤنة فيجب تعيين مكان التسليم وبه قال أبو حنيفة والشافعية، ووافقهم الحنابلة فيما إذا كان موضع العقد لا يصلح للتسليم.

قال في التحفة: بَيَّان مَكَانِ الْإِيْقَاءِ فِيمَا لَهُ حَمْلٌ وَمُؤْنَةٌ كَالْحَنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَعَظِيمًا فَإِنَّهُ شَرْطٌ لَجَوَازِ السَّلْمِ حَتَّى لَوْ تَرَكَ لَمْ يَجْزِ السَّلْمُ فِي قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ. (السمرقندي، 1994م، 2/ 13).
وجاء في البيان قوله: " وأما بيان موضع القبض: فهل يشترط ذلك في صحة السلم؟، قال في الأم: لا بدّ من ذكره، وقال في موضع: يستحب.

واختلف أصحابنا فيه:

فمنهم من قال: هي على حالين:

فحيث قال: لا بدّ من ذكره أراد: إذا كان السلم في موضع لا يصلح للتسليم، وذلك كالصحراء أو البادية.

الحال الأولى: إذا كان التسليم لحمله مؤنة، فيجب ذكر مكان الإيقاء، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة أيضًا.

الحال الثانية: إذا كان موضع العقد لا يصلح للتسليم ". (العمراني، 2000م، 5/ 432).
ووافق الحنابلة الشافعية فيما إذا كان موضع العقد لا يصلح للتسليم، كالصحراء، والبحر، فيجب عندهم ذكر مكان الإيقاء. (ينظر: المرداوي، 5/ 107).

6- أن يكون المسلم فيه مؤجلًا.

اشترط جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة لصحة السلم أن يكون المسلم فيه مؤجلًا فلا يصح السلم الحال.

وحجتهم: أن السلم جوز رخصة للرفق، ولا يحصل الرفق إلا بالأجل، فإذا انتفى الأجل انتفى الرفق، وذلك لأن المسلف يرغب في تقديم الثمن لاسترخاض المسلم فيه، والمسلم إليه يرغب فيه لموضع النسيئة، وإذا لم يشترط الأجل زال هذا المعنى. (ينظر: الموسوعة الكويتية، 25/ 212).

فقال الأحناف: " ولا يجوز إلا بأجل معلوم إذا ثبت اشتراط الأجل في السلم لا بد من كونه معلوما بما رويناه؛ وبالمعقول وهو أن الجهالة مفضية إلى المنازعة كما في البيع، فهذا يطالبه بمدة قريبة وذلك يؤديه في بيعها ". (المرغيناني، 87 / 7).

وقال القاضي عبد الوهاب من المالكية: " الصحيح من المذهب أنه لا يجوز السلم الحال، خلافاً للشافعي؛ ولأن السلم إنما جوز ارتفاعاً للمتعاقدين؛ لأن المسلم يقدم الثمن للارتخاص، والمسلم إليه يرغب في ارتخاص الثمن للرفق الذي له في استعجال الانتفاع به وفي الصبر والتأخير، وإذا زال الرفق زال الجواز فكان كالقرض لما كان للرفق بالمقترض كان ما أخرجه عن ذلك يطله؛ ولأن السلم مشتق من اسمه الذي هو السلف، وهو أن يتقدم رأس المال ويتأخر المسلم فيه، فوجب منع ما أخرجه عن ذلك؛ ولأنه بدل في السلم فوجب أن يقع على وجه واحد اعتباراً برأس المال ". (القاضي عبد الوهاب، 1999م، 2 / 567).

وقال الحنابلة: أنه يشترط لصحة السلم كونه مؤجلاً، ولا يصح السلم الحال، قال أحمد: لا يصح حتى يشترط الأجل.

ولأن الحلول يخرج عن اسمه ومعناه، أما الاسم فلأنه يسمى سلماً وسلماً؛ لتعجل أحد العوضين وتأخر الآخر، ومعناه أن الشارع أرخص فيه للحاجة الداعية. (ينظر: ابن قدامة، 4 / 218).

وذهب الشافعية إلى القول بجواز الأجل الحال.

قَالَ الإمام الشَّافِعِيُّ: " فَإِذَا أَجَّازَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْعَ الطَّعَامِ بِصِفَةٍ إِلَى أَجَلٍ كَانَ - وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ - بَيْعُ الطَّعَامِ بِصِفَةٍ حَالًا أَوْ جَوْزًا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْبَيْعِ مَعْنَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِصِفَةٍ مَضْمُونًا عَلَى صَاحِبِهِ فَإِذَا ضَمِنَ مُؤَخَّرًا ضَمِنَ مُعَجَّلًا وَكَانَ مُعَجَّلًا أَعَجَلَ مِنْهُ مُؤَخَّرًا، وَالْأَعَجَلَ أُخْرِجَ مِنْ مَعْنَى الْعَرَرِ وَهُوَ مُجَامِعٌ لَهُ فِي أَنَّهُ مَضْمُونٌ لَهُ عَلَى بَائِعِهِ بِصِفَةٍ ". (الشافعي، 3 / 95).

واختلف الفقهاء في أقل وأكثر مدة الأجل.

فقال الأحناف: " روي عن محمد أنه قدر بالشهر، وهو الصحيح؛ لأن الأجل إنما شرط في السلم ترفيهاً وتيسيراً على المسلم إليه؛ ليتمكن من الاكتساب في المدة، والشهر مدة معتبرة يمكن فيها من الاكتساب فيتحقق معنى الترفيه، فأما ما دونه ففي حد القلة فكان له حكم الحلول، والله عز وجل أعلم ". (الكاساني، 5 / 213).

وقيل ثلاثة أيام اعتبارًا بخيار الشرط وليس بصحيح؛ لأن الثلاثة ثم بيان أقصى المدة، فأما أدناه فغير مقدر، وقيل أكثر من نصف يوم؛ لأن المعجل ما كان مقبوضًا في المجلس والمؤجل ما يتأخر قبضه عن المجلس ولا يبقى المجلس بينهما في العادة أكثر من نصف يوم. (ينظر: المرغيناني، 7/ 88).

وقال المالكية: ولا يجوز أن يكون الأجل في السلم اليوم واليومين، وإنما يجوز في أمر ترتفع في مثله الأسواق وتنخفض، هذا هو المشهور من المذهب، وقد أجاز بعض أصحاب مالك، وروي أيضًا عن مالك: أنه يجوز أن يكون أجل السلم ثلاثة أيام فصاعدًا دون مراعاة الأسواق. (ابن عبد البر، 1980م، 2/ 692).

وقال الإمام الباجي: إذا ثبت ذلك فالسلم على ضربين ضرب يقضى ببلد السلم، وضرب يقضى بغيره، فأما ما يقضى ببلد العقد فقد اختلف أصحابنا في مقدار أجل السلم، فقال ابن القاسم في المدونة: لا يجوز إلا إلى الأجل الذي تختلف في مثله الأسواق الخمسة عشر يومًا والعشرين يومًا، وقال ابن عبد الحكم: لا بأس به إلى اليوم الواحد، وروي ابن وهب عن مالك: إلى اليومين والثلاثة، وقال القاضي أبو محمد: في ذلك روايتان، إحداهما: أنه يجوز إلى أي أجل كان قَرَب أو بَعُد، والثاني: لا يجوز إلا إلى الأجل الذي تختلف في مثله الأسواق.

ثم قال: ذا ثبت ما قلناه فالذي قاله القاضي أبو محمد إن تغير الأسواق في ذلك لا يختص بمدة من الزمان وإنما هو على حسب عرف البلاد ومن قدر ذلك بخمسة عشر يومًا أو أكثر فإنما قدر على عرف بلده وتقدير ابن القاسم ذلك بخمسة عشر يومًا وعشرين أظهر. (الباجي، 1332هـ، 4/ 297، 298).

وقال الشافعية: إذا أسلم مؤجلًا، اشترط كونه معلومًا، فلا يجوز توقيته بما يختلف كالحصاد، وقدم الحاج، ولو قال: إلى العطاء لم يصح، إن أراد وصوله، فإن أراد وقت خروجه وقد عين السلطان له وقتًا جاز، بخلاف ما إذا قال: إلى وقت الحصاد، إذ ليس له وقت معين. ولو قال: إلى الشتاء أو الصيف لم يجز إلا أن يريد الوقت.

والتوقيت بشهور الفرس والروم جائز كشهور العرب؛ لأنها معلومة، وكذا التوقيت بالنيروز والمهرجان جائز على الصحيح، وفي وجهه: لا يصح. (ينظر: النووي، 4/ 7، 8).

وقال الحنابلة: ومن شرط الأجل أن يكون مدة لها وقع في الثمن، كالشهر وما قاربه، وأن الأجل إنما اعتبر ليتحقق المرفق الذي شرع من أجله السلم، ولا يحصل ذلك بالمدة التي لا وقع لها في الثمن، وهو أن يسلم إلى وقت يعلم بالهلال، نحو أول الشهر، أو أوسطه، أو آخره، أو يوم معلوم منه. (ينظر: ابن قدامة، 4/ 220).

7- أن يكون المسلم فيه مؤجودًا حين الأجل.

اتفق الفقهاء على اشتراط كون المسلم فيه مقدورًا على تسليمه عند حلول أجله، وذلك لأن المسلم فيه واجب التسليم عند الأجل، فلا بد أن يكون تسليمه مقدورًا عليه حينذاك، وإلا كان من الغرر الممنوع. (الديبان، 8/ 199).

قال السرخسي: " أن يكون المسلم فيه موجودا عند العقد منقطعًا عن أيدي الناس عند حلول الأجل، فلهذا لا يجوز بالاتفاق؛ لأن السلم إليه بالعقد يلتزم التسليم عند حلول الأجل، فإذا لم يكن مقدور التسليم عند ذلك لا يجوز العقد ". (السرخسي، 12/ 134).

وقال الباجي: " أن يكون المسلم فيه موجودًا حين الأجل، فلا خلاف أن ذلك شرط في صحة السلم؛ لأن حلول الأجل يقتضي تسليم المسلم فيه فإذا كان معدومًا حين الأجل لم يصح السلم فيه؛ لأن من شرط صحة السلم والبيع التمكن من التسليم ". (الباجي، 4/ 300).

وقال الشافعية: أن يكون المسلم فيه موجودًا عند الاستحقاق، أي: عند وجوب التسليم؛ لأن المعجوز عن تسليمه يمتنع بيعه، فيمتنع السلم فيه، فإذا أسلم في منقطع عند الحلول كالرطب في زمن الشتاء لم يصح. (الشربيني، 2/ 294).

وقال الحنابلة: يجب أن يكون المسلم فيه موجودًا عند محله، وهو كون المسلم فيه عام الوجود في محله، ولا نعلم فيه خلافًا؛ وذلك لأنه إذا كان كذلك، أمكن تسليمه عند وجوب تسليمه، وإذا لم يكن عام الوجود، لم يكن موجودًا عند المحل بحكم الظاهر، فلم يمكن تسليمه، فلم يصح بيعه، كبيع الأبق، بل أولى؛ فإن السلم احتمال فيه أنواع من الغرر للحاجة، فلا يحتمل فيه غرر آخر، لئلا يكثر الغرر فيه. (ينظر: ابن قدامة، 4/ 221).

هذه هي أهم شروط السلم والتي كانت في مجملها محل اتفاق بينهم مع التباين في بعض الشروط كلاً حسب فهمه للحديث الذي استمدوا منه شروط السلم، أو ما كان عليه العمل في عصر الصحابة والتابعين.

المطلب الثاني: الأحكام المترتبة على عقد السلم.

المسألة الأولى: بيع المسلم فيه قبل قبضه.

يقسم الفقهاء الديون قسمين:

ديون مستقرة، وذلك مثل ثمن المبيع، وبدل القرض، وغرامة المتلف.

وديون غير مستقرة: مثل دين الكتابة، والمهر قبل الدخول، والأجرة قبل استيفاء المنفعة، ويلحقون بها أيضاً المسلم فيه.

فإذا كان دين المسلم فيه من الديون غير المستقرة، فما حكم بيع المسلم فيه لغير من هو عليه قبل قبضه؟.

وهنا لا بد لنا أن نستعرض مذاهب الفقهاء وأدلتهم في هذه المسألة، فنقول:

المذهب الأول: ذهب الجمهور من الحنفية والشافعية والحنابلة إلى القول بمنع بيع المسلم فيه قبل قبضه.

حيث قال الأحناف: ولا يستطيع رب السلم أن يبيع ما أسلم فيه قبل القبض؛ لأن المسلم فيه مبيع وبيع المبيع قبل القبض لا يجوز. (السرخسي، 12 / 163).

وقال الشافعية: بيع الطعام المشتري قبل القبض لا يصح وإن كان مُعَيَّنًا، فلأن لا يصح بيع المسلم فيه قبل القبض أولى، وصورتها: أن يسلم زيدٌ إلى عمروٍ في طعام، فلَمَّا حل الأجل باع زيد الطعام الذي له في ذمة عمرو من خالد قبل قبضه، فإن هذا لا يصح. (ينظر: العمراني، 5 / 444).

وقال الحنابلة: " وبيع المسلم فيه من بائعه أو غيره قبل قبضه فاسد " . (الزركشي، 4 / 17).

المذهب الثاني: ذهب المالكية وابن تيمية وابن القيم ورواية عن الإمام أحمد وقول ابن عباس - رضي الله عنه - إلى القول بجواز بيع المسلم فيه قبل قبضه.

حيث سلك المالكية مسلماً وسطاً على خلاف ما ذهب إليه الجمهور.

فيقول ابن رشد: " بيع السلم من غير المسلم إليه: فيجوز بكل شيء يجوز التبايع به ما لم يكن طعاماً؛ لأنه لا يدخله بيع الطعام قبل قبضه ". (ابن رشد، 2004م، 3/ 222).

وأما يبيعه من المسلم إليه فقد أجازوه بشروط ثلاثة حيث قال الخرشي: " يجوز للمسلم إليه أن يقضي السلم من غير جنس المسلم فيه سواء حل الأجل أم لا بشروط ثلاثة:

الأول: أن يكون المسلم فيه مما يباع قبل قبضه، كما لو أسلم ثوباً في حيوان فأخذ عن ذلك الحيوان دراهم، إذ يجوز بيع الحيوان قبل قبضه.

الثاني: أن يكون المأخوذ مما يباع بالمسلم فيه يدًا بيد، كما لو أسلم دراهم في ثوب مثلاً فأخذ عنه طشت نحاس، إذ يجوز بيع الطشت بالثوب يدًا بيد.

الثالث: أن يكون المأخوذ مما يجوز أن يسلم فيه رأس المال، كما لو أسلم دراهم في حيوان فأخذ عن ذلك الحيوان ثوباً فإن ذلك جائز ". (الخرشي، 5/ 227).

وقال ابن تيمية: والقول الثاني [أي: عند الإمام أحمد]: يجوز ذلك كما يجوز في غير دين السلم وفي المبيع من الأعيان وهو مذهب مالك، وقد نص أحمد على هذا في غير موضع وجعل دين السلم كغيره من المبيعات، فإذا أخذ عوضاً غير مكيل ولا موزون بقدر دين السلم حين الاعتياض لا بزيادة على ذلك، أو أخذ من نوعه بقدره: مثل أن يسلم في حنطة فيأخذ شعيراً بقدر الحنطة أو يسلم في حرير فيأخذ عنه عوضاً من خيل، أو بقرٍ أو غنمٍ فإنه يجوز، وقد ذكر ذلك طائفة من الأصحاب ثم قال: وأحمد في ظاهر مذهبه لا يمنع من البيع قبل القبض مطلقاً؛ بل له فيه تفصيل وأقوال معروفة، ولذلك فرق بين البيع من البائع وغيره. (ينظر: ابن تيمية، 29/ 503 : 505).

وقال ابن القيم: وَطَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا حَكُّوا رَوَايَةَ مُطْلَقَةَ فِي الْمَكِيلِ وَالْمَوْزُونِ وَغَيْرِهِ، وَنُصُوصَ أَحْمَدَ تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ. (ابن القيم، 1415هـ، 9/ 255).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ((إِذَا أَسْلَمْتَ فِي طَعَامٍ فَحَلَ الْأَجَلَ، فَلَمْ تَجِدْ طَعَامًا، فَخُذْ مِنْهُ عَرَضًا بِأَنْقِصَ، وَلَا تَرْتِجْ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ)) . (عبد الرزاق، كتاب - البيوع، باب - السَّلْعَةُ يُسَلَّفُهَا فِي دِينَارٍ، هَلْ يَأْخُذُ غَيْرَ الدِّينَارِ، حديث رقم 14120، 14103هـ، 8/ 16).

الأدلة:

أدلة الجمهور.

استدل أصحاب المذهب الأول بعدة أدلة منها.

- ما رواه أبو داود من طريق عطية بن سعد عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَى غَيْرِهِ)) . (أخرجه أبو داود، كتاب - البيوع. باب - من أسلف في شيء ثم حوِّله إلى غيره، حديث رقم 3468، 2009م، 5/ 339).

وقد أجاب ابن تيمية - رحمه الله - على هذا الحديث بجوابين:

أحدهما: أن الحديث ضعيف.

والثاني: المراد به أن لا يجعل السلف سلفاً في شيء آخر؛ فيكون معناه النهي عن بيعه بشيء معين إلى أجل وهو من جنس بيع الدين بالدين. (517 / 29).

- ذكر ابن قدامة الإجماع على التحريم، قال - رحمه الله -: " أمّا بيع المسلم فيه قبل قبضه، فلا نعلم في تحريمه خلافاً ". (227 / 4).

ورد ابن القيم - رحمه الله - في تهذيب السنن دعوى الإجماع حيث قال: " وَأَمَّا قَوْلُكُمْ إِنَّ الْمُنْعَ مِنْهُ إِجْمَاعٌ فَكَيْفَ يَصِحُّ دَعْوَى الْإِجْمَاعِ مَعَ مُخَالَفَةِ حَبْرِ الْأُمَّةِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَالِمِ الْمَدِينَةِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَتَبَيَّنَتْ أَنَّه لَا نَصَّ فِي التَّحْرِيمِ وَلَا إِجْمَاعٍ وَلَا قِيَاسٍ ". (260 / 9).

- القياس على بيع ما لم يقبض فقد جاء في نهاية المحتاج: " ولا يصح بيع المثلث الذي في الذمة، نحو المسلم فيه، ولا الاعتياض عنه قبل قبضه، بغير نوعه، أو وصفه؛ لعموم النهي عن بيع ما لم يقبض ". (الرملي، 1984م، 4 / 90).

وأجاب ابن القيم في التهذيب أيضاً على هذا القياس بقوله: أَنَّ النَّهْيَ عَنِ بَيْعِ الطَّعَامِ قَبْلَ قَبْضِهِ أُرِيدَ بَيْعَهُ مِنْ غَيْرِ بَائِعِهِ، وَأَمَّا بَيْعُهُ مِنَ الْبَائِعِ فَفِيهِ قَوْلَانِ مَعْرُوفَانِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي الْمُنْعِ إِذَا كَانَتْ تَوَالِي الصَّمَانَيْنِ إِطْرَدَ الْمُنْعُ فِي الْبَائِعِ وَغَيْرِهِ.

ثم قال: وَأَيْضًا: فَدَيْنَ السَّلْمِ تَجُوزُ الْإِقَالَةُ فِيهِ بِلَا نِزَاعٍ وَيَبِيعُ الْمَبِيعُ لِبَائِعِهِ قَبْلَ قَبْضِهِ غَيْرَ جَائِزٍ فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، فَعَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ فِي دَيْنِ السَّلْمِ أَسْهَلُ مِنْهُ فِي بَيْعِ الْأَعْيَانِ فَإِذَا جَازَ فِي الْأَعْيَانِ أَنْ تُبَاعَ لِبَائِعِهَا قَبْلَ الْقَبْضِ فَدَيْنَ السَّلْمِ أَوْلَى بِالْجَوَازِ كَمَا جَازَتْ الْإِقَالَةُ فِيهِ قَبْلَ الْقَبْضِ إِتِفَاقًا. (258 / 9).

- استدلو أيضاً: بأن بيع الشيء الموصوف في الذمة لا غرر فيه؛ لأنه لم يبع عليه شيئاً معيناً، ولو كان في ذلك غرر لم يصح بيع السلم كله مطلقاً. (الديبان، 8/ 218).
- ثانياً: أدلة المالكية.

- { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } . [البقرة: 275].
- وهذه الآية عامة في كل بيع سلماً كان أو غيره.

- استدلو بما أخرجه البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ ابْتِئَاعَ طَعَامًا فَلَا يَبِيعُهُ حَتَّى يَفِضَّهُ)) . (البخاري، كتاب - البيوع، باب - مَا يُذَكَّرُ فِي بَيْعِ الطَّعَامِ وَالْحُكْرَةِ، حديث رقم 2133، 68/3).

قال القاضي في المعونة: " فدل أن ما عدها بخلافه؛ ولأنه إزالة ملك فجاز قبل القبض كالتق، ولأنه أحد نوعي المبيعات فعدم القبض لا يمنع بيعه أصله المنافع في الإجارة، ولأن الشراء نوع يملك به، فجاز أن يباع ما ملك به قبل القبض كالميراث والوصية ". (عبد الوهاب، 2/ 972).

الرأي الراجح.

ما ذهب إليه أصحاب المذهب الثاني أرجح وأقوى؛ وذلك لأن الأصل في بيع السلم جاء لرفع الحرج والضيق عن الناس وهو على خلاف الأصول، وبالتالي فإن بيع المسلم فيه قبل قبضه لغير من هو عليه فيه الكثير من الرفق على الناس والله أعلم.

المسألة الثانية: حكم الشركة والتولية في بيع المسلم فيه قبل قبضه.

اختلف العلماء في حكم الشركة والتولية في بيع المسلم فيه قبل قبضه على قولين.

والخلاف في ذلك راجع إلى الخلاف في تكييف الشركة والتولية.

القول الأول: ذهبوا إلى القول بعدم جواز التولية والشركة في عقد السلم؛ لأنه يبع مبتدأ، لا يجوز في شيء منه إلا ما يجوز في سائر البيوع، وهو مذهب الحنفية، والشافعية، والحنابلة، ورجحه ابن حزم.

قال الأحناف: قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَا خَيْرَ فِي الشَّرْكَةِ وَالتَّوَلِّيَةِ فِي الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُرُوضِ حَتَّى يَقْبُضَ؛ لِأَنَّ الشَّرْكَةَ وَالتَّوَلِّيَةَ بِيَعٍ، فَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ قَبْلَ الْقَبْضِ. (محمد بن الحسن، 1403هـ، 2/ 706).

والسبب عندهم في عدم جواز الشركة والتولية في المسلم فيه؛ لأنه تصرف فيه قبل قبضه، فإن تقايلا السلم لم يكن له أن يشتري من المسلم إليه برأس المال شيئاً حتى يقبضه كله. (ينظر: المرغيناني، 74 /3).

وقال الشافعية: ولا تجوز الشركة والتولية في المسلم فيه قبل القبض. والشركة: أن يقول المسلم لغيره: أشركتك في نصف المسلم فيه بنصف الثمن، فيكون ذلك بيعاً لنصف المسلم فيه.

والتولية: أن يقول وليتكه بجميع الثمن، أو وليتك نصفه بنصف الثمن. (العمراني، 5 / 448). وقال الحنابلة: ويبيع المسلم فيه من بائعه، أو من غيره، قبل قبضه، فاسد، وكذلك الشركة فيه، والتولية، والحوالة به، طعاماً كان أو غيره. (ابن قدامة، 4 / 227).

وقال ابن حزم: والشركة، والإقالة، والتولية: كلها يبيع مبتدأ لا يجوز في شيء منها إلا ما يجوز في سائر البيوع لا تحاش شيئاً وهو قول الشافعي، وأصحابنا في الشركة، والتولية.

ثم قال: الشركة، والتولية، إنما هو نقل ملك المرء عيناً ما صح ملكه لها، أو بعض عين ما صح ملكه لها إلى ملك غيره بثمان مُسَمَّى وهذا هو البيع نفسه، ليست هذه الصفة ألبتة إلا للبيع، ولا يكون بيع أصلاً إلا بهذه الصفة فصح أنهما بيع صحيح. (ابن حزم، 7 / 481).

القول الثاني: قالوا بجواز بيع المسلم فيه بشركة أو تولية قبل قبضه، وهو مذهب المالكية، وربيعه وطاووس.

حيث قالوا: تجوز الشركة والتولية في السلم، كما تجوز فيه الإقالة. (عبد الوهاب، 2009م، ص 424).

وقال الإمام مالك: " وإن أسلمت في حنطة أو عروض، جاز أن تولي بعضها قبل الأجل، ربعها بربع الثمن، وتجاوز الشركة والتولية والإقالة في السلم في الطعام وجميع الأشياء إذا انتقدت ". (البراذعي، 2002م، 3/ 67، 68).

وحجتهم: أن هذا قول أهل المدينة، وأن عقد التولية والشركة والإقالة باب معروف كالقرض، ويقصد بها المعروف كالإقالة، والإقالة: أن يقبل البائع المشتري أو العكس، والتولية: أن يولي ما اشتراه لآخر، والشركة: أن يشرك غيره في بعض المبيع، والقول باستثناء الشركة رواه أبو الفرج عن مالك، لأن المعروف إنما يظهر في الجميع . (ينظر: الجندي، 5/ 533).

الأدلة:

استدل أصحاب القول الأول بعدة أدلة منها.

1- قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((لَا تَأْخُذُ إِلَّا سَلَمَكَ، أَوْ رَأْسَ مَالِكَ جَمِيعًا)) . (المصنف في الأحاديث والآثار، كِتَابُ - الْبُيُوعِ وَالْأَقْضِيَّةِ، مَنْ كَرِهَ أَنْ يَأْخُذَ بَعْضَ سَلَمِهِ، حديث رقم 20002، 1409هـ، 4/ 270).

وجه الدلالة: هذا يمنع التصرف في رأس مال السلم، والمسلم فيه قطعاً، حيث لم يجوز أخذ غيرهما بدلاً عنهما ففي التولية تملكه بعوض، وفي الشركة تملكه بعوض. (ينظر: الزيلعي، 4/ 118).

2- قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((مَنِ ابْتِئَاعَ طَعَامًا فَلَا يَبِيعُهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ)) . (البخاري، كتاب - البيوع، بَابُ - بَيْعِ الطَّعَامِ قَبْلَ أَنْ يُقْبِضَ، وَيَبِيعَ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ، حديث رقم 2136، 3/ 68).

وجه الدلالة: لا يصح التصرف في رأس المال والمسلم فيه قبل القبض بشركة أو تولية؛ لأن المسلم فيه مبيع، والتصرف في المبيع المنقول قبل القبض لا يجوز على ما عرف في موضعه. (ينظر: الزيلعي، 4/ 118).

3- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا يَحِلُّ سَلْفٌ وَيَبِيعُ، وَلَا شَرْطَانِ فِي بَيْعٍ، وَلَا رَيْحٌ مَا لَمْ يُضْمَنْ)) . (الترمذي، أبواب - البيوع، باب - مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَّةِ بَيْعِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ، حديث رقم 1234، 2/ 526. وقال: حديث حسن صحيح).

وجه الدلالة: لأنه مبيع لم يدخل في ضمانه، فلم يجز بيعه، كالطعام قبل قبضه، وكذلك التولية والشركة، وبهذا قال أكثر أهل العلم. (ابن قدامة، 12 / 293).

4- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَى غَيْرِهِ)) . (سبق تخريجه، والحديث ضعيف).

ووجه الدلالة: أن بيعه من غير بائعه لا يصح، للنهي، وكذلك الشركة فيه، والتولية، والحوالة به، طعامًا كان أو غيره، فالتصرف فيه فاسد كالبيع، أما الشركة والتولية فلأنهما نوعان من أنواع البيع، فيثبت لهما حكمه، وأما الحوالة فلأنها إما بيع أو فيها شائبته، فلم تجز كالبيع. (ينظر: الزركشي، 4 / 18).

5- قال إمام الحرمين: " ولا يجزئ في السلم التشريك ولا التولية، فإنهما بيعان، وبيع السلم قبل القبض لا يجوز، ومن جوز بيع المبيع من البائع قبل القبض، لم يجوز بيع المسلم فيه من المسلم إليه قبل القبض، وهذا رأيتُه متفقًا عليه، والفرق عسر، والوجه الاستدلال بموضع الوفاق على تزييف الوجه الضعيف في المبيع ".
(الجويني، 1428هـ، 6 / 53).

واستدل أصحاب القول الثاني بما يلي:

1- ((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ بَيْعِ الطَّعَامِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَوْفَى، وَأَرْخَصَ فِي الشَّرْكَةِ وَالتَّوْلِيَةِ وَالْإِقَالَةَ)) . (الجزء الأول من الحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب - البيوع، باب - في بيع الطعام قبل أن يُسْتَوْفَى، حديث رقم 3492، 5 / 354، والجزء الثاني أخرجه أبو داود في المراسيل، باب - ما جاء في التولية، حديث رقم 198، 1408هـ، ص 178).
ووجه الدلالة: أنها جارية مجرى المعروف، وخارجة عن باب المكايسة إلى باب المعروف والمكارمة. (ابن بزينة، 1431هـ، 2 / 953).

وأيضًا: من جهة المعنى أن هذا من عقود المكارمة فاستثنى من بيع الطعام قبل استيفائه، كما استثنى بيع العرية من النهي عن بيع الرطب بالتمر. (الباجي، 5 / 78).

2- قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ: اجْتَمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالشَّرْكَةِ وَالتَّوْلِيَةِ وَالْإِقَالَةِ فِي الطَّعَامِ قَبْلَ أَنْ يُسْتَوْفَى إِذَا انْتَقَدَ التَّمَنُّ مِمَّنْ يُشْرِكُهُ أَوْ يُقِيلُهُ أَوْ يُؤَلِّيهِ. (الإمام مالك، 1415هـ، 3 / 127).

وفي هذا الإجماع نظر كما يقول ابن عبد البر: وجائز عندهم [أي: المالكية] الإقالة في الطعام قبل أن يستوفى بمثل رأس المال سواء، وكذلك الشركة عندهم والتولية فيه، وقد قال بهذا القول طائفة من أهل المدينة.

وقال سائر الفقهاء وأهل الحديث: لا يجوز بيع شيء من الطعام قبل أن يستوفى، ولا تجوز فيه الإقالة، ولا الشركة، ولا التولية عندهم قبل أن يستوفى بوجه من الوجوه، والإقالة والشركة والتولية عندهم بيع، وقد جعل بعضهم الإقالة فسخ بيع، ولم يجعلها بيعاً وأبى ذلك بعضهم ولم يختلف فقهاء الأمصار غير مالك وأصحابه في أن الشركة والتولية في الطعام لا يجوز قبل أن يستوفى. (ابن عبد البر، 1378هـ، 16 / 341).

3- ومن المعقول.

قال المازري: " قدمنا الكلام على الإقالة، ولا نعلم في جوازها خلافاً إذا وقعت برأس المال قبل قبض الطعام، وإن لم يقبض الطعام، فإن قلنا: إن الإقالة حل بيع، وليس بابتداء بيع، كان هذا الاستثناء الواقع في الحديث كأنه استثناء من غير جنس، والاستثناء من غير جنس قد ورد في الشرع واللغة، وإن قلنا: إنها بيع، كان استثناء من الجنس ولكن خصت بالجواز، لكونها معروفة، وفي الحديث، ((كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ)). (أخرجه البخاري، كتاب - الآداب، باب - كل معروف صدقة، حديث رقم 6021، 8 / 11).

وقد ندب الشرع إلى إحسان المسلمين بعضهم لبعض، وهذا من الإحسان والمعروف، والشرع يندب إليه فاقضى ذلك أن يعبر عليه بهذه الرخصة في الطعام. (المازري، 2008م، 2 / 205).

المطلب الثالث: التطبيقات المعاصرة للسلم:

عقد السلم من أهم العقود التي يمكن أن تفيد المصرفية الإسلامية كما ونوعاً؛ إذ يتحقق به تنشيط حركة الاقتصاد، من خلال العقود التي يجريها الزراع والصنّاع مع المصارف لتمويل مزارعهم ومصانعهم، فيوفرون سيولة يستطيعون بها الإنتاجية الربحية، كما تستفيد المصارف فائدة كبرى من خلال توظيف المال الذي تعج به خزائنها ولا تستطيع تنميته بالوسائل التي تحقق نوعاً من الحماية والربحية، فهي تعاني كثيراً من إدارة الاستثمار، كما تعاني البنوك التقليدية من إدارة السيولة بسبب الوفرة المالية الكبيرة لديها فإذا فعلت هذا الباب استطاعت تحريك كثيراً من المصانع المتعثرة، والمزارع الدائرة والخاسرة

وبحسب الدكتور صديق الضيرير: عقد السلم يمكن أن يطبق في مجالات عديدة، ويكون بديلاً شرعياً للتمويل بالقرض بفائدة في كل المجالات التي يحتاج فيها إلى التمويل؛ المجال الزراعي والصناعي والتجاري، ويحقق مصلحة الممول - المسلم إليه - والممول - المسلم - في الحصول على المنتجات الزراعية والصناعية والتجارية بأثمان رخيصة ومشروعة، تمكن من الربح الحلال وفي تحقيق مصلحة الممول وتحقيق مصلحة المجتمع بتشجيع الزراعة والصناعة والتجارة التي تعود على الناس جميعاً بالرفع، وسد حاجة الناس جميعاً لهذا التعامل.

وذكر العالم الدكتور نزيه حماد أن السلم يعتبر أداة تمويل ذات كفاءة عالية في الاقتصاد الإسلامي، وفي نشاط المصارف الإسلامية من حيث مرونتها واستجابتها لحاجة التمويل المختلفة، سواء كان تمويل قصير الأجل أو متوسط أو طويلة، واستجابتها لحاجات شرائح مختلفة ومتعددة من العملاء، سواء أكانت من المنتجين الزراعيين أو الصناعيين أو المقاولين، أم من التجار، واستجابتها لتمويل نفقات التشغيل والنفقات الرأس مالية الأخرى.

وقد ذكر مجمع الفقه الإسلامي في قراره الخاص بالسلم الصادر في دورته التاسعة وكان مما أشار إليه من تطبيقات الأبواب التالية:

أ. يصلح عقد السلم لتمويل عمليات زراعية مختلفة، حيث يتعامل المصرف الإسلامي مع المزارعين الذين يتوقع أن توجد لديهم السلعة في الموسم من محاصيلهم أو محاصيل غيرهم التي يمكن أن يشتروها ويسلموها إذا أخفقوا في التسليم من محاصيلهم فيقدم لهم هذا التمويل نفعاً بالغا ويدفع عنهم مشقة العجز المالي عن تحقيق إنتاجهم.

ب- يمكن استخدام عقد السلم في تمويل النشاط الزراعي والصناعي، ولاسيما تمويل المراحل السابقة لإنتاج وتصدير السلع والمنتجات الرائجة، وذلك بشرائها سلماً وإعادة تسويقها بأسعار مجزية.

ج- يمكن تطبيق عقد السلم في تمويل الحرفيين وصغار المنتجين الزراعيين والصناعيين عن طريق إمدادهم بمستلزمات الإنتاج في صورة معدات وآلات أو مواد أولية كرأس مال سلم مقابل الحصول على بعض منتجاتهم وإعادة تسويقها.

د- ويمكن كذلك أن يستفاد منه في جميع السلع والمعادن والحيوان والبضائع، وحتى المنافع عند جماعة من الفقهاء، كما أنه يمكن تجزئة تسليم المسلم فيه على أوقات متفرقة معلومة، وأن يكون السلم حالاً أو مؤجلاً، وأن يكون رأس مال السلم نقداً أو سلعة، أو طعاماً أو حيواناً.

هـ - ويمكن أيضا اللجوء إليه في تمويل الأصول الثابتة كبديل للتأجير التمويلي، حيث يقوم المصرف بتمويل الأصول الثابتة اللازمة لقيام المصانع الحديثة أو لإحلالها في المصانع القديمة القائمة وتقديم تلك الأصول كرأس مال سلم مقابل الحصول على جزء من منتجات تلك المصانع على دفعات وفقا لآجال تسليم مناسبة.

و- ومن التطبيقات الحديثة الواسعة العمل لبيع السلم؛ المنتج الذي يقدمه بنك دبي الإسلامي - المشتهر بين الناس بقرض السلم - والمختار من صيغ خمس قدمت لتكون بديلا عن التورق المنظم، بضوابط اعتمدها الهيئة الشرعية، وهي:

1 - يجب أن تراعى في جميع صيغ وتطبيقات عقد السلم، فيما لم يرد في هذه الفتوى، الضوابط الواردة في المعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، وخاصة معيار السلم والسلم الموازي رقم 10 ومعيار الجمع بين العقود رقم 25 ومعيار القبض رقم 18.

2- يجب أن تكون جميع عمليات البيع حقيقية لا صورية، تنقل الملك والضمان من البائع إلى المشتري.

3- يجب ألا تتم عمليات البيع قبل تملك البائع وقبضه للمبيع قبضا شرعيا ناقلا للضمان، سواء كان حسيا أو حكما.

4- إذا كان البنك وكبلا عن المسلم إليه في شراء بضاعة السلم فليس له شراؤها بأكثر من ثمن المثل دون إذن الموكل، وأما إذا كان أصيلا فله أن يبيع البضاعة بالثمن الموعود به أو بأقل منه.

5- يجب ألا يؤول عقد السلم إلى حصول المتعامل (المسلم إليه) من البنك (المسلم) على نقد عاجل مقابل نقد أجل أكثر منه مضمون للبنك على المتعامل، كأن يكون تحديد كمية البضاعة المباعة سلما على أساس مبلغ محدد. (الحداد، 2015، 29-34)

الخاتمة

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وكانت على النحو التالي:

- السَّلْفُ في المعاملات لَهُ مَعْنِيَانِ: أَحَدُهُمَا الْقَرْضُ الَّذِي لَا مَنَفَعَةَ لِلْمُقْرِضِ فِيهِ وَعَلَى الْمُقْرِضِ رَدُّهُ كَمَا أَخَذَهُ، وَالْعَرَبُ تَسْمِيهِ السَّلْفَ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي فِي السَّلْفِ: السَّلْمُ وَهُوَ فِي الْمَعْنَيْنِ مَعًا اسْمٌ مِنْ أَسْلَفْتُ، وَكَذَلِكَ السَّلْمُ اسْمٌ مِنْ أَسَلَمْتُ.
- أَنَّ السَّلْمَ هُوَ بَيْعٌ يَتَقَدَّمُ فِيهِ رَأْسُ الْمَالِ وَيَتَأَخَّرُ الْمُتَمَّنُّ لِأَجْلِ.
- إِنْ عَقَدَ السَّلْمَ مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ، وَمِنْ هُنَا كَانَ فِي إِبَاحَتِهِ رَفْعٌ لِلحَرَجِ عَنِ النَّاسِ.
- ذَهَبَ جَمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى الْعَاقِدِينَ تَعْيِينَ مَكَانِ التَّسْلِيمِ سِوَاءَ أَكَانَ التَّسْلِيمُ يَحْتَاجُ إِلَى مَثُونَةٍ أَمْ لَا، وَيَكُونُ مَوْضِعُ الْعَقْدِ هُوَ مَوْضِعُ التَّسْلِيمِ، فَإِنْ كَانَ لَا يَصِلُحُ لِلتَّسْلِيمِ كَالْبَحْرِ وَالصَّحْرَاءِ فَإِنَّ الْوَفَاءَ يَتَعَلَّقُ بِأَقْرَبِ الْأَمَاكِنِ إِلَى مَوْضِعِ الْعَقْدِ.
- اشْتَرَطَ جَمْهُورُ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ لَصِحَّةِ السَّلْمِ أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ فِيهِ مَوْجِلًا فَلَا يَصِحُّ السَّلْمُ الْحَالِ، وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ الشَّافِعِيَّةُ الْقَائِلِينَ بِجَوَازِ السَّلْمِ الْحَالِ.
- اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى اشْتِرَاطِ كَوْنِ الْمُسْلِمِ فِيهِ مَقْدُورًا عَلَى تَسْلِيمِهِ عِنْدَ حُلُولِ أَجَلِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ فِيهِ وَاجِبُ التَّسْلِيمِ عِنْدَ الْأَجْلِ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ تَسْلِيمُهُ مَقْدُورًا عَلَيْهِ حِينَئِذٍ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الْغَرَرِ الْمَمْنُوعِ.

هذا والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- اختلاف الأئمة العلماء، ليحيى بن هُبَيْرَةَ الشيبانيّ (ت: 560 هـ)، تحقيق: السيد يوسف أحمد، ط 1، 1423 هـ، 2002 م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الاختيار لتعليل المختار، لعبد الله بن محمود بن مودود الحنفي (ت: 683 هـ)، ط، 1356 هـ، 1937 م، مطبعة الحلبي - القاهرة.
- الإشراف على نكت مسائل الخلاف، للقاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي (ت: 422 هـ)، تحقيق: الحبيب بن طاهر، ط 1، 1420 هـ، 1999 م، دار ابن حزم - بيروت.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: 751 هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط 1، 1411 هـ، 1991 م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت: 977 هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت.
- الأم، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت: 204 هـ)، ط، 1410 هـ، 1990 م، دار المعرفة - بيروت.
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي (ت: 885 هـ)، ط 2، بدون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزبن الدين بن إبراهيم بن محمد، ابن نجيم (ت: 970 هـ)، ط 2، بدون، دار الكتاب الإسلامي - بيروت.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لأبي بكر بن مسعود الكاساني (ت: 587 هـ)، ط 2، 1406 هـ، 1986 م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد (ت: 595 هـ)، ط، 1425 هـ، 2004 م، دار الحديث - القاهرة.
- بلغة السالك لأقرب المسالك، لأبي العباس أحمد بن محمد الصاوي (ت: 1241 هـ)، دار المعارف - مصر.
- البيان في مذهب الإمام الشافعي، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني (ت: 558 هـ)، تحقق: قاسم محمد النوري، ط 1، 1421 هـ، 2000 م، دار المنهاج - جدة.
- تاج العروس من جواهر تاج القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي (ت: 1205 هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، لعثمان بن علي بن محجن الزيلعي (ت: 743 هـ)، ط 1، 1313 هـ، المطبعة الكبرى - بولاق - القاهرة.
- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، ط، 1357 هـ، 1983 م، المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

- تحفة الفقهاء، لمحمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي (ت: 540هـ)، ط 2، 1414هـ، 1994م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ت: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، ط، 1378هـ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.
- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهر (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط 1، 2001م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لابن قيم الجوزية، مطبوع مع عون المعبود، ط 2، 1415هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- التهذيب في اختصار المدونة، لخلف بن أبي القاسم محمد ابن البراذعي (ت: 372هـ)، تحقيق: محمد الأمين، ط 1، 1423هـ، 2002م، دار البحوث للدراسات الإسلامية - دبي.
- التوضيح في شرح المختصر الفرعي، لخليل بن إسحاق الجندي (ت: 776هـ)، تحقيق: أحمد بن عبد الكريم نجيب، ط 1، 1429هـ، 2008م، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث - مصر.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط 2، 1384هـ، 1964م، دار الكتب المصرية - القاهرة.
- الجامع المسند الصحيح، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط 1، 1422هـ، دار طوق النجاة.
- الجامع الكبير - سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت: 279هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط 1، 1998م، دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (ت: 1230هـ)، دار الفكر - بيروت.
- الحجة على أهل المدينة، لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني (ت: 189هـ)، تحقيق: مهدي حسن، ط 3، 1403هـ، عالم الكتب - بيروت.
- الذخيرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت: 684هـ)، تحقيق: محمد بو خبزة، ط 1، 1994م، دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، ط 3، 1412هـ، 1991م، المكتب الإسلامي - بيروت.
- روضة المستبين في شرح كتاب التلقين، لأبي محمد عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن بزية (ت: 673هـ)، تحقيق: عبد اللطيف ركاع، ط 1، 1431هـ، 2010م، دار ابن حزم - بيروت.
- السلم وتطبيقاته المعاصرة، أحمد عبد العزيز الحداد، منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي، 2015م - الإمارات العربية المتحدة - دبي.

- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، ط 1، 1430هـ، 2009م، دار الرسالة العالمية - لبنان.
- شرح التلغين، لأبي عبد الله محمد بن علي المازري (ت: 536هـ)، تحقيق: محمد المختار السلامي، ط 1، 2008م، دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- شرح مختصر خليل للخرشي، لمحمد بن عبد الله الخرخشي (ت: 1101هـ)، بدون طبع، دار الفكر للطباعة - بيروت.
- شرح الزركشي على مختصر الخرخشي، لشمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 772هـ)، ط 1، 1413هـ، 1993م، دار العبيكان - المملكة السعودية.
- الشرح الكبير على متن المقنع، لعبد الرحمن بن محمد ابن قدامة المقدسي (ت: 682هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.
- العناية شرح الهداية، لمحمد بن محمد بن محمود البابرتي (ت: 786هـ)، ط، بدون، دار الفكر - بيروت.
- عُيُونُ الْمَسَائِلِ، لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر (ت: 422هـ)، تحقيق: علي محمد إبراهيم، ط 1، 1430هـ، 2009م، دار ابن حزم - بيروت.
- غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت: 388هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغريباوي، ط، 1402هـ، 1982م، دار الفكر - دمشق.
- فتح العزيز بشرح الوجيز، لعبد الكريم بن محمد الراجعي (ت: 623هـ)، دار الفكر - بيروت.
- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط 2، 1426هـ، 2005م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- الكافي في فقه الإمام أحمد، لأبي محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة (ت: 620هـ)، ط 1، 1414هـ، 1994م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الكافي في فقه أهل المدينة، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (ت: 463هـ)، تحقيق: محمد محمد أحمد، ط 2، 1400هـ، 1980م، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - المملكة السعودية.
- كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس البهوتي (ت: 1051هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، ابن منظور (ت: 711هـ)، ط 3، 1414هـ، دار صادر - بيروت.
- المبسوط، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت: 483هـ)، ط، 1414هـ، 1993م، دار المعرفة - بيروت.
- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط، 1416هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المملكة السعودية.
- المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار الفكر - بيروت.

- المحلى بالآثار، لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري (ت: 456هـ)، بدون طبعة، دار الفكر - بيروت.
- المختصر الفقهي، لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي (ت: 803هـ)، تحقيق: حافظ عبد الرحمن محمد، ط 1، 1435هـ، 2014م، مؤسسة خلف أحمد الحبتور.
- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: 458هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط 1، 1417هـ، 1996م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- المدونة، للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت: 179هـ)، ط 1، 1415هـ، 1994م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط 1، 1408هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، 1411هـ، 1990م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- المسند الصحيح المختصر، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (توفى: 211هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط 2، 1403هـ، المجلس العلمي - الهند.
- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبه، عبد الله بن محمد (ت: 235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط 1، 1409هـ، مكتبة الرشد - الرياض.
- المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، لأبي عمر ديبان بن محمد الدبّيان، ط 2، 1432هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- المعونة على مذهب عالم المدينة، لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر (ت: 422هـ)، تحقيق: حميش عبد الحق، المكتبة التجارية - مكة المكرمة.
- المغني، لأبي محمد عبد الله بن أحمد ابن قدامة (ت: 620هـ)، ط 1، 1388هـ، 1968م، مكتبة القاهرة - مصر.
- المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت: 474هـ)، ط 1، 1332هـ، مطبعة السعادة - مصر.
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، لأبي عبد الله محمد بن محمد، المعروف بالحطاب (ت: 954هـ)، ط 3، 1412هـ، 1992م، دار الفكر - بيروت.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، ط 1، 1404هـ، دار الصنفة - مصر.

- النتف في الفتاوى، لأبي الحسن علي بن الحسين السُّعْدِي (ت: 461هـ)، تحقيق: صلاح الدين الناهي، ط 2، 1404هـ، 1984م، دار الفرقان، ومؤسسة الرسالة - عمان - بيروت.
- نهاية المطلب في دراية المذهب، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت: 478هـ)، تحقيق: عبد العظيم محمود الدَّيب، ط 1، 1428هـ، 2007م، دار المنهاج - المملكة السعودية.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي (ت: 1004هـ)، ط أخيرة، 1404هـ، 1984م، دار الفكر - بيروت.
- الهداية في شرح بداية المبتدي، لعلي بن أبي بكر المرغيناني (ت: 593هـ)، تحقيق: طلال يوسف، بدون طبعة، دار احياء التراث العربي - بيروت.

المديح النبوي في قصيدة (النايات) للشاعر محمد المزوغي

(إطار ومضامين)

د. محمد الصادق الخازمي

هذا البحث يحاول أن يجد مقارنة نقدية لموضوع (المديح النبوي) في قصيدة (قالت لي النيات) للشاعر محمد المزوغي، ولا يَظْهَرُ هذا الموضوعُ جليًّا واضحًا مباشرًا في القصيدة؛ لكنه يتخلَّلها تخلُّلَ الماءِ السحابِ، فأنت واجِدٌ نفحاتِه، وإشاراتِه، ومسالكِه تحفَّ بالقصيدة وجوِّها من كل اتِّجاه. وقد نَوَّعَ الشاعر في قصيدته، وجدَّد، وجعل الشكل والمضمون يؤديان رسالته التي بعثها بشجاء المعروف؛ فابتدأها حزينا متعبًا، ثم ختمها بالبشارة المحفوفة بتحدِّي الطغيان، وكأن القصيدة بهذا البناء تمثِّل الدعوة المحمَّدية، أو تقتفي أثرها في حياتها المباركة.

وسيتناول هذا العرض تحليلًا للقصيدة من خلال محورين رئيسيين:

الأول: إطارها الشكلي الذي يقدِّمها، ويرسلُ من خلاله الشاعرُ إشاراتِ الطريق والمعنى للمتلقي. ويشمل الإطار: المقولات المفتاحية، والعنوان، وشيئا من الإخراج الفني.

والثاني: إطارها الموضوعي، وما حمله من أفكار خاصة مسيطرة تمثِّل جذوة التعلُّق، وهي مضافة إلى المحبوب من غير تصريح، وولَّهها يساير الركب؛ لأنه يستمدُّ المديح من السيرة، ويقتطع من الواقع الصعب المواقف التي تتَّجه به هناك، ويأملُ بأدبه أن يجد عند الحبيب مستراحا من تعب الحياة التي تثقل الروح.

وفي خلال ذلك العرض يقدِّم البحث بعض الصور الفنية محلِّلا ما أمكنه منها، ومشيرًا إلى الانزياحات المعنوية، والبعد الرمزي لألفاظها، لكن ذلك على عجل؛ لأن دراسة الأدوات الفنية للقصيدة سيفرد لها- إن شاء الله- دراسة توفيقها حقًّا.

مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - غرضٌ مستقلٌّ من أغراض الشعر العربي، وهو غير غرض المدح القديم؛ ذلك أنّ مدح النبي - عليه الصلاة والسلام - يُراد به وجه الله، وتمام التدين، وهو بعيدٌ عن مآرب الدنيا، وحظوظ النفوس، وطلب النوال، وذلك كلّهُ قد حَفَّ غرض (المدح) القديم.

وممّا لا يفوت هنا أنّ المدح غرضٌ مستقلٌّ متَّفَقٌ عليه في الشعر الجاهلي، فرغم أنّ النقاد القدامى اختلفوا في أغراض الشعر وعددها؛ فجعلها أبو تمام عشرة (أبو تمام: 7/1)، وابن سلام الجمحي أربعة (ابن سلام: 137/1)، وأبو هلال العسكري ستة (العسكري: 137-138)، وابن رشيق تسعة (ابن رشيق: 37/1) وقدامة بن جعفر ستة أيضاً (قدامة: 77)، فمن المجمع عليه بين هذا التعدّد أنهم يتَّفَقون على غرض المدح، فلا يخالف فيه مخالف!

غرض المدح والمدح النبوي:

وهذا يفتح مجالاً لسؤال مشروع؛ لِمَ اتَّفَقوا على المدح؟ وما هي المزيّة التي حملها حتّى كان غرضاً مستقلاًّ باتّفاقهم؟

وليس من المناسب في سياق محاولة الإجابة عن هذا التساؤل أن تُسقط مفاهيم الحاضر على طبائع الرؤية الإنسانيّة في الأدب القديم، فالمدح - الذي يُنظر إليه الآن بازدراء، ويعدّونه من سقطات الشعر القديم، ويأنفون بالشعر الجدير بالتقدير عنه - هو عنوانٌ حياةٍ، ودستورٌ أخلاقٍ، وهو جامعٌ مفاخر ومآثر. فليس الشعر تمجيداً للفرد، أو دويّةً من نفس مادح طامع، بل هو محاولة ما لكشف النفس الإنسانيّة؛ لإبراز التّفوّق، ونبد الأخلاق الرديئة الدون. والمدح إطار لتكوين الشخصية العربيّة، وسعيّ فريد لتصوير البطل الذي تحتاجه القبيلة، ويحيا به المجتمع والجميع.

ولذلك يتفرّع المدح في أغراض أخرى يتسرّب إليها، فالفخر مثلاً: مدح النفس والقبيلة، والثناء: مدح الموتى وذكرٌ لمآثرهم، والغزل والتشبيب: مدح للنساء، والهجاء: نقيض الثناء، فالانتقاص تبرؤٌ من عيب، وهذا يعني بمفهوم المخالفة تحلّي الهاجي بنقيضه...

وعلى كل حال؛ فلكل موقفٍ إنسانيّ ظروفه وأسبابه وبواعثه، ولذلك فصلوا الأغراض وميّزوا بينها مع تشابه الطريق، ووحدة الآلة. ومراعاة الغرض أو الغاية - إن شئت - يميّز بين متشابهات، وكذلك اللغة في عميق وظيفتها الاتصالية تميّز بين مشتقات أو متشابهات لا يفصل بينها إلا فاصلٌ صغيرٌ أحياناً.

وإذا كان المدح كما تقدّم أصلاً ترجع إليه أغراضٌ شتى، فليس غريباً بعد ذلك أن يستقلّ عنه تماماً (المديح النبوي) مع حمله للاسم نفسه، ولم يتميّز إلا بإضافة لفظ النبوة إليه؛ «ففي المدح النبوي شمائل غير شمائل المديح؛ لأنّ لأصحابه غايات دينية وأدبية خليقة بأن تدرس» (مبارك: 8) وهذه الغايات هي أغراض مستقلة لا تشبه المديح التقليدي؛ فاختلفت المقاصد والأهداف، وابتدعت معها المواقف النفسيّ الذي يصدر عنه الشعر أيضاً؛ «فهذا الفن يمجّد الفضائل الإنسانية، ولم ينشأ عن الرغبة في العطاء بل نشأ عن إعجابٍ ملأ قلب الشاعر؛ فانبثق الشعر عن عاطفة صادقة» (بدوي: 215).

وقد يشرح التحليل النقدي لقصيدة (قالت لي النيات) شيئاً من ذلك، فأنت لست واجداً فيها شيئاً يشبه مدح المادحين قدامى أو محدثين، بل تجد نفساً تُحلّق آفاق السماء، ترجو خلاصاً ونجاة، وتبتأ من ذاتها كزُمرى لمحجّب أمين، هي عينٌ حبّ متفرد، تأملت حبّها فوجدت له سُبلاً، صاغها الشاعر بفنه ووجدانه، حتى لقد خشي على نفسه أن تضيق عباراته أمام سموّ معانيه.

المديح النبوي والتصوّف:

وهنا وفئةٌ تستحق أن نقف عندها قليلاً، فكثيرٌ من دارسي الأدب اليوم ينظرون إلى المديح النبوي بوصفه فرعاً من التصوّف، ويرونه خصيصةً صوفيّة خالصة، بل يعدونه دليلاً على التصوّف، وحتى رائد دراسات (المديح النبوي) الدكتور زكي مبارك، كان قد جعل كتابه عن (المديح النبوي) ضمن فصلٍ من كتابه (أثر التصوّف في الأدب والأخلاق) حتى أشارت عليه اللجنة المكلفة بدرسه (مبارك: 9) بفصل المديح النبوي وجعله كتاباً مستقلاً، ومع أنّ الدكتور زكي مبارك يسجّل استغرابه في تأخّر استقلال هذا الغرض الكريم العميق الأثر فهو مع ذلك لم يهتد إلى فصله إلا بإشارة مشيرة، كتبت له ريادةً أنصفها بها الدهرُ حسب قوله (مبارك: 9).

ولا يختلف المسلمون قطعاً- في حبّه عليه الصلاة والسلام، مهما تعددت فِرَقُهُم، ونحلُّهُم، ومذاهبُهُم، فلم ترم طائفةٌ منهم أخرى بهذه التّهمة الشريفة، وتلصق بها هذه الفضيلة رمي نقصٍ وتبرؤ؟! ما أرى ذلك إلا مسلماً من مسالك الضيق بزعم بعض المبالغات المحظورة في ذلك الفن العظيم، وانتقادُ التصوّف أيسرُ من انتقاد مدح النبي -عليه الصلاة والسلام- فكأنها تقيّة يجتنب بها المؤاخذون الوقوع في شرّ عظيم، ولو تدبّرت المواضع التي وهنوها لعلمت أنّ أغلب ما يتسرّب إليهم إنّما يأتي من ضعف علاقتهم باللغة مجازاً، وكنايّة، وفناً، والضعف في اللغة والقصور في الشعر قادحٌ من قوادح الإفتاء، فليت شعري كيف يُفتي من يقصر عن لغة العرب، ولا يعرف فنّها ومسالكها.

وليس أغرب من أن تجد المرء ينتقص فئة من الناس فيقول: هم منظّمون، أو هم على معرفة! وكأنّه أراد أن يجد لنفسه مبرّرًا للتأخّر، فنسب الفضل لمن يبغضهم، وحسم الحكم بضلالهم؛ إذ نحن قوم حسبنا من بغضٍ شيءٍ أن ننسبه لمن عادينا، وإن كان فضلًا لا يخفى، أو تقدّمًا لا ينكر، وقد أمر الله بخلاف ذلك فقال: ﴿ولا يجرمكم شأن قومٍ على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾، وقال-عزّ من قائلٍ كريمٍ:- ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾

وكلّ تلك الدعاوى واهية، لا تقوم أمام الاستقصاء التاريخي أو الواقعي، فمدحه عليه الصلاة والسلام قام به الصحابة والتابعون، وتوالى في القرون قرنا بعد قرن، بل مضى إلى الأمم الأخرى باختلاف أديانهم وعقائدهم، فكثرة الغرض عند طائفةٍ من الأمة لا يقوم سندًا لدعوى الاختصاص، كما لم يقل أحدٌ بأن الذكر، أو قراءة القرآن، أو غير ذلك من الفضائل، خصيصة لازمة لتلك الفئة أو غيرها.

وفي التمثيل بمدحه عليه الصلاة والسلام كانت قصيدة كعب بن زهير (بانة سعاد) درة في الأدب العربي، تلقاها عليه الصلاة والسلام بإعجاب، وأثاب عليها، وسار الشعراء على منوالها، «ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها، ويقتدون بأقوالها، تبرّكًا بمن أنشدت بين يديه، ونسب مدحها إليه» (المقري: 393/1).

نعم قد يذهب المتصوّفة بالمديح النبوي مذهبًا خاصًا، وذلك موضوع درسٍ مستقلّ، حق له أن يعنون له بما يناسبه، أو أن يدرس درسًا علميًا أو نقديًا يكشف طرقه، ويتبع مسالكه، لكنّ الربط اللازم للمدح النبوي بهم أو بغيرهم حَجَرَ واسعًا، والمدح النبويّ راحةً نفوسٍ، وسكينة قلوبٍ، وجدت لتعمّ لا لتخصّ.

أولاً/ إطار القصيدة:

في قصيدة (قالت لي النيات) للشاعر محمد المزوعي نحن أمام مسلك جديد في المديح النبوي، وأمام اختيار مختلف، آثر أن يقدّم الشاعر به نفسه وفنّه بطريقة تُبَيِّن ما جرى عليه العرف الأدبي؛ فبينما كانت مفردات المدح تدور حول المباشرة اختار هو أن يقدّمه بأسلوب مختلف، «ومجموعة الاختيارات الخاصة بِمُنشئِ مُعيّنٍ هي التي تُشكِّلُ أسلوبه الذي يمتازُ به عن غيره من المُنشئين» (مصلوح: 37-38)، أسلوب المزوعي في قصيدة النيات تميّز بمميزات منها:

- أنه تجنّب المباشرة؛ فلم يذكر المصطفى عليه الصلاة والسلام مباشرة، ولا ذكر المفردات التي يدور حولها شعر المديح، من مثل: (طيبة، المدينة، الهادي، المصطفى، صلي الإله، النور،

(الهدى...) وغير ذلك من المفردات التي تدور في شعر المديح النبوي، واستعملها هو نفسه في شعره في قصائد أخرى كثيرة.

- وتفرد في التماهي الوجداني العميق؛ ليعالج قضية المدح بأسلوبٍ مميزٍ، فالقضية عميقة جداً، وأكبر من أن تحتلها المفردات المعتادة، فضيَّته تلخصها مفاتيح قَدِّمها، ربما يتناول هذا البحث شيئاً منها، القضية في الذات التي تنكر ذاتها لأجل المحبوب؛ فتتبرأ من النسبة إليها، ومن طلب رضاها لرضاه، بل تنتهي أبداً ولا يبقى إلا هو، واختار لذلك رمزين عظيمين: (ياء النسب) وهي تمثل الذات، و(كاف الخطاب) وهي تمثل المحبوب.
- والقصيدة بعد أن قدّمت الصورة التي يختارها لفنّه كانت بعد ذلك مفتاحاً للديوان المنشورة فيه، واختار له عنوان (متميمون) (المزوغى: 3) ، فنحن أمام القصيدة المفتاح التي تلج بنا إلى عالم مختلف، والاختيار هنا اختيار نقدي؛ إما أنه سبق بعناية ودرس، وإما أنّ التأثير الوجداني لقضية الذات والمحبوب قد طغى ففرض نفسه على الوجدان غير الشعوري، وجاء متسلسلاً ترتيباً، فكأن ترتيب القصيدة في بداية الديوان بذلك كانت فيض شعرٍ سرى إلى الاختيار.

❖ العنوان:

والعنوان يكاد يكون من المضامين؛ ذلك أنه يؤدي بشكل موجز مختصر خلاصة المعنى، ويعطيك بسهم مفرداته اتجاه الموضوع، العنوان الموقِّف أداة موضوعية، وأناقة دخولٍ مكتملة، وعند تأمل عنوان قصيدتنا، وهو (قالت لي النايات)، نجده يحقّق كثافة الحزن الذي تبعثه (النايات) المجموعة غير المفردة، والموسيقا -على كل أحوالها- لها حضورها الشعري، سواء ما كان منها صاحباً ظاهراً في الوزن والقافية، أو كان مستتراً في موسيقا داخلية تحقّقه انسجامات الحروف، وتوافق الكلمات، وجرس الصوامت والصوائت، وتناسب الانتهاء، وتتمهّل في الابتداء، وتنتقل بسلاسة صوتية لا تحمل إكراهاً للنفس، ولا عنقاً للمخارج، أو كان بالتصريح المباشر بالآلة الموسيقية نفسها، كما في هذا العنوان؛ فد(الناي) آلة تقوم بنفسها، يعزفها الراعي منفرداً فتحقّق له تعبيراً عن العربة والانفراد، أو شجى مسلّياً عن البعد والوحدة، والنايات المتجاوبة سيمفونية ذات تناسق ليس يفترض فيه وحدة (المعزوفة) مع اتفاق اللحن الخالد الواحد؛ لحن الحزن.

و(ياء) النسب في (لي) هي أزمة القصيدة؛ بل أزمة الديوان، (الياء) التي لن تصل إلا بالخروج منها، لكنك لن تستطيع أن تستبدلها أبداً؛ إذ هي أداة لغوية معنوية تمثل (الضمير) المشير إلى الذات، «وقد يستطيع الأدباء الفكاك من فرديتهم، وقد يستطيعون الانتصار على شخصيتهم، لكنهم أبداً -لا يستطيعون أن يقطعوا الوشائج الخفية التي تصلهم بقومهم: تاريخاً، وثقافةً، وعملاً، وحضوراً مستمرّاً، أكثر ممّا يستطيعون أن يقطعوا العروق التي تمدّهم بالحياة» (عباد: 4).

ولعلّ مبعث الحزن هو دخول هذه الذات في لحظات التجلّي، ولحظات اللقاء، كأنها ونحن نهرب منها تقتحمنا فتفسد بعض النقاء، وكأنها حضور طاع لم يجز استبداله، مع الإيمان بأن الطريق يتمثل في التنكر لها، كان يمكن اختصار العنوان إلى (قالت النيات)، لكنّ (لي) بـ (لام) الملكية، و(ياء) النسب (الأزمة) تخفّف حدة الإثقال على المتلقّي، فالشاعر -رغم كل شيء- يحبّ أن يتبوأ متاعب تجربته الشعرية وحده، وكأنه يعتذر عن جو الحزن بإضافة الرسالة إلى نفسه، مع أنّ وجود العنوان موشحاً بالناي يضيف لرسالته، ويهيئ أجواء مضمونه العميق الذي لا يجدي معه الاتكاء والاسترخاء، فالياء بذلك موازنة بين الضرورة والاعتذار، ضرورة المضمون، واعتذار الشاعر عن حمله الثقيل الذي سيكشفه للمتلقّي، وهو يشفق عليه من صعوبته وثقله، فيحاول التخفيف بإقحام (الياء) المتنكر لها، التي يفرّ منها، وكأنّي به يخشى أن يقوده الفرار المبالغ فيه منها إليها مرة أخرى!

(قالت)؛ هي الحكاية، القصة كلّها إحياءات من مجردات، القضية فكرة، والقول: يمثل الجانب الحكائي في القصيدة، لأن الإلهام غامض، فالمضمون هنا ليس تقليدياً مكشوفاً؛ إنه طريقة أخرى للوصول بالمحسوب، جاءت به وحكته النيات، القول المؤتث في العنوان إشارة إلى الفكرة الجاذبة، تهيئة للسمع، سنّد إلى مجرد لا يدرك إلا بالفكرة العميقة، فاكشف أيّها المتلقّي صوري كما أوحى بها التجريد، والمعنى العظيم، واستشف بقلبك قبل عقلك القول، واستسغ بذوقك القدرة العظيمة في «تحويل المحسوسات من مجالها الماديّ الذي هو طبيعتها، إلى مجال معنويّ هو من خلق الشاعر» (هيكل: 334-335).

والقول في العنوان سرد، ورسالة لها تأثير نفسيّ من الطراز الأوّل، فالنسخ الذي يحدثه العنوان نسخ متوافق مع التغيير، ومناسب للمسلك المختلف الذي يختاره الشاعر في المديح النبوي.

❖ الاتكاء على المقولات المفتاح:

1- تبدأ هذه المقولات من الورقة التي خصصها الشاعر لكتابة عنوان القصيدة، فقد كتب

عنوان القصيدة بشكل عمودي (قالت لي النيات)، ثم ذيل عبارة عميقة نسبها للشبلي

(الإثبات إسقاط اليباءات). تمثل هذه العبارة طريقة خاصة لإثبات المحبة، تذوب

فيها شخصية المحب في محبوبه، أو في الدرجة الدنيا يُلغى اختياره، والنسبة لنفسه،

ويكون كل ما له هو ما للمحبيب، رضا، واتباعا، وتعلقًا، وشوقًا!

ولكن هل هناك حاجة شعرية حقيقية إلى مقولة مفتاحية؟

المقولات المفتاحية نصوص هامة مركزة من خارج الشعر، من نثرٍ عظيم، أو من نصوص أدبية أخرى

مشابهة، «فلم يقتصر دورُ الشعراء على نظم العناصر التراثية التي يتعاملون معها، وسرد مضمونها سردًا

تقريبيًا، وإنما تجاوزوا ذلك إلى استخدام هذه العناصر استخدامًا فنيًا في التعبير» (عشري: 63).

والجامع الذي يلخص الاتكاء على المقولات المفتاح؛ أنها تمثل فكرة عظيمة، وقد تحمل هذه

الفكرة خدمة خاصة للنص من حيث إنها:

○ تفسر المعنى، وتضيء السياق، وتكون أيقونة إشارة سيميائية تحملك إلى حيث يتجه

المعنى.

○ تهيئة المتلقي بإخراجه من طريق التلقي العادي إلى سبيل آخر مختلف، وهنا الشاعر

يتعمد أن يشير لك إلى اللغة بواسطة اليباء، بصيغة الجمع، اللغة أداة الإبداع، ومركز

الانزياح الفكري الذي عن طريقه يُدوّر الشاعر الكلمات في مداره، ويُخرج الجزئيات

المعنوية الخاصة، وهنا تتعمق الصورة، «ومِمَّا زاد الصورة في الحياة المعاصرة سلطةً

أنَّ الإبداعَ الثقافيَّ بعد أن تنوعت أشكاله، أصبح يُقاسُ بِقدرته التعبيرية والإبداعية

خارج حدود اللغة» (المسدي: 81).

2- وثاني هذه المقولات كتبها الشاعر تحت عنوان القصيدة في الورقة التالية حيث بدأ

النص، اختار عبارة أخرى، كأنها مؤكدة للعبارة الأولى، وهي:

(المدعي يقول لي والمحب يقول لك)، وهي عبارة تفصيلية لعبارة الشبلي الأنفة، فإسقاط اليباءات،

هو استبدالها (بكاف الخطاب) الموجّه للمحبيب، وبقاء (اليباء) يجعل المحبة دعوى!

لا شيء لك مع المحب، وربما هذا ما يفسر قصيدته العظيمة التي قالها أيضا في سياق المدح

النبوي، ومطلعها:

لاشيء. أنت وتبدأ الأشياء

وهذا المعنى أخلص له الشاعر في قصيدة (قالت لي النيات) أيضاً، والقراءة للقصيدة تسير بك نحو المعنى، أمّا المفتح فلا يكشف عنه إلا في البيت السابع:

مذ قلت لي:

في الحبّ متّهما يُرى

من لم تغادر كَفّه الياءات

خطأبه للشبلي في أثناء القصيدة: إنك قد أوحيت لي بالفكرة، فتركت ياءاتي، وأبدلتها بكاف الخطاب، ولكن مهلاً، فليست كافاً واحدة، الواحدة لا تكفي ولهذا فهو يبعث (كافات) كثيرة لإثبات (لك):

لك فيك منك

إليك عندك علقتُ

كليّ بساحة حبّك الكافاتُ

ويدور المعنى في القصيدة حول النسبة والخطاب، الذات والآخر، المحب والمحبوب، ثنائية عميقة يزداد ألقها، ثم يقدّم الشاعر تجلّيه في البيت الثامن عشر حين يعلن خروجه من ذاته:

أنا خارج مني

أحدّرُ (ممكناً)

كي لا تمرّ ببابه الخيباتُ

في هذا البيت يتبرأ من آخر الياءات، وهو تبرؤ كان يمكنه أن يخفيه، أو أن يحتفظ به لنفسه، لكن الاعتراف هنا ضرورة؛ سببها تحذير أي حبّ آخر، أو تعلّق آخر محتمل ممكن بأنه لم تعد لي (ذات)، أصبح الشاعر مكتمل التنكر لتلك الذات، ومخلصاً في دخوله في إطار دائرة المحب المحفوفة بالكاف الحارسة.

■ صبغة الحزن:

قصيدة (قالت لي النيات) تفيض بالحزن، ف(الناي) استقرّ معناه في الثقافة الشعرية الحديثة على أنه رمزٌ للحزن العميق، اختار الشعراء له ذلك لما تحدّثه موسيقاه الشجيّة في النفوس، والصوت (الموسيقا) معنى مجرد غير مدرك، معنى تحسّسه النفس، ولا يفهم معناه فهما معللاً معبراً عنه، معنى ينتقل إليك سماعاً، إبهامه سرّه، وجماله عمقه، وقد يخرج المرء من بيته مسروراً سعيداً لأبأس بنفسه وذاته، فيسمع (الناي) فيسري إليه الحزن، وينقلب حال السرور معه إلى الشجي، ولم يكتب الشاعر بحالة التجريد الخاصة التي بعث برمزها في (الناي)، لقد استخدم الجمع ليدل على الكثرة، وليحقق مزيداً من كثافة النص، ولتنتقل الصور الحزنية متتالية، كلما سكت نايٌّ جاوبه آخر...

والقصيدة المفتاح للمدح النبوي يقصد الشاعر في مفتاحها أن ينقل جوّاً خاصاً وقوراً يناسب المقام، فاختر حزناً ما ليطل به على جمهوره.

ولكن هل المحبّ حزين؟ نعم حتى يظفر بصحبة محبوبه.

هل المحب حزين؟ نعم لطول شوقه، كان عليه الصلاة والسلام متواصل الأحران، فكأن التشبّه به هنا سعدٌ، وموافقة، وأتباع.

وماذا عند اللقاء؟ إنك تأتي إلى هذا المقام وأنت مثقلٌ بشؤون الشواغل، وليس يليق بالمحبّ أن يكون كذلك، فقدّم حزنك، وأدلّ بحجّتك، فهذا أوّانُ البلاغة، وهذا وقت التجلّي الذي يقوم بعذك، ويجعل من قدومك قدوماً مقبولاً، ومن حضورك حضوراً لائقاً بعظم المناسبة:

لي شاهداي؛

الوجد والغرباُ

ماذا ستخر عني الطرقاتُ

من علامات البداية الفارقة (الاستشهاد). على ماذا؟

لم يذكر، لكنّ ذكّر الشاهدين يكفيك: الوجد، والغربا، ليست غربة واحدة؛ بل غربا؛ غربة المكان، وغربة الزمان، وغربة البعد، وغربة الشوق، وغربة الصالح في أوّان انتشار الفساد... غرباُ لك أن تتخيّلها، بما شئت، لكنّ الجامع بينها (الاختلاف الشديد) والنفور من المحيط؛ لذلك فهي غربة باعتبارها

جنسًا جامعًا لأشياء كثيرة، أعانك بأن ذكرها بصيغة الجمع، وعدّها واحدة فهي ثاني الوجد؛ لأنها تشبه بعضها بعضًا في وحشة النفس، وبعد الأنس.

أما الوجد فهو عالمٌ وحده، الوجد: الشوق حتى لاعقل، والوجد عند المتصوفة حالة هيام بالمحبوب، حالة تسليم تحفّه رغبة شديدة، وولّه، وانقيادًا، وجوعٌ روحيّ عميق.

لم تكن النيات -بعد ذلك- مذبذبةً، فالشاعر جاء بوجوده، وغرباته، فالناي كان استجابةً طبيعياً لحاله، وليست حال انقلاب في المزاج، (النيات) تنسجم مع الفكر الذي تشبّع به عقله وقلبه، فلم تكن الناي-هنا- أداةً للانتقال بالشاعر لحال المناسبة بل كانت بالنسبة إليه مناسبةً تمامًا لما يعانیه، ومع ذلك فهو يستخدمها استخدام التجريد لينقل الحالة سريعاً إلى المتلقّي الذي لم يكن في الشغل نفسه الذي عليه الشاعر.

■ تكرار الهجرة إلى الحبيب:

ومع الهجرة إلى الحبيب يكون اللجوء إلى الشعر لاتخاذِهِ خيمةً راحةً في طريق سفر الروح، السفر الذي كان محفوظاً بالبعد والليل معاً، لكنّه سفر الضرورة الذي تخوضه مجبراً، فلا تعباً بليل؛ لأنّ الضرورات (وهي حال النفس) لا تنتظر الصبح، ولا تعباً بالبعد؛ فالاستقامة على الطريق وصولٌ؛ لا معنى للمسافة معه، يقول:

أسرّجتُ في ليلِ المسافةِ خطوتي

ولكم تُضيءُ دروبنا الخطواتُ

ووثقتُ بالدربِ القديمِ فقادني

إنّ الخُدوسَ كما خبرتُ ثقاتُ (متميمون:9)

يتخذ الشاعر من المجاز مطيّةً لمعانيه المستنيرة، إسراج الخطوة: أسلوب جديد، وتعبير مبتكر، لا تكاد تراه بعينه في الشعر العربي، لكنه معنى يُؤدّي بالصورة التي تحمل:

العدة: السرج

الزمن: الليل

المكان: المسافة

التشخيص: الخطوة

كان يمكن أن تُفهم كلُّ مفردة من معنى الهجرة وحدها، لكنَّ تَرَكُّبها المعنوي في صورة تامة جعل المضمون يتَّسم بحيوية الحركة، وبإضاءات الظرف.

الخطوة: وهي العودة، أو هي الحركة الفاعلة، التي تنتقل من حال الجمود أو الحال غير المرضية إلى المكان المنشود المقصود، هنا لا مجال للتخمين، فلقد أجاب الشاعر عن أي تخمين حول الوجهة، أو صواب الخطوة، فقد تذهب به يميناً أو شمالاً، أو تعيده حيث كان!

هنا يقوم دور الشطر الثاني من البيت، وصدر البيت الذي يليه، ليعطي رسالة الطمأنينة:

ولكم تضيء دروبنا الخطواتُ

ووثقتُ بالدرِّبِ القديم؛ فقادني

لقد كانت الخطواتُ الجميلة المتَّزنة المُسرحةُ المعدَّةُ جيِّداً للسفر قد ذهبتُ من قبلُ إلى الحبيب؛ إلى مكان السموِّ الروحي، إنها ثقةٌ من خبرة، والخبرة يوحى بها (القديم)، الذي ظلَّه سحاب (خبرتُ).

إنَّ الهجرة في هذا البيت هي إعادة إنابة، وهي طريقٌ قديمة موثوق بها، وقلَّما تجد في معاني المديح من يقدِّم لك صورة الدعوة إلى الإنابة بهذه الصورة المغرقة في الفن، والمتَّخذة من عناصر الإيحاء، وهنا «تَمَرَّدتِ الصورةُ على كلِّ تعبيرٍ، فهي التشبيهُ والاستعارةُ والكنائيةُ، وهي صورةٌ رُسمتْ بكلماتٍ شَخَّصَتْ عاطفةً وانفعالاً، وهي التعبيرُ ذو الدلالاتِ الحِسِّيَّةِ، وهي التجسيدُ المُجرَّد» (عبد الله: 166).

والبعد عن الخطاب المباشر الصريح وسيلة لتبيين أن الإنابة والتوبة في ليل الظلمات والذنوب ستفلح؛ إذا أعددتِ العدة، وجَهَّزتِ خطواتك، واستويتِ على صراطك الذي خبرته وفُتِّح لك وعليك فيه.

■ سلوة الشعر:

الشعر سلوة المهموم؛ مثلما كانت النخلة سلوة أنسٍ لمريم العذراء في لحظة المخاض الصعبة؛ ألمُّ الاتهامات، مواجهة المجتمع والناس، ماذا يسليها؟

حلاوة نخل، الشعر حلاوة معنى مع ظروف تتشابه، الشعر للمحبين بلسمٌ جراح، وواحة راحة (الخيمة) التي تُنصب في صحراء الهجرة لتكون نزلاً للمهاجرين، الشعر يؤدِّي وظيفة معنوية: يعبق بالمعاني، ويضيء الطريق، وهو خريطة السفر، وبرنامج العمل، وحلاوة الوصل؛ فليس لك -بعد- أن تتركه وهو عدَّة، وحلاوة يكون موعدها عند اشتداد المخاض، وقسوة الألم، حين تتقاذف الاتهامات، ولا يرحم

الظاهريون المثقلون بالحواس أهل الاستثناء الذين تجاوزوا الماديات، واستغنوا عن الأسباب بمسببها الذي لا يعجزه شيء:

وأقولُّ للأشعارِ :

كوني خيمةً

فلكم تمرُّ بأرضنا الهجراتُ

آمنتُ بالأشعارِ نخلةَ مريمٍ

جدعٌ يُهزُّ

فتسقطُ الثمراتُ

والثمر هو نهاية الصورة، يمثل حلاوةً خاصة، تستنفر حاسة الذوق؛ لأنَّ حلاوة المعرفة ولذتها لا تجد شبهها لها أقرب من (الرتب)، وهو من ألفاظ الوحي، ويرى الباقلاني أنَّ الكلمة القرآنية إذا استُخدمت في شعرٍ أو نثرٍ تميَّزت، وكانت كالدُّرَّة وسطَ العقد. (الباقلاني: 64).

والالتكاء على الحاسة (الذوق) اختيار مؤفَّق، وإحالةً معنوية عظيمة؛ «لأنَّ كلَّ إحساسٍ ينجم عنه تصوُّرٌ معينٌ، وتحدَّدُ لأنَّه -على الأقل- فيما يتَّصلُ بشكل الصورة يشمل الانطباعات الحسية، تجيء وليدة التشبيه أو الاستعارة وبقية الصور البلاغية، مهما كانت الحاسة التي تتَّجه إليها، ويستبعد الوصف المباشر حتى ولو كان حسيًّا» (مكي: 82).

والعلاقة مع الشعر ليست مقحمة في غرض (المديح النبوي)، فما فتى المديح النبوي «يذيع في الناس ألوانا من الثقافة الأدبية» (مبارك: 15)، ولهذا فقد كان غرض الأستاذ المزوعي في الأبيات أن يؤكد على موضوع فرعي يتعلَّق بوجود الشعر ضرورةً وواقعاً، فما الذي يفتح آفاق الروح، ويسلو بك؟

لأنه سلوة سلفت من النبي عليه الصلاة والسلام حين استمع لشعر المديح، وأشار بيده إلى الحلق (وكان أصحابه -عليه الصلاة والسلام- يجلسون حوله حلقاً حلقاً) أن اسمعوا، حين ترى معاني (بانة سعاد)، وتتفرَّع أمامك الموضوعات التي اتخذها الشاعر سبيلاً لسلوة المصطفى عليه الصلاة والسلام وطلب العفو، تجد أمامك معنى أن يتخذ الشعر وسيلة قربي، وسلو، واتصال، وحلاوة معنى، وأن يكون خيمة صحراء يهفو إليها العابرون المثقلون.

■ الحب المبذول:

ههنا معنى ليس غريباً، الحب في المدح النبوي مألوفٌ معروفٌ، لكنّ بدلَ الحبِّ للآتي؛ غريباً كان أو قريباً، هو الإضافة في هذا المقام، هنا حبٌّ مستباحٌ، يغري بنفسه؛ لشدة نبضاته، حبٌّ داعية، لأن عطاءه (النبض) يمتلئُ إغراءً مشروعاً لكل طارق! وهو مع هذه الجاذبية الخاصة، ليس يحرس حبّه، وليس يصونه عن البذل، ولا يخشى عليه الاستنزاف، فالقلبُ الأخضرُ الخفّاقُ لا يُمنعُ عن مرید:

في القلبِ حُبٌّ

لستُ أحرُسُه فكم

تُغري به - كي يُنهب - التّبضاتُ

الحبُّ مثلُ الماءِ

ظالمةٌ إذا

حبسْتَه عن أفواهنا الغيماتُ

وهنا صورة تتفوّقُ باللغة الشعرية وتسمو بها، ثنائية الماء والحب، و«اللغة الشعرية ليست درجةً من درجاتِ اللغة العادية، كما أنّها ليست نوعاً خاصّاً من هذه اللغة، وإنّما هي كيفةٌ خاصّةٌ في التعاملِ مع اللغة العاديةِ بذخيرةِ كلماتها، وقواعدِ صرفها ونحوها» (تليمة: 117).

وصورة (الحب والماء) تسندها اتكاءات شرعية تمنع (حبس الماء) ف«ثلاثةٌ لا يُمنعن: الماءُ والكلاءُ والنائرُ» (ابن ماجة: رقم 2473)، وكما أن الماء حياة الأجساد، والزرع، والدينا، بل حياة كل شيء كما في التعبير القرآني: ﴿وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ﴾ فكذا الحبُّ به الحياة، ولهذا لا تستنكر البذلُ أيها المتلقّي، بل المنع هو الممنوع المحرّم، هو (الظلم) كما في البيت، لكنه ظلم من؟ ظلم الغيمة، فشرط الحب المبدول أن يكون ممّن يفيض منه الحب، كما السحابُ المثقلُ بالماء! هناك إذن - شرط تحمّل: وهو كون المعطي قد نبض بالحب، وامتلاً حبّاً هناك فقط يكون ظالماً لو منع الحب عن المحتاج، والجسوم التي فغرت أفواهها تنتظر غوثاً خاصاً، وحبا منيراً، له راحة تثير وتريح في الطريق هي خيمة الشعر.

■ حضور المتلقّي:

حضور المتلقي في قصيدة المدح النبوي هذه حضور لافت؛ إنه ليس شيئاً موجوداً على الهامش، والشاعر ليس أنانياً يستبطن ذاته ليلغي الآخر، أو لا يعبأ به، إن الآخر = القارئ = المتلقي حاضرٌ في كل لحظات القصيدة، ولهذا كانت رسالة الشاعر إلى المتلقي رسالة ختام القصيدة، فكل ما بذله من حب، وماء، وما أباحه من نفسه، وعواطفه، وخيمة شعره التي نصبها لتكون واحة الراحة، وبيت المقيبل والزاد للعاشرين المهاجرين معه هو من أجل المتلقي. ولهذا فالمتلقي هو الشاعر نفسه، هو صورة أخرى منه، ومثال مكرور؛ لأن معاني الشاعر معاني إنسانية سامية، تتمرد على الظرف الخاص، وتضيق بالماديات، وكل معنويّ فهو سماوي، يصلح ليكون مثلاً لكل عابر:

يا أيُّها الآتي

لتقرأني غداً

شعري وأنت

الذات والمرأة

لك أن تصافحني

تجاوزني فلي

في الشعر

من بعد المماتِ حياةً

صورة العلاقة بين الشاعر والمتلقي تشبه العلاقة بين الذات والمرأة، وهذه ثنائية جديدة يضيفها الشاعر في تصويره البديع بعد ثنائية (الحبّ والماء)، ثنائية (الذات والمرأة) سفينة الأمل، ورسالة التعميم التي تضمّ المتلقين، فكل ذات في القصيدة هي أنت، وكل معاناة لك فيها نصيب، وكل واحة وماء وحلاوة لك منها نصيبٌ وقدر، والشعر الحقّ هو الذي يفلح في موضوعه العام المستوحى من التراث. والغرض الأصيل العظيم الذي ينطلق منه هو المديح النبوي، فينتهي به أخيراً لأن يوظف ذلك كله لأجل المتلقي؛ ف«لم يقتصر دورُ الشعراء على نظم العناصر التراثية التي يتعاملون معها، وسرد مضمونها سرداً تقريرياً، وإنما تجاوزوا ذلك إلى استخدام هذه العناصر استخداماً فنياً للتعبير عن هموم الإنسان المعاصر وقضاياها» (عشري: 63).

إن الشاعر والمتلقي هنا حاضران معاً، فالمعنى — بعد ذلك مبذول: للمحاورة، أو المصافحة، فبعد نشر القصيدة تبدأ حياتها، وأنت أيها المتلقي الكريم حياتها، تبث فيها الروح، وتسمو بها أو تسمو بك إن شئت.

■ الشعر والمقاومة:

ثنائية جديدة أخيرة يختم بها الشاعر قصيدته، أحيانا تبدو لي كالتمتمة لقصده الأخير في الالتفات إلى المتلقي، وأحيانا تترأى مضمونا مفردًا يحق أن يفصل عمّا سواه، وهي ثنائية (الكلمة والرصاصة) أو (الحرية والطاعة)!

إنّ الكفاح النبوي الذي تجود به سيرة النبي عليه الصلاة والسلام تجسّد كفاح الصدق والخير ضد الضلال والانحراف، وتمثّل مقاومة الخير للشر، يصف القرآن الكريم مشاهد من حياة الأنبياء عليهم السلام: ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾ (الأنعام: 67)، ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾ (غافر: 28)، ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ (غافر: 26)، ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقه﴾ (العنكبوت: 23)، ﴿إنّ الملائمة يأترون بك ليقتلوك﴾ (القصص: 19)

وقصة النضال بين الحق والباطل، وأبين الرصاصة والكلمة كما اختار الشاعر في هذه القصيدة، هي قضية وجودية أساسية في التدافع الكوني الذي به تهذيب النفوس وتطهيرها من الرجس، والظلم، والسوء، وغسلها بطهارة النقاء، والهجرة، والكفاح، الشعر هنا يمثل الكلمة، وفي (البداء كانت كلمة)، الكلمة = الشعر هي المقابل الموضوعي للطغيان والعسف والظلم، عسف الأنظمة الحاكمة، والفرق المتشددة، وعسف الإجماع، والبغي، والفوضى، بشارة الشاعر للمتلقى في النهاية الحتمية:

في ركن قافية

سنعلين فوزنا

والخاسرون

رصاصه وطغاة

الرصاصه واحدة، لكنها مفرد نكرة، تحمل اسما للجنس كله؛ فتشمل كل أنواع العسف، أما الطغاة فتعددهم هنا تعدّد طبقي: الحكام، والتطرف، والإجماع، والظلم، وغير ذلك من الطغيان، والاختيار هنا اختيار فرضه الإحساس، ولم يلجئه إليه الوزن؛ إذ كان يمكنه أن يقول: رصاصهم، ولا يتأثر الوزن عروضياً،

لكن البراعة هنا «تنبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما فيها من تلاؤم في الحركات والحروف، وكأنّ للشاعر أذنًا داخليةً وراء أذنه الظاهرة، تسمع كلّ شكلةٍ وكلّ حرفٍ وكلّ حركةٍ بوضوح تامّ» (ضيف: 97).

البشارة التي في الصدر تلاءمت مع الخسارة المدوية للرصاصة المثقلة بحرف التفخيم المكرر فيها (الصاد)، والطغاة المثقل بحرفي الاستعلاء الفخمين (الطاء والغين).

تبدأ القصيدة بالحزن، وتنتهي بالبشارة، بعد الهجرة، والواحة، وإمطار الحب، معاني عالية مترادفة منسّقة لطيفة، أفاضت بها قصيدة هي من عيون المدح في موضوعها العام، وفي تفاصيل المضامين الداخلية؛ فكانت بذلك لونا عظيما من الإبداع الشعري في الأدب الليبي الحديث.

المراجع:

- د.أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، 1979م.
- د. أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، دار المعارف، ط6، القاهرة، 1994م.
- الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1954م.
- أبو تمام، الحماسة بشرح المرزوقي، ت: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- ابن رشيق، العمدة، لابن رشيق، ت: النبوي شعلان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2000م.
- زكي مبارك، المدائح النبوية، ددار المحجّة البيضاء، القاهرة.
- د.سعد مصلوح، الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، ط3، القاهرة، 1992م.
- ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ت: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- د.شكري عياد، الرؤى المقيّدة (دراسات في التفسير الحضاري للأدب)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978م.
- د.شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، ط9، القاهرة، 1962
- د.الطاهر أحمد مكي الشعر العربي المعاصر: روائعه ومدخل لقراءته، دار المعارف، ط3 القاهرة، 1986م.
- د.عبد السلام المسديّ ما وراء اللغة، بحثٌ في الخلفيات المعرفية، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994م.
- د.عبد المنعم تليمة، مدخل إلى علم الجمال الأدبي، دار الثقافة، القاهرة، 1978م.
- العسكري، الصناعتين، ت: علي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- د. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، طرابلس، 1978م.
- قدامة بن جعفر نقد الشعر، نشر كمل مصطفى، ط2، دار المعارف، القاهرة.
- د.محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، 1981م.
- محمد المزوغي، متيمون، دار إيمان، بطرابلس، 2022م
- المقرئ، نفع الطيب، ت: إحسان عباس، دار صادر، 1968م.

استثمار ريع الوقف في تمويل المشروعات

دراسة فقهية اقتصادية

أيوب رمضان الوحيشي

كلية الاداب والعلوم . مزدة جامعة غريان

EMAIL:info@gu.edu.ly

ملخص البحث

يعد الوقف أحد أوعية الاستثمار التي أسستها الشريعة الإسلامية، وهو في أساسه يهدف إلى ديمومة منفعة الأصل "الوقف" واستمراره تحقيقاً لرسالة الإسلام الخالدة التي تهدف إلى الإعمار في الأرض وإصلاحها.

وقد بينت الشريعة الإسلامية ونظمت الوقف وسبل استغلاله واستثماره حتى تتحقق مقاصده، بما يكفل ويحقق ديمومة الوقف والمحافظة عليه، فكان الوقف أحد وسائل التنمية في المجتمع تأتي هذه الدراسة لتسهم في فتح المجال أمام صناديق الاوقاف لاستثمارها بما كفل المصلحة المشتركة للوقف وللمجتمع ككل، حيث ستركز الدراسة على إيضاح الجوانب المضيئة من استثمار عوائد الوقف في دعم حواضن الأعمال الصغرى والمتوسطة، وايضا دعم المشروعات الأسرية، وفقا لصيغ التمويل الإسلامية ك (المضاربة . والاستصناع . والمرابحة ، والإيجار التمويلي)

وتتناول الدراسة حجم صناديق الوقف في ليبيا، وكيفية إدارتها ، والمصاعب التي تواجه ناظري الوقف، والسبل الكفيلة لتطوير إدارات الوقف بما يحقق فائدة قصوى للوقف أولاً ، وللمجتمع ثانياً.

الكلمات المفتاحية : الوقف - الاستثمار - التنمية الاجتماعية

1 مفهوم الوقف في اللغة والاصطلاح

1-1 الوقف لغة

الوقف في اللغة أصل يدل على تمكّن في الشيء(1)، ومنع من النقل والتداول، وهو مصدر وَقَفَ، فعل ثلاثي يستعمل متعدياً ولازماً في المحسوس والمعنوي. جاء في لسان العرب الوقوف

خلاف الجلوس ، وقف بالمكان وقفا ووقوفا، فهو واقف ، ووقفت الدابة تقف وقفا ووقوفا سكنت 2 ، ووقفت الدار وقفا حبستها في سبيل الله ، والجمع أوقاف ،

ومن معاني الوقف: الحبس والمنع، والسكون والسكوت والتعليق والتأخير والتأجيل والقيام، والاطلاع على الشيء والإحاطة والدوام (3)، ولفظ الحبس كالوقف صريح في الدلالة عليه بخلاف لفظ التحريم ونحوه من الكنايات. والوقف بمعنى الحبس(4)

1- 2 الوقف في اصطلاح فقهاء الشريعة

اختلف الفقهاء في تعريف الوقف، فجاءوا بتعريفات متعددة، حسب اختلاف مدارسهم الفقهية ، وشروطها وأحكامها ، وسنعرض بعض التعريفات للمذاهب :

عند المالكية: الوقف مصدر إعطاء منفعة الشيء مدة وجوده لازماً بقاءه في ملك معطيه ولو تقديراً (5)

عند الأحناف: حبس العين على حكم ملك الواقف والتصدق بالمنفعة (6)

عند الشافعية: الوقف هو أن يحبس أصل المال وتسبيل الثمرة (7)

عند الحنابلة : الوقف هو تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة (8)

1- 3 الوقف في القانون

عرف المشرع الليبي الوقف بأنه: ((حبس العين وجعل غلتها او منفعتها لمن وقفت عليه)) (9) ، والتعريف يقترب من تعريف الحنابلة للوقف في منع التصرف بالعين الموقوفة وتسبيل منفعتها، وعرفه المشرع الاردني بأنه: ((حبس عين المال المملوك على حكم ملك لله تعالى على وجه التأييد وتخصيص منافعه للبر ولو مالياً)) (10)، يقترب هذا التعريف من تعريف الصاحبين والشافعية بان يكون المال المراد وقفه ملكاً تاماً للواقف، وخروجه من ملكه بعد وقفه الى حكم ملك الله تعالى، ومنع التصرف فيه على وجه التأييد، وتعود منفعته للبر بقصد القرية سواء ابتداء وانتهاء او انتهاء.

1- 4 استثمار الوقف في اللغة والاصطلاح

1- 4- 1 في اللغة

الاستثمار طلب الحصول على الثمرة ، ثمر الشيء : إذا تولد منه شيء آخر ، وثمّر الرجل مال : احسن القيا عليه ونماه ، وفي الوسيط: الاستثمار استخدام الأموال ف الانتاج إما مباشرة بشراء الآلات ، وإما بطريقة غير مباشرة ك شراء الأسهم والسندات

1-4-2 في الاصطلاح

لم ترد في كتب الفقهاء هذه الكلمة كونها مصطلحا حديثا ، إلا أن معاني ودلالة هذا اللفظ لم تخل منها كتبهم وأقوالهم ، حيث ذكروا الفاظا مقاربة كالتمثير ، قالوا في الرشيد هو الشخص القادر على تتمير أمواله وإصلاحه(11)، والسفيه هو غير ذلك . وأرادوا بذلك الاستثمار بمعناه المعلوم لدينا.

والاستثمار الوقفي : استخدام أموال الوقف للحصول على منافع أو غلة لتصرف في اوجه البر الموقوف عليها ، وبذلك يشمل الاستثمار ما يبذل من جهد فكري أو مادي او كلاهما من اجل الحفاظ على الممتلكات الوقفية وتنميتها بالطرق المشروعة وفق مقاصد الشريعة ، ورغبة الواقفين بشرط ألا تعارض نصا شرعيا

1-5 استثمار الوقف كما يراه أهل الاقتصاد

اختلفت آراء علماء الاقتصاد في تعريف الاستثمار وبيان ماهيته، وهذا الخلاف راجع إلى الجهة التي ينظر كل منهم إلى الاستثمار من خلالها، فمن كان نظره متجهاً إلى الاستثمار من جهة الاقتصاد الكلي عرفه: بأنه (استخدام المدخرات في تكوين الاستثمارات اللازمة لعمليات إنتاج السلع والخدمات، والمحافظة على الطاقات الإنتاجية القائمة أو تجديدها)(12).

ويسمى استثماراً حقيقياً وإنتاجياً واقتصادياً وعينياً. (13)

ويلحظ أن الاستثمار هنا لا يقتصر على تكوين طاقات إنتاجية جديدة أو التوسع في المشروعات القائمة، بل يهدف إلى المحافظة على الطاقات الإنتاجية في المشروعات القائمة وكذا أعمال الصيانة ونحوها.

وأما من ينظر إليه باعتباره استثماراً مالياً فيرى أنه يعني: تداول الأدوات الائتمانية وفي مقدمتها الأسهم والسندات(14).

ويسمى استثماراً مالياً واسمياً وظاهرياً وإيرادياً(15).

وهناك من ينظر إلى مدة الاستثمار: فيرى البعض أن الاستثمار هو توظيف النقود لأي أجل، وقيل: بل يجب أن يكون الأجل طويلاً نسبياً.

ومن الاقتصاديين من ينظر إلى المخاطرة المتوقعة فلا يكون استثمارياً إلا إذا خلا من المخاطرة.

2 مشروعية الوقف وتاريخه

يصنف الوقف بانه من القربات التي يتقرب بها الانسان إلى المولى عز وجل ، وهو من اعمال البر ، وذلك لفعله المتعدد والمتنوع ، فكما جاء في الحديث الشريف أن خير الناس أنفعهم للناس وقد استدلل العلماء لجواز الوقف بأدلة كثيرة قال الإمام الترمذي والعمل على هذا عند أكثر اهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم ، ولا نعلم بين المتقدمين منهم في ذلك اختلافاً في إجازة وقف الأرضين وغير ذلك 16

3 أحكام وضوابط استثمار ريع الوقف

3-1 حكم الوقف واستثمار ريعه

وحكم استثمار الوقف يظهر بجلاء عند بحث كل صورة من صور استثمار الوقف إلا أنه يُمكن نظم عقد هذه الصور في حالات ثلاث هي كما يأتي :-

الحالة الأولى: ما هو محل اتفاق من صور استثمار الوقف كالإجارة المحققة للمنفعة(17). ويلحق به كذلك استبدال ما تعطل من الأوقاف عند عامة الفقهاء.

الحالة الثانية: ما وقع الإجماع على المنع من استثمار الأوقاف من خلاله، وهو كل ما يلحق الضرر بالوقف ولا يحقق مصلحته من سائر التصرفات.

الحالة الثالثة: صور في الاستثمار الوقفي تحقق مصلحة الوقف إلا أنها ليست من قبيل العقود محل الاتفاق كالإجارة، ويمثل لها بغالب الصور الاستثمارية المعاصرة، ويدخل في هذه الحالة استبدال ما لم يتعطل مما تكون المصلحة أكبر في استثماره باستبداله أو جزء منه.

3-2 الضوابط الشرعية لاستثمار الوقف

ذكر الفقهاء مجموعة من الضوابط التي يجب مراعاتها عند استثمار أموال الوقف بالإضافة إلى الضوابط الاقتصادية والمحاسبية(18)، أهمها:

3- 2- 1 المشروعية: بأن تكون عمليات استثمار أموال الوقف مطابقة لأحكام الشريعة، ولتجنب المجالات المحرمة شرعاً، كالإيداع في البنوك بفوائد، أو شراء أسهم الشركات التي تعمل في مجال الحرام، أو الاستثمار في البلاد التي تحارب الإسلام والمسلمين أو تتعاون معهم؛ لأن الغاية لا تبرر الوسيلة، ولا يصح أن نسعى لاستثمار الوقف وزيادة غلته وريعه بالوسائل المحرمة، لأنها تحبط الأجر، وتهدم الأصل الذي قصده الواقف بالحصول على الأجر والثواب من الله تعالى، وهذا يتنافى مع استخدام الوسائل المحرمة.

3- 2- 2 اختيار مجال الاستثمار الأمثل: حيث يضمن الربح الأفضل، والربح الأعلى، مع حسن اختيار الصيغة التي تتناسب مع الحفاظ على الوقف وحقوقه وأفضل الشروط له، على أساس تحقيق العائد الاقتصادي المرضي

3- 2- 3 الحرص على تقليل المخاطر الاستثمارية، وتجنب الأعمال التي تكثر فيها المخاطر، ويقل فيها الأمان، وعدم تعريض الأموال الوقفية لدرجة عالية من المخاطر، مع تأمين الحصول على الضمانات اللازمة المشروعة من تلك المخاطر، وإجراء التوازن بين العوائد والأمان، وتجنب اكتناز أموال الوقف.

3- 2- 4 تنوع المشاريع والمجالات التي تستثمر فيها أموال الوقف، حتى لا تكون مركزة في مشروع أو مجال قد يتعرض لكوارث أو خسائر أو نكبات، فتضيع أموال الوقف، فإن تعددت المشاريع والمجالات خفت الخسائر، وعوّض بعضها بعضاً، وبذلك نضمن معيار المرونة في تغير مجال وصيغة الاستثمار.

3- 2- 5 تنوع الاستثمار بما يضمن مناسبة المال موقوف حسب قطاعات الوقف، والتنوع في محفظة الاستثمار لكل مال، واستيعاب الأساليب الاستثمارية المجربة الناجحة، وتزواج الأساليب الحديثة.

3- 2- 6 توثيق العقود وكل التصرفات التي تتم على أموال الوقف، وهذا مطلوب بشكل عام، لقوله تعالى في حكمة الكتابة والإشهاد والتوثيق: ﴿ ذلكم أقسط عند الله، وأقوم للشهادة، وأدنى ألا ترتابوا ﴾ [البقرة/282]، ويتأكد ذلك أكثر في أموال الوقف لطابعها الخيري والاجتماعي والديني والإنساني، ولطبيعتها الزمنية في امتدادها لأجيال وأجيال.

3-2-7 المتابعة الدائمة، والمراقبة الدقيقة، وتقويم الأداء المستمر للتصرفات والحركات التي تتم على أموال الأوقاف واستثماراتها، للتأكد من حسن سيرها وفقاً للخطة المرسومة، والسياسات المحددة، والبرامج المقررة مسبقاً، حتى لا يتسرب الخلل والوهن والاضطراب للمؤسسة الاستثمارية، أو يقع فيها الانحراف، مما يؤدي إلى ضياع أو خسارة الأموال الوقفية، وإن حصل شيء من ذلك تمّ علاجه أولاً بأول حتى لا يتفاقم أو يتضاعف.

3-2-8 مراعاة العرف التجاري والاستثماري، لأن الالتزام بتلك الأعراف يحقق المصلحة والمنفعة للأطراف، ويجب عند استثمار أموال الوقف تحقيق المصلحة للوقف.

3-2-9 اتباع الأولويات، والمفاضلة بين طرق الاستثمار ومجالاتها، وهذا خاضع للتطور، ومعرفة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في مكان الاستثمار.

5- الحقوق المتعلقة باستثمار أموال الوقف

يتعين المحافظة على الوقف بصفته مالياً، وقد جاءت الشريعة بضرورة المحافظة عليه؛ إذ تقرر في الشريعة حفظ الضرورات الخمس (19)، ومنها حفظ المال. وأول ما يدخل في ذلك المال المولى عليه، ومنه مال الوقف الذي يتولى النظر عليه ناظرٌ عامٌّ أو خاصٌّ، ومن الحفظ لمال الوقف عدم تعريضه للمخاطرة حال استثماره، والمقصود هنا: تجنبه درجات عالية من المخاطرة؛ حيث لا يخلو الاستثمار من المخاطرة، ولكنها تتفاوت في قدرها (20)، وهذا المطلب موافق لطبيعة المال الموقوف الذي يجب تحبّيس أصله وتسييل ثمرته التي يمكن الانتفاع بها بطرق متعددة كلها محتملة الخطر لأي عارض قد يصيب العين بالتلف.

6 صور استثمار أموال الوقف وريعه

6-1 الصور القديمة

عرض الفقهاء القدامى والفقهاء المتأخرون صوراً عديدة، لاستثمار الوقف تتناسب مع زمنهم، ونعرضها باختصار للتعريف بها وتوضيحها .

6-1-1 الإجارة:

وهي الصيغة المتداولة والمنتشرة منذ مطلع العهود الفقهية الأولى، وحتى اليوم، وستبقى للمستقبل، وهي الأكثر شيوعاً في عقارات الوقف، سواء كانت أبنية أم أرضاً زراعية، أو أرض فضاء، والإجارة

عقد على منفعة مباحة معلومة مدة معينة بأجر معلوم، أو هي تملك منافع مباحة لشيء مدة معلومة بعوض (21).

والإجارة مشروعة باتفاق الفقهاء، وتحقق الهدف من الوقف بحبس الأصل وبقاء العين، ثم الحصول على الأجرة والثمرة، لينتفع بها الموقوف عليهم، وتتم إجارة الوقف من الموقوف عليه أو المتولي (22)، ويشترط أن تكون أجرة الموقوف عادلة، بأن تساوي أجرة المثل، ولا يجوز بالأقل المشتمل على العبن، ولا يوجد حد لمدة الإجارة طولاً أو قصراً، وقد ورد في بعض افجارات وصولها مائة سنة، غير أن كثيراً من العلماء يخشى على الوقف بسبب طول مدة الإجارة في الوقف ما قد يعرض الوقف إلى النسيان، أو الاستيلاء عليه مع مضي الزمن بوضع اليد،

6-1-2 المزارعة :

المزارعة هي دفع الأرض لمن يزرعها على أن يكون له جزء من إنتاجها، ويكون البذر من مالك الأرض أو ناظر الوقف، فإن كان البذر من العامل فتسمى: المخابرة.

فإذا كانت الأرض الزراعية موقوفة، فإما أن تسلم للموقوف عليهم يزرعونها بأنفسهم، ويتقاسمون الإنتاج الزراعي فيما بينهم، بحسب الاتفاق، وبحسب الحصاص، وإما أن يدفعها الناظر أو المتولي لشخص آخر يزرعها، ويأخذ حصة متفقاً عليها من الإنتاج، ويتسلم الناظر أو المتولي حصة الوقف، ويوزعها على الموقوف عليهم، أو يبيع الإنتاج، ويوزع ثمنه على الموقوف عليهم بحسب شرط الواقف. ويمكن لإدارة الوقف استثمار الأراضي الزراعية مباشرة مع استخدام التقنيات الزراعية المؤدية إلى زيادة الإنتاج، وتحسين الجودة، وانخفاض التكاليف، مما يضمن أعلى قدر من الإنتاجية بأقل قدر من التكاليف، وأفضل جودة للمنتج.

6-1-3 : المضاربة :

المضاربة شركة، وهي عقد بين طرفين يقدم أحدهما المال، ويقدم الآخر العمل، ويتقاسمان الربح بحسب الاتفاق.

وهي وسيلة استثمار قديمة، وتسمى أيضاً شركة القراض، ومتفق عليها بين الفقهاء بالإجماع، لأن النبي ﷺ عمل بها قبل البعثة لما خرج بمال خديجة إلى الشام، وعمل بها الصحابة من بعدهم إلى يومنا هذا.

والمضاربة أو القراض شركة مشروعة، وبحثها الفقهاء بإسهاب وتفصيل، وتقع بين الأشخاص عادة على النقود، أي الأثمان من الدراهم والدنانير، ويمكن أن تدخل أموال الوقف مشاركة في مشروع تجاري أو صناعي أو زراعي، وفي الشركات المساهمة، والمشاركة في الصناديق الاستثمارية المباحة، والمشاركة في المحافظ الاستثمارية،

6 - 2 الصور المعاصرة

ظهرت في العصر الحاضر على يد العلماء والفقهاء عقود جديدة في المعاملات المالية المعاصرة، وفي طرق الاستثمار.

ويمكن استخدام هذه الوسائل المستحدثة المعاصرة في أموال الوقف، بأن يتم التعامل بها لاستثمار مال الوقف لكسب أحسن الغلة والربح له، ليستفيد منها الموقوف عليهم، وينتفع منها المجتمع والأمة، ولذلك نفتح المجال أمام الوقف للاستثمار عن طريقها داخلياً ودولياً، مثل المشاركة المنتهية بالتملك، والإجارة المنتهية بالتملك، والاستصناع الموازي، والمساهمات في رؤوس أموال الشركات كالأسهم والصكوك وسندات المقارضة، والاستثمار لدى المؤسسات المالية الإسلامية، مثل المصارف الإسلامية، ومؤسسات الاستثمار الإسلامي، ومؤسسات صناديق الاستثمار الإسلامي، وما في حكم ذلك، وقال الدكتور حسين شحاته: " ولقد عُرضت هذه الصبغ على مجامع الفقه الإسلامي فأجازتها، ووضعت لها الضوابط الشرعية التي تحكم التعامل معها، وقد تم العمل بهذه الصور في عديد من بلاد الإسلام في إدارة واستثمار أموال الوقف كما هو الحال في الأردن وماليزيا وتركيا والمملكة العربية السعودية، والامارات وغيرها ..

6 - 2 - 1 : الاستصناع :

الاستصناع لغة هو طلب عمل الصنعة من المصانع فيما يصنعه، وإصطلاحاً: هو بيع عين موصوفة في الذمة، لا يبيع العمل، وقد يشترط فيها العمل من المصانع.

ولم يطبق الاستصناع على الأوقاف إلا في العصر الحاضر، نظراً لعدم توفر السيولة النقدية عند الأوقاف لتأمين استثمار واستغلال الأراضي الوقفية، ولذلك اتجه المشرفون على الوقف إلى المصارف الإسلامية لتمويل الاستثمارات على الأراضي الوقفية بموجب عقد استصناع بحيث تقدم الأوقاف كافة المواصفات والمقاييس المطلوبة لإقامة المشروع، وتقوم الجهة التمويلية بالعمل الموكل إليها من خلال أجهزة متخصصة تابعة لها، أو بالاستعانة بغيرها من الجهات المتخصصة للقيام بهذا العمل.

6-2-2 المشاركة المتناقصة المنتهية بالتمليك :

وهي نوع من المشاركة يعطى بموجبه الممول للشريك الحق في الحلول محله في ملكية المشروع، إما دفعة واحدة، أو على دفعات، حسبما تقتضيه الشروط المتفق عليها(23).

وهذه الصيغة أقرها العديد من المؤتمرات الفقهية والندوات العلمية المتخصصة وهيئات الفتوى للبنوك الإسلامية لموافقتها للأحكام الفقهية المقررة في هذا الخصوص(24).

وذلك على أساس إجراء ترتيب منظم لتوفير جزء من الدخل المتحصل ليدفع أقساطاً لسداد قيمة الحصة المتنازل عنها، ليصبح العقار كاملاً للوقف مع الزمن، ويصرف الجزء الباقي من الربح على الموقوف عليهم، فإن تمت الملكية للوقف -بعد انتهاء الأقساط- صار الربح كاملاً للموقوف عليهم.

ويمكن استثمار هذه الصورة في تمويل المشروعات الصغرى الأسرية، كتوفير الآليات اللازمة للخياطة، وتدريب ربات البيوت على تشغيلها ثم يتم سداد ثمن الأجهزة على أقساط من عوائد استخدام وتشغيل تلك الآلات، ويمكن استخدام هذه الصيغة في توفير أيضاً وسائل الصناعات والمشغولات الأسرية. ، نظرا لعدم احتياجها لرأس مال مرتفع، وأيضاً لسهولة التدريب عليها وتشغيلها، وأيضاً يوجد طلب متزايد عليها مما يوفر فرص عمل للأسر،، ويحقق الاكتفاء لها .

ويمكن تنويع صيغ المشاركة المتناقصة أيضاً في توفير وسائل نقل خفيف ومشاركتها، وأيضاً المتاجر الصغيرة،

6-2-3 : التمويل بالمرابحة :

وذلك بأن تتفق الأوقاف مع جهة ممولة على إقامة مبان ومنشآت على قطعة أرض وقفية (وهي كثيرة)، ويتم الاتفاق مبدئياً على كلفة البناء، ونسبة الربح للممول، ثم تقوم الوزارة بتسديد هذه القيمة للممول على أقساط من دخل هذا المشروع، مع تقديم الضمانات اللازمة لتسديد القيمة، ويكون البناء للأوقاف تستفيد مبدئياً من جزء من أجرته وريعه، ثم يصبح البناء والدخل كاملاً للأوقاف(25).

7 تجارب وتطبيقات معاصرة لاستثمار الوقف

7-1 البنك الإسلامي للتنمية

البنك الإسلامي للتنمية بنك تنموي متعدد الأطراف، يعمل على تحسين حياة أولئك الذين نخدمهم من خلال تعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية في البلدان والمجتمعات الإسلامية في جميع أنحاء العالم، وإحداث التأثير على نطاق واسع.

يقوم البنك الإسلامي للتنمية بالعمل في 57 دولة، وفي سنة 2020 قام البنك بتمويل مشاريع تنموية بقيمة 16 مليار دولار

7-2 وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية

أعلنت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد عن إطلاق العمل في الصناديق الوقفية المتنوعة .

- كما أن الوزارة تعيد النظر في نظام مجلس الأوقاف الأعلى ليحقق رسالتها ودورها في البناء الحضاري، والتكافل الاجتماعي، ونشر العمل، ومحاربة الفقر والمرض.

وفي المجال العلمي نظمت الوزارة عدداً من المؤتمرات والندوات الخاصة بالوقف. كما ذكر أن الأوقاف بالمملكة شهدت تطوراً عظيماً في العديد من المجالات العملية ومنها:

- توسعة بناء الحرمين الشريفين المكي والمدني، وبناء كثير من المساجد أو إعادة بنائها في داخل المملكة وفي خارجها من البلاد الإسلامية وغيرها من بلاد العالم وكذا المراكز الإسلامية.

- وقف موقع القلعة الكبيرة بجبل (بلبل) المشهورة بقلعة أجياد بمكة المكرمة بكامل ما اشتملت عليه من منافع وعموم الأراضي التابعة لها على المسجد الحرام واستثمار ذلك بقيمة إجمالية قدرها ألف مليون ريال وتبلغ مساحة الموقع أكثر من (23) ألف متر مربع.

- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة والذي افتتح في 1405/2/6هـ، وتوزيع المصاحف على كل حاج وعلى جميع المساجد والمدارس في المملكة وإلى جهات كثيرة.

- قيام شركات بناء خاصة كبيرة أدخلت فيها عقارات ووقفية على شكل أسهم حققت زيادة في العائد وصلت إلى حوالي 600% كما هو الحال في شركة مكة للإنشاء والتعمير.

- المباني الكبيرة التي شيدت على عقارات موقوفة قديمة وحديثة متعددة لا يسع المقام لبسطها.
- إنشاء صناديق تتمرير وقفي .

7-3 الأمانة العامة للأوقاف دولة الكويت

من التجارب ذات الطابع الخاص تجربة أمانة الأوقاف الكويتية حيث يتولى الإشراف على الأوقاف وتتميرها مؤسسة ذات شخصية اعتبارية مستقلة، ولدراسة هذه التجربة فقد جرى التعريف بالأمانة من خلال أهم نظمها ولوائحها المتعلقة بالاستثمار الوقفي على وجه الخصوص، ومن ثم بيان استراتيجياتها وغاياتها وذكر سياساتها العامة .

علماً بأن هناك عدداً من الدول حاولت محاكاة تجربة أمانة الأوقاف الكويتية في إنشاء مؤسسة ذات شخصية اعتبارية تشرف على الأوقاف، حيث أنشأت الإمارات العربية المتحدة في عام 1999م الهيئة العامة للأوقاف بناءً على المرسوم الاتحادي رقم 29 لسنة 1999م، وهي هيئة تعنى بشؤون الوقف وتوسعي إلى تنمية واستثمار موارده، وهي مؤسسة ذات شخصية اعتبارية مستقلة. (26)

8 الأوقاف في ليبيا : الواقع والمأمول

صدر قانون الأوقاف في ليبيا عام 1972 ووضح المشرع فيه إجراءات الوقف ونظارته، بحيث تكون الهيئة العامة للأوقاف هي المشرف على قطاع الوقف وفي عام 2012 أصدرت الحكومة قراراً بإنشاء الهيئة العامة للأوقاف تختص بالإشراف والمتابعة للأوقاف في البلاد ، تكون تبعيتها لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، وتمارس إدارة الأوقاف عملها الآن تحت إشراف الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية ، وينحصر عملها في تحصيل إيرادات الوقف ومتابعتها والإشراف عليها وتأمل الدراسة أن يتم تطوير الإطار القانوني لإدارة الأوقاف بحيث تستقل إدارياً ومالياً ليقترن علمها على الإشراف على الأوقاف، وأيضاً الشروع في استثمار أموال الوقف حيث تقدر أموال الوقف بحسب إحصائية صادرة عن الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية في 2017 بـ 1.2 مليون دينار شهرياً (27)

9. الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث تخلص الدراسة إلى التأكيد على دور الوقف وريعه في توفير مصادر أخرى للدخل تعود بالنفع على أطراف عديدة وتحقق التنمية والرخاء، خاصة وان القطاع الوقفي يعتبر قطاعاً قائماً بذاته، ويمكن ان يكون له دور كبير جدا في تحقيق نقلة نوعية للوقف وتحقق له عوائد كبيرة

على ضوء الدراسة يمكننا الخلوص إلى النتائج التالية

- إن قطاع الوقف يعتبر من احد روافد الاقتصاد الوطني ، وأحد القطاعات الواعدة .
- يحتاج قطاع الوقف في ليبيا على إعادة ترتيب البيت الداخلي بحيث يمكن تطوير عمله ، والانتقال به من العجاية إلى الاستثمار ،
- توصي الدراسة باستقلال مؤسسة الوقف عن الشؤون الإسلامية، وأيضاً تدعيم المؤسسة بكوادر مالية لغرض الاستثمار.
- توصي الدراسة باستحداث حاضنات استثمارية قصيرة الأجل تقوم بتقديم صيغ التمويل الإسلامية لخلق فرص التنمية وأيضاً استثمار عوائد الوقف
- توصي الدراسة بتأسيس شركة وقفية لإدارة واستثمار عوائد الوقف بما يخدم ويرفع المركز المالي لصناديق الوقف.
- عقد الاتفاقيات مع حاضنات الأعمال والمشروعات الصغرى والمتوسطة بما يكفل المصلحة المشتركة
- كما توصي الدراسة القائمين على الوقف في ليبيا باستثمار ريع الوقف في المجالات المختلفة بعد دراسة جدواها الاقتصادية
- وتوصي الدراسة بتشكيل لجنة مشتركة (شرعية قانونية اقتصادية) لعمل مقترح إعادة النظر في قانون الوقف وتعديله بما يكفل تنمية قطاع الوقف

(1) ينظر: مقياس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1411هـ، مادة (وقف).

2 محمد بن منظور لسان العرب 9 ط3 بيروت دار صادر 1414 ص 359

- (3) ينظر: تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة مادة (وقف)، ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان عام 1986م بيروت مادة (وقف).
- (4) الجرجاني علي بن محمد التعريفات ط1 بيروت دار الكتب العلمية 1403 1983 ص 353
- 5 شمس الدين أبو عبد الله الحطاب ، مواهب الجليل فس شرح مختصر خليل ، ج 6 / (ط 2 بيروت دار الفكر 1412 1992) 337
- 6 ابن عابدين محمد أمين رد المختار على الدر المختار ج 4 ط 2 بيروت دار الفكر 1412 1992 337
- 7 إسماعيل بن يحيى المزني ، مختصر المزني ج 8 دت بيروت دار المعرفة 1422 1992 233
- 8 ابن قدامة موفق الدين عبد الله بن أحمد ، المغني ج6 (د ت مكتبة القاهرة 1968 ص 3
- (9) المادة-الأولى- من قانون أحكام الوقف الليبي رقم 124 لسنة 1972، منشور في الجريدة الرسمية بعدد 58 في 1972/12/11.
- (10) المادة-الثانية- من قانون الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الاردني رقم32 لسنة2001، منشور في الجريدة الرسمية بعدد 4496 في 2001/7/16.
- (11) ابن رشد ، بداية المجتهد د ط الحلبي ج 2 281 .
- (12) حسين عمر المدخل إلى دراسة علم الاقتصاد - الاستثمار والعولمة د. ، دار الكتاب الحديث ط الأولى 2000م ص37، ..
- (13) . حسين عمر موسوعة المصطلحات الاقتصادية د ، مكتبة القاهرة الحديث، 1967م ط 2.
- (14) الحبيب فايز إبراهيم مبادئ الاقتصاد الكلي ، ط الرابعة، 1421هـ، ص 279..
- (15) ينظر: صيام أحمد زكريا مبادئ الاستثمار ص26.
- 16الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى ، السنن مؤسسة قرطبة. القاهرة ط 2 ج 2 ص 672
- (17) ينظر: أحكام إجارة الوقف وما يجري عليه من تصرفات للدكتور صالح اللحيان 216/1، المنشور ضمن ندوة الوقف في الشريعة الإسلامية ومجالاته.
- (18) مجلة أوقاف، العدد 6، بحث الدكتور حسين شحاتة ص78 وما بعدها، امجلة المستثمرون، العدد 31 ص128.
- (19) الزركشي بدر الدين بن محمد البحر المحيط ، دار الكنتي 1414هـ، 86/8،..

- (20) الزرقاء أنس الوسائل الحديثة لتمويل والاستثمار ص189، حيث نبه إلى أن كل مشروع استثماري لا يخلو من مخاطرة، ووجه ذلك أن تحملنا تكلفة المشروع المبدئية المؤكدة، وانتظارنا للعائد الظني الذي قد لا يتحقق عند خسارة المشروع هو من المخاطرة.
- (21) دليل المصطلحات الفقهية الاقتصادية ص7.
- (22) الموسوعة الفقهية الميسرة 40/1، الروضة 329/5، 344، المهذب 511/3، الوقف، الهيبي ص61،
- (23) اقترح الدكتور أنس الزرقا صيغة المشاركة الدائمة لاستثمار أموال الوقف، بأن يقدم الوقف الأرض للمستثمر الممول، ليصبحا شريكين في الأرض والبناء، على مبدأ الاستبدال، ولكن منع أكثر العلماء ذلك، لأن المستثمر أصبح شريكاً في مال الوقف، وهو لا يجوز (انظر: الاتجاهات المعاصرة ص242).
- (24) مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد 4، سنة 1408هـ/1988، 2001/36، ووضعت وزارة الأوقاف بالأردن صيغة موسعة لتكون نموذجاً لهذا النوع من الاستثمار (الاتجاهات المعاصرة ص141).
- (25) انظر: الاتجاهات المعاصرة ص139.
- (26) ينظر: الإشارة لهذه التجربة -مع مزيد من التفصيل لتجربة إمارة الشارقة- في بحث بعنوان: التجربة الوقفية لدولة الإمارات العربية المتحدة إمارة الشارقة نموذجاً لسامي محمد الصلاحات، مجلة أوقاف عدد 5 ص41..
- (27) الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة ليبيا، تقرير مكتب أوقاف طرابلس عن سنة 2017

(النظم التجارية لمدن بلاد المغرب الساحلية ودورها في تنشيط الحركة التجارية خلال القرنين (3 - 5 هـ / 9 - 11 م

(

د. عمر محمد ابولقاسم سوادي
جامعة غريان / كلية الآداب الاصابة

المقدمة

لقد ارتبط تاريخ المغرب منذ اقدم العصور بالبحر المتوسط، ذلك لان موقعه هذا جعله محطة عبور هامة ونقطة وصل بين بلدان المشرق في الشرق والاندلس في الغرب، وبين التجارات الصحراوية في الجنوب والتجارات الاوربية في الشمال، ولذا ظل البحر دوما حاضرا في مجمل التطورات التي عرفتها الإنسانية سواء كانت سياسية او اقتصادية او ثقافية ، ولهذا السبب ظل المتحكم في البحر يكون دوما هو المتحكم في الثروة .

ان علاقة المدن المغربية بالبحر واتصالها بمدن الاندلس وصقلية والمدن الإيطالية (البندقية . بيزا . جنوه) تجعل من الأهمية دراسة هذه المدن ودورها في تجارة الحوض الغربي للبحر المتوسط ، خاصة بعد ان فقدت بعض المسالك البرية أهميتها ، وتحول النشاط الاقتصادي الى المدن الساحلية ، يضاف الى ذلك ما شهدته هذه الفترة من سيادة إسلامية على البحر . وبالرغم من اهتمام المؤرخين بدراسة التاريخ الاقتصادي لمدن المغرب خلال العصر الوسيط ، إلا أن ما كتب حول الخلايا والشبكات التجارية (الافراد . الشركات) وطرق تعاملها لم يحظ بدراسة وافية .

وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه من المواضيع التي تسلط الضوء على النشاط التجاري في مدن المغرب وعلاقتها التجارية فضلا عن النظم التجارية التي رافقت هذه الأنشطة .

– مدن الحوض الغربي وأهميتها التجارية :

لقد ارتبط تاريخ المغرب منذ اقدم العصور بالبحر ، فموقع بلاد المغرب على البحر جعله نقطة عبور أساسية للعديد من الشعوب وبالتالي نقطة عبور أيضا للكثير من التجارات والسلع المتنوعة ، ولهذا فإن البحر ظل دوما حاضرا في مجمل التطورات الحضارية التي عرفتها الشعوب المختلفة سواء كانت سياسية او اجتماعية او اقتصادية ، ومن هذه الأهمية عرفت مدن المغرب الساحلية تطورا كبيرا خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين، ويعد تأسيس المدن وازدهارها اقتصاديا من ابرز سماته ، كما ان للثروات المتنوعة ببلاد المغرب بين المنتج الفلاحي والصناعي كبير الأثر في تفعيل حركة التجارة الداخلية والخارجية ، ولهذا برزت العديد من المدن كأكبر محطات تجارية في ذلك الوقت ، وكان السبب في هذا التطور هو الازدهار التجاري الذي يكمن وراء تطور المدن وازدهار تجارتها البحرية مع بقية المدن الأخرى ، يضاف الى ذلك انتشار واتساع شبكة المسالك البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، فمدن المغرب شكلت محطات تجارية ومخازن كبيرة لتصدير البضائع الى كل من صقلية والمدن الإيطالية والاندلس ، في وقت شهدت فيه المدن الداخلية تراجعاً اقتصاديا كبيرا ، فإذا ما نظرنا الى هذه المدن كما وصفها الرحالة الجغرافيون، نجد أن هذه المدن اكتسبت أهمية خاصة في التجارة البحرية لكونها تقع على الساحل ، فمثلا مدينة المهديّة كما يذكر المقدسي هي خزنة القيروان ومطرح صقلية وتعد من أكبر الموانئ وكانت محطة للسفن القادمة من بلاد المشرق والمغرب والاندلس وبلاد الروم ، وهذا الميناء يتسع لأكثر من مائتي مركب (1) (المقدسي / 1906 / ص 236) ، وهي مرفأ لسفن الإسكندرية والشام وصقلية (2) (الاصطخري : 1961 ، ص 30) ، فضلا عن مدينة طرابلس التي يعد مينائها من بين الموانئ الآمنة من الرياح ، وبها أسواق كثيرة ويوصف احد المؤرخين أسواق المدينة بقوله " وبها أسواق حافلة وأكثر أهلها تجار يسافرون برا وبحرا وهم احسن الناس معاملة (3) (مؤلف مجهول ، 1985 ، ص 144) ، ومع رواج وازدهار التجارة قامت حركة تجارية بينها وبين السواحل الاوربية وان سفن النصراري كانت تتردد عليها محملة بالسلع والبضائع (4) (خليفة التليسي : د. ت ، ص 245) كذلك مدينة تونس التي بناها عبيدالله المهدي وتتمتع بموقع جغرافي مهم حيث انها على سفح جبل ويفصل بينها وبين مرساها بحيرة تشكل حصنا طبيعيا ، وبها ميناء لصناعة السفن ولعبت دور مهم في التجارة البحرية (5) (البكري : 1857 ، ص 37) وصفاقس وهي مدينة على البحر مسورة وبها أسواق كثيرة ومساجد ويوجد بها حصون ورباطات على البحر ، وبها منار مفرط في الارتفاع يرقى اليه في مائة

وست وستين درجة ، وطبرقه وسوسة التي تميزت هي الأخرى بأهميتها الاقتصادية ، ويحيط بها الماء من ثلاث جهات وبها رباطات ومجاري ومجامع للصالحين ، ويشير البكري الى الهيكل العظيم الذي يسمونه (الفنتاس) في مدينة سوسة وكان يرى من صقلية ، وهذا يدل على قرب جزيرة صقلية من المدن المغربية (6) (البكري : 1857 ، ص 36) وبالتالي سهولة انتقال التجار ، الامر الذي أدى الى رواج التجارة وازدهارها ، يضاف الى ذلك مدن المغرب الأوسط التي شكلت هي الأخرى محطات تجارية هامة كمدينة (بجاية) التي تعد من اشهر الموانئ الواقعة على البحر المتوسط ويتميز مينائها بأنه آمنًا طبيعيًا وبشريا متصل بالبحر والبر فضلا عن كونها تقع على الطريق البحري الرابط بين مدينتي الإسكندرية والمرية ، ولعبت دور مهم في التجارة مع صقلية والمدن الإيطالية (بيزا - جنوة . البندقية) ، ويوصف احد المؤرخين مرسى المدينة بقوله " مرسى عظيمة تحط فيها سفن الروم من الشام وغيرها من اقصى بلاد الروم وسفن المسيحيين من الإسكندرية ... وبلاد الشرق كالهند والصين " (7) (ابن عبد ربه الحفيد : د . ت ، ص 50) هذا الى جانب العديد من المدن الأخرى التي شكلت جانبا مهما للشبكة التجارية الغرب متوسطة ، ويمكن القول أن اغلب تجارات المدن المغربية كانت مع تجار الاندلس ، فالعديد من المدن المغربية شكلت مراسي وموانئ مهمة لتجارة الاندلس منها مدينة طبرقة وهران وهي ذات ميناء مشهور (8) (المغربي : 1970 ، ص 139) ، كما أن هناك ذكر لبعض المدن المغربية أسسها البحريون الاندلسيون أو ساهموا في انشائها ، من بينها مدينة (تنس) التي أسسها البحريون من أهل الاندلس منهم (الكركزي وابي عايشة وصهيب ، ويسكنها فريقين من اهل الاندلس من اهل البيرة واهل تدمير ، ويذكر أن السكان المحليون (البربر) سألوهم أن يجعلوها سوقاً ووعدوهم بالعون وحسن المجاورة (9) (ابن حوقل : 1979م ، ص 36) ، وهي مدينة مشهورة بكثرة القمح ومنها يحمل في المراكب الى سواحل الاندلس ، فضلا عن مدينة تيهرت التي اشتهرت بتربية الأغنام والماشية (10) (البكري : 1857 ، ص 262) ومدينة وهران وهي من المدن المهمة التي تقع على البحر ولها مرسى في غاية السلامة من الرياح وبها العديد من الصناعات والأسواق ، ومرسى الدجاج التي كانت محط السفن والتجار ويحيط بها البحر والمحيط كالهلال (11) (الدمشقي : 1318 هـ ، ص 310) إضافة الى مدينة (بونة) من بلاد افريقية على ساحل البحر وأكثر تجارها من الاندلسيين (12) (الحميري : 1975م ، ص 115) ، اما في المغرب الأقصى فقد عرفت مدينة سبتة بنشاطها التجاري والبحري الامر الذي ساعد على نشاط حركة التجارة البحرية

فيها ، ويذكر الادريسي بأن الماء يحيط بهذه المدينة من ثلاث جهات وبها مصايد للحوت (13) (الادريسي : 2002، ص108) وترجع أهمية هذه المدينة لكونها تربط بين المغرب والاندلس ، ويذكر ابن سعيد " وهذه المدينة بين بحرين وهي ركاب البحرين تشبه الإسكندرية في كثرة الحط والقلاع وفيها التجار الأغنياء يتبايعون المركب بما فيه من بضائع الهند ... " (14) (المغربي : 1970، ص139) ، فضلا عن مدينة طنجة التي تعد من أهم الموانئ بالمغرب الأقصى ، وبها أسواق وصناعة ، كذلك مدينة سلا المغربية وهي مدينة حصينة ولها أسواق وتجارات تقصدها مراكب اهل الاندلس وسائر المدن الساحلية من الاندلس يحطون بيها بضروب من البضائع من بينها الزيت ويتجهزون منها بالطعام (15) (الادريسي : 2002، ص106) وغيرها من المدن الأخرى .

هذه المدن شكلت محطات مهمة للبضائع الأوروبية وللتجار المسيحيين والاندلسيين واليهود الذين قاموا بدور كبير في التجارة المغربية البحرية بحكم خبرتهم التجارية ومعرفتهم للعديد من اللغات ، فكانوا يسافرون الى كل البلدان وكانوا يلقبون بتجار البحر(16) (ابن خرداذبة : د . ت ، ص154) ، ويشير الونشريسي الى وجود بيع يهودية في بلاد المغرب ، وأنهم يؤدون شعائرهم الدينية فيها بحرية ، فضلا عن أن الفقهاء المغاربة أفتوا بأن الوفاء لأهل الذمة واجب (17) (الونشريسي : 2002، ص214 . 215) ، كما ساهم التجار اللبينيون بدور كبير في التجارة البحرية بالرغم من العديد من الفتاوى التي تحرم التجارة في بلاد الكفر ، ومع هذا فإن الكثير من الفقهاء قننوا تعامل التجار المسلمين مع التجار المسيحيين ، وحرّموا بعض البضائع بيعها للتجار المسيحيين كالأسلحة والسروج والحديد والنحاس (18) (ابن رشد ، ابوليد محمد : د . ت ، ص613) وبالرغم من هذا فإن التجارة خلال هذه الفترة تميزت برواجها وازدهارها وتداخل شبكاتها ، بغض النظر عن الاختلافات الدينية والمذهبية والعرقية بين التجار ، وكان من بين السلع المصدرة الى صقلية والمدن الإيطالية ، الحبوب والزيت والمنتجات الحيوانية (الجلود والصوف) والعبيد والشمع وغيرها من المنتجات الأخرى، في حين صدر التجار المسيحيين الى المغرب الاقمشة والحبوب وتوابل الشرق والخشب وبعض المعادن بالرغم من منعها ، فضلا عن ان المنسوجات التي كانت تصنع في طرابلس وقسنطينة في المغرب الأوسط كانت تصدر الى المشرق ، كما كان للتجار الاندلسيين دور كبير في التجارة المغربية من والى المغرب وعملوا كوسطاء أيضا في التجارة المغربية ، وكان من الطبيعي نتيجة للحركة التجارية ان أنشئت الفنادق في الحواضر المغربية ، وهي مؤسسات اقتصادية كان ينزل بها التجار والزراع والغرباء .

كما ان مدن المغرب الإسلامي في الواقع كانت مخازن لبضائع بلاد السودان لإعادة توزيعها في اتجاه صقلية والمشرق الإسلامي من شواطئ إفريقية ، أو في اتجاه الاندلس وأروبا من سواحل مضيق جبل طارق ، فهذه المدن تمثل حلقة وصل بين الشمال والجنوب ، وكانت أبرز السلع هو ذهب بلاد السودان وغيرها من السلع الأفريقية الأخرى ، على الرغم من الرسوم (المكوس) التي كانت تفرض على السلع التجارية ، وكان جابي المكوس يسمى المكّاس ويشير ابن حوقل الى المرشد الموظفة على المسافرين والايادات المتحصلة في أبواب المدن (19) (ابن حوقل : 1979، ص 96) فكان على التجار ان يؤدوا ضريبة على تجارتهم عند دخولها للمدن ، ويشير ابن حوقل الى التجار الخارجين من طرابلس الى القيروان وبالعكس أدائهم للضريبة (20) (ابن حوقل : 1979، ص 68) ، كما ان هناك الكثير من المدن التي اشتهرت بإنتاج التمور ، فواحات طرابلس وبرقة وأوجله عرفت بأجود أنواع التمور وكانت تحيط بمدينة بطرابلس أشجار التين والزيتون والنخل ، فصلا عن واحات تونس وقسنطينة في المغرب الأوسط التي كانت من اشهر المدن في انتاج التمور وكانت تُصدر الى البلدان الأخرى (21) (برنشيّفك : 1988، ص 229) .

كما أن صناعة السفن كان لها دور كبير في تنشيط الحركة التجارية ، فمثلا مدينة تونس بها دار لصناعة السفن ، وهذا الامر يرجع الى وفرة أشجار الاخشاب الصالحة لصناعة السفن ، ويؤكد الادريسي ارتباط صناعة الاساطيل بوفرة الاخشاب حيث يذكر دار صناعة السفن بيجاية ووفرة اقاليمها بالأخشاب " وبها دار لأنشاء الاساطيل والمراكب والسفن والحراي لان الخشب في اوديتها وجبالها (22) (الادريسي : 2002 ، ص 161) ، وغيرها من المدن المغربية الأخرى التي عُرفت بصناعة السفن .

وقد سهلت عملية صك النقود التبادل التجاري بين مدن المغرب وبقية البلدان الأخرى ، ولم يكن اختلاف العملة عائقاً امام المبادلات التجارية ، إذ أن النقود تكون مقبولة في الدول الأخرى ، وكان يراعي في النقود الاصلية الوزن لا العدد .

ونتيجة لازدهار النشاط التجاري وتنوع التجارات والسلع فقدت وجدت العديد من الأسواق منها الأسواق اليومية والتي كانت قائمة بصفة دائمة في اغلب مدن بلاد المغرب وبها الكثير من أنواع السلع وهي مقصد للكثير من التجار .

ومنها الأسبوعية التي لاتزال قائمة الى يومنا هذا وعرفت بالعديد من الأسماء واغلب اسمائها وفقا لليوم الذي تقام فيه كسوق الجمعة والأحد والخميس الى غير

ذلك من الأسماء(23) (برنشفيك : 1988 ، ص254) ، وبكل تأكيد دائما الأسواق الأسبوعية تعج بالعديد من أصناف السلع والمواشي والابل ويقصدها الكثير من التجار وعامة الناس ، وتتميز برخص أسعارها مقارنة بالأسواق اليومية

.ويمكن القول أن مدن حوض البحر الأبيض المتوسط شكلت خلال هذه الفترة منظومة تجارية متكاملة عبر خطوط ومسارات بحرية لعل أهمها الخط البحري الذي يربط صقلية بموانئ المغرب ، فضلا عن الخط الذي يربط الجمهوريات الإيطالية (جنوه . بيزا . البندقية) بموانئ المدن المغربية، حيث شكل هذا الخط الشريان الرئيسي للحياة الاقتصادية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وذلك نظرا لما تميز به من اتصال مستمر مع بلاد المشرق الإسلامي عبر مجموعة خطوط برية وبحرية ، فقد أشار الجغرافيون الى الطرق البرية لبلاد المغرب وبينوا مراحلها ومسافاتها ، فاهتموا بالطريق الساحلي ابتداء من برقة الى البحر الغربي والذي أطلق عليه اسم الطريق (الجادة) ، وكانت برقة أول محطة على هذا الطريق ينزلها القادم من مصر باتجاه مدن افريقية ، فضلا عن بعض المحطات الأخرى الواقعة على هذا الطريق منها مدينة قابس الساحلية ومنها الى صفاقس والمهدية ثم سوسة ليصل الى مدينة تونس ومنها الى طبرقة وهي مدينة على ساحل البحر وهي عامرة يورد اليها التجار والسفن (24) الاصلحري : 1961م ، ص57) ماراً بباجة (25) (اليعقوبي : 1987 ، ص 103) ليصل فيما بعد الى المغرب الأوسط ماراً بمدن تنس ووهران وواسلن ونكور لينتهي عند مدينة سبتة وطنجة بالمغرب الأقصى (26) (محمد بن ساعو : 2017 ، ص94) ، وكل هذه المدن محطات نشطة للتجارة البحرية ، وكانت آخر محطة في الطريق الساحلي سبتة وطنجة بالمغرب الأقصى ، كما ان هناك مدن جمعت بين التجارة البحرية والبرية بحكم موقعها على البحر ، ففي الوقت التي كانت فيه تمثل مراسي مهمة للمراكب ، إلا انها ارتبطت بمراكز برية مهمة مثل مدينة سرت واجدابيا وطرابلس وبونة وغيرها من المدن الأخرى .

كذلك هناك خط ينطلق من إيطاليا ويصل سواحل بلاد المغرب مرورا بمرسيليا فبرشلونة فميروقة ومنها الى بجاية على سواحل المغرب .

وهناك طريق آخر فضله تجار البندقية عن غيره ، فكانوا يتجهون الى الإسكندرية ثم يستأنفون رحلتهم الى موانئ بلاد المغرب .

فضلا عن الخط البحري الذي يربط صقلية بموانئ أفريقية ، وبعد هذا الخط ذو أهمية خاصة نظرا لقرب هذه الجزيرة من شواطئ المغرب ، والدليل على ذلك اهتمام العرب المسلمون بهذه الجزيرة نظرا لأهميتها في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فضلا عن أن سيطرة المسلمين البحرية كانت لها آثار على الحياة الاقتصادية والتجارية وبشكل خاص سكان صقلية والعرب في شمال افريقية ، الامر الذي جعل العرب بمثابة وسطاء في تجارة البحر ، كما أن الدول النصرانية ادركت أهمية هذه الجزيرة في تمويل الحملات الصليبية التي كانت تستهدف المشرق الإسلامي ، وكان التجار يجلبون من صقلية الثياب المقصورة الجيدة والنشادر الأبيض والقمح ، وفي المقابل كان يحمل الى صقلية الزيت والفسق والزعفران من مدن المغرب من خلال الشبكات التجارية العاملة في هذا الحوض ، والتي أسهمت في مجمل التطورات والمؤثرات التي عرفتها مدنه (27)(المقدسي : 1970 ، ص236).

وبالرغم من أهمية هذه المسارات البحرية وتعددتها ، إلا أن الحركة التجارية لم تكن منتظمة في بعض الأحيان لكونها تخضع لبعض الشروط ، منها ما هو طبيعي ومنها ما هو اقتصادي ، فالرحلة البحرية كانت مرتبطة بعدة عوامل طبيعية كحركة الرياح وحالة البحر ، وكما هو معروف فإن حركة التجارة تنشط مع هدوء الأحوال الجوية ، اما العامل الاقتصادي فمرتبط بتوفر البضائع والمسافرين ، فهذان العاملان لهما دور كبير في الحركة التجارية من حيث نشاطها وتأثرها .

يضاف الى ذلك الأحوال السياسية سواء في بلاد المغرب او في البلدان الأخرى فاستقرارها يؤدي الى ازدهار النشاط التجاري وبذلك تسهل عملية تبادل السلع بين مدنه .

المبحث الثاني: النظم التجارية:

كان لاتساع الحركة التجارية وازدهارها في الحوض الغربي للبحر المتوسط وتبادل السلع بين مدنه دور كبير في تبلور بعض الأنظمة التجارية التي فرضتها طبيعة التبادل التجاري الواسعة بين مدنه، والتي ساهمت في وحدة هذا الحوض من خلال ظهور فئات متعددة من التجار العرب والأجانب (الغرباء) كما يسميهم ابن حوقل (28) (ابن حوقل : 1979 ، ص 69) وتأسيسهم للشركات المختلفة باختلاف طبيعة الاعمال التجارية لكل صنف ، وظهر الوكلاء وغيرهم ، مع ملاحظة أن هذه التنظيمات

التجارية جاءت نتيجة للجهود الفردية للتجار والصناع ، بهدف ضرورة مواكبة التطور الذي شهده هذا الحوض بعيدا عن التنظيمات المنظمة التي عُرفت فيما بعد ، كما أن النظم التجارية استوعبت مجموعة من الخدمات المالية المصاحبة للتجارة واصناف من العاملين مع التجار ، فكان منهم الوكلاء المسؤولون عن إتمام المعاملات التجارية في مناطق الإنتاج ، وفي مقابل تلك الأنشطة والخدمات كان الوكلاء يتقاضون اجورا ثابتة او جزء من الأرباح المتحصلة من تلك المعاملات فيما كان يسمى القراض او المضاربة ، وهو كما تعرفه كتب الفقه أن يدفع شخص مالا الى شخص اخر ليتاجر به ويكون الربح إن حصل بينهما بنسبة يتفقان عليها (29) (الادريسي : 2002 ، ص311) .

ويمكن أن نميز بين اصناف هذه الشبكات التجارية ، فمثلاً الركاض أي التاجر المتجول وهو الذي يسافر من بلد الى بلد لجلب السلع للمتاجرة بها وعلى هذا التاجر أن يكون ملماً بأسعار البلد الذي سيعود إليه بتجارته مضافاً إليه نفقات النقل والمكوس المفروضة ليحقق الربح الذي يسعى إليه ، وعليه عند دخوله البلاد التي لا يعرفها الاستعانة بوكلاء مأمونين ليطلعوا على الأسعار خشية خسارته(30)(الدمشقي : 1319 هـ ، ص51) ، وكان الوكلاء يتقاضون أجور ثابتة أو جزء من الأرباح المتحصلة من تلك المعاملات التجارية ، والوكيل التجاري له حق القبض وطلب الحقوق وغير ذلك نيابة عن موكله وكانت الوكالة التجارية تتم في صورة عقد يبرم عند القاضي بين الموكل والموكل اليه (31)(الحبيب الجنحاني : 1986 ، ص58) .

ومن التجار ايضاً صنف يدعى الخازن أي تاجر الجملة وهو المحتكر الذي يراقب هبوط الأسعار ورخص البضائع فيشتريها ويخزنها لوقت غلائها وشدة الطلب عليها ، ولا يحتاج هذا الصنف من التجار الى السفر ويكفيه ان يكون عالماً بأحوال السوق (32)(دائرة المعارف الإسلامية : د . ت ، ص889) ، وهناك التاجر المجهز أي التاجر المصدر وهو الذي يرسل البضائع الى بلاد أخرى ويستلم بضائع بديلة ، وهو لا يسافر عبر البلاد غير أنه له وكلاء يثق بهم فيرسل لهم البضائع ليبيعها ويرسلون له بدورهم بضائع بديلة ، ولهؤلاء الوكلاء خبرة واسعة في البيع والشراء (33)(الدمشقي : 1318 ، ص52) ، وكانوا موجودين بكثرة في بلاد المغرب وصقلية نتيجة لازدهار الحركة التجارية وحرية النقل والتنقل بين مدن حوض البحر الأبيض المتوسط في إطار إقليم واحد ، كما وجد نظام (القراض) وهو أن يقوم رجل بإقراض آخر مالياً ليعمل به على وجه القراض نظير جزء من الربح ، وكان هذا النظام يستلزم إبرام عقد بين الطرفين يشهد عليه بعض الشهود (34)(الحبيب الجنحاني : 1986 ، ص55-57) .

ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال فتوى أوردها الونشريسي فيشير الى سؤال عمّن دفع الى وكيل حلي من ذهب وفضة يسافر بها الى صقلية وبيعها هناك ، ويجلب بثمنها طعاماً يبيعه في مدينة المهديّة ويأخذ نصف الربح (35)(الونشريسي : 2002 ، ص 208) وهذا يدل على ان الحوض الغربي للبحر المتوسط كان وسيلة اتصال وتكامل ، على أن الوكلاء نوعين وكيل يعين من قبل صاحب البضاعة ، ووكيل يعين من قبل التجار ، ويورد البرزلي سؤال سئل الى الفقيه ابي عمران الفاسي عن تاجر سافر ومات في السفر ولم يوكل احد ، فقام التجار بتوكيل شخص فباع عنه ، غير أن ورثته لم يرض بذلك ، فأجاب الفقيه أن من مات في السفر ولم يكن هناك قضاة ولا عدول فما فعله صحبة السفر من بيع فهو جائز (36)(البرزلي : 2002 ، ص 91) ، والى جانب هؤلاء التجار كان هناك فئات من التجار الآخرين كالسماسرة والوسطاء وغيرهم .

كما أن هناك العديد من المعاملات التجارية التي عرفت ببلاد المغرب منها البيع بالمزايدة وهي ان يقوم التاجر بتكليف شخص يعرف بالدلال لبيع البضاعة وينادي بصوت عالي وسط السوق فيكثر التجار حوله وفي النهاية ترسو على واحد منهم(37)(كمال السيد أبو مصطفى : 1996م : ص 91) ، كذلك وجد البيع بالمقايضة وهي استبدال سلعة بأخرى او ما يعادل قيمتها ، فضلا عن البيع بالتقسيط وهي عملية بيع مريحة يتم بموجبها دفع قيمة السلعة على فترات .

كما ان النظم التجارية في مدن بلاد المغرب شملت أيضا المكاييل والموازين بهدف الحفاظ على دقة البيع والشراء بالنسبة لأغلب السلع ، فاستعملت الموازين التي تشمل، الاوقية وهي تعادل حوالي أربعين جراما ، والرطل ويساوي عشرة اوقية ، والقنطار ويساوي مائة رطل (38)(محمد عيسى الحريري : 1985 ، ص 298) ، فضلا عن استعمال المكاييل كالسوق والقفيز والمد وغيرها ، كل هذه النظم والتنظيمات واكبت التطور التجاري الذي شهدته مدن المغرب .

الشركات التجارية :

الشركة بمعنى اشتركا وتشارك وشارك احدهما الاخر وهي شركة في البيع (39)(الطاهر الزاوي : ص 239) ، وعرفها ابن خلدون بأنها محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء ويحصل التاجر على الربح بتخزين السلعة وتحين فرصة غلاء الأسعار فبيعها ، او يقوم بنقلها الى بلد آخر تقل فيه هذه السلعة فيزيد ربحه (40)(ابن خلدون : 2000 ، ص 494) .

ومع تزايد وازدهار الحركة التجارية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، كوّن التجار العديد من الشركات التجارية التي اعتبرت نوعاً من التكامل والتطور التجاري بين مدن الحوض ، فمثلاً كان التاجر يشترك برأس المال والعمل أو بأحدهما ، أو أن يقدم رأس المال لتجار آخرين يتاجرون به .

ومن بين الشركات التجارية منها :

شركة المفاوضة : وهي مشتقة من التفويض ، وهي التي يفوض فيها كل شريك لصاحبه التصرف في رأس مالهما المشترك بما يفيد شراكتهما ، بمعنى ان يشترك اثنان او أكثر ورأس مال ثابت ، وبحق لأى من الشركاء التصرف في جميع مال التجارة(41)(السرخسي : 1987، ص331) .

شركة العنان : لها اشكال مختلفة تبعا لمساهمة كل من الشريكين في راس المال ، وتكون نسبتهم من الربح تبعا لمساهمتهم .

- شركة الوجوه :

بمعنى انه يمكن للمتاجرين ان يتاجر بغير راس مال معتمدين على سمعتهم وامانتهم(42))
السرخسي : 1987 ، ص152) ، ولا يشترط في التجارة أن تكون بين أصحاب الديانة الواحدة ، فقد تكون بين أصحاب ديانات مختلفة ، حيث ان الاختلافات الدينية والمذهبية والعرقية لم تمنع من التعاون والمشاركة بين التجار ، إذ أن هناك تجار مسلمين أقاموا شركات تجارية مع تجار أجنبي ، ويذكر ان تاجر واسع الجاه استدان من التجار بمبلغ اربعمائة دينار ذهب ، ولما عجز عن الوفاء بما عليه حُكم عليه بأن يدفع للتجار الأجانب على أن يصبر التجار المحليون حتى تقع السفن(43))
جوايتاين : 1980 ، ص238) ، وهذه الرواية تدل على التمازج بين التجار سواء أكان اجنبي او محلي .

ويبدو ان نظام الشركات كان موجودا على نطاق واسع، ويظهر من خلال ما أورده الونشريسي حول وجود الشركات التجارية في المدن المغربية، حيث أشار الى شركة للألبان أقامها بعض أصحاب الأغنام لاستخلاص العجين والزبد من اللبن ثم يقتسمون الربح، كما أشار الى شركات لصيد الحوت يشترك فيها الصيادون وتجار الأسماك، ويشير الى اتفاق بين ثلاثة اشخاص على أن يأتي أحدهم بشبكة والثاني بشبكتين والثالث بثلاث شبكات، ويقسم الربح بينهم على أساس مدى مساهمة كل واحد منهم (44)(الونشريسي: 2002 ، ص 189 . 215) .

وقد ذُكر ان بعض التجار قد اشتركوا مع بعضهم للتحويل الى صقلية قصد شراء الحبوب وحملوا معهم دنانير طرابلسية ومرابطيه من الذهب الجيد(45)(برنشفيك : 1988 ، ص282) ، كما تمت الإشارة الى معصرة على ملك شريكين اثنين فطلب احدهما من الثاني عدم تشغيلها خوفا من الضريبة التي قد يفرضها عليها السلطان، فتعهد شريكه بتغطية المخاطر واستغل المعصرة . وهذا يشير الى اتساع الحركة التجارية والتفاعل والاندماج بين التجار انفسهم .

الخاتمة

يمكن القول بان مدن بلاد المغرب شهدت ازدهارا اقتصاديا كبيرا خلال القرنين (3 . 5 هـ / 11 . 9 م) ، وهذا يرجع الى العديد من العوامل التي ساعدت على ذلك ، من بينها الموقع الجغرافي الهام على ساحل البحر الأبيض المتوسط واتصالها ببقية البلدان سواء في الشمال او الشرق او الجنوب ، الامر الذي جعلها حلقة وصل للتجارات الافريقية والاوربية ، يضاف الى ذلك ما تميزت به مدن بلاد المغرب من نشاط زراعي وصناعي وتجاري مكّنها من ان تكون مقصد للكثير من التجار، فضلا عن كثرة الموانئ والمراسي الآمنة والمسالك والطرق التجارية سواء كانت طرق برية او بحرية ، هذا الامر ساهم بشكل كبير في ازدهار مدن بلاد المغرب .

ونتيجة لهذا النشاط التجاري كان من الطبيعي أن يواكب هذا النشاط العديد من النظم التجارية التي كان لها دور كبير في تنشيط الحركة التجارية والمحافظة على استقرار أسعار السلع والمنتجات الزراعية والصناعية .

المصادر والمراجع :

1. المقدسي ، ابو عبدالله محمد بن احمد ، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، مطبعة بريل ، ط 2 ، 1906م ، ص 236 .
2. الاصطخري ، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد ، المسالك والممالك تحقيق محمد جابر ، 1961م ، وزارة الأوقاف والإرشاد القومي مصر ، ص 30 .
3. مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، تحقيق سعد زغلول عبدالحميد ، دار النشر المغربية المغرب ، 1985 م ، ص 144 ،
4. خليفة التليسي ، حكاية مدينة ، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس (د . ت) ص 245
5. البكري ابو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، مكتبة المثنى بغداد ، 1857م ، ص 37 .
6. المصدر نفسه ، ص 36 .
7. ابن عبد ربه الحفيد ، الاستبصار في عجائب الامصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، د . ت ، ص 50 .
8. أبو الحسن علي بن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1970م ، ص 139
9. ابن حوقل ، ابولقاسم النصيبي ، صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة بيروت ، 1979 م ص 36 .
10. البكري ، المصدر السابق ، ص 56 .
11. الدمشقي ابي الفضل جعفر بن علي ، الإشارة الى محاسن التجارة ، مطبعة المؤيد ، 1318هـ ، ص 310 .
12. الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان بيروت ، 1975م ، ص 115 .
13. الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ج 1 ، مكتبة الافاق الدينية ، القاهرة ، 2002 م ، ص 108 .
14. ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق، ص 139 .
15. الادريسي ، المصدر السابق ، ص 106 .
16. ابن خرداذبة ابولقاسم عبدالله ، المسالك والممالك ، ج 1 ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، د . ت ، ص 154 .
17. الونشريسي ابوالعباس احمد بن يحيى ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقية والاندرلس والمغرب ، ج 3 ، اشرف محمد حجي وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 2002 م ، ص 214 . 215 .
18. ابن رشد الوليد بن محمد ، المقدمات والممهديات ، دار صادر بيروت ، د . ت ، ص 613 .
19. (ابن حوقل ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 96 .
20. ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 68 .

- 21 - برنشفيك روبار ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15 ، ترجمة محمد الساحلي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط 1 ، 1988م ، ص 229 .
- 22 - الادريسي ، المصدر السابق ، ص 161 .
- 23 - برنشفيك ، المرجع السابق ، ص 257 .
- 24 - الاصطخري ، المصدر السابق ، ص 57 .
- 25 - اليعقوبي ، كتاب البلدان ، بيروت ، دار احياء التراث ، 1987 م ، ص 103 .
- 26 - بن ساعو محمد ، المنشآت التجارية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني ، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية ، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر ، ط 1 ، 2017م ، ص 49 .
- 27 - المقدسي ، المصدر السابق ، ص 236 .
- 28 - ابن حوقل ، المصدر السابق لا ، ص 69 .
- 29 - الادريسي لا ، المصدر السابق ، ص 311 .
- 30 - الدمشقي ، المصدر السابق ، ص 51 .
- 31 - الحبيب الجنحاني ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1986 ، ص 58 .
- 32 - دائرة المعارف ، ص 889 .
- 33 - الدمشقي ، المصدر السابق ، ص 52 .
- 34 - الحبيب الجناحي ، المرجع السابق ، ص 55-57 .
- 35 - الونشريسي ، المصدر السابق ، ص 208 .
- 36 - البرزلي ابولقاسم احمد ، فتاوي البرزلي المعروف بجامع مسائل الاحكام لما نزا من القضايا بالمفتين والحكام ، ج 3 ، تحقيق محمد الحبيب ، دار الغرب الإسلامي ، 2002 م ، ص 91 .
- 37 - (كمال السيد أبو مصطفى ، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب الإسكندرية ، 1996م ، ص 91 .)
- 38 - محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب والاندلس في العصر المريني ، دار القلم الكويت ، 1985م ، ص 95 .
- 39 - الطاهر الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المدار الإسلامي طرابلس ، ط 4 ، 2004م ، ص 239 .
- 40 - ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد ، المقدمة ، دار الفكر للطباعة بيروت ، ط 1 ، 2000م ، ص 494 .
- 41 - السرخسي ، شمس الدين ، كتاب المبسوط ، ج 11 ، دار المعرفة بيروت ، ط 3 ، 1987 م ، ص 331 .

مدي فاعلية أنشطة برنامج البورتاج في تنمية مهارات رعاية الذات والمهارات الحركية لدي أطفال متلازمة داون

دراسة مطبقة على متلازمة داون بمركز الشهاب المضيء ببني وليد

أ حنان حسين محمد
كلية التربية جامعة غريان
hanan.mohammed@gu.edu.ly

الملخص:

هدفت الدراسة الي التعرف على فاعلية برنامج التدخل المبكر (البورتاج) في تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات للأطفال متلازمة الدوان، وينبثق من هذا الهدف الرئيسي عدة أهداف فرعية التعرف على فاعلية برنامج التدخل المبكر (البورتاج) في تنمية المهارات الحركية والادراكية للأطفال متلازمة داون وفقاً لدرجة الإعاقة، والتعرف على فاعلية برنامج التدخل المبكر (البورتاج) في تنمية المهارات الحركية والادراكية للأطفال متلازمة داون وفقاً للنوع، والتعرف على فاعلية برنامج التدخل المبكر (البورتاج) في تنمية المهارات الحركية والادراكية للأطفال متلازمة داون وفقاً للعمر الزمني، واعتمدت الباحثة علي المنهج شبه التجريبي، وتمثل مجتمع الدراسة في جميع أطفال متلازمة داون بمركز الشهاب المضيء لذوي الاحتياجات الخاصة ببني وليد والبالغ عددهم (18)، وتم سحب عينة قصديه من المجتمع الأصلي للدراسة، وبلغ قوامها (15) مفردات، واستخدمت الباحثة اختبار الصورة الخامسة بينيه (الصورة المختصرة) ، واختبار الصورة الجانبية، وقوائم الشطب كأدوات للدراسة ، وتوصلت الدراسة الي أن التدخل المبكر بقائمة البورتاج الارتقائية يؤدي الي تنمية المهارات الحركية لأطفال متلازمة داون، وأن التدخل المبكر بقائمة البورتاج الارتقائية يؤدي الي تنمية مهارات رعاية الذات لأطفال متلازمة داون ، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوي (0.05)، وفقاً للنوع لفاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية لصالح الإناث، وعدم وجود فروق دلالة إحصائية وفقاً للنوع لفاعلية برنامج البورتاج في رعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان، ووجود فروق دلالة إحصائية لدرجة الإعاقة لفاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات، لدي أطفال

متلازمة الدوان لصالح الإعاقة البسيطة، وعدم فروق دلالة إحصائية وفقا للعمر الزمني لفاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان.

Summary:

The study aimed to identify the effectiveness of the early intervention program (portage) in developing the motor and cognitive skills of children with Down Syndrome, and from this main objective several sub-goals emerge.

To identify the effectiveness of the early intervention program (portage) in developing the motor and cognitive skills of children with Down syndrome according to the degree of disability, and to identify the effectiveness of the early intervention program (portage) in developing the motor and cognitive skills of children with Down syndrome according to gender, and to identify the effectiveness of the early intervention program (portage) In developing the motor and cognitive skills of children with Down syndrome according to the chronological age, and the researcher relied on the experimental method, and the study population was represented in all the children of Down syndrome at the Al-Shehab Al-Lumination Center for people with special needs in Bani Walid, who numbered (18), and an intentional sample was withdrawn from the original community for the study, amounting to It consists of (15) vocabulary, and the researchers used the fifth image test (the short image), the side image test, and cross-out lists as tools for the study. Leads to the development of self-care skills for children with Down syndrome

There are statistically significant differences according to gender for the effectiveness of the portage program in developing motor skills for females, and there are no statistically significant differences according to gender for the effectiveness of the portage program in self-care for children with Duane syndrome, and there are statistically significant differences for the degree of disability for the effectiveness of the portage program in developing motor skills and self-care, I have Down Syndrome children in favor of simple disability, and there are no statistically significant differences according to the chronological age of the effectiveness of the portage program in developing motor skills and self-care for children with Down Syndrome.

مقدمة :

في كل خلية في جسم الإنسان توجد نواه، حيث يتم تخزين المادة الوراثية في الجينات، وتحمل الجينات الرموز المسؤولة عن كل صفاتنا الموروثة، ويتم تجميعها على طول هياكل شبيهة بالقضبان تسمى الكروسومات، عادة تحتوي نواة كل خلية علي 23 زوجاً من الكروسومات، نصفها موروث من كل والد، وتحدث متلازمة داون عندما يكون لدى الفرد نسخة إضافية كاملة أو جزئية من الكرموسوم 21، ليصبح عدد الكروسومات في كل خلية 47 بدلا من 46 كرموسوم (آل سفران، 2019: 14)، وتشير دراسات واكتشافات بحوث علم الانسان وعملية وصف السلالات البشرية، والتماثيل القديمة، والعديد من الوصفات الطبية القديمة الي وجود اشخاص يحملون الصفات المميزة لمتلازمة داون عبر التاريخ القديم، ولكن لم يثبت وجود أي دليل علمي على تحديد السبب وراء هذه الصفات، أو حتى الإشارة إليها بطريقة واضحة، وتصور التماثيل الغربية اشخاصاً قصار القامة، وممتلئي الجسم، ووجوه مستديرة، يميزها الخدود المسطحة، والعيون المائلة والانف المفلطح والشفاة المفتوحة، واللسان العريض، والرقبة القصيرة جداً، حيث يبدو أن هذه التماثيل كانت تظهر اشخاصاً يعانون من اعراض متلازمة داون التي تم وصفها فيما بعد، كما لم يتم اكتشاف ولو هيكل عظمي واحد يرجع لهذه الفترات التاريخية القديمة، واستند الدليل على وجود هؤلاء الأشخاص على التماثيل والصور الجدارية لأشخاص يحملون صفات داون، رسمت في القرنين الخامس عشر، والسادس عشر، الميلادي (شاهين، 2008: 25)، وتعتبر متلازمة داون من أكثر المتلازمات شيوعاً، وأكثر سهولة في التعرف الي خصائصها، (الزيقات، 2008، 2012: 31)، أما تسميتها بمتلازمة داون فتعود الي العالم البريطاني (جون لاتجدون داون) الذي وصفها وصفاً دقيقاً عام 1866م، وكان هذا عندما لاحظ في مركز الإعاقة الذي يقوم بالأشراف عليه أن أغلبية الأطفال يشبهون بعضهم البعض في ملامح الوجه، وخصوصاً في العين التي تمتد الي أعلي والتي تشبه سكان منغوليا، فاطلق عليهم اسم المنغوليين نسبة الي جمهورية منغوليا، وظل هذا الاسم شائعاً الي عام 1967م، عندما أصبحت أسباب المرض معروفة، وأنه ناتج عن خطأ في الصبغيات، فتم بعدها صدور قرار يمنع استخدام هذا الاسم لوصف هذا المرض، وعرف منذ ذلك الوقت باسم متلازمة داون (قاسم، مصطفى، 2010: 161)

مشكلة الدراسة :

تعد متلازمة داون نمطاً أساسياً من أنماط الإعاقة العقلية التي تعاني درجة معينة من القصور العقلي، أو القصور في القدرات العقلية حيث يتراوح مستوي ذكاء الأطفال من هذه الفئة بين الإعاقة البسيطة والمتوسطة الي الشديدة، ويواجه أطفال هذه الفئة بالعادة تأخر في بعض مهارات النمو نتيجة للخلل الناتج عن زيادة المادة الوراثية التي تؤثر على الخلايا العصبية بالمخ فتتأثر المهارات الحركية، واللغوية، والادراكية، ورعاية الذات، والنواحي الاجتماعية.. وغيرها، كما إن الامراض المصاحبة لمتلازمة داون مثل مشاكل القلب الخلقية، والغدة الدرقية، وكثرة الالتهابات الصدرية، ايضاً لها تأثير على اكتساب تلك المهارات (العبري، 2013: 29) فقد اشارت دراسة (حبيب) الي أن أطفال متلازمة داون لديهم ضعف في استخدام لعضلات اليدين والاصابع والمهارات الصغرى، وخاصة في الانشطة التي تتطلب التآزر البصري حركي، وكذلك ضعف في استخدامهم للمهارات الكبرى وخاصةً أثناء المشي على الخط المستقيم أو المنحرف (حبيب، 2017: 94)، ولان الأطفال بصفة عامة، وأطفال متلازمة داون بصفة خاصة يكونون في مرحلة الطفولة في ذروة استعداداتهم للتغير والتعلم، حيث يؤكد المختصون في ميدان التربية الخاصة علي أهمية برامج التدخل المبكر لمساعدتكم علي ذلك التغير، حيث أشارت نتائج دراسة (العجمي) إلى كفاءة برامج التدخل المبكر في تنمية مهارات السلوك التكيفي لدى التلاميذ ذوي الإعاقة الذهنية البسيطة مقارنة بالتلاميذ ذوي الإعاقة المتوسطة الذين لم يخضعوا الي برامج التدخل المبكر(العجمي، 2007: 83)، وأكدت دراسة (الشايب)، إن برنامج التدخل المبكر له اثر إيجابي في السلوك العنادي، والاعتمادية، وتحسين مساعدة الذات لدى الأطفال المتأخرين عقلياً القابلين للتعلم (الشايب، 2016: 398)، ونظرا لما حققه برنامج البورتاج من نجاح عالمي واسع في التدخل المبكر للحد من آثار الإعاقة، وتطوير المهارات النمائية لدى الأطفال ذوي الإعاقة في المراحل المبكرة من العمر، كونه يراعي احتياجات الطفل، ويشارك الاسرة في تنفيذه جنباً الي جنب مع المختصين، جاءت فكرة الدراسة الراهنة للتعرف علي فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات لدي اطفال متلازمة الدوان.؟ وتنبثق من هذه الفرضية عدة فرضيات فرعية وهي:

هل توجد فروق داله إحصائياً للتدخل المبكر باستخدام قائمة البورتاج الارتقائية في تنمية المهارات الحركية والرعاية الذاتية لدى أطفال متلازمة الدوان وفقاً لدرجة الاعاقة؟

- 2- هل توجد فروق داله إحصائياً للتدخل المبكر باستخدام قائمة البورتاج الارتقائية في تنمية المهارات الحركية والرعاية الذاتية لدى أطفال متلازمة الداون وفقاً للنوع؟
- 3- هل توجد فروق داله إحصائياً للتدخل المبكر باستخدام قائمة البورتاج الارتقائية في تنمية المهارات الحركية والرعاية الذاتية لدى أطفال متلازمة الداون وفقاً للمرحلة العمرية؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الراهنة التعرف على مدى فاعلية برنامج التدخل المبكر (البورتاج) في تنمية المهارات الحركية والرعاية الذاتية للأطفال متلازمة الداون، وينبثق من هذا الهدف الرئيسي عدة أهداف فرعية وهي:

- 1- التعرف على فاعلية برنامج التدخل المبكر (البورتاج) في تنمية المهارات الحركية والرعاية الذاتية للأطفال متلازمة داون وفقاً لدرجة الإعاقة.
- 2- التعرف على فاعلية برنامج التدخل المبكر (البورتاج) في تنمية المهارات الحركية والرعاية الذاتية للأطفال متلازمة الداون وفقاً للنوع.
- 3- التعرف على فاعلية برنامج التدخل المبكر (البورتاج) في تنمية المهارات الحركية والرعاية الذاتية للأطفال متلازمة داون وفقاً للعمر الزمني.
- ثانياً: أهمية الدراسة:

- أهمية التدخل المبكر بالنسبة للأطفال متلازمة داون، حيث تدريب هؤلاء الأطفال على المهارات المختلفة لمجالات النمو في مرحلة مبكرة من العمر يساعد على سهولة اكتسابها في وقت مبكر، وبالتالي تقليل الفجوة بينهم وبين الأطفال العاديين.
- محاولة نشر برنامج البورتاج بين المؤسسات التي تهتم برعاية متلازمة داون، وكذلك بين أسرهم على اساس علمي سليم، وذلك بعد التأكد من فاعليته في تنمية مهاراتهم المختلفة.
- تأمل الباحثة في أن تساهم نتائج الدراسة الراهنة في مساعدة القائمين على رعاية هذه الفئة على التعرف على أهمية التدخل المبكر باستخدام قائمة البورتاج الارتقائية.

مفاهيم الدراسة:

مفهوم برنامج البورتاج:

هو مشروع تعليمي للتدخل المبكر يطبق على الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة منذ الميلاد حتى سن تسع سنوات ، ويقوم المشروع بتدريب الأم على كيفية تعليم طفلها والتعامل معه ، لذا فهو برنامج تثقيفي للأمهات يؤهلهن ليصبحن المنشطات الحقيقيات للأطفالهن ذوي الاحتياجات الخاصة ، ويخدم المشروع الاطفال الذين يعانون من التأخر في النمو العقلي والحركي ، والشلل الدماغي البسيط والمتوسط ، ويستتني الاعاقات الشديدة والصم والمكفوفين (متولي، 2015، 244) .

مفهوم مهارة رعاية الذات:

تعرف بأنها " قدرة الطفل على الاعتماد على نفسه، بمعنى التصرف بمسؤولية وبمفرده، ودون التدخل من الآخرين، وهي المهارات اللازمة للحياة اليومية مثل (الطعام- الشراب- قضاء الحاجة- الاغتسال- الملابس) (أبوسطاش، الاروقي، 2017: 36)

مفهوم المهارة الحركية:

قدرة الطفل على أداء تلك الأنشطة التي تستلزم استخدام العضلات الكبيرة أو الصغيرة، بنوع من التأزر يودي الي الكفاية جودة الأداء (الشمري، الزعبي، 2014، 421)

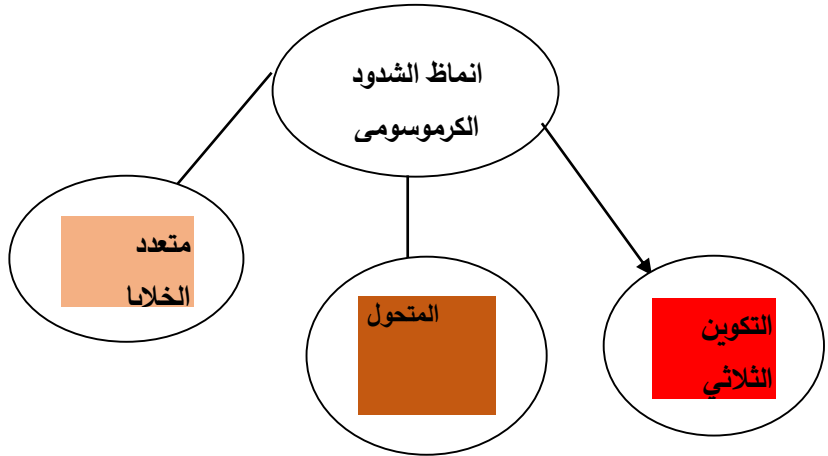
مفهوم التدخل المبكر:

تعرفه الموسوعة الامريكية للمعلمين والمربين بانه " مستوي رسمي من التعليم يقدم الي الأطفال الصغار، وأطفال دون سن المدرسة بما ذلك الروضة، وفي أدب الطفولة المبكر والتربية الخاصة فإن التدخل المبكر يعود على الخدمات المقدمة للأطفال الرضع، والأطفال الصغار من الميلاد وحتى عاميين من العمر (الزيات، 2012، 22)، ويشير ايضاً الي توفير الخدمات التربوية والخدمات المساندة للأطفال المعوقين، أو المعرضين لخطر الإعاقة الذين هم دون السادسة من أعمارهم، ولأسرهم ايضاً، فالتدخل المبكر الفعال يؤكل للأسرة دوراً مهماً وليتعامل مع الطفل بمعزل عن اسرته، بل يؤكد أن الطفل لا يمكن فهمه جيداً بمنأى عن ظروفه الاسرية والاجتماعية (شاش، 2009، 22) .

متلازمة الدوان:

تعتبر متلازمة واحدة من أكثر صور التأخر العقلي شيوعياً، وسهولة في التعرف على وجودها منذ الولادة، نظراً لخصائصها البدنية المميزة، وتبلغ نسبة انتشارها حوالي 1: 800، طفل من المواليد

الاحياء وتمثل حوالي 15-20% من حالات الإعاقاة العقلية، وتنتج عن شذوذ كروموسومي ينشأ عن خلل في انقسام الخلية في البويضة، أو الحيوان المنوي، أو البويضة الملحقة، مما يؤدي الي وجود كروموسوم إضافي في كل خلايا الجسم أو بعضه، ومن تم يصبح عدد الكروموسوم في الخلية الواحدة 47 بدلا من 46، ويسبب الكروموسوم الإضافي في تغير النمو الطبيعي للجسم والمخ، مما يؤدي الي مستويات متباينة من التأخر العقلي (محمد، 2011، 126)، وينقسم الشذوذ الكروموسومي الي ثلاث أنواع (الامام، الجوالدة، 2011، 134-135):



أ- (التكوين الثلاثي) حيث أن معظم أطفال متلازمة داون يكون بها كروموسوم إضافي في الزوج (21)، إذ يحملون 47 كروموسوم بدلا من 46 في الطفل العادي.

ب- (المتحول) حيث ان بعض أطفال متلازمة داون يكون الكروموسوم الزائد منتقل الي كروموسوم آخر، وعادة ما يكون الكروموسوم 14 - 21 - 22، وتوجد هذه الحالات فيما بين 3:4% من أطفال متلازمة داون.

ج- (متعدد الخلايا) وهو من الأنماط النادرة لحالات الداون، ويكون لدى هذه الحالات نوعان من الخلايا، نوع يحمل 47 كروموسوم (الكروموسوم الزائد هو نسخة ثالثة من كروموسوم 21) والخلايا الأخرى تحمل 46 كروموسوم أي خلايا طبيعية.

الدراسات السابقة :

أ- (دراسة وشاحي 2003)، بعنوان : التدخل المبكر وعلاقته بتحسين أداء مجالات النمو المختلفة للأطفال المصابين بأعراض متلازمة الدوان (دراسة ارتقائية)، هدفت الدراسة الي التعرف على مدى فاعلية برنامج البورتاج في تحسين مجالات النمو المختلفة لأطفال متلازمة داون، وتكونت عينة الدراسة من (90) مفردة، تتراوح أعمارهم من (شهر- 48 شهراً)، واعتمدت الباحثة علي المنهج التجريبي، واستخدمت مقياس الفايينلانند، ومقياس المستوي الاجتماعي والاقتصادي، ومقياس النضج الاجتماعي والاقتصادي كأدوات للدراسة، وتوصلت الدراسة الي:

- وجود فروق دالة إحصائياً بين درجات المجموعة التجريبية قبل وبعد تطبيق البرنامج في مجالات النمو المختلفة لصالح التطبيق البعدي.

- لا توجد فروق دالة إحصائياً وفقاً لمتغير النوع في المجموعة التجريبية في بعض مجالات النمو وهي (الحركي، والتنشئة الاجتماعية، واللغوي، والادراكي).

- وجود فروق دالة إحصائياً وفقاً للنوع في مجال الرعاية الذاتية.

ب- (دراسة الشمري، الزعبي 2014)، بعنوان أثر الأنشطة الحركية في برنامج بورتاج للتدخل في تنمية الذات لدى أطفال متلازمة داون في مرحلة رياض الأطفال بدولة الكويت، هدفت الدراسة الكشف عن أثر الأنشطة الحركية ببرنامج البورتاج للتدخل المبكر في تنمية مفهوم الذات لدى أطفال متلازمة داون في رياض الأطفال، بدولة الكويت، وتكونت عينة الدراسة من (20) مفردة، يعانون من قصور في المهارات الحركية، ومفهوم الذات تتراوح أعمارهم (4:6) سنوات، واعتمد الباحثان علي المنهج شبه التجريبي، واستخدما مقياس مفهوم الذات المصور للأطفال، ومقياس المهارات الحركية للأطفال متلازمة داون، وبرنامج التنمية الشاملة للطفولة المبكر بورتاج، وتوصلت الدراسة الي :

- إن التدريب وفق برنامج بورتاج للتدخل المبكر ينمي المهارات الحركية لدى أطفال متلازمة داون مقارنة بطريفة التدريب التقليدية.

- إن التدريب وفق برنامج بورتاج للتدخل المبكر يساعد على تنمية وتكوين مفهوم إيجابي نحو الذات لدى أطفال متلازمة داون مقارنة بطريفة التدريب التقليدية

ج- (أبوسطاش، الاروقي 2016) بعنوان التدخل العلاجي والتأهيل المبكر، وعلاقته بتحسين بعض مجالات النمو المختلفة المصابين بأعراض دوان ودور الاسرة، هدفت الدراسة الي التعرف على أثر برنامج بورتاج في تنمية مهارات مساعدة الذات، والمهارات الاجتماعية في ثبات التعلم لدى

المصابين بأعراض متلازمة داون، والتعرف على مدى فاعلية هذا البرنامج في تحسين مجالات الذات والمهارات الاجتماعية، واعتمدت الباحثان على المنهج التجريبي المقارن، وتكونت عينة الدراسة من أطفال متلازمة داون بمركز القدرات الذهنية الخمس، في الفترة من 20-2-2016-4-20-2016، و تم اختيار العينة بالطريقة العمدية، وبلغ قوام العينة (16) مفردة، واستخدام الباحثان برنامج التنمية الشاملة للطفولة بورتاج، ومقياس المهارات الاجتماعية، ومقياس مهارات مساعدة الذات، وقد توصلت الدراسة الي وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية والضابطة في أداء مهارات مساعدة الذات، والمهارات الاجتماعية بعد تطبيق برنامج البورتاج لصالح المجموعة التجريبية.

الاستراتيجية المنهجية للدراسة:

1- منهج الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة بحكم موضوعها إلي نمط الدراسات التجريبية ، حيث إن البحث التجريبي هو محاولة لضبط كل العوامل الأساسية المؤثرة في المتغير، أو المتغيرات التابعة في التجربة ما عدا عاملاً واحداً يتحكم فيه الباحث، ويغيره على نحو معين بقصد تحديد وقياس تأثيره علي المتغير أو المتغيرات التابعة (جابر، كاظم، 1973، 194)، وهو استخدام التجربة في إثبات الفروض (عباس وآخرون، 2012، 79)، وقد اعتمد الباحثان على تصميم المجموعة الواحدة ، وقياس قبلي وبعدي ، وذلك على عينة من الأطفال عددهم (15) أطفال من متلازمة داون ، لمعرفة مدي فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية والرعاية الذاتية

مجالات الدراسة:

أ-المجال المكاني:

يتحدد المجال المكاني لهذه الدراسة الشهاب المضئيء لذوي الاحتياجات الخاصة ببني وليد.

ب-المجال البشري:

يتمثل مجتمع الدراسة في جميع أطفال متلازمة داون بمركز الشهاب المضئيء لذوي الاحتياجات الخاصة ببني وليد والبالغ عددهم (18) مفردة.

المجال الزمني:

وهي الفترة الزمنية التي تم فيها جمع البيانات من الميدان حيث استغرقت شهرين من

2-11 الى 28-12-2021م **عينة الدراسة:** -

تم سحب عينة قصديه من المجتمع الأصلي للدراسة، وبلغ قوامها (8) مفردات وفق للشروط

الآتية:

عدم وجود اعاقات أو عاهات جسمية أخرى، غير اعراض متلازمة داون.

أن يكون العمر الزمني للطفل ما بين (3-6) سنوات.

أدوات البحث:

اختبار الصورة الخامسة بينيه (الصورة المختصرة) : حيث استخدام الباحثان الجانب المدخلي للاختبار اللفظي وغير اللفظي، وذلك بهدف تصنيف أفراد عينة الدراسة وفقاً للقدرات العقلية تخلف عقلي بسيط، متوسط ، شديد .

اختبار الصورة الجانبية، قوائم الشطب

أهداف البرنامج :

يهدف البرنامج الحالي إلي تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات لدى أطفال متلازمة داون المترددين على مركز الشهاب المضويء ممن تتراوح أعمارهم ما بين (3-6) سنوات ، وذلك من خلال عدد من الجلسات التي تتم باستخدام مجموعة من الفنيات والانشطة المختلفة .

أولاً : الاهداف الاجرائية :

أ- تطبيق برنامج التدخل المبكر البورتاج على لأطفال متلازمة داون بالمركز

الاسس التي يقوم عليها البرنامج : (قرزة،2020: 983)

1- الاسس العامة وتشمل :

أ- السلوك الانساني سلوك مكتسب ومتعلم .

ب- السلوك الانساني مرن وابل للتعديل والتغيير من خلال تطبيق البرامج التدريبية المختلفة.

ج- السلوك الانساني فردي وجماعي في آن واحد.

2- الاسس التربوية وتشمل:

أ- ملائمة البرامج لقدرات وإمكانيات الاطفال متلازمة داون.

- ب- التأكيد على الاستفادة من كافة قدرات الطفل.
- ج- العمل على توفير الوقت الكافي للأطفال لأداء الأنشطة المطلوبة.
- 3- الاسس النفسية وتشمل:
- أ- مراعاة مبدأ الفروق الفردية بين أفراد عينة الدراسة.
- ب- مراعاة خصائص نمو أطفال متلازمة داون، واستعداداتهم وميولهم وقدراتهم.
- ج- تقديم المعززات المناسبة التي تقوي من حدوث الاستجابة المرغوبة وتقلل من الاستجابة غير المرغوبة.
- 4- الاسس الاجتماعية وتشمل:
- أ- مشاركة الاسرة في كافة خطوات تنفيذ البرنامج.
- ب- العمل دمج الطفل في البيئة الاجتماعية المحيطة.
- ج- العمل على إكساب اطفال عينة الدراسة ثقتهم بأنفسهم.
- 4- وسائل تقويم البرنامج تشمل:
- أ- تقويم مرحلي: أثناء تطبيق جلسات البرنامج بحيث لا يتم الانتقال من نشاط لآخر إلا بعد التأكد من إتقان الطفل للنشاط السابق، بالإضافة الي تقويم كل مهارة بعد الانتهاء من تطبيق الجلسات الخاصة بها.
- ب- تقويم تتبعي: وذلك بإعادة تطبيق أدوات الدراسة في نهاية تطبيق البرنامج للتحقق من أثر برنامج التدخل من عدمه.

مدة البرنامج:

تضمن البرنامج (32) جلسة بواقع ثلاث جلسات للطفل، مع جلسة إرشادية للأسرة (الام أو الاب) اسبوعياً، و زمن الجلسة (30-40) دقيقة، وبذلك استمر البرنامج لمدة شهرين في الفترة من 2-11 الى 28-12-2021

المعالجات الإحصائية

استخدم الباحث بعض العمليات الحسابية مثل النسب المئوية والمعالجات الإحصائية المتمثلة

في:

معامل الارتباط، الوسط الحسابي، والوزن المرجح، والانحراف المعياري

الدراسة الميدانية

الجدول رقم (1)

يبين الخصائص البيانات الاولية لأفراد عينة الدراسة

النسبة	العدد ن = 9	المتغيرات	الخصائص	ت
62.5%	5	ذكر	النوع	أ
37.5%	3	أنثي		
37.5%	3	47-36	العمر الزمني للطفل بالشهور	ب
12.5%	1	59-48		
50%	4	71-60		
50%	4	بسيطة	شدة الإعاقة	ج
50%	4	متوسطة		
0%	-	شديدة		

(أ) النوع:

أوضحت نتائج الدراسة أن نسبة الذكور أعلى من نسبة الإناث حيث بلغت (62.5%) بينما بلغت نسبة الإناث (37.5%) من مجموع أفراد عينة الدراسة .
(ب) المرحلة العمرية:

أوضحت نتائج الدراسة أن الغالبية العظمى من أفراد العينة تقع أعمارهم في الفئة العمرية (60-71 شهرا) حيث بلغت نسبتهم (50%)، تليها الفئة العمرية (47-36) بنسبة (37.5%) ثم الفئة العمرية (59-48)، بنسبة (12.5%).

(ج) شدة الإعاقة:

أوضحت نتائج الدراسة شدة الإعاقة لأفراد عينة الدراسة حيث تراوحت بين البسيط والمتوسط بنسبة 50% لكلا منهما.

الجدول رقم (2)

القياس القبلي والبعدى للتدخل المبكر باستخدام قائمة الشطب الارتقائية في تنمية المهارات الحركية لدى عينة الدراسة

ر.م	النوع	درجة الإعاقة	العمر الزمني بالشهور	الدرجة الكلية للمجال	نقاط القوة	العمر التطوري للمجال بالشهور	النسبة التطورية
1	ذكر	متوسطة	66	111	59	21	31.81%
				111	79	35	53%
2	ذكر	بسيطة	50	95	53	18	36%
				95	70	29	58%
3	انثي	بسيطة	65	111	65	25	38%
				111	84	39	60%
4	ذكر	متوسطة	37	80	38	10	27%
				80	59	31	83%
5	ذكر	بسيطة	47	95	58	21	44%
				95	67	27	57%
6	انثي	متوسطة	43	95	56	19	44%
				95	74	31	72%
7	ذكر	بسيطة	61	111	63	24	39%
				111	86	41	67%
8	انثي	متوسطة	68	140	60	22	32%
				140	80	36	52%

لمعرفة مدى فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان تم استخدام (اختبار شبير ويلك) (Shapiro-Wilk) لاختبار ما إذا كانت النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان قبل وبعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي أم لا.

الجدول رقم (3)

يوضح التوزيع الطبيعي (اختبار شبير ويلك) للنسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية قبل وبعد التطبيق

البيان	القيمة الإحصائية	درجات الحرية	الدلالة المعنوية المحسوبة
النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان قبل التطبيق	.944	8	.655
النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان بعد التطبيق	.901	8	.292

يتضح من الجدول رقم (3) أن القيمة الإحصائية للنسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان قبل التطبيق (0.944) بدلالة معنوية محسوبة (0.655) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك لا تقبل فرضية الدراسة مما يدل على أن النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان قبل التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي ، وان قيمة إحصائي الاختبار للنسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان بعد التطبيق (0.901) بدلالة معنوية محسوبة (0.292) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك لا نرفض فرضية الدراسة مما يدل على أن النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي .

ولمعرفة مدى فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان تم استخدام اختبار (اختبار T للفرق بين متوسطي مجتمعين غير مستقلين).

الجدول رقم (4)

يوضح اختبار (Paired Samples T Test) فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية لدي

أطفال متلازمة الدوان

البيان	المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	إحصائي الاختبار	درجات الحرية	الدلالة المحسوبة
مدى فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان	قبل التطبيق	36.4763	6.02070	-5.754	7	.001
	بعد التطبيق	62.7500	10.60660			

يتضح من رقم (4) القيمة الاحصائية للاختبار لمدى فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان (-5.751) بدلالة معنوية محسوبة (0.001) وهو أقل من مستوى المعنوية (0.05) لذلك تقبل فرضية الدراسة، مما يدل على وجود اختلاف ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha=0.05$) بين متوسطات النسبة التطورية لبرنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان في القياس القبلي والقياس البعدي، وحيث أن متوسط النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان في القياس البعدي (62.7500) وهو يزيد عن متوسط النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان في القياس القبلي (36.4763)، فهذا يشير إلى وجود فاعلية ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha=0.05$) لبرنامج

البورتاج في تنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان، وتتفق هذه الدراسة مع ما توصلت اليه دراسة (دراسة الشمري، الزعبي 2014) في إن التدريب وفق برنامج بورتاج للتدخل المبكر ينمي المهارات الحركية لدى أطفال متلازمة داون مقارنة بطريفة التدريب التقليدية .

الجدول رقم (5)

القياس القبلي والبعدي للتدخل المبكر باستخدام قائمة الشطب الارتقائية في تنمية رعاية الذات لدى عينة الدراسة

ر.م	النوع	درجة الإعاقة	العمر الزمني بالشهور	الدرجة الكلية للمجال	نقاط القوة	العمر التطوري للمجال بالشهور	النسبة التطورية
1	ذكر	متوسطة	66	105	45	33	50%
				قبل التطبيق	بعد التطبيق	53	37
2	ذكر	بسيطة	50	67	32	27	54%
				قبل التطبيق	بعد التطبيق	51	35
3	انثي	بسيطة	65	90	42	31	47%
				قبل التطبيق	بعد التطبيق	55	39
4	ذكر	متوسطة	37	52	32	27	72%
				قبل التطبيق	بعد التطبيق	43	32
5	ذكر	بسيطة	47	67	29	25	53%
				قبل التطبيق	بعد التطبيق	40	30
6	انثي	متوسطة	43	67	25	24	55%
				قبل التطبيق	بعد التطبيق	48	34
7	ذكر	بسيطة	61	105	51	35	57%
				قبل التطبيق	بعد التطبيق	78	53
8	انثي	متوسطة	68	105	39	30	44%
				قبل التطبيق	بعد التطبيق	50	35

لمعرفة مدى فاعلية برنامج البورتاج في تنمية رعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان تم استخدام اختبار شبير ويلك (Shapiro-Wilk) لاختبار ما إذا كانت النسبة التطورية لتنمية رعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان قبل وبعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي أم لا .

الجدول رقم (6)

وضح التوزيع الطبيعي (اختبار شبير ويلك) للنسبة التطورية لتنمية مهارات الرعاية الذاتية قبل وبعد التطبيق

البيان	القيمة الإحصائية	درجات الحرية	الدلالة المعنوية المحسوبة
النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان قبل التطبيق	.885	8	.211
النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان بعد التطبيق	.918	8	.410

يتضح من الجدول رقم (6) أن القيمة الإحصائية للنسبة التطورية لتنمية رعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان قبل التطبيق (0.885) بدلالة معنوية محسوبة (0.211) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) تقبل فرضية الدراسة، مما يدل على أن النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان قبل التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي أن القيمة الإحصائية للاختبار للنسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان بعد التطبيق (0.918) بدلالة معنوية محسوبة (0.410) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك تقبل فرضية الدراسة مما يدل على أن النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي.

ولمعرفة مدى فاعلية برنامج البورتاج في تنمية مهارات رعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان تم استخدام (اختبار T للفرق بين متوسطي مجتمعين غير مستقلين).

الجدول رقم (7)

يوضح اختبار (Paired Samples T Test) فاعلية برنامج البورتاج في تنمية مهارات الرعاية الذاتية لدي

أطفال متلازمة الدوان

البيان	المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	إحصائي الاختبار	درجات الحرية	الدلالة المحسوبة
فاعلية برنامج البورتاج في رعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان	قبل التطبيق	54.0000	8.45154	-5.231	7	.001
	بعد التطبيق	68.8750	13.56927			

يتضح من رقم (7) القيمة الاحصائية للاختبار لمدى فاعلية برنامج البورتاج في تنمية رعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان (-5.231) بدلالة معنوية محسوبة (0.001) وهو أقل من مستوى المعنوية (0.05) لذلك تقبل فرضية الدراسة، مما يدل على وجود اختلاف ذو دلالة إحصائية

عند مستوى دلالة ($\alpha=0.05$) بين متوسطات النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان في القياس القبلي والقياس البعدي، وحيث أن متوسط النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان في القياس البعدي (68.8750) وهو يزيد عن متوسط النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان في القياس القبلي (54.0000) . فهذا يشير إلى وجود فاعلية ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha=0.05$) لبرنامج البورتاج في رعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان، وتتفق هذه الدراسة مع ما توصلت اليه دراسة (أوسطاش، الاروقي 2016)، التي توصلت الي وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية والضابطة في أداء مهارات مساعدة الذات، والمهارات الاجتماعية بعد تطبيق برنامج البورتاج لصالح المجموعة التجريبية.

هل توجد فروق داله إحصائياً للتدخل المبكر باستخدام قائمة البورتاج الارتقائية في تنمية المهارات الحركية والادراكية لدى أطفال متلازمة الدوان وفقاً للنوع

لمعرفة ما إذا كان هناك أثر للنوع على فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان تم استخدام (اختبار شبير ويلك) لمعرفة ما إذا كانت النسبة التطورية تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان بعد تطبيق البرنامج وحسب النوع تتبع التوزيع الطبيعي أم لا

الجدول رقم (8)

يوضح نتائج اختبار التوزيع الطبيعي (اختبار شبير ويلك) للنسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية ورعاية الذات بعد تطبيق البرنامج وحسب النوع

البيان	قيمة الإحصائية	درجات الحرية	الدلالة المعنوية المحسوبة
النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان الذكور بعد التطبيق	.887	5	0.261
النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان الإناث بعد التطبيق	.959	3	.612

يتضح من الجدول رقم (8) القيمة الإحصائية للاختبار للنسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان للذكور بعد التطبيق (.887) بدلالة معنوية محسوبة (0.261) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك تقبل فرضية الدراسة، مما يدل على أن النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان للذكور بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي، والقيمة

الإحصائية الاختبار للنسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدى أطفال متلازمة الدوان للإناث بعد التطبيق (0.959) بدلالة معنوية محسوبة (0.612) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على أن النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدى أطفال متلازمة الدوان للإناث بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي .

كما تتضح القيمة الإحصائية الاختبار النسبة التطورية لرعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان للذكور بعد التطبيق (0.887) بدلالة معنوية محسوبة (0.261) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على أن النسبة التطورية لرعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان للذكور بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي، والقيمة الإحصائية للاختبار النسبة التطورية لرعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان للإناث بعد التطبيق (0.959) بدلالة معنوية محسوبة (0.612) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على أن النسبة التطورية لرعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان للإناث بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي

ولمعرفة الفروق داله إحصائياً للتدخل المبكر باستخدام قائمة البورتاج الارتقائية في تنمية المهارات الحركية والادراكية لدى أطفال متلازمة الدوان وفقاً للنوع.

الجدول رقم (9)

يوضح نتائج اختبار (Independent Sample T- Test) لأثر النوع على فاعلية البرنامج

البيان	النوع	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة إحصائي الاختبار T	مستوى الدلالة المعنوية المحسوبة
النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية بعد تطبيق	ذكر	63.6000	11.99166	7	245	0.794
	أنثى	61.3333	62.06645			
النسبة التطورية لرعاية الذات بعد تطبيق البرنامج	ذكر	72.2000	13.53514	6	.880	0.413
	أنثى	63.3333	14.29452			

يتضح من الجدول رقم (9) أن قيمة (ت) إحصائي لأثر النوع على فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية (245) بدلالة معنوية محسوبة (794) وهي اقل من مستوى المعنوية (0.05) لذلك نرفض الفرضية الصفرية مما يدل على وجود أثر ذو دلالة إحصائية للنوع على فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية لصالح الإناث

والقيمة الاحصائية للاختبار لأثر النوع على فاعلية برنامج البورتاج في رعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان (880). بدلالة معنوية محسوبة (0.413) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك لا نرفض الفرضية الصفرية مما يدل على عدم وجود أثر ذو دلالة إحصائية للنوع على فاعلية برنامج البورتاج في رعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان، وتختلف الدراسة الراهنة في هذه النتيجة مع ما توصلت اليه دراسة وشاحي بوجود فروق دالة إحصائية وفقاً للنوع في مجال الرعاية الذاتية.

هل توجد فروق داله إحصائية للتدخل المبكر باستخدام قائمة البورتاج الارتقائية في تنمية المهارات الحركية والادراكية لدى أطفال متلازمة الدوان وفقاً لدرجة الإعاقة

لمعرفة ما إذا كان هناك أثر لدرجة الإعاقة على فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان تم استخدام (اختبار شيبير ويلك) للمعرفة ما إذا كانت النسبة التطورية لكل لشدة الإعاقة تتبع التوزيع الطبيعي أم لا .

الجدول رقم (10)

يوضح نتائج التوزيع الطبيعي (اختبار شبير ويلك) النسبة التطورية لكل لشدة الإعاقة

البيان	قيمة الاحصائية	درجات الحرية	الدلالة المعنوية المحسوبة
النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية بسيطية الإعاقة بعد التطبيق	.851	4	.230
النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية متوسطي الإعاقة بعد التطبيق	.873	4	.308
النسبة التطورية لرعاية الذات لدي بسيطية الإعاقة بعد التطبيق	.895	4	.407
النسبة التطورية لرعاية الذات متوسطي الإعاقة بعد التطبيق	.885	4	.362

يتضح من الجدول رقم (10) القيمة الإحصائية للاختبار النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان لبسيطية الإعاقة بعد التطبيق (.851). بدلالة معنوية محسوبة (0.230) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك لا نرفض الفرضية الصفرية مما يدل على أن النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان لبسيطية الإعاقة بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي، كما إن القيمة الإحصائية للاختبار النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان لمتوسطية الإعاقة بعد التطبيق (0.873) بدلالة معنوية محسوبة (0.308) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05)، مما يدل على أن النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان لمتوسطية الإعاقة بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي

كما يوضح الجدول القيمة الإحصائية للاختبار النسبة التطورية لمهارات الرعاية الذاتية لدي أطفال متلازمة الدوان لبسيطية الإعاقة بعد التطبيق (0.895) بدلالة معنوية محسوبة (0.407) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05)، مما يدل على أن النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان لبسيطية الإعاقة بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي، والقيمة الإحصائية للاختبار النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان لمتوسطية الإعاقة بعد التطبيق (0.885) بدلالة معنوية محسوبة (0.362) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك لا نرفض الفرضية الصفرية مما يدل على أن النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان لمتوسطية الإعاقة بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي

هل توجد فروق داله إحصائياً للتدخل المبكر باستخدام قائمة البورتاج الارتقائية في تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان وفقاً للعمر الزمني لمعرفة ما إذا كان هناك أثر للعمر الزمني على فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان تم استخدام (اختبار شبير ويلك) لمعرفة ما إذا كانت النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية ورعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان حسب نوع العمر الزمني تتبع التوزيع الطبيعي أم لا.

الجدول رقم (11)

نتائج (اختبار شبير ويلك واختبار t) لأثر العمر الزمني على فاعلية البرنامج

البيان	القيمة الإحصائية	درجات الحرية	الدلالة المعنوية المحسوبة
النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم 50 شهر فأقل بعد التطبيق	.885	4	.360
النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم أكثر من 50 شهر بعد التطبيق	.902	4	.439
النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم 50 شهر فأقل بعد التطبيق	.982	4	.912
النسبة التطورية لرعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم أكثر من 50 شهر بعد التطبيق	.836	4	.185

يتضح من الجدول رقم (11) أن قيمة الاحصائية للاختبار النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم 50 شهر فأقل بعد التطبيق (0.885) بدلالة معنوية محسوبة (0.360) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك لا نرفض الفرضية الصفرية مما يدل على أن النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم 50 شهر فأقل بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي، وان القيمة الاحصائية للاختبار للنسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم أكثر من 50 شهر بعد التطبيق (0.902) بدلالة معنوية محسوبة (0.439) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك لا نرفض الفرضية الصفرية مما يدل على أن النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم أكثر من 50 شهر بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي

كما ان القيمة الإحصائية الاختبار النسبة التطورية لرعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم 50 شهر فأقل بعد التطبيق (0.982) بدلالة معنوية محسوبة (0.912) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك لا نرفض الفرضية الصفرية مما يدل على أن النسبة التطورية لرعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم 50 شهر فأقل بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي والقيمة الإحصائية للاختبار للنسبة التطورية لرعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم أكثر من 50 شهر فأقل بعد التطبيق (0.836) بدلالة معنوية محسوبة (0.185) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك لا نرفض الفرضية الصفرية مما يدل على أن النسبة التطورية لرعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان للذين أعمارهم أكثر من 50 شهر بعد التطبيق تتبع التوزيع الطبيعي

ولمعرفة الفروق داله إحصائياً للتدخل المبكر باستخدام قائمة البورتاج الارتقائية في تنمية المهارات

الحركية والادراكية لدى أطفال متلازمة الدوان وفقاً للعمر الزمني

الجدول رقم (12)

نتائج (اختبار شبير ويلك واختبار t) لأثر العمر الزمني على فاعلية البرنامج

البيان	العمر	المتوسط الحسابي بالسنوات	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة إحصائي الاختبار T	مستوى الدلالة المعنوية المحسوبة
النسبة التطورية لتنمية المهارات الحركية لدى أطفال متلازمة الدوان	50 شهر فأقل	67.5000	12.39624	1.336	6	.230
	أكثر من 60 شهر	58.0000	6.97615			
النسبة التطورية لرعاية الذات لدى أطفال متلازمة الدوان	50 شهر فأقل	74.5000	10.08299	1.211	6	.271
	أكثر من 60 شهر	63.2500	15.60716			

يتضح من الجدول رقم (12) قيمة إحصائي الاختبار لأثر العمر الزمني على فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية (1.336) بدلالة معنوية محسوبة (0.230) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك لا نرفض الفرضية الصفرية مما يدل على عدم وجود أثر ذو دلالة إحصائية للعمر الزمني على فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية لدي أطفال متلازمة الدوان قيمة إحصائي الاختبار لأثر العمر الزمني على فاعلية برنامج البورتاج في رعاية الذات (1.211) بدلالة معنوية محسوبة (0.271) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) لذلك لا نرفض الفرضية الصفرية مما يدل على عدم وجود أثر ذو دلالة إحصائية للعمر الزمني على فاعلية برنامج البورتاج في رعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان

النتائج العامة

(1) النوع:

أوضحت نتائج الدراسة أن نسبة الذكور أعلى من نسبة الإناث حيث بلغت (62.5%) من مجموع أفراد عينة الدراسة.

(2) المرحلة العمرية:

أوضحت نتائج الدراسة أن الغالبية العظمى من أفراد العينة تقع أعمارهم في الفئة العمرية (60-71 شهرا) من مجموع أفراد عينة الدراسة.

(3) شدة الاعاقة:

أوضحت نتائج الدراسة شدة الإعاقة لأفراد عينة الدراسة حيث تراوحت بين البسيط والمتوسط بنسبة 50% لكلا منهما.

4- أن التدخل المبكر بقائمة البورتاج الارتقائية أدى الي تنمية المهارات الحركية لأطفال متلازمة داون.

5- أن التدخل المبكر بقائمة البورتاج الارتقائية أدى الي تنمية مهارات الرعاية الذات لأطفال متلازمة داون

6- وجود فروق دلالة إحصائية وفقا للنوع لفاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية لصالح الإناث

وعدم وجود فروق دلالة إحصائياً وفقا للنوع لفاعلية برنامج البورتاج في رعاية الذات لدي أطفال متلازمة الدوان

7- وجود فروق دلالة إحصائيا لدرجة الإعاقة لفاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات، لدي أطفال متلازمة الدوان لصالح الإعاقة البسيطة.

9- عدم فروق دلالة إحصائية وفقا للعمر الزمني لفاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية ورعاية الذات لدي أطفال متلازمة الداون.

التوصيات :

- 1- العمل على تقنين أنشطة برنامج المبكر التدخل البورتاج علي اطفال المجتمع الليبي .
عمل برامج توعية وإرشاد للوالدين لتبصرهم بكيفية بأهمية التدخل المبكر باستخدام برنامج البورتاج
- 3- عمل ورش العمل وندوات العلمية للتعريف بأطفال متلازمة الداون .
- 4- التوعية بأهمية نشر التدريب بطريقة البورتاج الارتقائية ، بأعتبرها أحدي البرامج العالمية الناجحة في تنمية المهارات المختلفة للأطفال بصفة عامة

المراجع

- ابتهاج رضاء رزق الحبيب، (2017) برنامج لتنمية الادراك الحس حركي لدى أطفال ذوي متلازمة داون، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية للطفولة المبكرة، قسم العلوم النفسية، جامعة القاهرة.
- إبراهيم عبد الله الزينات، (2012) التدخل المبكر النماذج والإجراءات ط3، عمان دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- إبراهيم عبدالله الزينات (2012)، متلازمة داون الخصائص والاعتبارات التأهيلية، عمان دار واقل للنشر والتوزيع.
- جابر أحمد جابر، احمد جيري كاظم (1973)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، القاهرة دار النهضة العربية.
- حواء بشير أبوسطاش، صالحة التومي الاروقي، (2017) التدخل العلاجي والتأهيلي المبكر وعلاقته بتحسين بعض مجالات النمو المختلفة للأطفال المصابين بأعراض متلازمة داون ودور الاسرة، مجلة التربوي، جامعة المرقب، كلية التربية الخمس، العدد الحادي عشر 2017.
- رانيا قاسم، دنيا مصطفي، اضطرابات النمو الشامل، والمتلازمات لدى الأطفال، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- سهير محمد سلامة شاش، (2019) استراتيجيات التدخل المبكر والدمج، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.
- ضيدان بن محمد آل سفران (2019)، متلازمة دوان خصائص، وارشاد، وحروف من القلب، مكتبة الملك فهد الوطنية.
- عليا فتحي الشايب، (2016) فاعلية التدخل المبكر لخفض العناد والاعتمادية لتحسين مساعدة الذات للأطفال المتأخرين عقلياً، القابلين للتعلم، مجلة العلوم التربوية، العدد الرابع المجلد الأول شهر أكتوبر.
- عون معين شاهين، (2008)، الأطفال ذوي متلازمة داون، مرشد الإباء والمعلمين، عمان دار الشروق للنشر والتوزيع.
- فكري لطيف متولي، (2015) الاعاقات العقلية (المدخل - النظريات المفسرة - طرق الرعاية)، الرياض: مكتبة الرشد ناشرون.
- فهد راكان ماجد العجمي، (2007) الفروق في مهارات السلوك التكيفي لدى تلاميذ ذوي الإعاقة الدين خضعوا لبرنامج التدخل المبكر، والدين لم يخضعوا لها، في منطقة الرياض التعليمية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليج العربي.
- لجنة تقنين أنشطة بورتاج في مصر (2006-2007) برنامج التنمية الشاملة للطفولة المبكرة (بورتاج) الدليل العملي، (جمهورية مصر العربية: وزراء التربية والتعليم.
- محمد خليل عباس، وآخرون (2012)، مدخل الي مناهج البحث في التربية وعلم النفس، عمان دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- محمد صالح الامام، فواد عبد الجوالدة، (2011) اضطرابات النمو الشامل، عمان دار الثقافة للنشر والتوزيع.

- مرفت أحمد أحمد محمد، (2011)، دور فصص الأطفال في إكساب أطفال متلازمة داون القابيل للتعلم بعض المهارات الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، قسم الاعلام وثقافة الطفل، جامعة عين شمس.
- الفيتوري صالح قرزة، (2020)، فاعلية برنامج البورتاج في تنمية المهارات الحركية والاجتماعية لدي اطفال ذوي التخلف العقلي البسيط القابيل للتعلم في مرحلة ما قبل المدرسة، مؤتمر التربية الخاصة الأول ، جامعة بنغازي، كلية التربية المرج، قسم التربية الخاصة، مارس 9-2020، 11.
- حمدي محمد الشمري، سودان حمد الزعبي، أثر الأنشطة الحركية في برنامج بورتاج للتدخل المبكر في تنمية مفهوم الذات لدى أطفال متلازمة داون في مرحلة رياض الأطفال بدولة الكويت، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد يونيو (15) العدد (2).

الهوية الثقافية واحترام التنوع كطريق إلى التنمية

(حماية الحقوق والحريات نموذجا).

د الياس امحمد مسعود شريحة
كلية الآداب والعلوم بدر، جامعة الزنتان

ملخص الدراسة.

تناولت الدراسة مسألة الهوية الثقافية واحترام التنوع باعتبارها طريق إلى تحقيق التنمية واتخذت من مسألة حماية الحقوق والحريات أنموذجا، وهدفت للتعرف على كيف التعامل مع الهويات الثقافية المكونة للمجتمع، والآليات والسياسات التي يحتم على الدولة اتخاذها لحماية التنوع الثقافي بنشر قيم التسامح والعيش المشترك، وانتهاج سياسات لتحفز قيم الوحدة الوطنية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها:

الاعتراف: الذي يشكل خطوة نحو تجسيد الحقوق الثقافية والقانونية والدستورية، بشكل يشيع الطمأنينة في النفوس.

— الاحترام والحماية: بمنع الخطابات المحرصة على الكراهية والعنصرية والتوعية بأهمية الوحدة الوطنية بين أبناء البلد الواحد، ومنح الفرصة لكل الثقافات للتعبير عن نفسها.

— الإصلاح السياسي: يتحقق من خلال دستور توافقي يضمن مشاركة الكل في العملية السياسية، لتأسيس مشروع وطني يمنح للنوع الثقافي حقوقهم السياسية والاجتماعية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: الهوية الثقافية، احترام التنوع، التنمية، الاستيعاب الاجتماعي.
فكرة البحث.

يعد التنوع الثقافي عاملا ايجابيا يدل على القاسم المشترك بين الثقافات، و رابط يوحد البشرية في سياق عمليات التبادل والحوار الثقافي، ويعتبر آخرون أن الفوارق الثقافية تسبب النزاعات نتيجة للاحتكاك بين الثقافات (تقرير اليونسكو، 2009 : ص 1) إن احترام الثقافات والحفاظ عليها باعتماد سياسات الاندماج الاجتماعي والاستيعاب الثقافي (بوعزة، 2007).

وتعتبر الثقافة المكون الأساسي للحضارة لتمييزها في عطاها عبر القرون، وقد أدرك المفكرين أهميتها إلى درجة أنهم رأوا مستقبل الصراعات في العالم ودوافعها على أساس ثقافي وحضاري حيث يفترض صمويل هنتنغتون بأن المصدر الأساسي للنزاعات في العصر لن يكون أيديولوجيا أو اقتصاديا في المحل الأول فالانقسامات بين البشر ستكون ثقافية ومصدر النزاع سيكون ثقافيا، وعلى حسب رأي صمويل أن الثقافة لها دورا أساسيا في حياة أي مجتمع، وأن العالم يمكن تقسيمه إلى عدة حضارات وأن هذه الحضارات تتصادم (محمد، 2005: ص 49_50).

ولتحقيق التنمية يتطلب إدماج الثقافات لحماية حقوق الإنسان، وما لم تتمكن الأقليات الدينية والعرقية من المشاركة في العمل السياسي على المستوى المحلي والإقليمي وتحقيق الإنصاف في مجال التعليم والصحة والعمل والأمن والخدمات الأساسية، وإيجاد دساتير توافقية توفر الحماية والضمانات للأقليات والسكان الأصليين، والتفكير بأسلوب يحترم الآخرين وطموحاتهم (تقرير التنمية البشرية، 2004 : ص vif)، وإقناع صناعات القرار بالدولة بأهمية الاستثمار في التنوع الثقافي كأساس للحوار بين الثقافات وتعزيز التماسك الاجتماعي (تقرير اليونسكو، 2009 : ص 2)، فالتعايش السلمي مصدرا للإثراء الاجتماعي والثقافي، فقد نجحت العديد من الدول في التوفيق بين الثقافات المنطوية داخلها من خلال المساواة وعدم التمييز بين مواطنيها.

أن كثير من الثقافات اندثرت بفعل العديد من العوامل أهمها الاستعمار، أو أنها تعرضت لتغيرات عن طريق الاتصال والاحتكاك بثقافات الشعوب الأخرى، الأمر الذي جعل

دراستها وجمع وحفظ ما يمكن جمعة وحفظة من تراثها الثقافي والاجتماعي مطالبا علميا وإنسانيا (شلابي، 2006: ص 37_38).

وهناك بعض الدراسات تناولت موضوع التنوع الثقافي مثل دراسة مريم عادل الكندري 2019 بعنوان التنوع الثقافي وأثره على هوية الطالب في المدارس الأجنبية بدولة الكويت، ودراسة خديجة محمد الشاذلي 2020 التنوع الثقافي وآليات تعزيزه بالتعليم قبل الجامعي في العالم المعاصر، ودراسة اشرف محمد كمال 2015 أثر التنوع الثقافي على ممارسات الموارد البشرية، دراسة تطبيقية في المستشفيات الحكومية بدولة الإمارات.

1. إشكالية الدراسة.

يمثل التنوع الثقافي أحد الخصائص السائدة في أغلب المجتمعات، حيث لا يوجد مجتمع متجانس ثقافيا أو لغويا، ويسود التنوع في كل مناحي الحياة البشرية في اللسان والعادات والتقاليد والمعتقدات، فاحترام الثقافات يحقق انسجام المجتمع ووحدته، ويبعد عنه شبح النزاعات التي تعطل التنمية وتهدد الوحدة الوطنية، فالحد من الصراع الثقافي، والمساواة في الحقوق بين الأمم، وتصحيح دور الإعلام في نشر الوعي الثقافي، من هنا جاءت الدراسة لتسليط الضوء على الحقوق الثقافية، وإدراك خطورة انتهاك هذه الحقوق، تناولت الدراسة مسألة الهوية الثقافية واحترام التنوع كطريق إلى التنمية (حماية الحقوق والحريات أنموذجا).

2. تساؤلات الدراسة.

تسعي الدراسة الراهنة للإجابة على التساؤلات الآتية.

- كيف يمكن التعامل مع الهويات والثقافة المكونة للمجتمع؟
- ما أهم الآليات التي يحتم على الدولة اتخاذها لحماية التنوع الثقافي؟
- ما أهم السياسات لنشر قيم التسامح والعيش المشترك بين الثقافات المتعددة؟

3. أهداف الدراسة.

تكمن أهداف الدراسة في التعرف على:

- التنوع الثقافي بمختلف جوانبه لمحاولة إبرازه.

– أهم الآليات الفاعلة لضمان الحقوق الثقافية.

– أهم السياسات التي تعزز الحريات والحوار وتنشر قيم التسامح.

4. أهمية الدراسة.

تكمن أهمية الدراسة في تناول مسألة الهوية الثقافية واحترام التنوع كطريق لتحقيق التنمية، فالتنوع مصدر للاغتناء الثقافي للمجتمعات، تنفيذ الدراسة الراهنة بما تقدمه لصانع القرار من خيارات لإدارة التنوع وانتهاج سياسات تحفز قيم الوحدة الوطنية والديمقراطية واحترام الحقوق، التعددية الثقافية داخل الدولة.

5. منهج الدراسة.

دراسة سوسيولوجية اعتمدت على منهج الوصف الاجتماعي لما تقضية من وصف لمشاكل الهوية والتنوع الثقافية.

6. مفاهيم الدراسة.

6.1. مفهوم الثقافة.

الثقافة هي ذلك الكل المركب من المعارف والعقائد والفن والأخلاق والقانون والأعراف وكل ما اكتسبه الإنسان بوصفة عضوًا في مجتمع ما (جليبي، 2008: ص 65_66)، وهي مجموع ما يتعلم وينقل من عادات وتقاليد وقيم ومعتقدات وأفكار تؤثر في شخصية الفرد والجماعة عن طريق التفاعل الاجتماعي (شفيق، 1997: ص 37).

6.2. مفهوم الهوية الثقافية.

تشير الهوية إلى الثوابت التي لا تتغير فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره، وتعرف بأنها مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس، والتي تولد الإحساس لدى الأفراد بالانتماء لشعب معين، والارتباط بوطن معين، والتعبير عن مشاعر الاعتزاز، والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه، وتري منظمة اليونسكو أن الهوية الثقافية تعني أولاً وقبل كل شيء أننا أفراد ننتهي إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية، بما لها من

قيم أخلاقية وجمالية تميزها، ويتضمن ذلك أيضاً الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها(السيف، 2014: ص 4_6).

6.3. مفهوم التنوع والتعدد الثقافي.

التعدد الثقافي وما يمثله من مفاهيم كالاختلاف والهوية والتسامح والمواطنة أصبح موضوعاً للنقاش للوقوف على هذه الظاهرة، لتحقيق التوازن بين رغبة الجماعات البشرية في المحافظة على هويتها وخصوصيتها الثقافية وبين الاعتراف بالتنوع وتنميته (بغوره، 2015: ص 8_18)، ويشير التنوع الثقافي إلى التعدد والاختلاف بين أفراد المجتمع الواحد، وعلى الرغم من اختلافهم الثقافي إلا أنهم يشتركون في عوامل متعددة منها اللغة والقومية، وتقوم العلاقات بين الأفراد من ثقافات متنوعة على أساس الاحترام والتشارك والتسامح، والتمتع بحقوق متساوية دون أي تمييز (هماش، 2017).

6.4. مفهوم التنمية.

تعرف بأنها التحريك العلمي لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال أيديولوجية معينة لتحقيق التغير المستهدف من أجل الانتقال من حالة غير مرغوبة فيها إلى حالة مرغوب الوصول إليها، التنمية هي كل ما يفعله الإنسان لتحسين حياته وتطويرها للأفضل مستخدماً في ذلك كل ما لديه من موارد ووسائل وأدوات وخبرات متاحة (رشوان، 2009: ص 10_11).

6.5. الحقوق الثقافية.

تعرف الحقوق الثقافية من خلال الاعتماد على ديباجة الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي، على أن الثقافة ينبغي النظر إليها بوصفها مجمل السمات المميزة الروحية والمادية والفكرية والعاطفية، التي يتصف بها مجتمع أو مجموعة اجتماعية وعلى أنها تشمل إلى جانب الفنون والآداب طرائق الحياة وأساليب العيش معاً ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات (الجمعية العامة للأمم المتحدة: 2010، ص 4).

7. الدراسات السابقة.

7.1. دراسة بعنوان التنوع الثقافي من منظور الأمن المجتمعي، في محاولة تحديد مدى تأثير التنوع الثقافي في تحقيق الاستقرار والأمن داخل المجتمعات المتنوعة ثقافياً، وإبراز واقع التنوع وتسييل الضوء على التحديات التي تقف أمام حقوق الإنسان، من خلال الإجابة على تساؤلات وهي ما هو واقع التنوع الثقافي وهل يشكل التنوع الثقافي عائقاً أمام تحقيق الأمن المجتمعي أم داعم له، وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها الاهتمام بوضع الجماعات الثقافية في الدولة المتنوعة الثقافات، وتسييل الضوء على المظالم والحريات، والاهتمام بالانتهاكات التي تطال الهويات على المستوى الوطني وتجسيد الاعتراف والاستيعاب الثقافي، وحصون الحقوق والتعايش السلمي والديمقراطية داخل الجماعات المتنوعة ثقافياً (سناء: 2014).

7.2. دراسة بعنوان الحق في التنوع الثقافي، تناولت الأسس الفلسفية والقانونية للحق في التنوع الثقافي وكيفية بناء هذا الحق دون إقصاء حقوق الخصوصيات الثقافية، وحاولت الإجابة على كيف كان تعامل عالمية حقوق الإنسان مع الحق في التنوع، وموقف المنتصرين للخصوصية من ذلك، واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي والمنهج التاريخي، وتوصلت إلى نتائج أهمها إن الخصوصيات الثقافية لا يمكن أن تشكل أثراً لثقافتها إلا في ظل الأيمان بوجود مبادئ إنسانية مشتركة تتجاوز الحدود الجغرافية، وحق الأفراد في الانتماء إلى ثقافة ما، لا يجب إساءة فهم الحق في التنوع واعتباره عاملاً من عوامل تفتيت المجتمعات وإضعاف التنمية، ممارسة الحق في التنوع لا يتم إلا من خلال الحوار وترسيخ قيم التوافق والتعايش والاحترام، التركيز على الدور الوقائي لحوار الثقافات وتعايشها، فالصراع من شأنه تهديد السلم وزرع الخوف وعدم الاستقرار (حبيبة: 2013/2014).

7.3. دراسة بعنوان أثر التنوع الثقافي على ممارسات الموارد البشرية، دراسة تطبيقية في المستشفيات الحكومية بدولة الإمارات، استهدفت الدراسة تحديد مستوى التنوع الثقافي في المستشفيات الحكومية وكيفية تحسين ممارسات الموارد البشرية بما يؤدي إلى المساهمة في المزيد من النجاح والتطور والتميز للموارد البشرية (أطباء، ممرضين، إداريين)، وتدعيم

قدرتهم على تقديم أعلى مستوى من الخدمات الصحية بأفضل طريقة بعيدة عن الصراعات والمشكلات الثقافية، وتوصلت إلى نتائج أهمها وجود اختلافات جوهرية بين اتجاهات الأطباء والممرضين والإداريون بالمستشفيات نحو متغيرات التنوع الثقافي (الداخلية، الخارجية، التنظيمية) ومستوى ممارسات الموارد البشرية (جذب الموظفين، الاحتفاظ بالموظفين) باختلاف خصائصهم الديموجرافية، ووجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين متغيرات التنوع الثقافي بالمستشفيات ومستوى ممارسات الموارد البشرية بها (إبراهيم : 2015).

7.4. دراسة بعنوان التنوع الثقافي وأثره على هوية الطالب في المدارس الأجنبية بدولة الكويت، وهدفت إلى التعرف على مظاهر التنوع الثقافي في المدارس الأجنبية، ودرجة تأثير التنوع الثقافي على هوية طلاب هذه المدارس، وأثر متغيرات الجنس والمادة الدراسية وسنوات الخبرة في ذلك، وأعدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى نتائج أهمها أن مظاهر التنوع الثقافي في المدارس الأجنبية تمثلت في اللغة والدين وثقافة المجتمع والانتماء، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أفراد العينة حول تأثير ثقافة المجتمع والانتماء على التنوع تعزى لمتغير الجنس لصالح الذكور، بينما لا توجد فروق حول تأثير اللغة والدين على التنوع، ووجود فروق بين متوسطات أفراد العينة حول تأثير ثقافة المجتمع والدين على التنوع تعزى لمتغير المادة الدراسية لصالح معلمي التربية الإسلامية، بينما لا توجد فروق حول تأثير اللغة والانتماء على التنوع الثقافي (الكندي : 2019).

7.5. دراسة بعنوان التنوع الثقافي وآليات تعزيزه بالتعليم قبل الجامعي في العالم المعاصر، وحاولت الدراسة الإجابة على التساؤلات، ما هي الأسس النظرية للتنوع الثقافي بالمجتمعات المعاصرة، وما أهم آليات تعزيز التنوع بالتعليم قبل الجامعي في العالم المعاصر، واعتمدت على المنهج الوصفي لوصف وتحليل الظاهرة والعلاقات المتشابكة والمكونة لنسيجها، وتوصلت الدراسة إلى صعوبة افتراض وجود نظام موحد يمثل النظام الأمثل في مسألة تعزيز التنوع الثقافي، وأن التعزيز الحقيقي للتنوع يحتاج إلى حراك سياسي مجتمعي تعليمي وان

العناصر الثلاثة (الإدارة، المعلم، المقرر الدراسي) هي الأبرز في تطوير النظم التعليمية الرامية لتعزيز التنوع الثقافي، وأن نماذج التعليم تنائي اللغة تعزز التنوع الثقافي خاصة في الدول التي تهدف سياساتها إلى صيانة ثقافات شعوبها الأصلية (الشاذلي : 2020).

وتناولت الدراسة المحاور التالية:

أولاً: التنوع الثقافي أهميته ومظاهره وإيجابياته.

ثانياً: الحرية الثقافية في عالمنا المتنوع.

ثالثاً: أزمة التعددية الثقافية في الغرب، وأبعاد الهوية الثقافية.

رابعاً: المبادرات الإقليمية والدولية الخاصة بالتنوع الثقافي.

خامساً: دور التعليم في بناء التسامح والاحترام بين الثقافات.

سادساً: التنوع الثقافي وتمكين المجتمعات المحلية.

سابعاً: الحوار بين الثقافات.

أولاً: التنوع الثقافي أهميته ومظاهره وإيجابياته.

مظاهر التنوع الثقافي.

اللغة. تعتبر اللغة الركن الأساسي الذي تقوم الثقافة عليه، كما أنها تعد أحد مظاهر الاختلاف بين الحضارات والأمم، وكل أمة تفتخر وتتباهى بمزايا لغتها، وتحرص على تعليمها للجميع بشكل دائم.

الدين. يعتبر التعرف على الأديان المنتشرة في كافة أنحاء الأرض من أفضل السبل لإدماج الشعوب والأمم.

العادات والتقاليد. تعتبر على رأس الاختلاف الثقافي والحضاري بين الأمم، فالأمم تحرص على توريث جميع عاداتها وتقاليدها.

أهمية التنوع الثقافي.

للتنوع الثقافي أهمية تعود على الفرد والمجتمع باعتباره المحرك الرئيسي للمجتمعات، وأساس للتنمية، ويؤثر على مسيرة التعليم ويُساهم في تنوعه وزيادة الخبرات وتبادلها بين الشعوب، لدفع عجلة

التطور، ويمنح الأفراد حرية التعبير عن أفكارهم ونشر ثقافتهم وتبادل آرائهم السياسية والأدبية والاقتصادية والفنية.

إن الصراع الدولي اليوم ليس صراع هيمنة بالقوة العسكرية والاقتصادية فحسب بل هو صراع أفكار وأنساق ثقافية يراد لبعضها أن يسود، ولبعضها الآخر أن يُمحي ويُرول، وعلى سبيل المثال واقع التعدد اللغوي، إذ تشير إحصائيات اليونسكو إلى وجود حوالي 6000 لغة لكن المفارقة أن 96% من سكان العالم يتحدثون 4% فقط من تلك اللغات! وأن 90% من لغات العالم غير موجودة على الإنترنت، وعلى مستوى الاستعمال والتداول اللسني هناك مئات من اللغات في طور الانقراض في هذا السياق يغدو الدفاع عن التعددية الثقافية مطلباً أساسياً لأهمية الثقافة في المجتمع (بوعزة، 2007)، وبفعل نزعة الدول نحو الاندماج واستيعاب التباينات الثقافية، تموت لغات بمعدل عال جداً، بحيث لا يحظي سوى 10% من اللغات بمستقبل آمن (مجيد، 2010: ص104). ويشهد العالم اليوم بفعل تطور تقنيات الاتصال، وزال حاجز التضاريس التقاء الثقافات وانتقال مضمونها، إلا إن واقع السياسة الثقافية السائدة يقوم على هيمنة نمط ثقافي أحادي! وهذا الوضع يستوجب التنبيه إلى أن الإرث الثقافي لجميع الشعوب هو ثروة إنسانية يجب الحفاظ عليها، وأن عولمة ثقافة واحدة هو إفقار للبشرية وإفلاسها (بوعزة، 2007).

أن القبول بالتنوع الثقافي والإقرار به يساهم في بناء الحوار بين الثقافات، ويعزز السلام والتسامح، والحقوق والحريات الأساسية (منظمة الأمم المتحدة: اليوم العالمي للتنوع من أجل الحوار والتنمية)، قال تعالي في كتابه العزيز ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ سورة الروم الآية 22 وقوله تعالي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحجرات الآية 13 وقوله تعالي ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ سورة هود الآية 118. من هنا فإن أهمية التنوع تتمثل في تقبل الأنماط المختلفة للحياة الاجتماعية للأفراد والجماعات والأمم، فالتنوع نعمه من الله ولا يحق لأي فرد أو جماعة أو دولة أن تمنعه (الحوات، 2020: ص124_126).

إيجابيات التنوع الثقافي.

من ايجابيات التنوع الثقافي تعاطيه مع الاختلاف وتعمق الاعتقاد السائد بأن مستقبل البشرية لا يمكن تصوره بمنأى عن التعددية الثقافية في خضم العولمة الثقافية التي فرضتها تقنيات الاتصال، واتساع نطاق الهجرة، وبروز قوى اقتصادية وسياسية مؤثرة ثقافيا كل هذه العوامل جعلت التعددية الثقافية عنصرا مهما في الخطاب السياسي والأكاديمي والإعلامي، لتحقيق التوازن بين رغبة الجماعات البشرية في الحفاظ على هويتها وخصوصيتها الثقافية واندماجها في الثقافة العالمية من جهة وبين الاعتراف بالتنوع وتنميته وتحقيق المساواة بين الجماعات البشرية (سعيدوني، 2016: ص44_45)،

ثانيا: الحرية الثقافية في عالمنا المتنوع.

الحرية الثقافية هي التي ينعم بها الناس لاختيار هوياتهم والعيش دون استبعاد، وتنتهك بعدم الاعتراف بقيم مجموعات ثقافية أو التمييز على الهوية، ويتخذ الحرمان أشكال عديدة منها التمييز في المعاملة في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، ومن أهم أشكال الاستبعاد الثقافي ما يلي:

الاستبعاد من المشاركة.

يرتبط الاستبعاد من المشاركة بخصائص مثل الجنس أو العرق أو الدين، الأمر الذي يؤدي إلى استبعادهم من المشاركة في التعليم والتوظيف واتخاذ القرار السياسي على أساس الهوية الثقافية، بممارسة السياسات التمييزية مثل الحرمان من الجنسية أو حق التصويت أو الترشح لمنصب أو التمييز الاجتماعي وعدم إعطاء المساحة في وسائل الإعلام لنقل وجهة نظر مجموعة ثقافية، وما تدعوا الحاجة إليه هو إدماج سياسات التعددية الثقافية في استراتيجيات التنمية.

الاستبعاد من كيفية العيش.

تداول الفكر الإنساني والاجتماعي على مدى العصور قيمة المساواة وأهميتها، وحلمت الشعوب بالعدل الاجتماعي، إلا أن المساواة والعدل مازال بعيدين عن الواقع، فالمساواة هي اندماج الناس في مجتمعهم بمختلف المجالات مثل الإنتاج والاستهلاك، والعمل السياسي، والتفاعل الاجتماعي، واللامساواة هي (هيلز وآخرون، 2007: ص3)، ممارسة الدولة الاضطهاد لثقافة مجموعة ما في لغتها أو عاداتها المتوازنة وتدعوا الحاجة إلى سياسات تعطي ثقافة المجموعة علنا صيغة من صيغ الاعتراف والمساندة، فمن خلال الاندماج الثقافي يري أفراد هذه المجموعة ثقافتهم في مؤسسات

الدولة وفي الاحترام الذي يبديه المجتمع (تقرير التنمية البشرية، 2004: 6_27)، لتصبح كل الأطياف الثقافية متمتعة بالحقوق والواجبات، وهذا يحصل عندما تختفي كل الفوارق بين الغالبية والأقلية (الأسود، 2003: ص 29_30).

إنكار التنوع اللغوي والحق في الهوية اللغوية.

تشكل اللغة ظاهرة اجتماعية ووسيلة للتواصل، وتعد ناقل لقيم التراث الثقافي المادي واللامادي ونظم التطور الاجتماعي والمعرفي، وللمغة علاقة وثيقة بأي حراك اجتماعي، وتمثل عاملا حيويا في رسم ملامح الهويات الفردية والجماعية، وتعزيز التعدد اللغوي، ولاسيما في مجال التعليم ووسائل الإعلام والحياة العامة لضمان الإنصاف والمشاركة في التنمية (مصباحي، 2015: ص 124_128)، فالنظام اللغوي ذو ركنين أساسيين هما البناء والوظيفة الاجتماعية، فالبناء اللغوي هو التركيب المتماسك من الأصوات والرموز والألفاظ والقواعد النحوية والبلاغية، والوظيفة الاجتماعية للغة هي ما تؤديه للمجتمع بالتعبير عن نظم ثقافية واقتصادية وسياسية (عبد الرحيم، 1981: ص 99_103).

اللغة عنصر أساسي لهوية الفرد الثقافية، وقد يؤدي تقييد الشعوب على استخدام لغتهم الأم مع محدودية قدرتهم على تكلم اللغة الرسمية بالإسهام في إقصائهم عن التعليم والحياة السياسية، بحيث يجبر الأفراد على الانصهار في الثقافة المهيمنة بجعل كل المنافع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية باللغة الرسمية وتهميش لغتهم الأم، ففي إفريقيا جنوب الصحراء مثلا تتواجد أكثر من 2500 لغة، وتبقى مقدرة أغلب السكان على استخدام لغتهم في التعليم والمعاملات مع الدولة محدودة، وفي أكثر من 30 بلدا في أفريقيا بتعداد سكاني يبلغ 518 مليون نسمة أي ما يعادل 80% من مجموع السكان تختلف اللغة الرسمية المستخدمة في هذه الدول عن اللغة الأكثر انتشارا بين السكان (تقرير التنمية البشرية، 2004: ص 33). وفي ما يلي عرض لبعض مظاهر إنكار التنوع اللغوي الأكثر شيوعا:

فرض قيودا على لغات الشعوب الأصلية في المجالات العامة.

فرض قيود على استخدام لغات الشعوب الأصلية في مجال التعليم.

تغييب لغات الشعوب الأصلية في الإدارات والمجالات القضائية، وأسمائهم وأسماء الأماكن

واللاقات العامة. (سناء، 2014/2013: ص 88_92).

أن حماية اللغات من صميم الحقوق، وعلى الدول أن تتخذ تدابير لتهيئة الظروف لتمكين رعاياها من التعبير عن ثقافتهم ولغتهم وأن توفر لهم فرص لتعلم لغتهم الأم، ويقدم دستور جنوب إفريقيا نموذجاً على تنوع الهويات والحقوق اللغوية (مكدوغال، 2010: ص6_17).

التعدد الثقافي دافع لعجلة التنمية والديمقراطية.

تتطلب التنمية أمور أكثر من الصحة والتعليم والحرية السياسية والرفاهية، إذ ينبغي للدول أن تعترف بالهويات الثقافية، وتمكين الناس من العيش كما يرغبون، فجوهر الحرية الثقافية هو إعطاء الناس حرية التعبير عن هوياتهم دون استبعادهم من الخيارات المتعلقة بالتعليم والصحة والوظيفة، ومن هذا المنطلق تحتاج الدول إلى الاعتراف بالتباين الثقافي في دساتيرها وقوانينها ومؤسساتها، وصياغة سياسات تضمن ألا تتعرض مصالح أي مجموعة سواء كانت أقلية أو أغلبية للتجاهل أو الإهمال، لبناء دولة تقوم على تأمين فرص متساوية لجميع مواطنيها في مختلف المجالات لتحقيق العدالة الاجتماعية والاستفادة من الفرص.

التنوع الثقافي مصدر للأداء الاقتصادي حيث حققت بلدان متعددة الثقافات نجاحات، فماليزيا مثلاً يتكون شعبها من الملاي والصيني والهندي أصبحت عاشر دولة في العالم من حيث النمو الاقتصادي بين عامي 1970_1990، أن إدارة التنوع واحترامه يشكل تحدي للدولة، فالتنوع موجود ليبقي وينمو وعلى الدول أن تجد سبل لبناء وحدة وطنية في خضم هذا التنوع، فالعالم يزداد اعتماداً على بعضه في مختلف مجالات الحياة، وفي عصر العولمة لم يعد من الممكن تجاهل الاعتراف الثقافي من قبل أي دولة (تقرير التنمية البشرية، 2004: ص1_27).

ثالثاً: أزمة التعددية الثقافية، وأبعاد الهوية.

تنشأ أزمات الهوية عندما يصبح التوتر على أشده نتيجة لوجود تناقض بين مبدأ المساواة المعلن وواقع التمييز الاجتماعي، فالمجتمع لا يمكن أن يكون مطلق التجانس بل ينطوي على جماعات فرعية وثقافات مختلفة تمثل أحياناً نماذج متناقضة (ميكشيلين، 1993: ص134).

أزمة التعددية الثقافية في الغرب.

شهد العالم الغربي تطورات نوعية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وتعالق أصوات على المستوي السياسي والأكاديمي لتعبر عن رفضها لمفهوم التعددية الثقافية، كما دعت أصوات أخرى إلى ووضع

سياسات لتحقيق التجانس والتماسك الاجتماعي، ودخول المجتمعات الأوروبية في أزمة هوية نتجت عن توسعها على دول ذات ثقافات مختلفة، وانتشار شعور بفقدان هويتها.

إن السياسات الغربية في مجال التعامل مع التنوع الثقافي أصبح يتجاوزها خطاب التعددية الثقافية الذي يدعو إلى الإبقاء عليها لارتباطها بالحقوق والحريات، والثاني يدعو إلى تجاوزها ويرتكز على قيم التماسك والتجانس الاجتماعي، ويجرى الآن جدل حول ما إذا كانت التعددية الثقافية تحقق المساواة والتماسك في المجتمع أم أنها تهدد وحدة المجتمع وهذا ما انتشر في بعض الأوساط الأكاديمية والسياسية في أوروبا، وظل هذا الخطاب هامشيا في أمريكا الشمالية وكندا حيث تحطي الحرية الثقافية والدينية للأفراد والجماعات بمكانة مميزة (سعيدوني، 2016: ص 45_46)، فالعالم يمر بأزمة في منظومة القيم في ظل الصراعات العرقية والقومية، مما فرض سبل جديدة للتعامل مع القضايا الثقافية، وبرزت الدعوات إلى التعددية لتحقيق عالم أكثر أمنا وعدالة.

أبعاد الهوية الثقافية.

يعد التنوع الثقافي والاجتماعي من أبرز سمات المجتمعات البشرية وهناك القليل من المجتمعات يمتلك ثقافة وهوية موحدة، إلا أن الكثير منها ذات ثقافات متعددة تعيش في حالة من التوافق والانسجام، لكن هناك مجتمعات تعيش حالة من عدم الاستقرار الاجتماعي نتيجة لسيادة ثقافة ما على حساب الثقافة الأخرى في المجتمع الواحد، مما يسبب التوتر والاضطراب بين المواطنين وفقدان الثقة فيما بينهم، لشعورهم بالقهر الاجتماعي وبناء جيل مشحون بالسلبية نتيجة لشعورهم بفقدان العدالة الاجتماعية وإحساسهم بانتهاك حقوقهم، فالإقصاء والتهميش الذي تمارسه السلطة ضدهم ترك أثرا سلبيا عليهم لان دورهم مهمش كإنسان ومواطن وبالنهاية إحساسهم بأنهم عناصر غير فاعلة داخل المجتمع، من هنا يتحول الإقصاء والتهميش للعمل على انتزاع حقوقها ولو بالقوة، مما يتسبب في تشتيت البنية الاجتماعية والثقافية ويزعزع امن الدولة.

الثقافة والتنمية عنصران يكمل بعضهما الآخر، والحق في الثقافة يتساوى مع الحق في التنمية الذي أقرته الأمم المتحدة في عام 1986 باعتباره حقا جماعيا وفرديا، وهو ما كرسته التشريعات الدولية لحقوق الإنسان، ويمثل الدافع القومي سببا آخر فحين تسيطر قومية ما على باقي القوميات الأخرى عبر إدارتها لأمر البلاد ومنح المكاسب والامتيازات لإتباع قوميتها على حساب الآخر،

مما يولد حالة من الاستياء والشعور بالإقصاء المتعمد، ويتسبب في الصراع القومي بين أطراف المجتمع الواحد، نتيجة شعور قومية ما بأنها لا تتمتع بكامل حقوقها الأساسية مما يدفعها إلى انتهاج العنف للحصول على حقوقها (الزاملي، 2017).

رابعاً: المبادرات الإقليمية والدولية الخاصة بالتنوع الثقافي.

نظراً للتداخل بين الثقافات تتخذ الجهود إلى صونها، وتسعي الاتفاقيات الإقليمية والدولية إلى حمايتها والترويج لها، ولمنظمة اليونسكو دوراً رائد في هذا المجال مما انعكس على التراث الثقافي والتقاليد الشفهية التي تعطي حامله الشعور بالهوية وهذا يعكس حركة تقود للاعتراف بالتراث المشترك الذي يقع على المجتمع الدولي واجب صونه باعتباره تراث إنساني مشترك (تقرير اليونسكو، 2009 : ص 8). وفيما يلي نعرض لأهم الوثائق الخاصة بالتنوع الثقافي:

أهم الوثائق الخاصة بالتنوع الثقافي.

أصدرت اليونسكو عدداً من الوثائق في شكل اتفاقيات وإعلانات وتوصيات تعزز التنوع من أهمها اتفاقية حماية وتعزيز أشكال التنوع الثقافي 2005، واتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي 2003، واتفاقية حماية التراث الثقافي المغمور بالمياه 2001، واتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي 1972، واتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح 1954، واتفاق بشأن استيراد المواد التربوية والعلمية والثقافية 1950، كما أصدرت مجموعة من التوصيات أهمها توصية بشأن تعزيز التعدد اللغوي واستخدامه 2003، وتوصية بشأن صون الفولكلور 1989، إلى جانب عدد من الإعلانات منها إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي 2001، وإعلان بشأن العنصرية والتحيز العنصري 1978 (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اليونسكو).

الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي.

حرصاً على الحقوق والحريات الأساسية المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وفي الوثائق الدولية، والعهدين الدوليين لسنة 1966 والذي يتعلق أحدهما بالحقوق المدنية والسياسية والثاني بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وديباجة الميثاق التأسيسي لليونسكو الذي ينص على أن كرامة الإنسان تقتضي نشر الثقافة وتنشئة الناس على مبادئ العدالة والحرية والسلام.

وتوصي اليونسكو بعقد الاتفاقيات الدولية لتسهيل حرية تداول الأفكار وممارسة الحقوق الثقافية الواردة في الوثائق الدولية، وتؤكد على الهوية، والتماسك الاجتماعي وتنمية المعرفة، والتسامح والحوار

والثقة والتفاهم، لضمان تحقيق السلام والأمن، وحدة الجنس البشري (الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي، 1996).

إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية.

اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعلان بشأن حقوق الشعوب الأصلية في 13 سبتمبر 2007، أكده فيه المساواة بين جميع الشعوب وبحقها في أن تكون مختلفة وفي أن تحترم بصفتها هذه، وأن تساهم في تنوع وثراء الحضارات والثقافات التي تشكل التراث الإنساني، وأن جميع السياسات والممارسات التي تدعو إلى تفوق شعوب على أساس الأصل القومي أو الديني أو العرقي ممارسات عنصرية باطلة قانوناً ومدانة أخلاقياً وظالمة اجتماعياً، ودعا الإعلان إلى احترام وتعزيز حقوق الشعوب الأصلية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتاريخية، وحقوقها في أراضيها وأقاليمها ومواردها، فاحترام معارفها وثقافتها يساهم في تحقيق تنمية مستدامة، ويعزز علاقات التوافق والتعاون بين الدولة والشعوب الأصلية، استناداً إلى مبادئ العدل والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وعدم التمييز وحسن النية، وأن يتمتعوا دون تمييز بجميع الحقوق المعترف بها في القانون الدولي (إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية، 2008: ص 4_11).

خامساً: دور التعليم في بناء التسامح والاحترام بين الثقافات.

يعد التعليم ناقلاً للمعرفة ومطوراً للأفكار والمهارات الاجتماعية والقيم سواء ضمن الجيل الواحد أو بين الأجيال، ولسياسات التعليم أثرها في ازدهار التنوع الثقافي أو تراجعها، وفي المجتمعات المتعددة الثقافات يتعين إن يكون التعليم مجالاً لاكتساب كفاءات التعامل بين الثقافات التي تدعو إلى العيش المشترك بسلام مع الفوارق الثقافية، ولا يمكن النجاح في تنفيذ المبادئ التي حددتها اللجنة العالمية المعنية بالتعليم للقرن الواحد والعشرين وهي التعليم من أجل أن تكون، والتعليم من أجل أن تعرف، والتعليم من أجل أن تفعل، والتعليم من أجل العيش المشترك، إلا إذا احتل التنوع الثقافي مكاناً له في صميمها.

وأن ينتهج التعليم وضع مناهج متعددة الثقافات واللغات تهدف للترويج لحقوق الإنسان وتعزيز المواطنة والديمقراطية، فالتعليم أساسي لمواجهة الجهل وانعدام الثقة اللذان يشكلان مصدر للنزاع بين البشر، فالانفتاح الثقافي هو مفتاح الحوار بين الثقافات لتعزيز السلام (تقرير اليونسكو، 2009: ص

17_15). وفيما يلي تجارب بعض الدول لترسيخ دور التعليم في بناء التسامح والاحترام بين الثقافات:

أستراليا: التنوع إثراء.

بدأ في أستراليا التعبير الرسمي عن التعددية الثقافية عام 1973 عندما أصدر وزير الهجرة ورقة مرجعية بعنوان المجتمع التعددي الثقافي من أجل المستقبل، وفي عام 1979 تأسس المعهد الأسترالي لشؤون التعددية الثقافية AIMA، بهدف زيادة الوعي بقيمة التنوع الثقافي والتسامح، وفي 1986 الغي المعهد وأنشئ مكتب شؤون التعددية الثقافية OMA، وفي عام 1994 أنشئ المجلس الاستشاري الوطني للتعددية الثقافية، وفي 2000 تأسس المجلس من أجل أستراليا متعددة الثقافات CMA، وفي 2003 تبنت الحكومة وثيقة رسمية جاءت بعنوان أستراليا متعددة الثقافات: الوحدة في التنوع (كاظم، 2016: ص37).

تعلم أستراليا الصغار التنوع من خلال الاندماج في ثقافة أخرى ليوم واحد، وتُمارس هذه التجربة في المدارس للتذكير بأهمية ثقافة السكان الأصليين والانفتاح على ثقافة المهاجرين، وهناك برنامج لمؤسسة اجتماعية أطلق عليه اسم الاندماج الثقافي يعمل على بناء بيئة مناسبة للجميع (التنوع يبدأ مند الصغر، 2015)، ويؤمن الأستراليون بالسلام والاحترام والمساواة، وعدم بث روح الكراهية ضد الغير بسبب انتمائهم الثقافي، ويتمتع الجميع بحرية إتباع هذه المعتقدات والتقاليد والتشارك ما دمت لا تخالف القوانين الأسترالية (عسيري، ص17_18).

بلجيكا: التنوع منذ الصغر.

تعزز بلجيكا ضرورة العمل من أجل التفاهم بين الثقافات في واحدة من أكثر المناطق المتعددة الثقافات في البلاد، دار حضانة Tierlantuin تستقبل اثنين وأربعين طفلاً، أعمارهم بين شهرين وثلاث سنوات، حصلت على جائزة Evens لعام 2015 وهي جائزة لمؤسسة بلجيكية لتعليم السلام، لتمييزها بالتنوع الثقافي، أولياء الأمور مرحب بهم في أي وقت خلال اليوم يشاركون في مختلف النشاطات، لتهيئة بيئة مفعمة بالتنوع الثقافي منذ سن مبكرة (التنوع يبدأ مند الصغر، 2015).

النموذج الأميركي في التعددية.

تعتبر أمريكا من البلدان التي تشجع التنوع الثقافي فالجميع متساوون، لأن المجتمعات الأميركية مع وجود استثناءات قليلة يشجع القادمين الجدد على الاحتفاظ بعاداتهم وثقافتهم، فلكي يصبح

الإنسان أميركا ليس مطلوباً منه أن يغير عاداته أو دينه أو ثقافته، وتوجد في أميركا قيم ومبادئ وحقوق تضمنها الدستور، ومطلوب من جميع المواطنين التمسك بها والدفاع عنها، كما توجد بعض الشخصيات السياسية والفكرية لا تحب بالتعددية الثقافية وترى فيها خطراً على الثقافة الأميركية، بالنظر إلى القادمين ومع تزايد أعدادهم مع الوقت بأنهم يساهمون في التغيير الديموغرافي وإضعاف الإرث الإنجلو سكسوني الذي قامت عليه الولايات المتحدة، ويستشهدون في هذا المجال بالتدفق الكبير للمهاجرين من أميركا الجنوبية حيث يتمسكون بلغتهم الإسبانية وعاداتهم التي نشئوا عليها. أن مسألة التعددية الثقافية لها منافع، وبدلاً من لغة الإقصاء ونشر الكراهية تجاه القادمين يتعين تعلم كيفية مساعدتهم على تحقيق أفضل اندماج في المجتمع، إن التنوع الثقافي والديني والاجتماعي الذي تعيشه أميركا حالياً يدين بالفضل لهؤلاء المهاجرين وللنظام الأمريكي الذي شجع على استيعابهم (سلمان، 2019).

جمهورية الصين الشعبية.

ينص دستور الصين الشعبية في المادة 3 على أن الجمهورية الشعبية الصينية هي دولة متعددة القوميات موحدة، متساوية، والتمييز والاضطهاد إزاء أي قومية ممنوع، ولجميع القوميات حرية استخدام وتطوير لغاتها المنطوقة والمكتوبة، وحرية إبقاء أو إصلاح عاداتها وتقاليدها، وأشارت المادة 85 من الدستور على أن جميع المواطنين متساوون أمام القانون والمادة 86 على أن جميع المواطنين لهم الحق في أن ينتخبوا ويُنتخبوا، بصرف النظر عن قوميتهم وعرقهم وجنسهم ومنشئهم الاجتماعي واعتقادهم الديني (عسيري، ص 32_33).

التعددية الثقافية الكندية.

تعد كندا رائدة في تبني التعددية لكونها بلد هجرة، وللحكومة سياسات تهدف لإدماج المهاجرين لتدعيم تماسك المجتمع، وتطرح التعددية الثقافية في كندا على مستويين الأول ارتباط التعددية الثقافية بواقع الهجرة وظاهرة التنوع الثقافي في المجتمع، والثاني اتصال التعددية الثقافية بظاهرة الازدواجية اللغوية والثقافية الكندية الانجليزية والفرنسية والتي هي محل توازنات دقيقة للحكومة على وحدة البلاد.

تعتمد كندا على مبدأ المساواة بين المواطنين أمام القانون في الحقوق والواجبات، للمحافظة على الإرث الثقافي المشترك ويضمن للمهاجرين وللكنديين كأفراد وجماعات حق الاعتزاز بانتمائهم الثقافي بما يشعرون بالأمان والثقة، ويدفع باتجاه التوافق والاحترام المتبادل بما يدعم وحدة الوطن ويضمن احترام أفرادها للأنظمة السياسية والقانونية والدستورية (سعيدوني، 2016: ص 47_50).

وجاء في قانون التعددية الثقافية لعام 1988 العديد من الإصلاحات منها إصلاح المجالس التمثيلية والقضاء والمدارس والجامعات، ونص على ضرورة انفتاح هذه المؤسسات على التنوع الثقافي الذي يتكون منه المجتمع (بغورة، 2015: ص 15)، وفي أكتوبر 2006 وقعت الحكومة اتفاقية مع شبكة آغا خان للتنمية من أجل تأسيس المركز العالمي للتعددية GCP في أوتاوا، ومهمته الترويج للتعددية الثقافية كقيمة أساسية للسلام والاستقرار والتنمية.

التعددية الثقافية في بريطانيا.

لقد شجعت بريطانيا التعددية الثقافية وتجلي ذلك في الأدب والفنون، وقيام الدولة بتمويل بعض المدارس، وفي يناير 1997 وافقت الحكومة على تمويل مدارس خاصة للمسلمين، وفي يناير 1998 شكلت مؤسسة رنيميد لجنة كلفت برسم مستقبل بريطانيا بوصفها دولة متعددة الاثنيات ورأس اللجنة بروفيسور بريطاني من أصل هندي وهو اللورد بيخو باروخ، حيث وضعت اللجنة تقريرها في أكتوبر 2000 جاء في مقدمته مجموعة من المبادئ من بينها أن المواطنين أفراد وأعضاء في جماعات اثنية أو ثقافية وأن بريطانيا مجتمع متعددة الثقافات (كاظم، 2016: ص 30_36).

سادسا: التنوع الثقافي وتمكين المجتمعات المحلية.

ترى منظمة اليونسكو أن أغلب الصراعات في العالم كانت مسبباتها مرتبطة بهيمنة ثقافة على أخرى، فالحروب والنزاعات الدولية تمزق النسيج الإنساني، فالانتصار لوجهة نظر أحادية لا يشوّه الوجود الإنساني المادي وحده، بل يصيب العمق الروحي والفكري للبشرية جمعاء، فالتكنولوجيا المتقدمة ووسائل الاتصال الحديثة تتيح التواصل بين البشرية، لكن هذه الوسائل لا تنجح من دون العمل على تجسير الهوية بين الثقافات من خلال الحوار الدائم وتحقيق التوازن بتمكين كل الثقافات دون طبقة اجتماعية، وتوفير خطط عملية لمشاركة الأفراد بشكل متساوي، بما يحقق التكامل الفكري والمعنوي والروحي للجميع على حد سواء.

في كل عام بتاريخ 21 مايو يحتفل باليوم العالمي للتنوع الثقافي من أجل الحوار والتنمية، والاندماج الثقافي، إن التحدي الذي يواجه خطط إدارة المجتمعات المتعددة ثقافيا هو تحقيق التوازن الذي يضمن ممارسة عادلة لكل الأطياف الثقافية التي تتعايش في نسيج اجتماعي واحد، أن مبادئ قبول الآخر والتسامح أساسية لتحقيق الأمان الاجتماعي لكل المواطنين مع إعطاء قيمة خاصة لإنسان المكان بحفظ تراثه (غباش، 2018).

سابعا: الحوار بين الثقافات.

الحوار ضرورة وغاية تحاشيا للعنف المادي واللفظي، ويخفف من سلبيات الاختلاف ويرفع من ايجابياته ليكون الاختلاف دافع للاستقرار، وينمي الأفكار ويحرك العقل باتجاه الإبداع والتجديد (البيسوني، 2019: ص35)، ونظرا للتباين الثقافي الذي يسود العالم يمكن إيجاد نهج للحوار بين الثقافات لبناء التواصل بينها وتحديد التحديات التي تواجه عملية التوفيق بين الفوارق الثقافية، وتساهم شبكات المعلومات والاتصالات في تعزيز تبادل المعرفة، ومن العناصر الرئيسة لحوار الثقافات، وجود قاعدة مشتركة لتأمين أرضية متكافئة للقاءات الثقافية من خلال التمكين والثقة، والتفاوض، والمشاركة، والقدرة على الاستماع والنية الحسنة (المطري، 2018) من أجل ضمان استفادة الجميع من التنمية المستدامة، وتحقيق التغيير الايجابي في المجتمع العالمي (اليونسكو: بناء السلام في عقول الرجال والنساء).

نتائج الدراسة .

تدور فكرة التعددية الثقافية حول الاختلاف الثقافي الذي يرتبط بالهوية، باعتماد مبداء التجانس الاجتماعي والتوافق السياسي والحوار والاحترام والتعايش والاندماج الاجتماعي، وتشجيع الشعوب الأصلية على الاحتفاظ بخصوصياتها وهوياتها ومورثها الثقافي، لتحقيق التوازن بين القوة الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تشكل المجتمع.

إن توسيع الحريات يحتاج إلى بذل جهود لإجبار الدول المنغلقة على الانفتاح وتبسيط الضوء على انتهاكات حقوق الإنسان، والتخلص من تبعات الثقافة التقليدية والابتعاد عن أسلوب التهميش والإقصاء، والعمل على تطوير صيغة أكثر عدالة وإنسانية وهذا يتطلب الحياد التام من قبل الدولة، تجاه جميع قومياتها، من خلال العرض السابق توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها:

الاعتراف.

للاعتراف تأثير ايجابي في بناء الهوية الفردية والجماعية، وأن عدم الاعتراف قد يتسبب في دعم الكراهية، ويشكل خطوة لتجسيد الحقوق الثقافية والقانونية والدستورية، والعدالة الاجتماعية والمساواة في الفرص لتحقيق الاندماج الاجتماعي والاقتصادي، والقيام بعمل ايجابي لصالح الفئات المستبعدة والهشة، من خلال دعم المطالب المشروعة وتشجيع مبادرات الشعوب الأصلية.

الاحترام والحماية.

يعتبر الاحترام والحماية عامل مكمل للاعتراف، فالحماية تقتضي احترام وحماية للحقوق حيث يقع على الدولة واجب ضمان تنوع وتوفير المعلومة لنشر ثقافة الحقوق ومنع احتكار المعرفة وفتح كافة وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي لمنح الفرصة لكل الثقافات للتعبير عن نفسها، وعلى كافة مؤسسات الدولة الإعلامية والسياسية أن تروج للتنوع الثقافي، وتمنع الخطابات المحرزة للكراهية والعنصرية بالتوعية بأهمية الوحدة الوطنية بين أبناء البلد الواحد، وهذا بدوره يساهم في استقرار وامن الدولة بالقضاء على التهميش والإقصاء الذي يعد من أسباب زعزعة النظام العام والإخلال به.

الإصلاح السياسي.

يتحقق الإصلاح السياسي من خلال دستور توافقي يضمن مشاركة الكل في العملية السياسية، وتأسيس مشروع وطني يمنح للنوع الثقافي حقوقهم السياسية والاجتماعية والثقافية، من هنا تصبح الثقافة السائدة هدفاً لعمليات الإصلاح، من خلال أدوات وآليات واستراتيجيات العيش المشترك لأبناء

الوطن الواحد، فالتنوع يبني مجتمع متعدد القدرات والقيم الإنسانية، من هنا يجب توعية أفراد المجتمع وإقناع أصحاب القرار السياسي والفاعلين الاجتماعيين بأهمية بناء شراكة بين مختلف المكونات الثقافية للمجتمع والحوار بينها، وفيما يتعلق بالتنمية تزايد أهمية البعد الثقافي كبعد شامل في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية لأي تنمية مستدامة، وفيما يتعلق بالسلام ومنع النزاعات يمثل التنوع الثقافي دعوة لتعزيز التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية، وعلية يمكن التوصل إلى النقاط التالية.

يؤثر التنوع الثقافي على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية.

تحدد الإدارة السياسية لأي دولة مدى استقرار أو عدم استقرارها السياسي.

السلم والعيش المشترك يتطلب بناء دولة ديمقراطية تخدم الخصوصيات الثقافية لتحقيق التنمية والعدالة الاجتماعية.

سياسات التعددية الثقافية.

تتضمن هذه السياسات احتفاظ الثقافات بهوياتهم والتعبير عنها مع التزام المؤسسات العامة مثل القضاء والشرطة والمدارس ووسائل الإعلام والمستشفيات وخدمات الرعاية الاجتماعية والسلطات المحلية بمراعاة تلك الهويات، ومن بين أهم السياسات التي ينبغي اعتمادها في المجتمعات المتنوعة ثقافيا ما يلي:

- التأكيد الدستوري أو التشريعي أو البرلماني على التعددية الثقافية.
- تبني التعددية في المدارس والجامعات والمعاهد وأكاديميات الدراسات العليا.
- إدراج تمثيل الأقليات العرقية في وسائل الإعلام العامة وتمويل التعليم تنائي اللغة أو التعليم باللغة الأم.
- التعايش بين الثقافات وعدم التمييز على أساس العرق أو النوع أو اللغة.

قائمة المراجع.

- علي عبد الرازق جليبي: دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008.
- علي الحوات: التربية الوطنية ضرورة للطالب والمجتمع في ليبيا، منشورات الجامعة المغاربية باتحاد المغرب العربي، طرابلس، ليبيا، ط1، 2020.
- عمر محمد علي محمد، مخاطر العولمة على الثقافة العربية الأفريقية، مجلة الدراسات العليا، الأكاديمية الليبية، طرابلس، العدد 16، ربيع 2005.
- محمد شفيق: الإنسان والمجتمع مقدمة في السلوك الإنساني ومهارات القيادة والتعامل، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997.
- أبوبكر شلابي: المدخل إلى علم الإنسان، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا، 2006.
- عبد الحميد عبد الرحيم: تمهيد في علم الاجتماع، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1981.
- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: التنمية اجتماعيًا، ثقافيًا، اقتصاديًا، سياسيًا، إداريًا، بشريًا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009.
- تقرير الخبيرة المستقلة في مجال الحقوق الثقافية، فريدة شهيد: تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما في ذلك الحق في التنمية، الجمعية العامة للأمم المتحدة، الدورة 14 لمجلس حقوق الإنسان 22 مارس 2010.
<http://hrlibrary.umn.edu/arabic/AR-HRC/AHRC14-65.pdf>
- تقرير التنمية البشرية 2004، الحرية الثقافية في عالمنا المتنوع، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مطبعة كركي، بيروت.
- الزواوي بغوره: التعدد الثقافي مفهومه ونظريته، مجلة عالم الفكر، العدد2، المجلد 44 أكتوبر- ديسمبر 2015.
- اليكس ميكشيليلين: الهوية، ترجمة علي وطفة، دار الوسيم للخدمات لطباعة، دمشق، ط1، 1993.
<https://www.alarabimag.com/books/19392>
- البسيوني عبد الله جاد البسيوني: الربيع العربي وضرورة الحوار الاجتماعي، روابط للنشر وتقنية المعلومات، القاهرة، ط1، 2019.
- الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات، تقرير اليونسكو، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، 2009.
www.unesco.org/ar/world-reports/cultural-diversity
- الطيب بوعزة: في الدفاع عن التعدد الثقافي، مقالات رأي وجهات نظر، شبكة الجزيرة الإخبارية.
<https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2007/10/23>
- ناصر بن سعيد بن سيف السيف: الهوية والثقافة، 2014.

- <https://play.google.com/store/books/details?id=LisvDwAAQBAJ&rdi>
d=book-LisvDwAAQBAJ&rdot=1&source=gbs_vp
- منظمة الأمم المتحدة، اليوم العالمي للتنوع من أجل الحوار والتنمية.
<https://www.un.org/ar/events/culturaldiversityday>
- ماجد احمد الزاملبي: أثر التنوع الثقافي والعرقى والاقتصادي داخل الدولة على استقرارها، 12 أغسطس 2017، KItabat، صحيفة الكترونية شاملة. <https://kitabab.com/2017/08/12>
- جون هليز وآخرون: ترجمة محمد الجوهري، الاستبعاد الاجتماعي محاولة للفهم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 344، أكتوبر 2007.
- منيغر سناء: واقع التنوع الثقافي وتأثيره على الأمن المجتمعي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم الحقوق، جامعة سطيف 2، الجزائر، 2014.
- فيروز هماش: مظاهر التنوع الثقافي في العالم وبعض إبعاد الهوية الثقافية، 28 مايو 2017. <https://mawdoo3.com>
- نادر كاظم: خارج الجماعة عن الفرد والدولة والتعددية الثقافية، دار السؤال للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2016.
- معاوية سعيدوني: التعددية الثقافية الكندية في مواجهة التحديات وخصوصية مقاطعة كيبيك، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلد 44 يناير/ مارس 2016.
- شعبان الطاهر الأسود: قضايا الأقليات بين العزل والإدماج، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط2، 2003.
- حبيب مصباحي: التعدد اللغوي بيت المقدس والمدنس، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، دورية نصف سنوية تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، 18، ديسمبر 2015.
- Euronews، التنوع الثقافي يبدأ منذ الصغر. <https://arabic.euronews.com/2015/12/11/dealing-with-diversity>
- الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي، مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، 1996. <https://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CulturalDiversity.aspx>
- اليونسكو: بناء السلام في عقول الرجال والنساء، اليوم العالمي للتنوع الثقافي. <https://ar.unesco.org/commemorations/culturaldiversityday>
- حسام الدين على مجيد: إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر جدلية الاندماج والتنوع، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه 85، بيروت، ط1، يوليو 2010.
- إعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الشعوب الأصلية، الجمعية العامة 13 سبتمبر 2007، نيويورك، جنيف، 2008، المفوض السامي لحقوق الإنسان.
- https://www.ohchr.org/Documents/Publications/Declaration_indigenous_ar.pdf

- عمران سلمان: قضية التعدد الثقافي وعقدة الخوف من الآخر، الحرة، شبكة تلفزيون الشرق الأوسط 2019.
<https://www.alhurra.com/a/470144.html>
- سيف سعيد غباش: التنوع الثقافي وتمكين المجتمعات المحلية، 21 مايو 2018، صحيفة الاتحاد، الإمارات.
<https://www.alittihad.ae/article/38725/2018>
- تقرير الخبيرة المستقلة المعنية بقضايا الأقليات غاي ماك دوغال، التعزيز الفعال للإعلان المتعلق بحقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية أو عرقية وإلى أقليات دينية ولغوية، الأمم المتحدة، الجمعية العامة، الدورة 65، البند 69 ب، 12 أغسطس 2010.
- وليد المطري: الاستثمار في التنوع الثقافي. قراءة في تقرير اليونسكو العالمي 2010، ج2، سبتمبر 2018.
<https://www.sasapost.com/opinion/investment-in-cultural-diversity-read-in-the-report-unesco-2010-c-2>
- منغير سناء، التنوع الثقافي من منظور الأمن المجتمعي، رسالة ماجستير، جامعة سطيف 2، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2014.
<http://dspace.univ-setif2.dz/xmlui/bitstream/handle/setif2/261/Menigue>
- دراسة زراري حبيبة، الأسس الفلسفية والقانونية للحق في التنوع الثقافي، رسالة ماجستير، جامعة سطيف 2، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2014.
<http://dspace.univ-setif2.dz/xmlui/bitstream/handle/setif2/259/zerari.pdf?sequence=1&isAllowed=y>
- اشرف محمد محمد إبراهيم، أثر التنوع الثقافي على ممارسات الموارد البشرية، دراسة تطبيقية في المستشفيات الحكومية بدولة الإمارات، جامعة طنطا، كلية التجارة، مجلة التجارة والتمويل، العدد 4، ديسمبر 2015.
<http://search.mandumah.com/Record/848076>
- مريم عادل محمد الكندري، التنوع الثقافي وأثره على هوية الطالب في المدارس الأجنبية بدولة الكويت، رسالة ماجستير، جامعة الكويت، كلية أصول التربية، كلية الدراسات العليا، 2019.
<https://jser.kw.com/>
- خديجة محمد كمال الشاذلي، التنوع الثقافي وآليات تعزيزه بالتعليم قبل الجامعي في العالم المعاصر، جامعة بني سويف، مجلة كلية التربية، عدد يناير، ج2، 2020.
https://jfe.journals.ekb.eg/article_124829_25f2e3cce7f0c4991f6089a7e8833b23.pdf
- عبد الرحمن بن محمد عسيري: التجارب العربية والعالمية لتعزيز قيم المواطنة، ورقة عمل مقدمة لندوة قيم المواطنة ودورها في مكافحة الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
<https://repository.nauss.edu.sa/bitstream/handle/123456789/63238>

تطورات الحياة السياسية في الأندلس خلال عصر الولاة حتى

قيام الإمارة الأموية (95-182 هـ / 714-788م))

عبد العظيم رحومة أبشير الساعدي
كلية الآداب الأصابعة جامعة غريان
abduladim.issaadi@gu.edu.ly

المقدمة:

تكمن أهمية هذه الدراسة التي تناولت تاريخ الأندلس من الفتح حتى قيام الإمارة الأموية على يد عبد الرحمن بن معاوية "الداخل"، حيث لم تكن قد استقرت في تلك الحقبة من تاريخ الأندلس لتأخذ نمطاً ثابتاً ينظم شؤون الحياة السياسية والإدارية في هذا القطر الإسلامي الجديد، نظراً لما تخلل هذه الفترة من اضطرابات وقلاقل أسهمت في عدم استقرار البلاد.

حيث عقب مرحلة الفتح عهداً جديداً وهو عهد الولاة الذي يبدأ من عام (95 هـ/714م)، استمر اثنين وأربعين عاماً تعاقب خلالها على الأندلس اثنان وعشرون والياً، إلى أن جاء عبد الرحمن بن معاوية وتأسيسه للإمارة الأموية في الأندلس سنة (138 هـ/755م)، بعد أن انتصر على آخر ولاة الأندلس يوسف الفهري.

وقد جرى تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول: عصر الولاة في الأندلس وتم تقسيمه إلى فترتين الأولى: الولاة الذين تعاقبوا على الأندلس خلال الفترة الممتدة (97-123 هـ/716-741م) وأهم أعمالهم، أما الفترة الثانية فهي الفتن والاضطرابات التي شهدتها الأندلس، والمبحث الثاني: عبد الرحمن بن معاوية وتأسيسه للإمارة الأموية، وينقسم إلى دور موالى بني أمية التي ساندت عبد الرحمن الداخل منذ البداية، كذلك عبد الرحمن بن معاوية ومغامرته في دخول الأندلس، ومعركة المصارة التي تعتبر منعرجاً جديداً في تاريخ بلاد الأندلس، وتأسيس الإمارة الأموية، والمبحث الثالث: الأوضاع الداخلية خلال حكم الأمير عبد الرحمن الداخل وينقسم إلى أهم أعماله ونهاية حياته.

المبحث الأول: عصر الولاة في الأندلس.

بعد أن تمكن طارق بن زياد وموسى بن نصير من فتح الأندلس، وبعودتهم إلى دمشق بأمر من الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (ابن العمراني، الأبناء في تاريخ الخلفاء، 50)، بدأ عصر جديد في الأندلس، وهو عصر الولاة الذي يبدأ من عام (95هـ/ 714م)، وينتهي عام (138هـ/ 755م)، وتُعَدُّ الأندلس ضمن الأقاليم التابعة للخلافة الأموية في دمشق من خلال الولاة الذين تعاقبوا على حكمها (المراكشي، المعجب، 17؛ ابن عذاري، البيان، 2، 2، 63).

وكان أول الولاة على الأندلس هو عبد العزيز بن موسى بن نصير (95هـ/ 714م)، الذي كان كأيبه في جهاده، وتفواه، وورعه، فضبط البلاد، وحمى ثغورها، وافتتح مدائن كثيرة، إلا أن ولايته لم تدم طويلاً، فقد ثار عليه الجند وقتلوه، بناءً على طلب من الخليفة سليمان بن عبد الملك (ابن الأثير، الكامل، 4، 300).

وبعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير، تعاقب على حكم الأندلس اثنان وعشرون والياً، تولى اثنان منهم مرتين (الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، 803).

وقد كان لهذا التغيير المتتالي للحكام تأثير سلبي على بلاد الأندلس، غير أنه له ما يبرره، إذ استشهد بعض الولاة أثناء جهادهم في بلاد الغال "فرنسا الحالية"، ومنهم من كان يتغير عن طريق المكائد والمؤامرات.

ومن خلال ذلك يمكن تقسيم عهد الولاة، إلى فترتين رئيسيتين:

الفترة الأولى: الولاة الذين تعاقبوا على الأندلس خلال الفترة الممتدة وأهم أعمالهم وتمتد من بداية عهد الولاة من عام (97-123هـ/ 714-741).

الفترة الثانية: فترة الاضطرابات والمؤامرات والفتن واستمرت من سنة (123-138هـ/ 741-755م) (مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، 2، 28).

أولاً: الولاة الذين تعاقبوا على الأندلس خلال الفترة الممتدة (97-123هـ/716-741م)

741م) وأهم اعمالهم: -

بعد مقتل عبدا لعزير بن موسى بن نصير، اتفق أهل الأندلس على اختيار أيوب بن حبيب اللخمي. (الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، 241)، والياً عليهم سنة (97هـ/716م)، استمر حكمه ستة أشهر فقط، ولم تثبت المصادر فتوحات أو أعمال حربية في عهده، نظراً لقصر فترة ولايته، وهو الذي تنسب إليه قلعة أيوب في جنوب سرقسطة (الحميري، صفة الجزيرة، 2، 96-98).

شمال الأندلس وهي الآن مدينة كبيرة، ولا تزال تحمل الاسم نفسه (العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، 81؛ عصام الدين الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، 81).

وفي سنة (98هـ/717م) تولى أمر الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي، حيث نقل مقر حكومته من إشبيلية (الحميري، صفة الجزيرة، 2، 18-23) إلى قرطبة.^(*)

ليسهل عليه ضبط البلاد، وكان يتصف بالقسوة والشدة، وكثرت في عهده الثورات الداخلية التي عطلت حركة الجهاد والفتح الإسلامي، ممّا دفع الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عزله؛ وتولية السماح بن مالك الخولاني سنة (100هـ/719م) (الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، 432).

الذي كان من أهم أعماله بناء سور قرطبة وقنطرتها، كما قام بتخميس^(**) الأندلس بناء على طلب الخليفة عمر بن عبد العزيز (مجهول، أخبار مجموعة، 2، 30؛ المقرئ، نفع الطيب، 1، 51)، حكم أقل من ثلاث سنوات، سنة (102هـ/720م) خرج على رأس جيش عظيم قاصداً الجهاد خلف البرتات، فاستعاد أربونة، وواصل مسيره فتصدى له دوق أكتانيا ودارت بينهم معركة شرسة انتهت بهزيمة المسلمين،

(*) - قرطبة (Cordoba): وهي قاعدة الأندلس، وأم مدائنها، عاصمة الدولة الأموية في الأندلس، تقع على ضفة النهر الكبير، وبها قنطرتها العظيمة التي تعد من أبرز معالمها، وأحواؤها تمتد حتى تختلط بأحواز إشبيلية من ناحية الغرب، ومن ناحية الشرق تصل جيان شرقاً. البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا في كتاب المسالك والممالك، 100-106.

(**) - عندما تولى السماح بن مالك الخولاني أمر بلاد الأندلس، طلب منه الخليفة عمر بن عبدالعزيز تخميس أرض الأندلس، ويخرج منها ما كان عنوة خمساً لله من أرضها، ويقر القرى في أيدي أصحابها بعد أن يأخذ الخمس. مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، 30؛ المقرئ: نفع الطيب، 1، 51.

وقتل عدد كبير منهم على رأسهم السمح بن مالك الخولاني، وكادت أن تكون هزيمة كارثية تحلّ بالجيش الإسلامي لولا تدخل عبد الرحمن الغافقي الذي استطاع قيادة الجيش والانسحاب به لقرطبة (ابن عذارى، البيان، 2، 26).

بعد استشهاد السمح تولى أمر قيادة الجيش عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (ابن عذارى، البيان، 2، 26؛ الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، 394-395) إلى أن عين والي القيروان، عنسبة بن سحيم الكلبي والياً على بلاد الأندلس سنة (103-107هـ/121-726)، والذي واصل الجهاد في بلاد الغال إلى أن وصل لمدينة سانس، التي تبعد عن عاصمة الفرنجة "باريس" الحالية ثلاثين كيلو متراً، وبهذا يمكن القول بأن عنسبة بن سحيم تمكن من ضم حوالي 70% من أراضي فرنسا للحكم الإسلامي، فقد أوغل الغزو في بلاد الفرنجة إلى أن استشهد في طريق العودة للأندلس سنة (107هـ/726م)، (ابن عذارى، البيان، 2، 27)، وبعد استشهاده تولى حكم الأندلس من بعده مجموعة من الولاة، كانت ولاية كل منهم قصيرة جداً، لم تسجل أية أحداث في عهدهم، نكتفي بذكرهم وهم: عذرة بن عبدالله الفهري، ومن بعده يحيى بن الكلبي، وخلفه حذيفة بن الأحوص، ومن بعده عثمان بن أبي نسعة الخثعمي، والهيثم بن عبيد الكلابي، ومحمد بن عبدالله الأشجعي (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 2، 38).

ونظراً لهذه الظروف التي كانت تمرُّ بها البلاد، من حالة التخبُّط وعدم الاستقرار، التي أدت إلى توقُّف الفتوحات الإسلامية إلى أن تولى أمر البلاد أميرٌ شجاع ومتحمسٌ للجهاد، وهو عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 2، 38؛ ابن عذارى، البيان، 2، 28)، وكانت ولايته الثانية (112هـ/730م)، واستمرَّ في الحكم ما يقارب من سنتين، وعندما تمكن من ضبط أمور الداخلية في بلاد الأندلس، قرَّر مواصلة الفتح والجهاد واتجه نحو بلاد الفرنجة ووصل مناطق لم يدخلها الإسلام من قبل فوصل إلى أقصى غرب فرنسا، وأخذ يفتح المدينة تلو الأخرى منها مدينة "آرل"، ثم مدينة "بودو"، ومدينتي "طلوشة ووتور"، إلى أن وصل مدينة "بواتيه" عسكر عبد الرحمن الغافقي عند منطقة يقال لها البلاط "فالبلاط في اللغة الأندلسية تعني القصر"، وبدأ في ترتيب صفوف جيشه لملاقاة النصارى، ألتقى بجيش الفرنجة بقيادة شارل مارتل في معركة حاسمة انتهت بهزيمة المسلمين، واستشهاد

قائدهم عبد الرحمن الغافقي في معركة بلاط الشهداء سنة (114هـ/732م)، (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 28).

خلفه على حكم الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري (114هـ/732م)، غير أن ولايته كانت قصيرة نسبياً، إذ عزله عبد الله بن الحبحاب والي إفريقية، وعيّن بدلاً منه عقبة بن الحجاج السلولي (116-123هـ/734-741م) (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 29)، الذي سار على نهج أسلافه في الجهاد، ومواصلة الفتح في بلاد الغال، فقد ثبت أقدام المسلمين في "فروفانس" جنوب شرق بلاد الفرنجة، وأقام فيها الرباطات، واستولى على مدينة "الدوفينية" شرقي ليون، وواصل جهاده في المدن الأندلسية لاسيما في الشمال الغربي من جيليقية، التي لم تفتح بعد، وخير دليل على ذلك ماورد في كتاب أخبار مجموعة من فتح الأندلس الذي قال: "لم تبق في جيليقية قرية لم تفتح غير الصخرة، لاذ بها ملك يقال له: بلاي دخلها في ثلاثمائة فلم يزال يقاتلونه ويغاورونه عليهم حتى مات أصحابه جوعاً ودخلت طائفة منهم في الطاعة...." (مجهول، أخبار مجموعة، 2، 34)، وواصل جهاده إلى أن استشهد سنة (123هـ/741م). (المقري، نفح الطيب، 1، 51؛ ابن عذارى، البيان، 2، 2، 29).

ثانياً: كثرة الفتن والاضطرابات:

تبدأ هذه الفترة من سنة (123هـ/741م)، واستمرت حتى عام (138هـ/755م)، وقد شهدت هذه المرحلة حروباً كثيرة، ونزاعات تحكمت فيها العصبية القبلية التي قامت بين العرب والبربر تارة، وبين العرب أنفسهم تارة أخرى وكان من أسباب هذه الفتن والاضطرابات في الأندلس ما يلي:

أولاً: ثورات البربر وظهور فكر الخوارج: بوفاة عقبة بن الحجاج آلت ولاية الأندلس إلى عبد الملك بن قطن الفهري مرة ثانية (123هـ/741م)، وقد حفلت ولايته بظهور الفتنة بين العرب والبربر، الذي صادف ظهور فكر الخوارج^(*) (ابن خلدون، العبر، 4، 178) الذي اعتنقه كثير من البربر الذين وجدوا فيه مناصباً لنيل حقوقهم من الولاة، فثار البربر بزعامة ميسرة المطغرى، وقتلوا والي طنجة، فجمع

(*) - الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب بعد معركة صفين، وأنكروا التحكيم وكفروا به، حيث تزعمهم عبدالله ابن وهب الراسبي. ابن خلدون: العبر، 4، 178.

لهم عبد الله بن الحبحاب والي إفريقية، جيشاً عظيماً فالتقى الطرفان عند وادي شليف في واقعة انهزم فيها جيش بن الحبحاب، في معركة الأشرف في سنة (123هـ/742م) (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 53).

كانت ردة فعل الخليفة هشام بن عبد الملك عزل ابن الحبحاب، وبعث كلثوم بن عياض القشيري على رأس جيش بلغ ثلاثة آلاف، وعهد له بولاية إفريقية، وجعل معه بلج بن بشر القشيري، وثلعة بن سلامة العاملي، والتقى بجيش البربر، واقتتلوا قتالاً شديداً، انتصر فيه البربر مرة أخرى وقتل كلثوم بن عياض (مجهول، أخبار مجموعة، 2، 36)، ووصل عصيان البربر إلى الأندلس، وأعلنوا الثورة على عبد الملك بن قطن، الذي استعان ببلج الذي قدم إلى الأندلس، وتمكّن من إخماد هذه الثورة، وتنادوا بخلع ابن قطن وتولية بلج، فناصرتهم اليمانية في ذلك، وهجموا على ابن قطن وقتلوه سنة (124هـ/742م)، وكان لمقتل عبد الملك بن قطن ردة فعل مؤلمة، ممّا جدّد الصراع بين القيسية واليمانية، فقد توجهت جموع ابن قطن نحو قرطبة، ودارت بينهم معركة ضارية قتل فيها بلج بن بشر، فولى أهل الأندلس عليهم ثلعة بن سلامة العاملي سنة (124هـ/742م)، الذي تمكن من الانتصار على أنصار عبد الملك بن قطن، ونظراً لتشدّده مع معارضيه، طلب أهل الأندلس من والي إفريقية استبداله (المقري، نفح الطيب، 1، 53؛ مجهول، أخبار مجموعة، 2، 47-48). ثانياً: الصراع بين اليمانية والقيسية: وقد استجاب والي إفريقية لطلبهم في سنة (125هـ/743م)، وعيّن أبو الخطار بن ضرار الكلبي (الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، 291-292)، واليا على الأندلس الذي بدأ بداية طيبة في إبعاد النزاعات القبلية عن أهل البلاد، وكان محايداً بين القيسية واليمانية (الضبي، بغية الملتبس، 29؛ ابن عذارى البيان، 2، 2، 33-35)، إلا أنه لم يستطع الاستمرار في هذه السياسية الحكيمة فمال إلى بني قومه من اليمانية، ممّا تسبّب في تجدد الصراع بين اليمانية والقيسية التي كان يتزعمها الصميل بن حاتم (ابن الأبار، الحلة السرياء، 1، 2، 67-68)، الذي أهانه أبو الخطار فكان ذلك إيذاناً باشتعال الحرب مرة أخرى (المقري، نفح الطيب، 1، 52؛ مجهول، أخبار مجموعة، 2، 52).

استطاع الصميل بن حاتم أن يجمع قومه، واستقطب بعض الشخصيات التي لم تكن على توافق مع أبو الخطار، منهم ثوبة بن سلامة العاملي (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 35)، وقد تمكن الصميل من الانتصار على أبو الخطار في سنة (128هـ/746م)، وأودعه السجن، وولى مكانه ثوبة بن سلامة الجذامي، إلا أنه لم يستمر طويلاً فقد وافاه الأجل بعد عام من ولايته، وبقيت الأندلس أربعة أشهر دون والي إلى أن تولى عبد الرحمن اللخمي (129هـ/747م)، (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 35؛ مجهول، أخبار مجموعة، 2، 58).

وفي سنة (129هـ/747م) أجمع أهل الأندلس على اختيار يوسف الفهري (ابن الأبار، الحلة السراء، 1، 2، 347-350)، فاستقر حال البلاد، إلى أن قام الصميل بعزل يحيى ابن حريث عن كورة رية، حتى لا تقوى شوكته، وانضم إليه أبو الخطار، وزحفاً بجموعهما ناحية قرطبة، ودارت معركة بينهم في قرية شقندة (الحميري، صفة الجزيرة، 2، 104) (130هـ/747م)، وانتصر فيها يوسف الفهري، وقتل فيها أبو الخطار (المقري، نفع الطيب، 1، 52؛ ابن عذارى، البيان، 2، 2، 36).

بهذا ساد الأندلس هدوءٌ نسبيٌّ، وهدأت تلك الثورات والصراعات والحروب التي كانت تُغذيها العصبية القبلية بعد هزيمة اليمانية، ومقتل زعمائها، وفي هذه الفترة كانت البلاد تعاني من المجاعة والقحط، نتيجة لتلك الحروب التي دامت حوالي خمس سنوات (131-136هـ/748-753م)، وظل الحال على ما هو عليه حتى مجيء عبد الرحمن بن معاوية، وإحيائه دولة بني أمية من جديد (محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، 242-243).

ثالثاً: ضعف الخلافة الأموية في بلاد المشرق: بوفاة الخليفة هشام بن عبد الملك (125هـ/743م)، بدأت عوامل الضعف والهوان تسري في جسد الدولة الأموية، وبدأت الاضطرابات والفتن والقلاقل تظهر على مسرح الأحداث، من خلال تولي الخلافة أشخاصاً ضعفاء، اتصف عهدهم بالهوى والمجون منهم الوليد الثاني الأمر الذي عجل بسقوط خلافته، تم قتله إثر ثورة قام بها يزيد بن عبد الملك الذي تولي الخلافة من بعده، ما لبث حتى ناصبه العداة أبناء البيت الأموي، فلم تدم خلافته سوى ستة أشهر، فوافاه الأجل في ذي الحجة سنة (126هـ/744م)، تاركاً البيت الأموي يموج بالصراعات الداخلية، ثم بويع إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك سنة (127هـ/745م)، لكن سرعان ما انقلب عليه مروان بن

مروان، الذي استلم إرثاً ثقيلاً يعجُّ بالمشاكل والصراعات الداخلية والثورات التي انتشرت في البلاد، كانت سبباً في انشغال الخليفة مروان بن محمد بما يحدث في خراسان مركز الدعوة العباسية، حيث استغل دعائها مرحلة الضعف للخلافة الأموية، وأعلنوا دعوتهم جهراً، إلى أن التقى الطرفان في موقعة الزاب التي انتهت بهزيمة الأمويين، ولتبدأ حقبة جديدة في التاريخ الإسلامي وهي الخلافة العباسية (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، 13، 49؛ الضي، بغية الملتمس، 1، 31؛ محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام، 1، 4، 134).

المبحث الثاني:

عبد الرحمن الداخل وتأسيسه للإمارة الأموية

في الأندلس (138-182هـ/755-788م)

- دور موالى بني أمية في تأسيس الإمارة الأموية

- عبدالرحمن بن معاوية ودخوله الأندلس

- معركة المصارة

- تأسيس الإمارة الأموية (138-182هـ/755-788م)

انتهت الخلافة الأموية بعد انتصار العباسيين في واقعة الزاب (ابن الأثير، الكامل، 5، 69-71) سنة (132هـ/749م)، وقتل آخر خلفائها مروان بن محمد الجعدي، فأخذ العباسيون بقيادة أبي العباس عبدالله بن علي (132-136هـ/750-754م) (القلقشندي، مآثر الأناقة، 1، 170)، في مطاردة الأمويين أينما وجدوا (ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، 13، 49)، إلا أن مشيئة الله قضت أن يفلت من أيديهم أميرٌ من بني مروان في العشرين من عمره، وهو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 2، 26)، وكان لهروبه قصة مثيرة سجلتها المصادر التاريخية تعبر عن جسامة المخاطر التي عاناها الأمويون بعد سقوط دولتهم (ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 2، 2، 7).

وخرج متخفياً عن أنظار العباسيين في اتجاه بلاد المغرب، ومعه أربعة من أتباعه وهم بدر (ابن الخطيب، الإحاطة، 1، 2، 246-247)، مولى أبو عبد الرحمن، وأبو شجاع وزباد وعمرو، وهم الذين حملوا له ما يحتاجه في سفره من قبل أخته أم الأصبح وانطلقوا نحو مصر، ومنها إلى القيروان التي مكث فيها مع أمراء بني أمية قرابة أربع سنوات، وكان واليا عليها عبد الرحمن بن حبيب، والتي ساءت علاقته بهم بسبب شكوكه في نوايا أمراء بني أمية، الذين كانوا يريدون السيطرة على ولاية المغرب، فأودعهم

السجن واستحوذ على أموالهم، أما عبد الرحمن بن معاوية فقد تمكن من الخلاص من عبد الرحمن بن حبيب الذي أعلن ولاءه إلى بني العباس، فتّجه إلى المغرب الأقصى عند قبيلة نفزه بالقرب من طنجة، والتي تنسب إليها أمه "راح" حيث وجد عندهم المأوى والحماية من ملاحقة العباسيين (ابن الأثير، الكامل، 5، 123؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 2، 2، 8).

يبدو أن عبد الرحمن في بادئ الأمر حاول أن يؤسس لنفسه ملكاً في بلاد المغرب بمساعدة أخواله، ولما فشلت محاولته اتجهت أنظاره إلى بلاد الأندلس، حيث كانت أحوالها غير مستقرة بسبب الحروب والفتن والاضطرابات التي مزقت البلاد (العبادي، في تاريخ المغرب ولأندلس، 91).

دور موالي بني أمية في تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس:

دخل بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الأندلس عن طريق ساحل البيرة (الحميري، صفة الجزيرة، 2، 29)، ونزل عند بني أمية من أهل الشام عند بني وانسوس لدى عبد العزيز بن مروان، وبدأ بمفاتيحة بني أمية في الأندلس بما أرسل من أجله، وكان يتزعمهم أبي عثمان عبد الله وصهره عبد الله بن خالد (مجهول، اخبار مجموعة، 2، 65)، وعرض عليهم رسالة سيده عبد الرحمن بن معاوية، ونقل رغبة عبد الرحمن بن معاوية في دخول الأندلس ويطلب مساعدتهم، وخاطبهم بدر بقوله: " ما رأيكم في رجل من أهل الخلافة يطلب الدولة بكم، فيقيم أودكم ويدرككم آمالكم؟ فقالوا: ومن لنا به في هذه الديار فقال بدر: ما أدناه منكم، وأنا الكفيل لكم به، هذا فلان بمكان كذا وكذا يقدمن نفسه فقالوا: فجيء به أهلاً، وإنا سراع إلى طاعته" (ابن الخطيب، الإحاطة، 1، 2، 247).

أبدى زعماء بني أمية استعدادهم لمبايعة عبد الرحمن ونصرتة، وبدأوا في تجميع أنصارهم، كما اتصلوا بزعماء باقي القبائل وعلى رأسهم الصميل بن حاتم، إلا أنه تردد وكان جوابه أن يطلع على الأمر ملياً، ويردّ الأمر على يوسف الفهري الذي رفض التعاون مع بني أمية، إذ كان يستعدّ للحملة نحو طليطلة (الحميري، صفة الجزيرة، 2، 130)، وطلب مساندة الأمويين له في هذه الحملة إلا أنهم كانوا مشغولين بالدعوة لأبيهم عبد الرحمن، وفي ظلّ هذه الظروف استغلّ الأمويون خروج يوسف الفهري والصميل بن حاتم، وتمكنوا من الاجتماع مع اليمانيين وكسب تأييدهم (مجهول، اخبار مجموعة، 2، 70).

أثمرت تلك المشاورات والاجتماعات لموالي بني أمية مع رؤساء اليمينية، والقبائل التي كانت على عدم وفاق مع يوسف الفهري إلى سرعة انتشار الدعوة، مما أزعج يوسف الفهري والصميل بن حاتم، وحاولوا إقناعهم بعدم جدوى دخوله لخطورة هذا الأمر، وقد عبر عن ذلك الصميل بقوله عن عبد الرحمن بأنه "من قوم لو بال أحدهم في هذه الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله" (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 2، 46؛ مجهول، أخبار مجموعة، 2، 70).

ويدل هذا القول على مدى منزلة بني أمية لدى القبائل العربية في الأندلس، وإدراكهم لخطورة دخوله، وضرورة احتوائه بوسيلة أو بأخرى، عن طريق اقتراحهم بتزويج عبد الرحمن بن معاوية من ابنة يوسف الفهري، ومنحه الأمان والأموال والإقطاعات، بشرط تخليه عن السلطة، وهذا ما رفضه أتباع بني أمية وكل من بايع عبد الرحمن بن معاوية (ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 2، 46؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام، 1، 4، 144).

وبعد أن نجح موالي بني أمية في إقناع رؤساء القبائل العربية من خلال رفضهم لمقترح يوسف الفهري، بدأوا في أخذ البيعة منهم لعبد الرحمن بن معاوية، وذلك بعد أن فقدوا رجاءهم في أبناء عمومته المضرين، ومن هنا تظهر السياسة الحكيمة التي سار عليها بدر وبقية دعاة موالي بني أمية، وذلك باعتمادهم على اليمينيين الذين لبوا النداء إذ وجدوا فيه الفرصة السانحة لتأثرهم من يوسف الفهري الذي أوغر صدورهم، وانتقاماً لقتلهم في موقعة شقنودة (مجهول، أخبار مجموعة، 2، 71؛ حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، 49).

أكمل بدر مولى عبدالرحمن بن معاوية، المهمة التي جاء من أجلها، وأسرع راجعاً إلى المغرب ليخبر عبدالرحمن الأمر الذي كان في انتظاره حيث نقل له رغبة أنصاره في دخول الأندلس، ويشير ابن القوطية إلى أن عبدالرحمن بن معاوية قد تردّد في قبول دعوتهم بقوله: "ليس تطيب نفسي على دخول الأندلس إلا أن يكون معي أحدهم" وهذا يدلّ على خشية عبدالرحمن للمجهول الذي ينتظره هناك، إذ أنه لم يتلقّ حماية ودعمًا ملموساً، ممّا دفع بدر إلى العودة إلى الأندلس مسرعاً لنقل رغبة عبدالرحمن لأتباعه، الذين لم يترددوا في زرع الثقة عند أميرهم إذ أرسلوا إليه وفداً يتكون من عشرة رجال مع خادمه بدر ليثبتوا له

حسن نوابهم معه، كان على رأس الوفد تمام بن علقمه، وبذلك اطمئن عبدالرحمن لدخوله الأندلس (تاريخ افتتاح الأندلس، 2، 46).

عبد الرحمن بن معاوية ودخوله الأندلس:

أبحر عبد الرحمن بن معاوية مع أتباعه الذين مهّدوا له السبيل في الدخول إلى الأندلس، وبينهم مولاة بدر وتمام بن علقمة وأبي فريعة وهو أحد رجال الأندلس الذين كان لهم دراية في ركوب البحر في سنة (138هـ/755م). (ابن خلدون، العبر، 4، 155؛ الضبي، بغية الملتمس، 1، 44).

واتجه نحو سواحل البيرة منازل جند دمشق وكان أول موطن قدم له في " المنكب " (الحميري، صفة الجزيرة، 2، 189)، وكان في استقباله زعماء بني أمية ومؤيدوه، وكان على رأسهم عبید الله بن عثمان، وعبدالله بن خالد الذين نقلوه إلى قرية طرش (شكيب أرسلان، الحلل السندسية، 1، 122)، فنزل عند أبي الحجاج يوسف بن يخت (ابن حيان، المقتبس، 271)، والتف حوله مؤيدوه وأنصاره من بني أمية، وأعلنوا مبايعته ونصرتهم له، وكان من بينهم جدار بن عمرو المذحجي من أهل مالقة، وأبو عبيدة حسان بن مالك الكلبي (ابن حيان، المقتبس، 272) من إشبيلية، ثم أخذ ينتقل من البيرة إلى كورة ريه، ثم إلى شذونة (الحميري، صفة الجزيرة، 2، 100)، والناس يتهافتون عليه، ويقدمون له الطاعة والبيعة، ثم سار نحو إشبيلية فعدّوا له أول لواء على مشارفها، ونزل في دار أبي الصباح البحصبي (ابن الأبار، الحلة السرياء، 1، 2، 59-60)، وصادفت هذه التحركات والاجتماعات التي يقوم بها بنو أمية، شتاء شديد البرودة والأمطار، وبذلك استغل عبد الرحمن الداخل هذه الفرصة بجمع أكبر عدد من المؤيدين، من أجل تحقيق أهدافهم في القضاء على يوسف الفهري (المقري، نفح الطيب، 1، 36؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 2، 50).

لقد شعر عبدالرحمن الداخل بالاعتزاز بما لقيه من استقبال ودعم غير محدود، والجهود التي بذلت من قبل موالي بني أمية في تهيئة هذه الظروف، ومما زاده ثقة، أنه عندما التقى بالناس شعروا بأنه الشخص المناسب (مجهول، أخبار مجموعة، 2، 180)، بما كان يمتلكه من شخصية قوية بحيث استطاع أن يقود الجمع كله إلى إقامة دولة أموية في بقعة من الدولة العربية الإسلامية، وكان كما وصفه الخليفة

العباسي أبو جعفر المنصور: "سقر قريش عبدالرحمن بن معاوية، الذي عبر البحر وقطع وير القفر، ودخل بلداً أعجمياً، منفرداً بنفسه، فمصر الأمصار وجند الأجناد ودون الدواوين، وأقام ملكاً عظيماً بعد انقطاعه، بحسن تدبيره وشد شكيمته" (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 59-60؛ العذري، نصوص عن الأندلس، 9-10).

استمر الأمويون في إثارة مشاعر القبائل العربية ضد يوسف الفهري وتلقي البيعة منهم، والدخول في مرحلة الاستعداد وتجهيز المقاتلين، واستمرت هذه التجهيزات ما يقارب من ستة أشهر، لأنهم كانوا مدركين أن المعركة التي تنتظرهم حاسمة (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 46)، لأنها كانت مسألة بقاء بالنسبة لهم، وبينما كان الأمويون على هذه الدرجة من الاستعداد والتجهيز، كان يوسف الفهري والصميل بن حاتم يقودان حملة على طليطلة، ولم يهتموا بما يحصل في جنوب البلاد، حتى تلقى يوسف الفهري رسالة من ولده عبد الرحمن، الذي استخلفه على قرطبة يعلمه بدخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس، ونزوله في المنكب وعندما أشاع الخبر في معسكره بدأ يفقد مؤيديه من بني أمية، فلم يبق معه سوى أعداد قليلة مع الصميل فقرروا الرجوع إلى قرطبة مسرعين لإدراكهم بنية القبائل اليمينية، واستغلالها فرصة خلو قرطبة من العسكر (ابن خلدون، العبر، 4، 262-263؛ مجهول، أخبار مجموعة، 2، 84).

وخرج عبد الرحمن من إشبيلية، متوجهاً إلى المدن والكور الأندلسية، معه الجموع من موالي بني أمية، والقبائل العربية من اليمينية والمغربية، وكل من بايعه، وكان الوضع كما وصفه تمام بن علقمة بقوله: "قد دخلنا رية في ستمائة فارس وخرجنا منها في ألفي فارس وخرجنا من إشبيلية إلى قرطبة في ثلاثة آلاف فارس (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 46).

كانت الخطوة المهمة عند عبدالرحمن هي تنظيم الجيش وتعبئة عناصره وتعيين القادة وعقد الألوية، معتمداً على أبرز رجال بني أمية ومواليه وزعماء القبائل الذين أيده في حملته، فعقد أول لواء على قناة أبي عكرمة جعفر بن يزيد (ابن حيان، المقتبس، 239)، وجعل حبيب بن عبدالملك المرواني علي خيل بني أمية (ابن الأبار: الحلة السيرة، 1، 2، 59-60)، فيما قاد إبراهيم بن شجرة الأودي بقية الفرسان الذين انضموا إلى عبدالرحمن من البربر، وقاد بلوثة اللخمي الرجالة من قبائل اليمن، وتولى عاصم العريان

رجالة القبائل المغربية من موالي بني أمية ممن بايع عبدالرحمن بن معاوية (مجهول، أخبار مجموعة، 2، 80-81، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 2، 51).

وفي ظل تسارع الأحداث عاد يوسف الفهري مسرعا من طليطلة وشرع في تجهيز ما تبقى من الجند الذين كانوا بصحبته، إضافة إلى أتباعه الذين تركهم بقرطبة وبدأ يستعد لمواجهة عبد الرحمن الداخل، واعتمد على مواليه في القيادات، وجعل قيادة ميمنة فرسانه تحت إمرة أحد غلمانه، وعبيد بن علي على الميسرة، وعلى المشاة ابنه عبد الله، وحرص الطرفان على تعبئة جندهم استعدادا للمواجهة بالرغم من أن يوسف الفهري ظهر أقل تماسكاً بسبب تفرق أتباعه من حوله لكنه قرر المواجهة فكانت المعركة الحاسمة (مجهول، أخبار مجموعة، 2، 81-82).

معركة المصارة (755هـ/755م):

التقى الطرفان على ضفاف نهر الوادي الكبير بالقرب من قرطبة، وذلك يوم الاثنين السادس من ذي الحجة سنة (138هـ/755م)، وجرت بين الطرفين عدة محاولات للصلح من أجل التوصل إلى حل سلمي، دون إراقة دماء المسلمين، واستمرت المفاوضات ثلاثة أيام، وكان لمنسوب مياه النهر دورٌ في إطالة المفاوضات لعدم قدرتهم على العبور، فحاول عبد الرحمن الداخل الخدعة فقام بإشعال النيران ليلاً في معسكره، بينما أسرع بجنده لدخول قرطبة على غفلة من يوسف الفهري، مراهنًا على كثرة أتباعه في قرطبة للاستيلاء عليها غير أن يوسف فطن لهذه الخدعة، وأصبح الطرفان متقابلين على ضفتي النهر حتى وصلا إلى المصارة، وبدأ منسوب المياه في الانخفاض، وعادت المفاوضات من جديد، وصادف ذلك نفاد المؤن، وبدأ الطرفان في تبادل الوفود حيث أفصح يوسف الفهري على حسن نيته بالمبادرة بإطعام الطرفين، فيما تظاهر عبدالرحمن الداخل برغبته في الصلح أيضاً (مجهول أخبار مجموعة، 2، 86؛ حسين مؤنس، موسوعة تاريخ المغرب والأندلس، 50).

(*-) المصارة (Almusara): سميت الموقعة التي دارت بين عبدالرحمن الداخل ويوسف الفهري موقعة المصارة، نسبة للمكان الذي دارت فهو يعرف بالمصارة، وانتهت بهزيمة يوسف الفهري ودخول عبدالرحمن قرطبة. انظر ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، 2، 50؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، 1، 2، 68.

وفي صباح يوم الجمعة بادر عبد الرحمن الداخل باقتحام معسكر يوسف الفهري رافضاً عقد الصلح معه واشتبك الطرفان في معركة حاسمة صمد فيها الأمويون ومواليهم، لعلمهم بأن هذه الواقعة فرصة لهم لاعتلاء السلطة من جديد، وإحياء دولتهم التي اندثرت في المشرق (مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، 2، 88).

ولم يستطع يوسف الفهري وأتباعه الصمود، فقد هرب من ساحة المعركة تاركاً جنده يواجهون مصيرهم، فحاول اللجوء إلى قرطبة ولكن أهلها رفضوا دخوله، ففضل الاختباء في الجبال المحيطة بالمدينة بينما تمكن عبد الرحمن الداخل من القضاء على جيشه، فسقط عدد كبير منهم قتيلاً وهرب الجزء الآخر، واستسلمت فرقة من جيشه مفضلة عدم الدفاع عن يوسف الفهري (مجهول، أخبار مجموعة، 2، 82-83؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، 92)، وبذلك استطاع عبد الرحمن بن معاوية تحقيق النصر وذلك بالدعم الذي وجده من أبناء بني أمية ومواليهم، وبعد هذه المعركة تمكن من دخول قرطبة، وأنهى هذه الفترة التي عانت فيها البلاد من الصراعات والنزاعات القبلية التي أرهقت أهل الأندلس وهكذا استطاع هذه الأمير أن يحيي من جديد أمجاد الأمويين بإقامة دولة أموية لهم على غرار الدولة الأموية في دمشق (العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، 94؛ جودة هلال ومحمد محمود صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، 18).

أبرزت معركة المصارة نتائج مهمة في التاريخ الإسلامي في الأندلس، إذ اعتبرها المؤرخون معركة فاصلة، ليس كمعركة انتصر فيها بنو أمية ومواليهم على منافسهم يوسف الفهري وأتباعه، أو كسلطة استحوذوا عليها في قرطبة، بل كانت ذات أبعاد سياسية وتاريخية مهمة، فهي فاصلة لأنها فصلت الأندلس عن الخلافة الإسلامية في بغداد من الناحية السياسية، وإقامة الإمارة الأموية المستقلة، وأنهت هذه المدة من الصراعات التي عاشتها الأندلس منقسمة إلى فئات عديدة، وتعد يوماً حاسماً في التاريخ الأموي، إذ أنها لمت شمل الأسرة التي تفرقت في البلاد بعد سقوط الدولة الأموية في دمشق، وبذلك أحيا عبد الرحمن حكم بني أمية من جديد بإقامة دولتهم في الأندلس.

تأسيس الإمارة الأموية (138-182هـ/755-788م)؛

بعد أن تمكن عبد الرحمن بن معاوية من دخول قرطبة، أعلن نفسه أميراً على البلاد، وهكذا خرجت الأندلس من تبعيتها للخلافة العباسية بالمشرق، وأصبحت إمارةً مستقلةً، تدير شؤونها الداخلية والخارجية، إلا أنها ظلت تدعو للخليفة العباسي فوق منابرها فترة من الزمن لتفادي شرهم، فقد ذكر ابن الأبار: "أن الداخل أقام أشهراً دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور" لكن ذلك لم يستمر طويلاً، حتى انفرد بالدعاء بمشورة عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم، نتيجة لما ألحقه بني العباس ببني أمية، من جراء انتزاعهم الخلافة منهم، ومطاردتهم لهم وما عانوه منهم من سوء المعاملة، إلى أن أقصوهم إلى الأندلس (ابن الأبار، الحلة السيرة، 1، 2، 35).

كان من الطبيعي أن يدعوا الداخل للخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في أول الأمر، لاسيما وأن دولته كانت وليدة تهددها الأخطار من كل جانب، كما أنه كان لا يريد أن يثير حفيظة الرعية الإسلامية بالأندلس، والتي كانت تنظر إلى الخلافة في بغداد نظرة احترام وتقدير، ولكنه عندما شعر بالقوة، قطع الدعاء لأبي جعفر المنصور، إذ كان يتوجس خيفة من الإقدام على هذه الخطوة في بادئ الأمر، يقول ابن عذارى: "واستوثق الأمر للأمير عبد الرحمن وأمر بلعن المسودة، وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور" (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 48).

المبحث الثالث

الأوضاع الداخلية خلال حكم الأمير عبد الرحمن الداخل

أعمال عبد الرحمن الداخل:

أولاً: تأسيسه لإمارة بني أمية في الأندلس: إحياء دولة بني أمية من جديد بعد أن سقطت خلافتهم في دمشق، وجعل منها دولة مستقلة (العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، 94).

ثانياً: إحلال سلطة الدولة محل القبيلة:

كانت السلطة في بلاد الأندلس في عهد الولاة قبلية، وعلى الرغم من وجود والٍ أو أمير للبلاد لكن كل قبيلة كانت تخضع لرعيها، الذي يسعى للحصول على مصالح وامتيازات له ولأفراد قبيلته، ويتصرف مع بقية العشائر وفقاً لهذه السياسة، فقد كانت بعض القبائل عندما تنفرد بالسلطة تنكل بغيرها من القبائل، كما حدث للقبائل اليمينية إثر انهزامها في موقعة شقندة (المقري، نفح الطيب، 1، 52؛ ابن عذارى، البيان، 2، 2، 36)، وما تعرضت له من قتل واضطهاد زعماء القبائل المضربة بزعامة الصميل بن حاتم ويوسف الفهري، حيث كان من أولويات سياسة عبدالرحمن الداخل السيطرة القوية على البلاد، والتقليل من نفوذ زعماء القبائل وإحلال سلطة الدولة المتمثلة في الأمير محل سلطة القبائل (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 37؛ مجهول، أخبار مجموعة، 2، 62).

ثالثاً: قضى على معظم معارضة: وكان على رأسهم أصحاب السلطان القديم في الأندلس، أمثال يوسف الفهري والصميل بن حاتم وأتباعهما الذين حاولوا استعادة نفوذهم القديم في البلاد، بالرغم من سياسة التسامح التي سلكها معهم الأمير عبد الرحمن (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 49-58؛ مجهول، أخبار مجموعة، 2، 84-85).

رابعاً: انشاء جيش قوي وقد اعتمد في تكوينه على العناصر التالية:

- اعتمد على القبائل العربية الموجودة في الأندلس: سواء كانت من بني أمية أو غيرهم من القبائل العربية، واستمر في ذلك إلى أن قامت ثورة أبي الصباح اليحصبي، بدأ لا يطمئن للعرب، فأكثر من اتخاذ المماليك (ابن سعيد، المغرب، 1، 60).

- اعتمد على عنصر المولدين وهم الذين نشأوا نتيجة انصهار الفاتحين بسكان البلاد الأصليين (ابن سعيد، المغرب، 1، 60).
- اعتمد على عنصر الصقالبة وهم أطفال النصارى اشتراهم عبد الرحمن الداخل من أوروبا (ابن الأثير، الكامل، 5، 575؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، 2، 2، 9؛ ابن خلدون، العبر، 4، 266؛ ابن عذارى، البيان، 2، 2، 51).
- أنشأ أسطولاً بحرياً قوياً بالإضافة إلى إنشاء الموانئ البحرية، مثل ميناء المرية وميناء طرطوشة (المقري، نفع الطيب، 2، 67).

خامساً: اهتمم بالعلم والجانب الديني اهتماماً بليغاً فعمل على الآتي:

- نشر العلم وتوقير العلماء (حسين دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، 382-383).
- اهتم بالقضاء والحسبة (راغب السرجاني، قصة الأندلس، 160).
- من أهم أعماله من الناحية الدينية بناء جامع قرطبة الكبير، والذي أنفق على بنائه ثمانين ألفاً من الدنانير الذهبية (علي حسين الشطاط، تاريخ الإسلام في الأندلس، 102).

سادساً: اهتمامه بالجانب الحضاري:

تمثلت هذه الجوانب في الآتي:

- اهتمامه بالإنشاء والتعمير: وتشيد الحصون والقلاع والقناطر (راغب السرجاني، قصة الأندلس، 160).
- إنشاؤه الرصافة وهي من أكبر الحدائق في العواصم الإسلامية، وقد سماها الرصافة نسبة لرصافة جده هشام في بلاد الشام (سيمون حايك، عبد الرحمن الداخل " صقر قريش " قصة وتاريخ، 173).

سابعاً: حماية الحدود وتحصين الثغور:

كان عبد الرحمن الداخل يعلم أن الخطر الحقيقي على دولته، دولتي " ليون " في الشمال الغربي، و" فرنسا " في الشمال الشرقي من بلاد الأندلس، فقام بتنظيم الثغور ووضع جيوشاً ثابتة في هذه الثغور المقابلة للنصارى (راغب السرجاني، قصة الأندلس، 161).

نهاية عبد الرحمن الداخل:

عاش عبد الرحمن الداخل تسعاً وخمسين سنة، منها تسع عشرة سنة في دمشق قبل سقوط دولة بني أمية، وست سنوات فراراً من بني العباس، وأربع وثلاثون سنة في حكم بلاد الأندلس، قضاها في

تأسيس حكم دولة بني أمية في الأندلس وثبت بنبانها، وأرسى دعائمها على أسس متينة، إلى أن توفي بقرطبة ودفن بها سنة (182هـ-788م) (ابن عذارى، البيان، 2، 2، 58).

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة يمكن أن إجمال أبرز النتائج في النقاط التالية:

بعد الأندلس عن دار الخلافة في دمشق، كان كفيلاً بتراخي بعض الولاة في تنفيذ واجباتهم على أكمل وجه، وخير دليل على ذلك ما فعله عمر بن عبد العزيز عندما ونصب السمح من مالك الخولاني والياً على الأندلس، كان من أهم تدخل قامت به دار الخلافة في الشأن الأندلسي. انشغال المسلمين بخلافاتهم القبلية أدى إلى إضعاف شوكتهم وتوقف عمليات الفتح في كثير من الأحيان.

كان لهذا العصر بعض الإنجازات على الصعيد الحربي والإداري، من خلال ما شهدته بعض الفترات من مواصلة الفتح، وما ترتب عليها من إنشاءات عمرانية تمثلت في القلاع والحصون. انشغال الخلافة الأموية في دمشق بمشاكلها الداخلية في آخر أيامها مع العباسيين أدى إلى إهمال القطر الأندلسي.

ظهور أمير من نسل بني أمية في بلاد الأندلس كان كفيلاً بالتفاف الناس حوله ومناصرته على آخر ولاة الأندلس يظهر مدى تعلق أهل الأندلس بخلافة بني أمية في دمشق. الحكمة التي امتاز بها عبد الرحمن الداخل مكنته من بسط سيطرته على كافة بلاد الأندلس، وتأسيس إمارة بني أمية فيها بعد أن اندثر ملك أجداده في بلاد المشرق " دمشق ". من أهم أعمال الأمير عبدالرحمن الداخل قضائه على القبلية التي كانت سائدة في الأندلس، وكذلك بنائه جيشاً قوياً استطاع به إخضاع كل خصومه، حمى به البلاد من أطماع النصارى، إلى جانب اهتمامه بالحياة العلمية والدينية والاقتصادية في البلاد.

مستخلص البحث:

تناول هذا البحث بالدراسة والتحليل فترة مهمة من فترات التاريخ الإسلامي عرفت بعصر الولاة حتى قيام الإمارة الأموية بالأندلس وجرت هذه الدراسة من خلال ثلاثة مباحث جاء مضمونها على النحو التالي:

المبحث الأول: عصر الولاة وقد عالج فترتين مختلفتين من حيث القوة والضعف التي سادت في البلاد، فالفترة الأولى: الولاة الذين تعاقبوا على الأندلس خلال الفترة الممتدة (97-123هـ/716-741م) وأهم أعمالهم، وامتازت هذه الفترة بكثرة هجمات المسلمين على بلاد الغال، والفترة الثانية: حيث دب الضعف والهوان في صفوف المسلمين نتيجة ما عانوه من فتن واضطرابات كانت تغذيها العصبية القبلية.

أما المبحث الثاني فهو تمكن عبد الرحمن الداخل من تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس، واستطاع بحكمته التي كانت من أهم صفاته أن ينهي فترة من الفوضى والاضطراب كادت أن تنهي وجود المسلمين في هذه البلاد، وما هو الدور الذي لعبه موالي بني أمية في مساعدة عبد الرحمن من إحياء ملكاً قد فقدته أجداده في بلاد المشرق بعد موقعة المصارة الشهيرة.

وجاء في ختام هذه الدراسة المبحث الثالث: الذي ركز على الأوضاع الداخلية خلال عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية "الداخل"، وأهم الأعمال التي قام بها مثل قضائه على الثورات التي كانت معارضة له، وإحلال مفهوم الدولة محل القبيلة التي كانت سائدة خلال عهد الولاة وغيرها من الأعمال الأخرى إلى أن وافاه الأجل.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

- الأنبياء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، تحقيق (قاسم السامرائي)، دار الأفاق، القاهرة، 1999م.
- مآثر الأنافة في معالم الخلافة، القلقشندي، تحقيق (عبدالستار أحمد فرج)، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- المعجب في تخلص المغرب، أبو محمد المراكشي، أعتنى به الدكتور صلاح الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2006.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي، تحقيق (س كولان وليفي بروفنسال)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 2، 1980م.
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، الحميدي، تحقيق (بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد)، دار الغرب الإسلامية، تونس، 2008م.
- تاريخ افتتاح الأندلس، ابن القوطية، تحقيق (إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 2، 1989م.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق (أبي الفداء عبد الله القاضي)، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرئ، تحقيق (إحسان عباس)، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1968م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الحميدي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، مصر، 1966.
- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مؤلف مجهول، تحقيق (إبراهيم الأبياري)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط 2، 1989م.
- صفة جزيرة الأندلس، الحميري، تحقيق (ليني بروفنسال)، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط 2، 1988م.
- جغرافية الأندلس وأوروبا في كتاب المسالك والممالك، البكري، تحقيق (عبد الرحمن حجي)، دار الرشاد، بيروت، لبنان، 1968م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت.
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الضبي، تحقيق (إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، 1967م.
- الحلة السبراء، ابن الأبار، تحقيق (حسن مؤنس)، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 2، 1958م.
- تاريخ الأندلس، ابن الكردبوس، تحقيق (أحمد مختار العبادي)، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1966م.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، تحقيق (محمد عبد الله عنان)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 2، 1973م.
- أعمال الأعلام من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ابن الخطيب، تحقيق (ليني بروفنسال)، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط 2، 1956م.
- المقتبس في أبناء أهل الأندلس، ابن حيان، تحقيق (علي مكي)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة، مصر، 1981م.
- نصوص عن الأندلس، العذري، تحقيق (عبد العزيز الهوني)، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م.
- المغرب في حلي المغرب، ابن سعيد، ج 1، تحقيق (شوقي ضيق)، دار المعارف، القاهرة، 1969م.

ثانياً: المراجع

- المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، دكتور حسين يوسف دويدار مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر، د ت.
- في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ت.
- تاريخ المغرب والأندلس، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، 1990م.
- دولة الإسلام، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 4، 1997م.
- تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة، علي حسين الشطاط، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2001م.
- الحلل السندوسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الأمير شكيب أرسلان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ت.
- قرطبة في التاريخ الإسلامي، جودة هلال ومحمد محمود صبح، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1986م.
- المسلمون في المغرب والأندلس، دكتور محمد زيتون، د م ن، 1990م.
- راغب السرجاني: قصة الأندلس من الفتح حتى السقوط، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.
- عبد الرحمن الداخيل (صقر قریش) قصة وتاريخ، سيمون حايك، د م ن، 1982.
- موسوعة تاريخ الأندلس وفكر وحضارة وتراث، حسين مؤنس، المكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1996م.

الوقف: مشروعيته، وأحكامه من المنظور الفقهي

د. محمد مصباح الأمين
كلية الاداب الأصابعة جامعة غريان
mohammed.alameen@gu.edu.ly

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي العربي الكريم
وبعد،،

فإن فكرة حبس المال وهو ما يعرف: (بالوقف) والاستفادة من ريعه لخدمة المجتمع، أمر قد عرفته الأمم السابقة على اختلاف معتقداتها، ووظفته لصالح مجتمعاتها، فوظيفته دينية نشأت عند هذه الأمم، وكذلك أمة الإسلام، وإن تباينت في الوسائل والأهداف والغايات.

وبما أن الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع وأكملها، جاءت وافيةً بحاجات الناس منضبطة بقاعدة جلب المصالح، ودرء المفسدات، حيث شرعت لهم فعل الطاعات، وترك المنهيات والمكروهات، تقرباً إلى الله، وابتغاء مرضاته، ولم يقتصر تحصيل الأعمال النافعة في ظلها على الحياة الدنيا فحسب، بل امتدّ ليشمل الحياة الآخرة، فشرعت من الأسباب والوسائل ما يحقق لهم تلك الغاية بعد الوفاة، وهي الصدقات الجارية التي منها: الوقف الذي يعد من ضمن منظومة الأعمال الصالحة التي شرعها الإسلام، وأمر بها، ورغب فيها؛ لذا كان المسلمون في كل زمان ومكان، وعلى مختلف العهود والأعصار يبادرون إليها، ويتسابقون فيها، اقتداءً بنبيهم، والسلف الصالح من بعده، وكذلك ظهر اهتمام العلماء به: سلفاً وخلفاً، وأولوه عنايتهم الكبيرة، فبينوا أهميته وأحكامه، وحثوا المسلمين عليه، وقد تيقن المسلمون الخواص منهم، والعوام أن الوقف من القرب التي يبقى ثوابها، ولا ينقطع حتى بعد الممات، فأوقفوا الكثير من الضياع والدور والمزارع؛ ليصرف ريعها على كل ما له منفعة عامة للمسلمين، وأن كثيراً من أصحاب الوقف في الأمصار الإسلامية قد أوقفوا أملاكهم لتصرف على حاجات الفقراء، وعلى المساجد، والمدارس، والأرطبة وغيرها.

وتتجلى أهمية البحث في هذا الموضوع في كونه يعالج مسألة فقهية تمسّ جانباً مهماً من جوانب حياة المسلمين في العبادة والمعاملة، وما يترتب على ذلك: دنيا وآخرة؛ إذ هم في حاجة إلى

معرفة قواعد الحلال والحرام في موضوع الوقف، كذلك ما تضمنه هذا البحث من عرض لآراء علماء الشريعة التي اختلفت فيما بينها: تنوعا وتضادا، وتفاوتت في ذلك: قوة وضعفا، مما يزيد من القيمة العلمية لهذا الموضوع في مجال اختصاصه، ويجعل البحث والدراسة الموسعة فيه شيئا مرغوبا، والاستفادة منه أمرا ميسورا، ومما دفعني إلى هذا: محاولة إبراز القيمة العلمية لآراء العلماء ذات العلاقة بموضوع الوقف وأحكامه، وتسهيل وصول القارئ إليها، وتيسر انتفاعه بها، كل ذلك في عرض جاء سهلا في أسلوبه، موجزا في عبارته.

مفهوم الوقف:

لغة: " الوقف في اللغة: مصدر وقف يقف بالتخفيف بمعنى حبس يحبس، وأصل الوقف الحبس والمنع، فهو في الدابة منعها من السير وحبسها، وفي الدار منعها وحبسها أن يتصرف فيها في غير الوجه الذي وقفت له، يقال: وقفت كذا: أي حبست، ووقفت الرجل عن الشيء وقفا: منعه عنه، ومنه: وقفت الضيعة على المساكين، إذا حبستها؛ ولذا تسمى حبيسا، ووقف الشيء وحبس وأحبسه بمعنى واحد، والجمع: أوقاف و أحباس، وسمي وقفا؛ لأن العين موقوفة، وحبسا؛ لأن العين محبوسة وفي الحديث: " ذلك حبيس في سبيل الله " (أبو داود، د، ت، 205/2) أي موقوف على الغزاة، يركبونه في الجهاد، والحبيس فعيل بمعنى مفعول، وكل ما حبس بوجه من الوجوه فهو حبيس، والفصح أن يقال: وقفت كذا. بدون الألف، ولا يقال: أوقفت بالألف إلا على لغة غير مشهورة (ابن منظور، 1414هـ، 359/9، وابن فارس، 1399هـ/1979م، 135/6، النووي، د، ت، 194/4. بتصرف)

أما اصطلاحا:

فقد اختلف الفقهاء في بيان معنى الوقف اصطلاحا، بناء على اختلاف مذاهبهم فيه من حيث: لزومه وعدم لزومه، واشتراط القرية فيه، والجهة المالكة للعين بعد وقفها، وهل هو عقد أو إسقاط؟ وبالرجوع إلى كتب الفقه لمختلف المذاهب، وجدت للوقف تعاريف كثيرة، وإن جاءت متنوعة في ألفاظها، فإنها توافقت في مدلولها في الغالب.

عرفه أبو حنيفة بأنه: " حبس العين على ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة على الفقراء، أو على وجه من وجوه الخير " (المرغيناني، د، ت، 15/3) وذلك بناء على مذهبه أن حقيقة الوقف

تبرع بالمنفعة دون العين، وهو غير لازم كالعارية، وبناء عليه لا يلزم زوال الموقوف عن ملك الواقف، ويصح له الرجوع عنه، ويجوز بيعه (الزحيلي، د. ت، 10 / 290).

أما مفهوم الوقف عند صاحبيه: أبي يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني فهو: " حبس العين على حكم ملك الله تعالى، والتصديق بالمنفعة " (ابن الهمام، د. ت، 6 / 203) فقد خالفاه في خروج العين من الملكية الخاصة إلى الملكية العامة، والمراد بها الجهات الخيرية الموقوف عليها، سواء كانوا: أقرباء أم بعداء، عامين أم خاصين، فهما يريان أن الموقوف يخرج عن ملك الواقف، " والسبب في اختلاف فقهاء الحنفية في تعريفهم للوقف يرجع إلى اختلافهم في عقد الوقف من حيث لزومه وعدم لزومه، واختلافهم في الجهة التي تنتقل إليها العين الموقوفة، وهل تخرج العين عن ملك واقفها أو لا ؟: " فأما أبو يوسف ومحمد فقالا: الوقف لا يزيل ملكه، وإنما يحبس العين عن الدخول في ملك غيره " (السرخسي، 1414هـ/1993م. 12/28)

لكن بعضا من العلماء نقل رأيا آخر لأبي حنيفة مفاده عدم تجويزه للوقف، وهو ما عبر عنه الزيلعي ت775هـ بقوله: " إن الوقف لا يجوز عند أبي حنيفة أصلا، وهو المذكور في الأصل، وقيل: يجوز عنده إلا أنه لا يلزم بمنزلة العارية حتى يرجع فيه أي وقت شاء، ويورث عنه إذا مات، وهو الأصح " (الزيلعي، 1313هـ، 3/325) وبناء على هذا يمكن القول: إن لأبي حنيفة رأيين متضادين أحدهما: يجوز فيه الوقف، والآخر: يمنعه، وهو ما نبه إليه صاحبه أبو يوسف، وأكد بقوله: " ما قلت قولا خالفت فيه أبا حنيفة إلا وهو قول قاله ثم رغب عنه " (القرشي، د. ت، 2/221).

وقد حاول بعض العلماء دفع الرأي القاضي بعدم جواز الوقف، متأولا قول أبي حنيفة بأنه لا يعني عدم الجواز، لكنه يعني عدم اللزوم، ومن هؤلاء: السرخسي ت483هـ حيث قال: " وظن بعض أصحابنا أنه غير جائز على قول أبي حنيفة، وإليه يشير في ظاهر الرواية، فنقول: أما أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه فكان لا يجيز ذلك، ومراده أن لا يجعله لازما، فأما أصل الجواز ثابت عنده؛ لأنه يجعل الواقف حابسا للعين على ملكه صارفا للمنفعة إلى الجهة التي سماها فيكون بمنزلة العارية، والعارية جائزة غير لازمة... " (السرخسي، 1414هـ/1993م، 12/27).

وعرف المالكية الوقف بأنه: " إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاءه في ملك معطيه أو تقديراً " (الحطاب، 1412هـ/1992م، 6 / 18)، وعليه فإن المالك يحبس العين عن أي تصرف تمليكي، ويتبرع بريعتها لجهة خيرية شرعاً لازماً مع بقاء العين على ملك الواقف، ولا يشترط فيه التأيد،

فالوقف عندهم لا يقطع حق الملكية في العين الموقوفة، وإنما يقطع حق التصرف فيها، فهم لا يخرجون العين الموقوفة عن ملك الواقف، بل تبقى على ملكه، لكنهم يمنعون التصرف فيها بالتصرفات الناقلة للملكية سواء: بعوض أو بدون عوض، ويلزمه التصرف لمنفعتها، وقد أجاز مالك أن يكون الوقف مؤقتاً لمدة معينة ينتهي بعدها، ويعود للواقف حرية التصرف كما كان قبل الوقف.

أما عند الشافعية فهو: "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود" (الخطيب الشربيني، 1415هـ/1994م، 522/3) وعليه يخرج المال عن ملك الواقف، ويصير حبساً على حكم ملك الله تعالى، أي: أنه لم يبق على ملك الواقف، ولا انتقل إلى ملك غيره، بل صار على حكم ملك الله تعالى الذي لا ملك فيه لأحد سواه، ويمتنع على الواقف تصرفه فيه، ويلزم التبرع بريعه على جهة الوقف، ويوجه النووي ت676هـ رأيه مذهبه هذا بقوله: " أن الوقف سبب يزيل التصرف في الرقبة والمنفعة، فأزال الملك كالعق؛ ولأنه لو كان ملكه لرجعت إليه قيمته " (النووي، د. ت، 324/15).

وعرفه الحنابلة بقولهم: " تحبب الأصل، وتسبب المنفعة على بر أو قرية " (ابن قدامة المقدسي، 1388هـ/1968م، 3/6، والبهوتي، د. ت، 453/1).

والمراد بالأصل: عين الموقوف، ومعنى التحبب جعل الشيء محبوساً في سبيل الله لا يباع، ولا يوهب، ومعنى تسبب الثمرة، أو المنفعة: أن يجعل لها سبيلاً أي: طريقاً لمصرفها، والمراد: إطلاق فوائد العين الموقوفة من غلة، وثمره وغيرها للجهة المعيّنة تقريباً إلى الله بأن ينوى بها القرية، وبهذا تخرج العين عن ملك الواقف، وتكون في سبيل الله لا يجوز بيعها، ولا هبتها، ولا الرجوع فيها (وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، من: 1404هـ/1427هـ، 292/11. بتصرف).

فالشافعية والحنابلة يرون أن الوقف يخرج المال الموقوف عن ملك واقفه بعد تمام الوقف أي: أن ملكية الموقوف تنتقل من الواقف إلى الموقوف عليهم، وهو على خلاف ما عليه الأحناف والمالكية، والذي يمكن الانتهاء إليه في هذه المسألة: إن سبب اختلاف الفقهاء في تعريفهم للوقف يعود إلى نظرهم لحقيقة الوقف من حيث: اللزوم وعدمه، وبقاؤه في ملك الواقف، أو خروجه منه، فرأي أبي حنيفة والمالكية بقاء الوقف على ملك الواقف، والباقيون يرون أن الموقوف يبقى أبداً على ملك الواقف حكماً.

مشروعية الوقف وأدلته:

لا خلاف بين علماء الشريعة: متقدمين ومتأخرين في القول بصحة مشروعية الوقف، وجوازه شرعاً، وقد جرى العمل به منذ عهد النبي ﷺ وصحابته من بعده " فلم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذو مقدرة إلا وقف وفقاً " (الطرّيفي، 1422هـ/2001م، 252/1، والزركشي، 1413هـ/1993م، 269/4) وقد جاءت الأقوال المتواترة عنهم متضاربة في تأكيد ذلك، فقد قال الشافعي: " بلغني أن ثمانين صحابياً من الأنصار تصدقوا بصدقات محرّمات يعني: أوقافاً " (الخطيب الشربيني، 1415هـ/1994م، 523/3) وأكدّه الترمذي ت279هـ بقوله: " والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم لا نعلم بين المتقدمين منهم في ذلك اختلافاً في إجازة وقف الأرضين، وغير ذلك " (الترمذي، 1998م/ 53 /3)، وقال ابن قدامة ت615هـ: " فأكثر أهل العلم من السلف ومن بعدهم على القول بصحة الوقف " (ابن قدامة، 1388هـ/1968م، 3/6) فالوقف جائز شرعاً وهو قول الجمهور من السلف والخلف (ابن هُبَيْرَة، 1423هـ/2002م، 45/2) وإن جرى الخلاف بينهم في حكمه، فمنهم من ذهب إلى القول: بأنه قرينة من القرب المندوب إليها، يقول النووي ت676هـ: " الوقف قرينة مندوب إليها " (النووي، د، ت، 320/15) ومنهم من عدّه سنة، وأنه من أحسن ما يتقرب به إلى الله تعالى؛ لأنه صدقة دائمة ثابتة " قال أحمد بن حنبل: " من يرد الوقف إنما يرد السنة التي أجازها النبي ﷺ وفعلها أصحابه " (ابن مفلح، 1418هـ/1997م، 152/5) وإن ظل القول بأن حكمه الندب على رأي الجمهور، وهو ما أكدّه النفراوي ت1126هـ بقوله: " واختلف أهل الإسلام في حكمه، والصحيح، وهو مذهب الجمهور جوازه بل ندبه؛ لأنه من أحسن ما تقرب به إلى الله تعالى " (النفراوي، 1415هـ/1995م، 160/2) وقد عززوا آراءهم بأدلة النقل التي منها:

أولاً: من الكتاب:

1- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ البقرة: 267، وقوله تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمران 92، والبرّ: الجنة. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران 115 يقول القرطبي ت671هـ في بيان معنى هذه الآية: " معنى الآية: وما فعلوا من خير فلن تجحدوا ثوابه، بل يشكر لكم، وتجاوزون عليه " (القرطبي، 1384هـ/1964م، 177/4).

فجملة هذه النصوص بمنطوقها ومفهومها تفيد الحث على الإنفاق في وجوه الخير والبر، والوقف إنفاق المال في جهات البر، فهو من التبرعات المندوبة شرعاً، وقد أكد العلماء الحكمة منه، قال السرخسي ت 483هـ: " وجواز الوقف لمعنى المصلحة فيه للناس من حيث المعاش والمعاد " السرخسي، 1414هـ/1993م، 2/33.) وقال ابن الهمام ت 861هـ: " ومحاسن الوقف ظاهرة وهي الانتفاع الدائر الباقي على طبقات المحبوبين من الذرية والمحتاجين من الأحياء والموتى لما فيه من إدامة العمل الصالح " (ابن الهمام، د، ت، 200/6) وقال ابن عابدين ت 1252هـ: " في الدنيا بر الأحاب، وفي الآخرة بالثواب " (ابن عابدين، 1412هـ/1992م، 4/339) لذا فقد رغب العلماء فيه، وحثوا الناس عليه، فقال محمد رشيد ت 1354هـ: " ولو حفظ المتأخرون منا ما حبسه من قبلهم من الأوقاف على جميع المصالح العامة، وأنواع البر لوجدوا أن جميع ما ملكوه من الأرض كان وقفاً، بل وقف مرارا " (محمد رشيد، 1990م، 7/414) وقال صاحب كتاب تيسير العلام: " وبما تقدم تعرف الحكمة الجليلة من الوقف، فهو إحسان إلى الموقوف عليهم، وبرّ بهم، وهم أولى الناس بالبر والإحسان، وذلك إما لحاجتهم: كالفقراء، والأيتام، والأرامل، والمنقطعين، أو للحاجة إليهم: كالمجاهدين، والمعلمين، والمتعلمين، والعاملين؛ تبرعاً في خدمة الصالح العام، وفيه إحسان كبير، وبرّ عظيم للواقف إذ يتصدق بهذه الصدقة المؤبدة التي يجرى عليه ثوابها بعد انقطاع أعماله، وانتهاء آماله، بخروجه من دنياه إلى آخره " (البسام، 1426هـ/2006م، 15/534).

ثانياً: من السنة:

الدليل الأول: فعل النبي ﷺ للوقف كما في حديث عمرو بن الحارث قال: " ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً، إلا بعلته البيضاء، وسلاحه، وأرضاً جعلها صدقة " (البخاري، 1422هـ، 2/4) فالنبي ﷺ: تصدق بمنفعة الأرض فصار حكمها حكم الوقف (ابن حجر، 1379هـ، 5/360)

الثاني: حديث ابن عمر: أن عمر بن الخطاب أصاب أرضاً بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: (إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها) قال: فتصدق بها عمر، أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القربى وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول " (البخاري، 1422هـ، 3/198)

(قال النووي ت676هـ معلقاً على هذا الحديث: " في هذا الحديث دليل على صحة أصل الوقف، وأنه مخالف لشوائب الجاهلية، وهذا مذهبنا، ومذهب الجماهير، ويدل عليه إجماع المسلمين على صحة وقف المساجد والسقايات " (النووي، 1392م، 86/11).

يقول الترمذي معلقاً على حديث ابن عمر في وقفه للأرض التي أصابها في خيبر: " والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، لا نعلم بين المتقدمين منهم في ذلك اختلافاً في إجازة وقف الأرضين وغير ذلك " (الترمذي، 1998م، 53/3) وفي هذا ما يفيد أنه أمر مجمع عليه إجمالاً.

الثالث: أن رسول الله ﷺ قال: " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " ففي هذا الحديث دلالة على انقطاع عمل الإنسان، وتجدد الثواب له بموته إلا في هذه الأشياء الثلاثة فإن أجرها لا ينقطع ومنها: الصدقة الجارية وهي محمولة عند العلماء على الوقف، فإن غيره من الصدقات ليست جارية، بل يملك المتصدق عليه أعيانها مما يدل على فضله ومشروعيته وأنه من أفضل ما يتقرب به الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى (النووي، 1392م، 85/11، الشوكاني، 1413هـ/1993م، 28/6).

الرابع: حديث أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه " بيرحاء " (الحموي، 1995م، 525/1، الكوراني، 1429هـ/2008م، 458/3) وكانت مستقبله المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمران 92 قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمران 92 وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعتها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين " (البخاري، 1422هـ، 119/2) فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه، والحجة في هذا الحديث ظاهرة على مشروعية الوقف وفضله فإن أبا طلحة لما سمع الآية رغب في وقف أحب أمواله إليه، وأقره النبي ﷺ بل أعجب بفعله وعظم أمره، ويعلق ابن عبد البر ت463هـ على هذا الحديث فيقول: " والاحتجاج به في مرجع الحبس على أقارب المحبس حبسا حسن قوي، وبالله تعالى التوفيق " (ابن عبد البر، 1387هـ،

(215/1) وعلى بقية الآثار الواردة في الوقف قال: " فهذه الآثار وما أشبهها مما لا مدخل للتأويل فيها بها احتج من أجاز الأوقاف " (ابن عبد البر، 1387هـ / 215/1).

ثالثاً: من عمل الصحابة:

اشتهر الوقف بين الصحابة، وانتشر فكثير منهم وقفوا بعض أموالهم، وأقرهم النبي ﷺ على فعلهم، وهو ما شهد به جابر بقوله: " ما أعلم أحداً كان له مال من المهاجرين والأنصار إلا حبس مالاً من ماله صدقة مؤبدة، لا تشتري أبداً، ولا توهب، ولا تورث " (الخصاص، 1420هـ، ص 6) وأكد الشافعي من بعده بقوله: " بلغني أن ثمانين صحابياً من الأنصار تصدقوا بصدقات محرمات، والشافعي يسمي الوقف: الصدقات المحرمات... " (الخطيب الشربيني، 1415هـ / 1994م، 523/3) ومن ذلك: أن خالد بن الوليد وقف أدرعه وأعتاده في سبيل الله كما قال النبي ﷺ... وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا فقد احتبس أدرعه وأعتاده في سبيل الله... " (مسلم، د، ت، 676/2) (أي: أحبسها ووقفها في سبيل الله، وفي هذا دلالة على مشروعية تحبيس الحيوان والسلاح، وغير ذلك من أوقاف الصحابة، وقد روى البيهقي وقف كثير من صحابة النبي ﷺ (البيهقي، 1424هـ / 2003م، 6 / 262، وابن حزم، د، ت، 156/8، القرطبي، 1384هـ / 1964م، 338/6) ويؤكد قول جابر: " لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ذو مقدرة، إلا وقف " وهذا يدل على اتفاقهم على جواز الوقف ومشروعيته، وأنه من أفضل القرب: " وبهذا يعلم إجماع القرن المفضل عليه، فلا يلتفت إلى خلاف بعده " (البسام، 1426هـ / 2006م، 533/1).

رابعاً: من الإجماع:

بناء على ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من العمل بالوقف حيث " إن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وعائشة وفاطمة وعمرو بن العاص وابن الزبير وجابراً كلهم وقفوا الأوقاف، وأوقفهم بمكة والمدينة معروفة مشهورة " (القرطبي، 1384هـ / 1964م، 339/6، وابن العربي، 1424هـ / 2003م، 221/2) فكان إجماعاً منهم على جواز الوقف؛ لذا انتفى الخلاف بين العلماء من بعدهم بخصوص هذه المسألة (الكاساني، 1406هـ / 1986م، 218/6)، فذهب أغلبهم إلى القول بالإجماع على الجواز، فهذا القرطبي ت 671هـ قال: " المسألة إجماع من الصحابة... كلهم وقفوا الأوقاف، وأوقفهم بمكة والمدينة معروفة ومشهورة " (القرطبي، 1384هـ / 1964م، 339/6)

لكن اللافت للنظر في هذه المسألة ما نقل منسوباً إلى بعض من الصحابة، وعدد من العلماء من بعدهم بالقول: بعدم جواز الوقف، يقول ابن حزم: " وجائز للمرء أن يحبس على من أحب، أو على نفسه، ثم على من شاء، وخالفنا في هذا قوم: فطائفة أبطلت الحبس مطلقاً، وهو قول شريح، وروي عن أبي حنيفة، وطائفة قالت: لا حبس إلا في سلاح، أو كراع، روي ذلك عن ابن مسعود، وعلي، وابن عباس " (ابن حزم، د، ت، . 149/8، والقرطبي، 1384هـ/1964م، وابن قدامة، 1388هـ/1968م، 158/8) وكذلك هو: " مذهب أهل الكوفة " (ابن قدامة، 1388هـ/1968م، 3/6).

وقد استدلووا بقوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ المائدة 103 قال القرطبي ت671هـ: " تعلق أبو حنيفة رضي الله عنه في منعه الأحباس، وردة الأوقاف، بأن الله تعالى عاب على العرب ما كانت تفعله من تسيب البهائم وحمايتها وحبس أنفاسها عنها، وقاس على البحيرة والسائبة، والفرق بين " القرطبي، 1384هـ / 1964م . 338/6) ومن الحديث بما روي عن عبد الله بن عباس أنه قال: لما نزلت سورة النساء وفرضت فيها الفرائض قال رسول الله ﷺ: " لا حبس عن فرائض الله تعالى " (البيهقي، 1424هـ/2003م، 268/6) أي لا مال يحبس بعد موت صاحبه عن القسمة بين ورثته، والوقف حبس عن فرائض الله تعالى عز شأنه، فكان منفيًا شرعاً " (الطحاوي، 1414هـ/1994، 96/4).

لكن هذه الأدلة لم تقو أمام أدلة القائلين بالجواز، فقد تعقبوها بالرد والتضعيف، وأكدوا أن جواز الوقف مسألة محل إجماع من الصحابة، وأنهم أوقفوا أوقافاً كثيرة، وأقرهم النبي ﷺ على ذلك، وهو ما أكده القرطبي ت671هـ بقوله: " فإن المسألة إجماع من الصحابة ... كلهم وقفوا الأوقاف، وأوقفهم بمكة والمدينة معروفة مشهورة ... ولا حجة في قول شريح، ولا في قول أحد يخالف السنة، وعمل الصحابة الذين هم الحجة على جميع الخلق " (القرطبي، 1384هـ/1964م، 339/6).

وقد أجمع علماء الشريعة على ذلك، وهو ما أكده ابن هُبَيْرَة ت560هـ بقوله: " اتفقوا على جواز الوقف " (ابن هبيرة، 1423هـ/2002م، 45/2) وفي هذا ينتهي الباحث إلى أن قول الشوكاني ت1250هـ: " أعلم أن ثبوت الوقف في هذه الشريعة، وثبوت كونه قرينة أظهر من شمس النهار " (الشوكاني، 1405هـ. 313/3) قد حسم الخلاف في هذه المسألة، وهو ما يفيد اتفاق عامة أهل

العلم على جواز الوقف ومشروعيته، يقول الطبري فيما نقله عنه القرطبي: " الصدقة التي يمضئها المتصدق في حياته على ما أذن الله به على لسان نبيه، وعمل به الأئمة الراشدون رضي الله عنهم ليس من الحبس عن فرائض الله " (القرطبي، 1384هـ/1964م، 6/339) مع التنبيه إلى أن الوقف وإن كان في الأصل مندوبا، إلا أنه تعتره أحكام خمسة: فقد يكون واجبا كالوقف المنذور، وقد يكون حراما كالوقف على معصية، أو حيف، وقد يكون مباحا، إذا لم يقصد به القرية، وقد يكون مكروها، إذا كان فيه تضيق على الورثة، والله أعلم.

والذي يجب التنبيه إليه في هذا الموضوع: كون الوقف من خصائص هذه الأمة أو لا، فالشافعي ت: 204هـ يراه من خصائصها، ونفى كونه متعارفا عليه بين أهل الجاهلية، وذلك من خلال قوله: " ولم يحبس أهل الجاهلية علمته دارا ولا أرضا تبررا بحبسها، وإنما حبس أهل الإسلام (الشافعي، 1410هـ/1990م، 4/54) وتوافق معه في هذا ابن حزم الظاهري ت456هـ، فقال: " إن العرب لم تعرف في جاهليتها الحبس الذي اختلفا فيه، إنما هو اسم شرعي، وشرع إسلامي: جاء به محمد ﷺ كما جاء بالصلاة، والزكاة، والصيام، ولولاه ﷺ ما عرفنا شيئا من هذه الشرائع، ولا غيرها، فبطل هذا الكلام جملة" (ابن حزم، د، ت، 8/152) لكن هذا القول يقابله آخر على خلافه فهذا البُجَيْرمي ت1221هـ الشافعي نفى خصوصية الوقف بهذه الأمة، وأثبت وجوده لدى سابقها من أهل الجاهلية فقال: " الوقف ليس من خصائص هذه الأمة كما قاله " (البُجَيْرمي، 1415هـ/1995م، 3/242) واستدل على ما ذهب إليه بخصوص هذه المسألة بأنه: " قد ورد أن الممل السابقة كانوا يحبسون أموالا لا يبينون لها مصرفا، بل الوقف شهير بين أكثر الممل " (البُجَيْرمي، 1415هـ/1995م، 3/242) وأورد عددا من الأدلة على أوقاف الجاهلية (البُجَيْرمي، 1415هـ/1995م، 3/242)، ثم عاد ليتأول كلام الشافعي بأنه يعني: تحبب الأراضي والعقار على هذا الوجه الشرعي المعروف، أي: كحقيقة شرعية، منتها إلى أن الوقف ليس من خصوصيات هذه الأمة بقوله: " فمراد إمامنا أن الوقف على هذا الوجه المعروف الآن حقيقة شرعية، ومن هذا التقدير استبان أن الوقف ليس من خصوصياتنا خلافا للمؤلف ومن تبعه " (البُجَيْرمي، 1415هـ/1995م، 3/242) وفي مقالة النووي ت676هـ: " أنه مخالف لشوائب الجاهلية " (النووي، 1392م، 11/86) ما يشير إلى تعزيز القول بوجود الوقف عند أهل الجاهلية، وإن لم يكن بالصورة الشرعية التي أصبح عليها بعد الإسلام، ولعل ما شجع على ظهور الخلاف بين العلماء في

هذه الجزئية: أن أكثر أحكام الوقف ثابت بالاجتهاد اعتماداً على الاستحسان، والمصلحة، والعرف، والقليل منها ثابت بالسنة، ولا يهمننا في هذا الموضوع كونه كان متعارفاً عليه بين أهل الجاهلية أو غير متعارف عليه بقدر ما يهمننا كونه حقيقة شرعية، وسواء عرف الوقف قبل الإسلام أم لم يعرف، فإن العمدة على المقصد، وهو ما اختلف فيه الإسلام عن غيره من التشريعات، والنظم الأخرى، وتحقيقاً لمقصد الإسلام النبيل من الأوقاف، وهو النفع الدنيوي والأخروي؛ فقد أكثر المسلمون: سلفاً وخلفاً، من أوقافهم كما هو منقول إلينا في أمهات كتب الحديث والفقهاء والسير وغيرها.

أركان الوقف وشروطه:

أولاً: أركانه (الزحيلي، د، ت، 295/10):

الأول: الواقف وهو: " المالك للذات أو المنفعة التي أوقفها " ويشترط لصحة وقفه: كونه صحيح العبارة، أهلاً للتبرع، وهو البالغ الحر الرشيد المختار، فلا يصح من صبي ولا مجنون ولا عبد ولا سفيه ولا مكره.

الركن الثاني: الموقوف: " وهو ما ملك من ذات أو منفعة ولو حيواناً " بمعنى: كل عين مملوكة للواقف ملكاً يقبل النقل يحصل منها فائدة أو منفعة تستأجر لها.

الركن الثالث: الموقوف عليه، وهو الأهل، أي: المستحق لصرف المنافع عليه (الصاوي، 1415هـ/1995م، 101/4، 102) وهو إما أن يكون شخصاً أو جماعة معينة أو جهة، وهو قسمان: الأول: أن يكون شخصاً معيناً، أو جماعة معينين، فشرطه أن يمكن تملكه، فيجوز الوقف على ذمي من: مسلم وذمي، كما تجوز الوصية له، ولا يصح الوقف على الحربي، والمرتد على الأصح، لأنهما لا دوام لهما.

الثاني: الوقف على غير معين، كالفقراء والمساكين، وهذا يسمى: وقفاً على الجهة؛ لأن الواقف يقصد جهة الفقر والمسكنة، لا شخصاً بعينه، فينظر في الجهة، إن كانت على المعصية، كعمارة الكنيسة وقناديلها وحصرها، وكتب التوراة والإنجيل، لم يصح، سواء وقفه مسلم، أو ذمي، وإن لم تكن

جهة معصية، نظر، فإن ظهر فيه قصد القرية، كالوقف على المساكين، وفي سبيل الله تعالى، والعلماء والمتعلمين، والمساجد والمدارس والربط والقناطر، صح الوقف.

الركن الرابع: الصيغة، فلا يصح الوقف إلا بلفظ، لأنه تمليك للعين والمنفعة، أو المنفعة، فأشبهه سائر التمليكات (النووي، 1412هـ/1991م، 322/5) وألفاظ الوقف منها ما هو صريح، ومنها ما هو كناية (ابن قدامة، 1388هـ/1968م، 7/6) وسيأتي بيان ذلك.

ثانياً: شروطه:

يشترط للوقف شروط أربعة:

1- أن يكون الوقف في عين يجوز بيعها، ويمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها كالأرض والعقار والحيوان والأثاث والسلاح ونحوه " وجملته أن ما لا يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، كاللدنانير والدراهم، والمطعوم والمشروب، وأشباهه، لا يصح وقفه، في قول عامة الفقهاء وأهل العلم، إلا شيئاً يحكى عن مالك، والأوزاعي، في وقف الطعام، أنه يجوز. ولم يحكه أصحاب مالك، وليس بصحيح" (ابن قدامة، 1388هـ/1968م، 34/6)

2 - أن يكون الوقف على بر كالمساكين والمساجد والأقارب: مسلمين أو من أهل الذمة، ولا يصح على الكنائس، وبيوت النار، وكتابة التوراة، والإنجيل، ولا على حربي ولا مرتد.

3 - أن يقف على معين ولا يصح على مجهول كرجل، ولا على حيوان لا يملك كالعبد والحمل والملك والبهيمة.

4 - أن يقف ناجزاً، فإن علقه بشرط لم يصح إلا أن يقول: هو وقف بعد موتي فيصح. (ابن مفلح، 1418هـ/1997م، 161/5)

محل الوقف:

ويقصد به: المال المتقوم " (ابن عابدين، 1412هـ/1992م، 340/4): ثابتاً: كالأرض أو الدار، أم منقولاً: كالكتب والثياب والحيوان والسلاح، والحجة في ذلك قوله ﷺ: " وأما خالد، فإنكم تظلمون خالداً، فإنه احتبس أدرعه وأعتاده في سبيل الله (البخاري، 1422هـ، 122/2). ولم يتفق الفقهاء على تعريف محدد لما يجوز وقفه، وما لا يجوز، فعرفه الحنفية على بأنه: " المال المتقوم بشرط أن يكون عقاراً أو منقولاً، فيه تعامل " (ابن عابدين، 1412هـ/1992م،

340/4) أو هو: " ما لا ينقل ولا يحول كالعقار ونحوه، فلا يجوز وقف المنقول مقصودا " (الكاساني، 1406هـ/1986م، 220/6،) وجاء تعريف المالكية أشد اختصارا، وأكثر توسعا فقالوا هو: " ما ملك من ذات أو منفعة " (الصاوي، 1415هـ/1995م، 101/4) حيث أجازوا وقف المنفعة، وعرفه الشافعية بقولهم: " كل عين معينة مملوكة ملكا يقبل النقل يحصل منها فائدة أو منفعة " (النوي، 1412هـ/1991م، 314/5) وعرفه الحنابلة كونه: " عينا يصح بيعها، وينتفع بها عرفا كإجارة مع بقائها " (ابن النجار، 1419هـ/1999م، 334/3)

ويلاحظ أن القاسم المشترك بين هذه التعريفات كون الموقوف عينا مملوكة يباح الانتفاع بها مع بقاء عينها، والعين تشمل: العقار والمنقول.

وبما أن الوقف تحبيس الأصل، وتسبيل الثمرة، وما لا ينتفع به إلا بالإتلاف لا يصح فيه الوقف؛ لأنه لا يمكن الانتفاع به على الدوام؛ لذا وضع الفقهاء ضابطا لما يجوز وقفه، وما لا يجوز، فقالوا: " الذي يجوز وقفه هو كل ما جاز بيعه، وجاز الانتفاع به، مع بقاء عينه، وكان أصلا يبقى بقاء متصلا كالعقار والحيوانات والسلاح والأثاث وأشبه ذلك، وما لا ينتفع به إلا بالإتلاف مثل ... المأكول والمشروب والشمع وأشباهه، لا يصح وقفه في قول جماعة من الفقهاء " (ابن قدامة، 1388هـ/1968م، 290/10) واتفقوا على إن كل ما لا يمكن الانتفاع به إلا بإتلافه كالذهب والفضة والمأكول لا يصح وقفه (ابن هبيرة، 1423هـ/2002م، 46/2).

وفيما يخص وقف المال: ثابتا أو منقولا فقد توافق الفقهاء في موضع، وظهر الخلاف بينهم في آخر، وإيضاح ذلك بإيجاز:

أولا: وقف " العقار " (ابن الهمام، د، ت، 215/6): يصح وقف العقار من أرض ودور وحوانيت وبناتين ونحوها باتفاق الفقهاء، وحثهم في هذا: أن جماعة من الصحابة وقفوه... ولأن العقار متأبد يبقى على الدوام (الزحيلي، د، ت، 7609/10) يقول ابن جزي: " فيجوز تحبيس العقار كالأرضين والديار والحوانيت والجنات والمساجد والآبار والقناطر والمقابر والطرق وغير ذلك، ولا يجوز تحبيس الطعام؛ لأن منفعته في استهلاكه... " (ابن جزي، د، ت، 243/1).

ثانيا: وقف المنقول: لم يجزه الحنفية؛ لأنهم يشترطون التأيد في الوقف، والمنقول لا يقبل التأيد؛ لأنه معرض للإتلاف والهلاك فقالوا: " لا يجوز وقف المنقول مقصودا لما ذكرنا أن التأيد شرط جوازه، ووقف المنقول لا يتأبد لكونه على شرف الهلاك، فلا يجوز وقفه... " (الكاساني،

1406هـ/1986م، 220/6. البابرّي، د، ت، 218/6) ولكنهم استثنوا من ذلك جواز وقف المنقول إذا كان تبعاً للعقار، أو ورد به النص كالسلاح والخيل، أو جرى به العرف كوقف الكتب والمصاحف، والفأس والقدم والقدور (الأواني) وأدوات الجنّازة وثيابها؛ لتعامل الناس به، قال الكاساني: " فلا يجوز وقفه مقصوداً إلا إذا كان تبعاً للعقار، بأن وقف ضيعة بقرها وأكرتها، وهم عبده فيجوز، كذا قاله أبو يوسف، وجوازه تبعاً لغيره لا يدل على جوازه مقصوداً كبيع الشرب، ومسيل الماء، والطريق أنه لا يجوز مقصوداً، ويجوز تبعاً للأرض والدار، وإن كان شيئاً جرت العادة بوقفه " (الكاساني، 1406هـ/1986م، 220/6)

بينما ذهب أغلب الفقهاء إلى القول بجواز وقف المنقول مطلقاً، فقال المالكية: " الخلاف عندنا جار في كل منقول، وإن كان المعتمد صحة وقفه خلافاً للحنفية فإنهم يمنعون وقفه " (الدسوقي، د، ت، 77/4) وإلى الرأي نفسه ذهب الشافعية فقالوا: " ويصح وقف عقار، ومنقول " (الشرييني، 1415هـ/1994م، 525/3) وكذلك الحال عند الحنابلة حيث قالوا: " وأما وقف المنقول كالحيوان، والأثاث، والسلاح، ونحوها، فالصحيح من المذهب: صحة وقفها، وعليه الأصحاب، ونص عليه " (المرادوي، د، ت، 7/7)

وخلاصة القول في هذه المسألة: أن الحنفية لا يجيزون وقف المنقول إلا بقيود، بينما عند جمهور الفقهاء جائز على الإطلاق.

صيغ الوقف، وأثر انعقاده.

ينعقد الوقف بأحد أمرين: الأول: بالقول الدال عليه سواء كان تصريحاً أو كناية: فالتصريح يكون بالألفاظ: وقفت، وحبست، وسبّلت؛ لعدم احتمال غيره، فمتى أتى بصيغة منها صار وقفاً من غير انضمام أمر زائد من نية أو قرينة أو فعل، والثاني: ألفاظ كناية: كتصدّقت، وحرّمت، وأبدت؛ لعدم خلوص كل منها عن الاشتراك، فمتى تلفظ بواحد من هذه الألفاظ اشترط اقتران نية الوقف معه، أو اقتران أحد الألفاظ الصريحة (كأن يقول: تصدقت بكذا صدقة موقوفة أو محبسة أو مسبلة أو محرمة أو مؤبدة) أو الباقي من ألفاظ الكناية معه " (البهوتي، د، ت، 453/1. بتصرف)

وقد حاول بعض العلماء حصر ألفاظ الوقف: الصريحة والكناية، متوقفاً عند ذكرها دون تفصيل فقال: " وألفاظ الوقف ستة: وقفت، وحبست، وسبّلت، وتصدّقت، وأبدت، وحرّمت، فالثلاثة الأولى صريح فيه، وبقية كناية، لا يصح إلا بالنية " (الزبيدي، 1322هـ، 335/1) بينما توسع

بعضهم في تفصيلها فقال: " وألفاظ الوقف ستة: ثلاثة صريحة، وثلاثة كناية، فالصريحة: وقفت، وحبست، وسببت، متى أتى بواحدة من هذه الثلاث، صار وقفاً من غير انضمام أمر زائد؛ لأن هذه الألفاظ ثبت لها عرف الاستعمال بين الناس، وانضم إلى ذلك عرف الشرع، بقول النبي ﷺ لعمر: (احبس أصلها، وسبل ثمرتها) (النسائي، 1421هـ/2001م، 6/140) فصارت هذه الألفاظ في الوقف كلفظ التطليق في الطلاق، وأما الكناية فهي: تصدقت، وحرمت، وأبدت، فليست صريحة؛ لأن لفظها: الصدقة والتحرير مشتركة، فإن الصدقة تستعمل في الزكاة والهبات، والتحرير يستعمل في الظهار والأيمان، ويكون تحريماً على نفسه وعلى غيره، والتأييد يحتمل تأييد التحريم، وتأيد الوقف، ولم يثبت لهذه الألفاظ عرف الاستعمال، فلا يحصل الوقف بمجردهما، ككنايات الطلاق فيه، فإن انضم إليها أحد ثلاثة أشياء، حصل الوقف بها، أحدها: أن ينضم إليها لفظة أخرى تخلصها من الألفاظ الخمسة، فيقول: صدقة موقوفة، أو محبسة، أو مسبلة، أو محرمة، أو مؤتدة، أو يقول: هذه محرمة موقوفة، أو محبسة، أو مسبلة، أو مؤتدة، الثاني أن يصفها بصفات الوقف، فيقول: صدقة لا تباع، ولا توهب، ولا تورث؛ لأن هذه القرينة تزيل الاشتراك، الثالث: أن ينوي الوقف، فيكون على ما نوى، إلا أن النية تجعله وقفاً في الباطن دون الظاهر، لعدم الاطلاع على ما في الضمائر، فإن اعترف بما نواه، لزم في الحكم؛ لظهوره، وإن قال: ما أردت الوقف، فالقول قوله، لأنه أعلم بما نوى" (ابن قدامة، 1388هـ/1968م، 6/6).

الثاني: بالفعل الدال عليه عرفاً: كمن جعل أرضه مسجداً وأذن للناس بالصلاة فيه، أو أذن فيه وأقام، أو سقايته، ويشعرها للناس؛ لأن العرف جار به، وفيه دلالة على الوقف، فجاز أن يثبت به كالقول: " وظاهر مذهب أحمد أن الوقف يحصل بالفعل مع القرائن الدالة عليه، مثل أن يبنى مسجداً، ويأذن للناس في الصلاة فيه، أو مقبرة، ويأذن في الدفن فيها، أو سقاية، ويأذن في دخولها... وكذلك إذا اتخذ المقابر، وأذن للناس، والسقاية، فليس له الرجوع، وهذا قول أبي حنيفة، وذكر القاضي فيه رواية أخرى، أنه لا يصير وقفاً إلا بالقول، وهذا مذهب الشافعي، وأخذه القاضي من قول أحمد " (ابن قدامة، 1388هـ/1968م، 6/7)

أثر انعقاد الوقف:

متى انعقد الوقف صحيحاً زال ملك الواقف عن العين الموقوفة، وأصبح الوقف لازماً لا يملك الواقف الرجوع عنه، ولا يسوغ بعدئذ لأحد من الموقوف عليهم، أو غيرهم أن يتصرف فيه تصرفاً يوجب

فيه حقاً للغير، فلا يباع، ولا يرهن، ولا يوهب، ولا يورث، وهذا عند أغلب الفقهاء سوى مالك، وأحمد في أحد الرأيين عنه، ولكنه يُؤجّر؛ لأن الإجارة تملك المنفعة بعوض، وهو المقصود بالوقف، يقول النووي: " فإذا صح الوقف فقد زال به ملك الواقف على المشهور من مذهبنا، والصحيح من مذهب أحمد، وكذلك المشهور من مذهب أبي حنيفة، وعن مالك: لا يزول ملكه، وهو قول لأحمد." (النووي، د، ت، 324/15).

الوقف بين: التأييد والتأقيت:

توافق الفقهاء في القول بجواز الوقف مؤبداً، لكنهم اختلفوا في صحته إذا كان مؤقتاً، فذهب الحنفية إلى اشتراط التأييد فيه فقالوا: " إن التأييد شرط ألبتة " (بداماد أفندي، د، ت، 735/1، والمرغيناني، د، ت، 17/3. وابن عابدين، 1412هـ/1992م، 349/4، والبايرتي، د، ت، 218/6، والغيتاني، 1420هـ/2000م، 441/7) ومع اتفاقهم على كون تأييد الوقف شرطاً إلا أن الخلاف ظهر بينهم في اشتراط ذكره وعدمه، أي: في التنصيص عليه، أو على ما يقوم مقامه: كالفقراء " والصحيح أن التأييد شرط: اتفاقاً، لكن ذكره ليس بشرط عند أبي يوسف، وعند محمد لا بد أن ينص عليه " (ابن عابدين، 1412هـ/1992م، 349/4) فأبو يوسف لا يرى ضرورة للتنصيص عليه؛ لأنه صدقة فيها إزالة الملك، لا تحتاج إلى تملك، وهذا هو المعول عليه عندهم، بينما ذهب محمد إلى القول بضرورة ذكر لفظ: التأييد؛ لأنه صدقة بالمنفعة، أو بالغلة قد تكون مؤقتة، أو مؤبدة، والإطلاق في اللفظ لا يفيد التأييد " فعند أبي يوسف لا يشترط ذكر التأييد؛ لأن لفظة الوقف والصدقة منبئة عنه؛ لما بينا أنه إزالة الملك بدون التملك كالتعق... وهذا هو الصحيح، وعند محمد ذكر التأييد شرط؛ لأن هذا صدقة بالمنفعة، أو بالغلة، وذلك قد يكون مؤقتاً، وقد يكون مؤبداً فمطلقه لا ينصرف إلى التأييد، فلا بد من التنصيص " (المرغيناني، د، ت، 17/3).

إلا أنه من خلال البحث في بعض مؤلفات الحنفية في هذا المسألة تبين أن التردد بين الرأيين يبدو واضحاً عند أبي يوسف فقد نقل عنه بعض العلماء في ذكر: " التأييد روايتان الأولى: أنه غير شرط حتى لو قال: وقفت على أولادي، ولم يزد جاز الوقف، وإذا انقضوا عاد إلى ملكه لو حيا، وإلا فإلى ملك الوارث (ابن عابدين، 1412هـ/1992م، 349/4) والثانية: أنه شرط لكن ذكره غير شرط حتى تصرف الغلة بعد الأولاد إلى الفقراء " (ابن

وخلاصة القول في هذا: " الصحيح أن التأبيد شرط على قول الكل، ولكن ذكر التأبيد ليس بشرط عند أبي يوسف " (ابن الشحنة، 1393هـ/1973م، 1/295).

وتوافق معهم الشافعية في اشتراط التأبيد لصحة الوقف فقالوا: " ولا يجوز إلى مدة لأنه إخراج مال على وجه القرية، فلم يجز إلى مدة كالعق، والصدقة. " (الشيرازي، د، ت، 2/324) وكذلك الحنابلة في أحد قوليهما فقالوا: " وإن قال: وقفت داري سنة، أو إلى يوم يقدم الحاج، لم يصح في أحد الوجهين؛ لأن مقتضى الوقف التأبيد، وهذا ينافيه " (ابن قدامة، د، ت، 6/206) ووجهوا رأيهم هذا بأن الوقف إزالة الملك لا إلى حد، فلا يحتمل التوقيت كالإعتاق، وجعل الدار مسجداً.

الرأي الثاني: عدم اشتراط التأبيد، وإليه ذهب المالكية، وهو خلاف ما عليه الجمهور فقالوا: " الوقف لا يشترط فيه التأبيد. " (الصاوي، 1415هـ/1995م، 4/104) ورأوا جوازه مؤقتاً، كما جاز مؤبداً، واشتراطوا عودة الموقوف للواقف، أو لوارثه بعد موت الموقوف عليه فقالوا: " المعلوم شرعاً أن الوقف لا يشترط فيه التأبيد، بل يجوز لشخص أن يوقف وفقاً مدة معينة سنة فأكثر لأجل معلوم، ثم بعد انقضائه يرجع ملكاً للواقف الأصلي أو لغيره، " (الكشناوي، د، ت، 3/102، والصاوي، 1415هـ/1995م، 4/106) وتوافق معهم الحنابلة في رأيهم الآخر، فقالوا بعدم اشتراط التأبيد لصحة الوقف، ورأوا صحة الوقف عندهم مدة معينة، فقالوا: " والوجه الآخر: يصح... " (ابن قدامة، د، ت، 6/206).

ومنتهى القول في هذه المسألة الخلافية: اتفاق الفقهاء على جواز التأبيد، واختلافهم في تأقيته، فذهب الحنفية والشافعية في الصحيح عندهم، والحنابلة في أحد رأييهما إلى أن الوقف لا يقبل التأقيت، ولا يكون إلا مؤبداً، وذهب المالكية والشافعية في مقابل الصحيح عندهم، والحنابلة في وجه آخر إلى جواز تأقيت الوقف، ولا يشترط في صحته، أي: كونه مؤبداً دائماً بدوام الشيء الموقوف، فيصح وقفه مدة معينة، ثم ترفع وقفته، ويجوز التصرف فيه بكل ما يجوز التصرف به في غير الموقوف. ويبدو التردد بين الرأيين واضحاً لدى كل من الشافعية والحنابلة، كما يبدو التردد عند أبي يوسف في اشتراط ذكر التأبيد، والتنصيص عليه، أو عدم التنصيص عليه، أي: ذكر التأبيد لفظاً، أو معنى.

والذي يراه الباحث أقرب إلى الصواب القول: بصحة الوقف سواء ذكر التأبيد: لفظاً أو معنى: لأن الوقف ثبت عن رسول الله ﷺ وعن صحابته، ولم يثبت عنهم هذا الشرط؛ لأن قصد الواقف أن

يكون للفقراء، وإن لم يسمهم، وهو الظاهر من حاله، فكان تسمية هذا الشرط ثابتاً دلالة، والثابت دلالة كالثابت نصاً، وأن الأصل في الوقف أن يكون مؤبداً، وأرى جوازه مؤقتاً لفترة، أو مدة معينة، لأنه ليس في ذلك ما يخالف نصاً من نصوص الشرع؛ ولأنه صدقة وبر، والصدقة جاء الشرع بالحث عليها، ثم إن القول بمنع الوقف المؤقت سد لباب من أبواب الخير والبر، فما كل الناس يرغب، ويقدم على الوقف مؤبداً.

ملكية الوقف:

اختلف الفقهاء في مسألة خروج الوقف من ملك الواقف، أو عدم خروجه، فذهب أبو حنيفة إلى أن الوقف لا يخرج من ملك الواقف، إلا بشروط، وتظل العين الموقوفة على ملك واقفها، فيجوز له التصرف بها كما يشاء، وإذا مات الواقف ورثها ورثته، ويجوز له الرجوع في وقفه متى شاء، كما يجوز له أن يغير في مصارفه، وشروطه كيفما يشاء " فلا يزول ملك الواقف عن الوقف عند أبي حنيفة إلا أن يحكم به حاكم، أو يعلقه بموته فيقول: إذا مت فقد وقفت داري على كذا " (الزَّيْدِيّ، 1322هـ، 333/1) وخالفه في هذا صاحبه: أبو يوسف ومحمد بن الحسن فقالوا: " بحبس العين على حكم ملك الله تعالى على وجه تصل المنفعة إلى العباد، فيزول ملك الواقف عنه إلى الله تعالى " (الزَّيْدِيّ، 1322هـ، 333/1).

وتوافق المالكية مع أبي حنيفة فقالوا: إن الموقوف يظل مملوكاً للواقف، لكن المنفعة تكون ملكاً لازماً للموقوف له، مع شرط عدم جواز التصرف فيها ببيع أو هبة، وغير ذلك من وجوه التصرف التي تخرج ملكيته، فقالوا: " إن الذات الموقوفة باقية على ملك الواقف وإن كان ممنوعاً من التصرف فيها بالبيع ونحوه، وليس للموقوف عليه إلا المنفعة المعطاة من غلة، أو عمل " (النفرأوي، 1415هـ/1995م، 165/2).

أما الشافعية فلهم في المسألة أقوال أصحابها: وهو المعول عليه في المذهب: أن الملك في رقة الموقوف ينتقل إلى الله تعالى، أي: ينفك عن اختصاص الآدمي، فلا يكون للواقف، ولا للموقوف عليه، ومنافعه ملك للموقوف عليه، يستوفيه بنفسه وبغيره، وهو ما يتوافق مع رأي كل من: أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، فعندهم " الأظهر أن الملك في رقة الموقوف ينتقل إلى الله تعالى أي: ينفك عن اختصاص الآدمي، فلا يكون للواقف، ولا للموقوف عليه، ومنافعه ملك للموقوف عليه يستوفيه

بنفسه، وبغيره بإعارة وإجارة " (الشرييني، 1415هـ/1994م، 546/3، والرمللي، 1404هـ/1984م، 388/5) .

وعند الحنابلة في الصحيح من المذهب إنه إذا صح الوقف زال به ملك الواقف، وينتقل الملك في العين الموقوفة إلى الموقوف عليه، فعندهم " أن الوقف إذا صح، زال به ملك الواقف عنه، في الصحيح من المذهب " (ابن قدامة، 1388هـ/1968م، 254/2) وهو ما صرح به أحمد بن حنبل بقوله: " إذا وقف داره على ولد أخيه صارت لهم " (ابن قدامة، 1388هـ/1968م، 6/6) وهذا يدل على أنهم ملكوه.

والذي يراه الباحث أقرب إلى الصواب: أن الوقف يبقى على ملكية الواقف في الأوقاف التي على أشخاص معينين؛ لأن الحق الذي يثبت في الوقف للموقوف عليه إنما هو حق الانتفاع، والاستيلاء على الغلال في وقتها، ولا يوجب ذلك زوال ملك الواقف على الوقف، أما إذا كانت الأوقاف على جهات برّ، فإن الملك فيها ينتقل إلى الله تعالى. والله أعلم.

استبدال الوقف أو بيعه:

اختلف آراء الفقهاء فيما إذا تعطلت منافع الوقف، أو خرب، كدارٍ انهدمت، أو أرضٍ زراعية عادت مواتا، ولم يعد بالإمكان عمارتها، فقال الحنفية: " إن الوقف إذا كان كذلك فإنه يجوز بيعه، واستبداله: " فما انهدم من بناء الوقف وآلته صرفه الحاكم في عمارة الوقف إن احتاج إليه، وإن استغنى عنه أمسكه حتى يحتاج إلى عمارته فيصرفه فيها، وإن تعذر إعادة عينه إلى موضعه بيع وصرّف ثمنه إلى الإصلاح " (الرّببدي، 1322هـ، 337/1، والبايرتي، 1420هـ/2000م، 224/6) ولكنهم يقيدون هذا بإذن القاضي، فقالوا: " إن رأى الإمام بيع ذلك لمصلحة جاز، ويجعل ثمنه في مثله، وهو مذهب أبي حنيفة " (الصاوي، 1415هـ/1995م، 127/4) وقال المالكية: " لا يجوز بيع العقار المحبس، وإن خرب ولو بعقار غير خرب، خلافاً لمن قال: بجواز بيع الخرب بغيره " (الدسوقي، د، ت، 91/4) .

وللشافعية في هذه المسألة رأيان: أحدهما: لا يجوز بيعه ... والثاني يجوز بيعه؛ لأنه لا يرجى منفعته، فكان بيعه أولى من تركه " (الشيرازي، د، ت، 331/2، والشرييني، 1415هـ/1994م، 550/3) وخالفهم في ذلك الحنابلة فذهبوا إلى أنه إذا حدث ذلك في الوقف فإنه يباع بعضه لإصلاح الباقي، وإن لم يمكن الانتفاع بجميعة فإنه يباع كله، ويستبدل به مثله مما

يبقى عينه، ويتنفع به، فقالوا: " ولا يجوز بيعه إلا أن تتعطل منافعه فيباع، ويصرف ثمنه في مثله، وكذلك الفرس الحبيس إذا لم يصلح للغزو بيع، واشتري بثمنه ما يصلح للجهاد، وكذلك المسجد إذا لم ينتفع به في موضعه (ابن قدامة، د، ت، 242/6) ويقول ابن عقيل ت513هـ: " الوقف مؤبد فإذا لم يمكن تأييده على وجه تخصيصه استبقينا الغرض، وهو الانتفاع على الدوام في عين أخرى " (ابن قدامة، د، ت. 243/6) ويوجه ابن تيمية: ت728هـ رأي مذهبه بقوله: " في إبدال الوقف حتى المساجد بمثلها، أو خير منها للحاجة أو المصلحة " (ابن تيمية، 1416هـ/1995م، 212/31).

ويؤكد ابن تيمية ت728هـ اتفاق العلماء على تغيير صورة الوقف تحقيقاً للمصلحة، وذلك من خلال قوله: " وجوز جمهور العلماء تغيير صورة الوقف للمصلحة كجعل الدور حوانيت والحكورة مشهورة، ولا فرق بين: بناء ببناء، وعرصه بعرصه أولاً، ولو وقف كروما على الفقراء، ويحصل على جيرانها ضرر يعوض عنها بما لا ضرر فيه على الجيران، ويعود الأول ملكاً، والثاني: وقفاً، ومع الحاجة يجب إبدال الوقف بمثله، وبلا حاجة يجوز بخير منه؛ لظهور المصلحة " (ابن تيمية، 1386هـ، 425/5)

والأقرب إلى الصواب في هذا الموضوع في نظر الباحث ما ذهب إليه الحنابلة، وهو القول بجواز بيع الوقف، واستبداله إذا تعطلت منافعه، أو خرب؛ لأن في ذلك استبقاء للوقف بمعناه عند تعذر إبقائه بصورته، يقول ابن تيمية ت728هـ: " ومع الحاجة يجب إبدال الوقف بمثله، وبلا حاجة يجوز بخير منه الظهور للمصلحة " (ابن تيمية، 1386هـ، 425/5) وبذلك تتحقق مقاصد الوقف وأهدافه، ولكن لا بد أن تراعى في الاستبدال مصلحة الوقف بكون المستبدل أفضل، ولا مضرة في استبداله على الموقوف عليه، ودون محاباة لأحد على حساب الوقف؛ ولأن في ذلك توسعة على الناس، وتحقيقاً للمصلحة التي هي من مقاصد الشريعة، ويقول ابن عقيل ت513هـ: " وجمودنا على العين مع تعطلها تضييع للغرض " (ابن قدامة، 1388هـ/1968م، 29/6، ابن قدامة، د، ت، 242/6)

تطوير واستثمار الأصول الوقفية:

بالرغم من أن هذه الجزئية ليس هذا محل التعرض لها؛ إذ إن موضوع هذا البحث مقيد بأحكام الفقه من وجهة نظر الفقهاء، إلا إنه يمكن إيجاز القول فيها في الآتي:

إن الأوقاف بشكلها التقليدي: الثابت منها والمنقول، لا يمكن أن تؤدي دورها في النموي وفق مقتضيات هذا العصر، إلا بتنميتها سواء أكانت: عقارا أم نقودا أم أوراقا مالية أم غيرها، وبوسائل استثمارية مباحة شرعاً، حتى لا تأكلها النفقات والصدقات وبقية المصاريف الأخرى، وهذا لا يتأتى إلا من خلال تحديث المؤسسة الوقفية، وتمكينها من مواكبة التطورات الجديدة التي تميز الحياة الاقتصادية المعاصرة في عالم تعددت فيه المنتجات المالية، وإيجاد صيغة وفاقية جديدة تحقق أهداف التنمية، وبما أن القطاع المؤسسي في الدول الحديثة عرف تطورات جديدة، وهذه تستدعي الوقوف عليها؛ لتحديد مكانة الوقف منها، وقد حصر العلماء القطاع المؤسسي الحديث في ثلاثة قطاعات، هي: العام بشقيه: الربحي، وغير الربحي، والخاص: وهو قطاع ربحي بالأساس، والخيري: وهو الذي لا يهدف إلى تحقيق الربح، وقائم على سبيل التطوع من قبل المتبرعين من أفراد المجتمع، والوقف يدخل ضمنه؛ لأنه في أصله عمل خيري في صورة صدقة جارية يسعى صاحبها إلى حبس الأصل وتسبيل الثمرة، وبشيء من التفصيل فإن هذا البناء المؤسسي للدول الحديثة يضم عدة مكونات مؤسسية منها: الشركات الإنتاجية التي تقوم بإنتاج سلع وخدمات غير مالية بغرض تحقيق الربح، وتشمل الشركات العامة والخاصة، ومؤسسات الإقراض التي تقوم بدور الوساطة المالية بتعبئتها للمدخرات، وتقديم التمويل للمؤسسات الإنتاجية، وهذه تشمل البنوك بجميع أنواعها، وغيرها، كذلك المؤسسات المالية غير النقدية، وتشمل: البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية التي تهدف إلى تحقيق الربح، وشركات التأمين، وكذلك التنظيمات الخاصة التي لا تهدف إلى تحقيق الربح مثل: النقابات العمالية، والجمعيات المدنية، وكذلك الأسر وتشمل: جميع الوحدات الاستهلاكية المتمثلة أساساً في أصغر خلية في المجتمع وهي الأسرة، وبالنظر إلى القطاع الوقفي، فإنه يلاحظ أن أوقاف المسلمين عبر العصور تركزت على الممتلكات العقارية، لكن مقتضيات التنمية المعاصرة تتطلب تنوع الأصول الوقفية، وتطوير صيغ جديدة لتثمينها وتوظيفها، وقد أجريت عدة تجارب بهذا الخصوص في عدد من الدول الإسلامية منها: المغرب، الجزائر، الأردن، السودان، وغيرها. (مهدي، 1423هـ، ص 13 وما بعدها، بو جلال، ص 1 وما بعدها) وأفضل وسيلة رآها العلماء والخبراء لتحقيق أغراض الوقف في الوقت المعاصر هي:

1- مأسسة النظارة: فأفضل صيغة لإدارة شؤون الوقف هو: المؤسسة؛ لأنها تتصف بالديمومة والاستمرارية بخلاف الأشخاص الذين يزولون بزوال الأعمار، ثم إن من ميزاتها: إمكانية إدارة

الممتلكات الوقفية، وما تدره من ريع بما يخدم الأغراض التنموية حسب الظرف الذي تعيشه كل دولة، فمؤسسة النظارة ستشكل آلية مناسبة في يد السلطات العمومية لاستخدام الأموال الوقفية استخداماً عقلياً لا تضارب فيه مع السياسة المالية العامة للدولة.

2- نقدنة الأصول الوقفية: والأصول الوقفية مثل: الأراضي والبساتين والضيع والبيوت السكنية والعمارات والمحلات التجارية... الخ، وهذه يجب أن تسند إدارتها إلى أشخاص متخصصين في الخدمات المالية ممن لديهم خبرة ودراية بأساليب الاستثمار الحديثة التي طورتها المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية، لتشييد مشاريع عقارية جديدة، واستغلالها من أجل زيادة الإيراد. (بوجلال: الحاجة إلى تحديث المؤسسة الوقفية، 1424هـ/مارس 2003م، 1 وما بعدها).

طرق ومجالات استثمار الوقف:

الإجارة: وقد كانت وما زالت أهم طرق استثمار الوقف، وأكثرها شيوعاً، وكذلك المزارعة: وهي أن تتفق إدارة الوقف مع طرف آخر ليقوم بغرس الأرض الموقوفة، أو زرعها على أن يكون الناتج بينهما حسب الاتفاق، والمساقاة: وهي خاصة بالأرض التي فيها الأشجار المثمرة حيث تتفق إدارة الوقف مع طرف آخر ليقوم برعايتها وسقيها على أن يكون الثمر بينهما حسب الاتفاق، إضافة إلى ما استحدثت من طرق أخرى، أوجدها التطور المجتمعات الحياة الاقتصادية في المجتمعات الحديثة، منها: المضاربة (القراض): وهي المشاركة بين المال والخبرة والعمل، بأن يقدم ربّ المال المال إلى الآخر ليستثمره على أن يكون الربح بينهما حسب الاتفاق، والمضاربة تتحقق في الوقف إذا كان الوقف عبارة عن نقود وحينئذٍ تستثمر هذه النقود عن طريق المضاربة الشرعية، وقد يكون الوقف بعض الأدوات أو الحيوانات فتكون المضاربة بإعطاء آلة العمل من ربّ المال وتشغيلها من قبل المضارب، ويكون الناتج بين الطرفين.

وكذلك المشاركة: حيث تتفق إدارة الوقف بجزء من أموالها الخاصة للاستثمار مع شريك ناجح في مشروع مشترك سواء أكان صناعياً، أم زراعياً، أو تجارياً، وكذلك المشاركة في الشركات المساهمة عن طريق تأسيسها، أو شراء أسهمها، وكذلك المشاركة في الصناديق الاستثمارية المشروعة بجميع أنواعها، وعقد الاستصناع وهو من العقود التي أجازها العلماء، يمكن لإدارة الوقف أن تستفيد منه لبناء مشروعات ضخمة مثمرة حيث تتفق مع البنوك الإسلامية، أو المستثمرين على تمويل المشاريع العقارية على أرض الوقف أو غيرها، والمصانع ونحوها عن طريق الاستصناع.

وكذلك المرابحة: فيمكن لإدارة الوقف استثمار أموالها عن طريق المرابحات كما هو معمول به في المصارف الإسلامية، كذلك إمكانية استثمار الفائض من غلة الوقف بشراء أصول من جنس الوقف تكون وقفاً هي الأخرى يصرف ريعها على نفس أغراض الوقف الأصلي، أو صرفها في جهات بر عامة أخرى. (داغي، د، ت، ص 10 وما بعدها) على أن هذا كله مقيد بقواعد الشرع وضوابطه، وبما يحقق مصالح الناس، فيجب أن يكون الاستثمار في الوجوه المباحة شرعاً، مع مراعاة شروط الواقفين فيما يقيدون به الناظر في مجال تمييز ممتلكات أوقفهم، وعدم المجازفة والمخاطرة في المشروعات ذات المخاطر العالية، والتنويع في المحفظة الاستثمارية للتقليل من المخاطر العالية، والاعتماد على دراسات الجدوى الاقتصادية للمشروعات الوقفية، وتوثيق عقودها، والحصول على الضمانات الكافية لنجاحها، وفي كل هذا يجب تعزيز القطاع الوقفي بهيئات رقابية شرعية وقانونية، ومالية تقوّم مسيرته، وتساهم في الحفاظ على الممتلكات الوقفية، وعلى حقوق المستفيدين، الخواص منهم والعوام.

الخاتمة

- 1- اختلاف الفقهاء حتى داخل المدرسة الواحدة في مفهوم الوقف، بناء على اختلافهم من حيث: لزومه وعدم لزومه، واشتراط القرية فيه، والجهة المالكة للعين بعد وقفها، وهل هو عقد أو إسقاط؟ وهي وإن جاءت متنوعة في ألفاظها، فإنها تقاربت في مدلولها في الغالب.
 - 2- اتفاق أغلب العلماء على جواز الوقف كوجه من وجوه البر، وإن ذهب بعضهم إلى القول بعدم جوازه، إلا أن القول بالجواز هو الراجح.
 - 3- ظهور الاختلاف بين العلماء في كون الوقف من خصائص هذه الأمة، أو هو متعارف عليه بين أهل الجاهلية، والقول الأخير هو الراجح، وإن اختلف كل منهما في الوسيلة والغاية.
 - 4- نظرا لورود النصوص القرآنية المتعلقة بأحكام الوقف مجملة في دلالتها على الحكم، وتولي السنة تفسير بعضها، فإن أكثرها قد ترك للاجتهاد؛ لذا ظهر الاختلاف بين الفقهاء في الكثير من أحكام جزئيات الوقف، ككونه على التأييد أو التأكيد، وانتقال ملكية الموقوف إلى الموقوف إليه أو لا، وجواز بيعه أو عدم جوازه، واستبداله أو عدم استبداله، وكل ذلك وارد في البحث، وليس هذا موضع إيراده.
 - 5- ضرورة تنمية الوقف: عقارا كان، أو نقودا، أو أوراقا مالية أو غيرها بوسائل استثمارية مباحة شرعاً، حتى لا تأكلها النفقات والصدقات وبقية المصاريف الأخرى.
 - 6- تحديث المؤسسة الوقفية وتمكينها من مواكبة التطورات الجديدة التي تميز الحياة الاقتصادية المعاصرة في عالم تعددت فيه المنتجات المالية، وإيجاد صيغة وافية جديدة تحقق أهداف التنمية.
 - 7- ضرورة مأسسة الوقف، ونقدنة أصوله حتى يمكن استثمار ذلك استثمارا سليما يتماشى والقطاع المؤسسي الحديث في العالم، في توافق مع منظومة الأحكام الشرعية.
- ... والحمد لله رب العالمين...

مصادر البحث ومراجعته

- 1- ابن الشحنة: لسان الحكام في معرفة الأحكام، مطبعة البايب الحلبي، القاهرة، ط2، 1393هـ/1973م.
- 2- ابن العربي: أحكام القرآن، تعليق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424 هـ/ 2003 م.
- 3- ابن النجار: منتهى الإرادات، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.
- 4- ابن الهمام: فتح القدير، دار الفكر.
- 5- ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1386هـ.
- 6- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ/1995م.
- 7- ابن جزى: القوانين الفقهية، د، ت .
- 8- ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تصحيح: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز 9- بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- 10- ابن حزم: المحلى بالآثار، نشر: دار الفكر، بيروت.
- 11- ابن عابدين: الدر المختار، دار الفكر، بيروت، ط2، 1412هـ/1992م.
- 12- ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت، ط2، 1412هـ/1992م.
- 13- ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: مصطفى العلوي، محمد عبد الكبير، المغرب، 1387هـ.
- 14- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.
- 15- ابن قدامة: الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي للنشر.
- 16- ابن قدامة: الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ط1، 1414 هـ/ 1994 م .
- 17- ابن قدامة: المغني، نشر: مكتبة القاهرة، 1388هـ/1968م.
- 18- ابن مفلح: المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418 هـ/ 1997 م.
- 19- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.
- 20- ابن هبيرة: اختلاف الأئمة العلماء، تح: يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ/2002م.
- 21- أبو داود: سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- 22- البابرّي: العناية شرح الهداية، دار الفكر.
- 23- البُجَيْرِيّ: تحفة الحبيب على شرح الخطيب، دار الفكر، 1415هـ/1995م.
- 24- البخاري: صحيح البخاري. تح: محمد زهير، دار طوق النجاة ط1، 1422هـ.

- 25- البسام: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، تح: محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة، ط10، 1426 هـ/2006 م .
- 26- البهوتي: الروض المربع شرح زاد المستقنع، نشر: دار المؤيد، مؤسسة الرسالة.
- 27- بوجلال: الحاجة إلى تحديث المؤسسة الوقفية، 1424 هـ/مارس 2003 م .
- 28- البيهقي: الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424 هـ/ 2003 م
- 29- الترمذي: سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م
- 30- الحطاب: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3، 1412 هـ/1992 م.
- 31- الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت ط2، 1995 م.
- 32- الخصاف: أحكام الأوقاف، تصحيح: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ.
- 33- داغي: استثمار الوقف وطرقه القديمة والحديثة، مكتبة مشكاة الإسلامية، د، ت
- 34- داماد أفندي: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دار إحياء التراث العربي.
- 35- الدسوقي: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر.
- 36- الرملي: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر، بيروت، ط، 1404 هـ/1984 م.
- 37- الزبيدي: الجوهرة النيرة: الزبيدي، ط1، 1322 هـ.
- 38- الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، نشر: دار الفكر، سورية، دمشق، ط4.
- 39- الزركشي: شرح الزركشي، دار العبيكان، ط1، 1413 هـ/ 1993 م.
- 40- الزيلعي: تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الكبرى، بولاق، القاهرة، ط1، 1313 هـ.
- 41- السرخسي: المبسوط، دار المعرفة، بيروت، 1414 هـ/1993 م.
- 42- الشافعي: الأم، دار المعرفة، بيروت، 1410 هـ/1990 م.
- 43- الشربيني: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ/1994 م.
- 44- الشوكاني: السبل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405 هـ
- 45- الشوكاني: نيل الأوطار، تح: عصام الدين الصباطي، نشر: دار الحديث، مصر، ط1، 1413 هـ/1993 م.
- 46- الشيرازي: المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية.
- 47- الصاوي: بلغة السالك لأقرب المسالك، تح: محمد عبد السلام شاهين، نشر دار الكتب العلمية، 415 هـ/1995 م.
- 48- الطحاوي: شرح معاني الآثار، تح: حمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق، راجعه: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، عالم الكتب، ط1، 1414 هـ/1994 م.
- 49- الطريفي: التحجيل في تخريج ما لم يخرج من الأحاديث والآثار في إرواء الغليل، الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1422 هـ/ 2001 م.
- 50- الغيتاني: البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420 هـ/2000 م.

- 51- القرشي: الجواهر المضنية في طبقات الحنفية، نشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي.
- 52- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ / 1964م.
- 53- الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ط2، 1406هـ/1986م.
- 54- الكشناوي: أسهل المدارك، دار الفكر، بيروت، ط2.
- 55- الكوراني: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، تح: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1429 هـ/ 2008 م.
- 56- محمد رشيد: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- 57- المرادوي: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي.
- 58- المرغيناني: الهداية في شرح بداية المبتدي، تح: طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 59- مسلم: صحيح مسلم، ت261هـ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 60- مهدي: نظام الوقف في التطبيق المعاصر، جدة، 1423هـ.
- 61- النسائي: السنن الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شلبي: تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421 هـ/ 2001 م.
- 62- النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، 1415هـ/1995م.
- 63- النووي: المجموع شرح المذهب، دار الفكر.
- 64- النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392م.
- 65- النووي: تهذيب الأسماء واللغات، تصحيح وتعليق: شركة العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 66- النووي: روضة الطالبين وعمدة المفتين، تح: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1412هـ / 1991م.
- 67- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية: الموسوعة الفقهية الكويتية، ط، من 1404هـ/1427 هـ.

البعد النفسي للصور الأدبية في نتاج الذات العقلية

" مقارنة نصّية نفسية في نصّ هشاشة "

إيناس رمضان الشتيوي
كلية الآداب جامعة غريان

1_ المقدمة

تُعَدّ قراءة البعد النفسي للتصوُّص الأدبية واحدة من القراءات النقدية التي استهدفت التّوغل في كوامن الصّور الأدبية لهذه التّصوُّص. إذ أنّ ارتباط الأدب العربي المعاصر الوثيق وبالأخصّ القصة بعلم النفس، هو علامة من علامات التّجدّد التي نقلت النّص القصصي من إطاره التّعبيري التّقليدي الجامد إلى آفاقه الجمالية التي تلتحم فيها الصّورة الأدبية مع كافة عناصر النّص؛ لتشكل بنية متكاملة لا تنفصل (ينظر: البوغبيش، العدد:11، ص:1)، فتنتقل لنا دواخل النّاص في صورٍ مختزلةٍ.

فالنّاص المعاصر تمرّد على التّقليد، وانطلق يلتقط صوره من محيطه التّقافي، ومخيلته الإبداعية، فتنوعت، وتعدّدت، واتسمت بقدرتها على تجسيد تجاربه ودواخله بكلّ مستوياتها السّطحية والعميقة، بشكلٍ مكّننا من التّعرف على البواعث التكوينية الشعورية واللاشعورية التي دفعت هذه الصّور إلى الظّهور، وبالتالي معرفة الأسس الفعّالة والمؤثرات التّفيسية التي تكمن وراء هذا النّص أو ذاك، والمسؤول الرّئيس على توليد دلالاته المتسمة بفائض المعنى؛ نظرًا لكونها تجسيدًا وتشخيصًا وتجسيمًا لوجدان باطني ونفسية معتمة.

أضف إلى ذلك أنّه هناك علاقة وثيقة بين التّعاطي مع الصّورة الأدبية وبين رصد مدلولاتها وإيحائها وأبعادها التّفيسية؛ لاعتبار أنّ الشّكل الذي تتخذه الصّورة الأدبية هو الذي يوجّه مقاصدها، ويرسم طبيعة العلاقة بين الحالة التّفيسية للذات النّاصة، والواقع الذي تعيشه بصورٍ محسوسةٍ تمتليء مشاعرًا وأحاسيسًا وأفكارًا تسري في كلّ جزئية منها مشاعر تدفق، جاعلة لكلّ حرف نبضًا يستمد استمراره من هذه الذّات النّاصة التي تصدره وفقًا للحالة التّفيسية التي تقبع تحت سطوتها.

تُعَدّ الصّراعات واحدة من المواضيع التي تمكّنت من الدّوات النّاصة وسيطرت على صورها الأدبية، حتى إنّهم أحالوها إلى أداة كشفوا من خلالها رؤاهم الفكرية والتّفيسية وحملوها تجاربهم

التفسيّة، والذات العقلية إن جاز التعبير. من بين هذه الذوات التي تعاطت مع الحرب بوصفها أداة تنفيس عن فائض شعوري استطاعت وضعه في إطار لغوي هو "هشاشة" (عقيله، ص:)، هذا العنوان الذي هو بمثابة عتبة لدفقةٍ نفسيةٍ تتبادل فيها المدراكات بين الخاص والعام، من خلال تراكيب عميقة يمتزج فيها الوضع النفسي بالوضع الإنساني فتزداد حرارة العاطفة وتقوى؛ بشكلٍ يجعلنا نتبعها حدّ العمق من خلال الاشتغال على هذا التداخل الابداعي الواعي واللاواعي وفق منهجية مناسبة.

2_ المنهج

إنّ المنهج الذي يمكنه أن يُسهم في إنجاح هذه الدراسة، هو المنهج التّصيّ النفسي، الذي أتى به شارل مورون؛ كونه ينطلق من النصّ الأدبي فيلتقط الصّور والاستعارات، ويبحث لها عن مقابل في حياة النّاص المتجسّدة في صورها اللاواعية؛ ليعود مرّة أخرى إلى النصّ ويثبت ما توصل إليه في القراءة الأولى، وكلّ ذلك من خلال استكناة البنيات العميقة المتوارية وراء المادة السّطحية وإضاءة البنيات اللاشعورية المستترة خلف البنيات اللّغوية الشّعورية. وهو بذلك يمكّننا من الوصول إلى الإشكالية التي قامت عليها هذه الدراسة عبر تتبع شبكة من العلاقات التي تتوارى خلفها الأنا العميقة المسؤول الرئيس على ظهور الصّور الأدبية بهذا الشكل دون غيره .

3_ الإشكالية

إنّ النقطة الرئيسة التي تقوم عليها هذه الدراسة يمكن اختزالها في سؤال واحد مفاده:

ما السّبب الرئيس لهشاشة الذات العقلية؟

4_ التحليل

إنّ التعاطي الفعّال مع هذا النصّ يكمن في الوقوف عند المفاتيح الرئيسة له؛ كونها تلعب دورًا رئيسًا في الكشف عن المدلولات والمقاصد الدّاخلية للذات العقلية، التي تعدّ هي المحرك الرئيس لأحداث هذا النصّ القصصي، بل وهي المسؤول الأول عن ولادة هذا العنوان دون غيره من رحم النصّ الذي يحوي توأم المعنى ومعنى اللّذين تظفرا معًا ليجسدا لنا كيف أصبحت هذه الذات هشّة تدور داخل فلك السّواد وتُحاكيه وفقًا لحالات الانفلات الشّعوريّ واللاشعوري التي يمكننا أن نلتمسها في إحياءاتها الرّمزيّة وتشظياتها الدّلاليّة المتنافرة بين الباطن والسّطح التّفسيّ (ينظر: الخليل، ص: 119)، الذي استطاعت أن تخلق خلاله نصًّا يحملُ خوفًا ويقظةً إنسانيّةً داخليةً لوّنت القادم بلون هذه الأحاسيس النفسيّة بشكلٍ يتواءم وحقيقة الموقف. إذ تقول:

"... تثبت الحقيقة المدرسية على كتفيه.. (قبل أن تعبر الطريق عليك أن تنظر إلى الجهتين)..
تضع الساندويش الملفوف في ورق قصدير في جيب الحقيقة الخارجي.. (إذا.. حدث.. يا الله كيف أقول ذلك؟ إذا حدث انفجار عليك أن تلتصق بالأرض.. لا أعرف إن كان ذلك سيُجدي).. يهزّ رأسه بعصبية (أعرف يا أمي.. لقد علمونا وضع الانبطاح بعد سماع الانفجار).. تغمض عينيها (الانبطاح..!! يا الله لماذا ننجب في زمن الحرب؟).. تضع يديها على كتفيه.. تتأمله.. تملأ عينيها منه (هل تخشى أن تكون هذه المرة الأخيرة التي تراه فيها؟).. ترسم حوله دائرة بإصبعها.. تقرأ المعوذات.. (لا تقترب من البركة المحادية للطريق.. حتى لا تلوثك السيارات).. تنظر إلى اهتزاز الحقيقة فوق كتفيه الصغيرين.. (هناك كلب أجرب تحت السيارة التي انفجرت الأسبوع الفائت.. يتودد إلى المارة.. لا تلمسه).. تخطو خلفه.. (انتبه.. كثير من السائقين لا يباليون بالإشارة الحمراء).. يلتفت (أعرف يا أمي.. حفظتها.. تقولين لي ذلك كل صباح).. لم تنتبه إلى أنها لاتزال تخطو خلفه.. (وجودنا هش.. انفجار.. أو سيارة عابرة.. أو فايروس لا يُرى بالعين المجردة.. أو حتى كلب أجرب من الممكن أن يهدّد وجودنا.. يا الله لماذا نحن كائنات سريعة العطب؟).. تماوجت صورته في عينيها الممتلئتين بالدموع وهي لاتزال تردد (نحن كائنات سريعة العطب.. كائنات سريعة العطب).

4_1 العنوان وفائض الوظائف

يُعدّ العنوان اللحظة التنويرية المبدئية لفحوى النص، والشقفة الأولى والرئيسية التي تمكّنا من اختراق قشور هذا النص المتمثلة في الصور المباشرة والمقاصد القريبة، والتعمّق إلى ما وراء المعنى حيث معنى المعنى " الذي يكشف عن البواطن الخفية بطريقة يعجز عنها المعنى " (بنكراد، ص: 176) ويمكننا من الولوج إلى قلب النص ومنحه الأبعاد الأخرى التي حدثت في لاوعي الدّات. فالهشاشة هنا عنوان إيحائي يتوسط المباشر والتعمّق؛ ذو دلالة هي بمثابة كلمة السرّ التي تكشف عن المكون النفسي، الذي تلجأ له هذه الذات العقلية حال مخاض الكتابة الذي يثيره الخارج بأحداثه.

كما أنّ باطنه _أي العنوان_ لا يختلف عن ظاهره، وإن كان المقصد منه غير مرتبط بالواقع الخارجي حيث يقبع كلّ ما يمكن أن يعطينا؛ بقدر ارتباطه بدواخل هذه الدّات العقلية التي منحته خصوصية وقدرة على التفاعل مع المتلقي، كونها أصبحت رقيقة، رخوة، سهلة الكسر؛ نظرًا لما عايشته من أوجاع، وما كابدهته من مصائب وآلام انعكست صورتها في الصور الأدبية المقرونة بالعوامل الحسيّة والمادية التي تتركز على توظيف العناصر المحيطة من الأشياء والأشخاص لتسهل على الناقد فكّ

شفرات النصّ الذي قام عليها، وهي صور قائمة على التصوير والتفكير الذي لم يتعلم بل تبلور داخل الذات ضمن سيرورتها التي تشكّلت رؤاها للحياة والموت وتقديرها لحالات الخطر والطمأنينة (ينظر: إسماعيل، ص:55) وفقاً للوضع النفسي الذي بات فيه الخروج من البيت والعودة إليه أمراً أشبه بالمخاطرة التي خلقت نوعاً من الصّراع والخوف الداخليّ الذي استدعى مثييراً قوياً للألم والقلق اسمه الموت.

فالعالم أضحي قبراً ليس فيه إلا رائحة الموت، وبذلك أصبحت هذه الذاتُ هشةً أمام كلِّ ما يترصص بها من الدّاخل/ موت أحاسيسها والخارج/ موت جسدها، حتى بات _أي الموت_ كالجسر النَّاري الذي يربط بين الوجود الداخليّ اللاواعي الدفين الكامن داخلها/ هشاشة الروح والوجود الخارجي حيث الواقع الحيّاتي/ هشاشة الجسد، ويزجّ بهذه الذات في فجوة الخوف الذي ادخلها في حالة من الاعتصار الدّاتي؛ علماً تُلقى بتقلها على الحروف التي قد تُخفّف ذلك الضّغط الداخليّ من خلال محاكاة كلِّ ما يدور داخلها بصورٍ شعوريّةٍ مشحونةٍ بتحتيات المقاصد التي تشكّل منها النصّ، إذ لم تترك جانباً إلاّ وصبغته بحاليتها النفسيّة الرّاهنة، كمحاولة لإنهاء هذا العبث النفسيّ وما يصاحبه من ألم الخوف؛ كونه يُنهك الجسد والنفس معاً، وفي هذه الحالة لن تتمكّن الذات من مواصلة مسيرتها حتى في الخيال، لأنّ الخيال يستمدُّ قوته وانتعاشه منها، وخموله يعني خمولها.

من هنا يمكننا أن نقول بأنّ العنوان يتعلّق بالمضمون، ويلعب دوراً تأويلياً لندرك النصّ، كونه يقدّم وظيفة أيقونية/بصرية وتأثيرية وتحديدية ومدلولية وتأشيرية وأنتاجية (ينظر: الناقوري، ص:24) أضاءت لنا جوانب وأبعاد بناء الصّور الأدبية التي تُسجج منها هذا النصّ، ويبيّن لنا الوضع النفسيّ الذي تقع هذه الذات تحت سلطته، دون أن يشوش الأفكار أو يحشوها؛ لذلك نراها تعتمد على الهشاشة/العنوان كمدخل أساسي لقراءة النصّ، و محرّك لمكوناتها الدّفينة، و مثييراً لتراكماتها النفسيّة، و خارطة تتبع بها أوجاعها، و سلسلة تربط بها عالمها الداخليّ بعالمها الخارجي حيث تتبادل المدركات والمقاصد وفقاً للصّورة التي تحتويها؛ وتجعله بذلك المسؤول عن توجيه قراءة النصّ، ليس لكونه حاضرًا في البدء فقط؛ بل لأنه "مرآة مصعّرة لكلّ ذلك التّسجج النصّي" (حليفي، العدد:46، ص:84_85) وعلامة ضمن علامات أوسع تشكّل قوام النصّ وترتبط به ارتباطاً بنائياً لا تراكمياً بدلالاتٍ أخرى.

ورغم أن الذات العقيلية قامت بمحو هذا العنوان بلفظه (هشاشة) في المتن وأحاليته إلى معلومة وعلامة ذات دلالات بعيدة وقريبة اندمجت في الصّور وتغلّغت في الإيحاءات بشكلٍ قادر

على أن يثير مخيلة المتلقي، ويهديه إلى سبر الدلالات العميقة؛ إلا أنها حافظت عليه كصورة عنوانية تندرج ضمن علاقات بلاغية قائمة على المشابهة أو المجاورة أو الرؤيا، يتماهى فيها البُعد المرجعي مع البُعد الإيحائي، ليستحضر الكلّ ويلمّ شتات النصّ المعبرّ عنه، ويلخصّ كلّ ما فيه من وقائع وأحداث وما تفاعل فيه من شخوص في نطاق الزّمان والمكان داخل فضاء معين قد يبدو خارجياً إلا أنّه في حقيقة الأمر داخلي، اختزل شعور هذه الدّات بالخوف من العطب وفقاً لقراءة سياقية داخلية وخارجية، عكست لنا تضاريس النصّ السّطحية والعميقة بشكلٍ جعلنا نقول إنّ العنوان هو النصّ، والعلاقة بينهما علاقة تفاعلية وتأويلية، تمنحنا طاقة توجيهية، و تنظّم عملية تعاطينا مع النصّ من خلال إعادة إنتاج نفسها داخله تبعاً للمدلولات الدّاتية والموضوعية التي تعزف سيمفونية الألم والعبث والموت.

أضف إلى ذلك أنّ الاهتمام بهذا العنوان/هشاشة والوقوف عنده وتحليله بوصفه المرشد إلى متن النصّ، عكس لنا مجموعة من العمليات الدّهنية واللّغوية المفتوحة على إمكانيات عديدة يتداخل فيها ما هو موضوعي ظاهر مع ما هو نفسي تأولي، فنجد النصّ المباشر يحيلنا لنصّ آخر كلاهما تناسل من بنية عنوانية واحدة، أقامت جسر رابط بين هذين النّصين من خلال الفهم وبناء المعنى داخل متن تتبادل فيه المدركات بين المباشرة والتأويلية، وتراسل فيها الحواس لخلق الألفاظ والمعاني المبتكرة وتحفيز مشاعر المتلقي لاستيعاب النصّ (ينظر: بور، العدد:5، ص:23)؛ وفقاً لما تحوي الصّور الأدبية داخل هذا المتن من انزياحات ومفارقات وإيحاءات وسيميائيات لا تعبّر عن الدّات تعبيراً مباشراً ومحدوداً وواضحاً؛ وإتّما تقدّم مضمونها بطريقة إيحائية تعكس المشاعر والأحاسيس والأفكار داخل شبكة من العلاقات دون أن تُحددها أو تسميها، ونتيجة لهذا فإنّ النصّ لن يحمل معنى واحداً؛ بل معاني متعددة تُستحضر من خلال التراسل وتبادل المدركات الّذي يشغل على الصّور الشعورية التي تحوّل فيها الإحساس المادي إلى مجموعة من الصّور الأدبية الشعورية التي يزدحم بعضها فوق بعض على أفق النّفس.

4_2 المتن وتبادل المدركات

إنّ مشاعر هذه الدّات العقلية وأحاسيسها استطاعت من خلال الصّور الشعورية التي امتزجت فيها المباشرة بالرّمزية أن تخرج إلى حيز الوجود، دون أن تقفَ عند حدٍّ؛ بل نراها تخطو خطوة أخرى

نحو الاستقلال بكيانٍ ذاتيٍّ منفصل عن الواقع ومتصل به في آنٍ واحدٍ. حيث إنّ اندماجها مع الموت من منطلقٍ داخلي جعلها تراه بعينِ الواقع ، لتبنيء به هذه الصُّور الشُّعوريَّة التي تجاوزت حجم المحسوسات إلى ما هو خفيٌّ خبيء في قلبِ الظَّاهرة الحسيَّة التي تتذوق الموتَ كلَّ لحظةٍ وتعيشه (... إذا حدث انفجار عليك أن تلتصق بالأرض...) حيث إن الالتصاق بالأرض يحمي جسد ذاك الطِّفل من القنبلة التي يحتضنها الواقع داخل الماحول دون أن يعلم هو بها، ويحمي أيضًا هذه الدَّات من التَّساقط أشلاء عند انفجار قنبلة الكبت التي ترقد داخلها، حيث تتراكم الضَّغوطات النَّفسية التي لا علم للعقل بوجودها (ينظر: فرويد، ص: 77)؛ كونها في عالم اللاوعي.

إذ إنّ المدركات هنا تسير في الطريق نفسه مع اختلاف المصدر/ الدَّات والطفَّل الَّذي يجسدها على الواقع المعيش، واتحاد الهدف/ النَّجاة من الانفجار؛ وذلك ناتج عن لامحدودية المعنى. فالمعنى لا يكمن في الدَّال فقط هنا، إنّما في الصُّور التي تصنع مدلولاتها من التأويل في حركة لا تنتهي، حيث إنّ الصورة " تصبح رمزية عندما يكون معناها كامناً خلف السطح وخلف الظاهر، وموجوداً بطريقة غير مباشرة بعيداً عن التناول الأول للعقل والإدراك" (الحجري، ص: 45)؛ لأنّ الدَّات توظّفها للتعبير عن خصوصية تجربتها الفردية التي تعانيتها، بعد أن ربطتها بغيرها من الأشياء/ الطِّفل والقنبلة لتشحنها عاطفياً وفكرياً.

فالطفَّل دالٌّ يستحضر المُعَيَّب، ويعمل على تخصيص مستمر للمدلول حتى يقودنا للقراءة التي تريدها هذه الدَّات العقلية، إذ إنّها ترسم نفسها من منظورها الخاص في صورة تماشي والواقع المعيش؛ علّها بذلك تلتمس أبعادها وتحدّد أماكن وجعها وأسباب هشاشتها بتسلسل بدأً بالقنبلة التي تُجسّد الكبت عند انزياحها من الدَّلالة الصَّريحة إلى الدَّلالة الضَّمنية، وهي بذلك تعدّ الأخطر والأعمق والأقوى في جعل الطِّفل بمعناه الانزياحي/ الدَّات (هشّ) وبمعناه المباشر (سهل العطب)؛ تبعاً لما ينسجه خيالها من صورٍ خضعت لبعض الانحرافات التي اخرجتها عن كونها لغة عادية أو معيارية، وساعدتها في التمرّد على صمتها، لتكمل ملامح هذه الصُّورة وهي في غمرة التَّكوين الداخلي ونشوة التَّجرد من أثقالها التي صارت في حضرتها خيالاً وشعوراً وفكراً، يتعاطف مع مصادر الوجود الأخرى في واقع الحياة والطَّبيعة، ويكشف عن حالة إنسانية ونفسية، اعطت للمعنى نبضاً فزادته حرارة وعاطفة.

كَمَا أنّها عقدت صلة بين الدَّات والطفَّل أحالت الصُّور من موضوعيتها إلى الدَّاتية، بعد أن اتكأت عليها لثحاكي خلالها عواطفها وأفكارها؛ فجاءت صورة البركة وفق النَّصّ خارجة عن وحدانية

البعد ووحداية المعنى؛ لتفتح باب التأويل أمامنا من خلال الصورة الأدبية التي عرضتها، ومنحتها القدرة على الاتساع، لتقدم دلالة أقوى تمثل البركة فيها الدائرة الواعية التي تُحيل الذكريات السيئة والغرائز والرغبات إلى قبلة/ الكبت (لا تقترب من البركة المحادية للطريق.. حتى لا تلوتك السيارات)، وهي بذلك حققت عمق ونضج هذه البركة/ الدائرة الواعية التي تحوي ماءً راكداً ملوثاً مرثياً/ صمت وأوجاع عكس القبلة الخفية التي داخلها، تنور عندما يحركها المثير الخارجي / السيارة وينطلق ما يملأ ذاك الوعاء الداخلي خاصتها/ الكبت من معلومات مزعجة ومؤلمة نحو الوعي فنلوت النفس والماحول لحظة التفريغ الانفجاري/ الماء الملوث، فنلاحظ أنّ هذا المتن تكوّن وصنع نفسه من خلال تشابك مستمر بين الإدراك المباشر/ صورة الطفل وهو يواجه الموت بتفجّر قبلة كونه سهل العطب، والإدراك الإيحائي والتأويلي/ صورة الذات العقلية وهي تواجه الموت بتفجّر الكبت كونها هشة، فتمكن من العودة إلى عالم السكون والاتزان النفسي.

والأمر لم يقف عند هذا الحد بل هناك حلقة أخرى لهذه السلسلة القاتلة تلاقت فيها جملة من الدوال تنبع من هذه الذات، كمعنى لحالة ناشئة تكتسي دلالة جديدة (ينظر: باشلار، ص: 11_12)، في شكل كتلة متجانسة في صورة أدبية جسدت مشهداً داخلياً وأحاطته من نطاق الكمون إلى نطاق التوليد التفريغي، جعلت فيه الكلاب (هناك كلب أجرب تحت السيارة التي انفجرت الأسبوع الفائت.. يتودد إلى المارة.. لا تلمسه)، دال تعددت مدلولاته تبعاً للخصوصية النفسية والظروف الإنتاجية التي ولد فيها النص، وتمتد لرغبة هذه الذات في تجسيد انبثاقاً لخيالها، بشكل جعل مستوى الدلالة فيها مرتبط بالاستبدال الرمزي الذي يجسد مقاصد مضمرّة ومتوارية تحت الترسبات التعبيرية المباشرة، فزاهها تقدم الكلب الذي سيتسبب في عطب الطفل حد الموت بقنبلة كرمز لذلك الشخص الذي يتودد إليك ليؤذيك بتفجير قبلة الكبت داخلك لتصبح هشة حد الانهيار فالانتهاء، وهي صورة التركيز فيها قائم على مستويات المعنى وترابط بعضها ببعض وتفاعلها فيما بينها؛ لأنّ " الكلمة تحيا بين أخواتها" (حدو، العدد: 48، ص: 23)، وتخلق طاقات دلالية مختزلة تلامس العمق.

واللافت في هذا النص أنّ الانزياح الدلالي لمقاصد الصور لا يحوي تعارضاً بين الحالة الخارجية/ الطفل سهل العطب وبين الحالة الداخلية/ الذات الهشة؛ الأمر الذي جعل هذه الصور الشعورية تُحاكي حالة نفسية عميقة اختلط فيها الخاص بالعام، بشكل جعل العام علامة لاستدعاء الخاص، كي تحيا هذه الذات وتفصح عن مضامينها بعلامة تصويرية أخرى، تُجسد الحلقة الأخيرة

من هذه السلسلة القاتلة حيث الخطوط الحمراء/ مشاعرنا (انتبه.. كثير من السائقين لا يبالون بالإشارة الحمراء) التي تؤدي الصورة فيها وظيفة مرجعية تبديها اللغة التي تعود لإطار مرجعي نفسي صرف؛ لأنّ مشاعر الذات العقلية ظهرت بقوة انفعالية من خلال اللون الأحمر وطرحه كإشارة بلفظ مباشر (... بالإشارة الحمراء) يدل على هلاكنا الداخلي عند المساس بهذه الإشارة الحمراء التي ترمز للكثير من الأشياء التي صُنعت منها الكبت وتغذى وكبر بها وعلى رأسها ذكراياتنا المؤلمة ومشاعرنا المضطهدة ورغباتنا المصادرة. إذ إنّ الألوان تضع العين على رأس قائمة الحواس المتلقية لهذه الصور (ينظر: المساوي، ص: 141) التي جاءت في شكل هذه الحلقات العدمية التي تتضافر معاً مكونة سلسلة رمزية البداية فيها / القبلة / الكبت مرتبطة بالنهاية/ الإشارة الحمراء/ الكبت، التي هي _ على ما يبدو _ السبب الرئيس وراء هشاشة هذه الذات العقلية وتهديد ذلك الطفل الذي يعيش داخلها، وجبرها على مصافحة الموت الذي جعلها ترى أعماقها بعين الواعي (تماوجت صورته في عينها الممتلئتين بالدموع وهي لاتزال تردد (نحن كائنات سريعة العطب.. كائنات سريعة العطب)، فتكشف عمّا وراء الواقع المحسوس، وتعدّد أبعاد صورها الأدبية، وتغني دلالاتها، وتفتح آفاق الإيحاء على مصرعيها أمام المتلقي.

كما أنّ التعاطي مع الدواخل بعين الواعي يعكس لنا ذاتاً مؤهلة للبوح بالخوف من الموت الحقيقي (يا الله لماذا نحن كائنات سريعة العطب؟) وصبّه في صورٍ مترابطةٍ ومنغمّةٍ، يلفّها وشاحاً نفسياً شفافاً، يتعدّد فيه الخيال ويسيطر فيه الواقع بكلّ قوانينه القاسية وأوامره الصارمة (... وجودنا هش.. انفجار.. أو سيارة عابرة.. أو فايروس لا يُرى بالعين المجردة.. أو حتى كلب أجرب من الممكن أن يهدّد وجودنا). إذ إنّ رحلة الذات العقلية هذه مغمورة بأركان العالم المُظلم، ولا يمكن للخيال أن يشعّ نوره إلّا من خلال التقاط جزيئات واقعها النفسي ولمّ أشلائها وتركيبها في صورتها النهائية التي تُمثّل معماراً فنياً يقام على أنقاضها (ترسم حوله دائرة بإصبعها.. تقرأ المعوذات..) ويمتد من أعماقها في صورة حلقات متلاحقة، متداخلة، بدايتها انفجار المكبوت ونهايتها البوح به رمزاً؛ لأنّ الرمزية أقوى من اللغة في التعبير عن التواحي النفسية.

لذا فالصور في هذا النصّ توالدت كلّ واحدة من الأخرى، وجميعها وليدة العنوان، إذ إنّ ما يُعطي هذه الصور فاعليتها ليس حيويتها بقدر ميزتها كحادثة ذهنية ترتبط نوعياً بالإحساس (ينظر: خير بك، ص: 176)؛ فنرى الصورة الأولى (... إذا حدث انفجار عليك أن تلتصق بالأرض.. لا أعرف إن كان ذلك سيُجدي) تُنتج من شعور حادّ بالهلاك واللاجدوى جعلتها هذه الذات تتجرّد فيه من

رمزيتها وتبدأ في حوارٍ مباشرٍ (لا تقترب من البركة المحادية للطريق) تُصارع فيه نفسها دون مراعاة لحالتها، بل على العكس فحالتها المُتردِّية هي التي شجَّعتها على التصريح والاعتراف بشعورها الحقيقي الذي بات من الصَّعب ردعه؛ لأنَّ الواقع يحركه بعنف ويدفعه للخروج بشكلٍ مضطربٍ تتبادل فيه المدركات بين الواقع/ الدَّات والخيال/ الطُّفل، الأمر الذي جعلها تحسُّ بكيانها وتفوز بنفسها الواعية التي كانت رهينة الكبت.

إنَّ التجربة الشَّعورية التي تعانيتها هذه الدَّات، هي التي منحت الصَّور في هذا التَّص مغزى خاصًا، كونها في بؤرة التَّجربة وتعيش حكاية دالة تتصارع فيها مع الموت/ الكبت علَّها تتخلص من الهشاشة. فالطُّفل لعب دورًا حاسمًا في تشكيل وعي الدَّات العقلية ولاوعيها، حيث نراها وجدت خلاله معبر نحو أعماقها، وشيَّدت به قصة متخيلة تسعى لبلورة رؤية خاصة تجاه نفسها والعالم الخارجي، لا تظهر أبعادها إلا بالتَّعاطي مع المدلول المباشر والمدلول اللامباشر للدَّال؛ لأنَّ هذه الصَّور ليست محاكاة شكلية فقط، بل هي أسلوب تفكير وتعبير وموقف من العالم، إذ إنَّ الدَّات حين تعبّر عن خواصها عن طريق الماحول على هيئة صور، فإنها تقوم بثمين إيديولوجي وجمالي لها (ينظر: درويش، ص: 164) من خلال استعانتها بدوالٍ محدودةٍ لإعادة تشكيل تجربتها اللامحدودة تعبيرًا يحوي انزياحات ومفارقات تخلق أفق التواصل بين الدَّال المباشر/ الموت واللامباشر/ الكبت.

5_ النتائج

_ تُعدّ كوامن الذّات العقليّة في هذا النّص هي العنصر الرّئيس في خلق سياق يتناسب وتعدّد القراءات بين السّطح والعمق.

_ استطاعت قصة الطّفل والقنبلة أن تلخص الصّراع الخاصّ الّذي تخوضه الذّات العقليّة مع الموت، وأن تلخّص أيضًا وجه من وجه التجربة الإنسانيّة في صراعها للموت.

_ إنّ الصّور الأدبية في هذا النّص جاءت كأنّها محاكاة لرحلة نفسيّة، ذهنيّة، مفتوحة على الأبعاد المختلفة، ومرهونة باحتمالات التأويل.

_ تمتاز صور هذا النّص بلامحدودية الدّال والمدلول؛ لأنّها تتماهي مع موجات نفسيّة، ودفقات شعورية تختار لقطتها المحايثة.

_ إنّ الكبت هو السّبب الرّئيس لهشاشه هذه الذّات العقليّة؛ كونها ذاتًا حسّاسةً يؤثّر فيها الماحول حدّ الامتزاج.

_ يُعدّ النصّ حلم الذّات العقليّة، والدّوات النّاصة تحلم في الظّهيرة، وهكذا تتخذ من رحلة الطّفل اليوميّة نحو المدرسة في مكان محفوف بالمخاطر ويعجّ برائحة الموت منطلق للتعبير عن حالتها النّفسيّة.

_ إنّ الصور الأدبية في هذا النّص صور رمزية اجتمعت فيها الحسّية مع الفكرة التجريدية؛ لتفرض علاقة حقيقة بين الشّيء والفكرة التي تدلّ عليه.

_ البوح في هذا النّص، هو ما منح الصّور الأدبية مجالًا دلاليًا بنيت فيه بناءً رمزيًا قادر على إحالة المحسوسات إلى صورٍ متخيّلةٍ.

_ استطاعت الذّات العقليّة أن تستكشف العلاقات الحيّة التي تربط بين الصّورة النفسيّة والصّورة الدّهنيّة.

_ إنّ محاولة تعمّق الذات العقليّة مع دواخلها والتنفيس عن مكوناتها المكبوتة، هو ما جعل الألفاظ تنحرف عن معناها الأصلي لتغدو مشعّة بالدلالات الكثيفة، ويقوى الإشعاع فيها كلما خبأت فيها عنصر المشابهة.

6_ التوصيات

تُعدُّ الذاتُ العقلية من الدَّواتِ المبدعة التي تُجيد السَّبَاحة في المتخيل، الذي يؤدي بدوره إلى إنتاج دلالات ذهنية، وإن كان هذا المتخيل يعتمد بالأساس أشياء العالم وكائناته الحسية؛ كونها تستخدم هذه الدَّوال الحسية بشتى أنواعها لا لتجسد صورة تعجَّ بالمحسوسات، بل لتحاكي دواخلها بصورٍ ذهنية ذات دلالة وقيمة نفسية، غير مفصولة عن الواقع الذي يساعدها في الكشف عن دفتانها النَّفسية وفقًا لمُدلولاتٍ جديدةٍ تفرضها الدَّلالات المستهدفة، الأمر الذي جعلها توظف دوالاً رمزية ذاتية، تتحرَّك حركة باطنية داخلها لتستثير كلَّ الطَّاقات الكامنة في أعماقها، فتشكِّل بها العوالم التي تريد تشييدها، وبذلك تكسبها_ أي الدَّوال_ رمزيتها من خلال ما تشبَّعه بها من إيحاءات وتأويلات بعيدة وقريبة.

وبذلك فهي ذات نتاجها له بُعد نفسي، الحدود فيها بين الواقعي والخيالي هي مجرد حدود واهية، والصور فيها لا تسعى لمطابقة الواقع بما يدل عليه؛ بل تسعى للكشف عن حالاتها النَّفسية الكامنة داخلها، من خلال تطويع اللُّغة وجعلها تتنازل عن معانيها العرفية، لتبني معاني جديدة تفرضها الحالة الشَّعورية التي تخضع لها، فتصبح مشحونة بها، وخاضعة لها وتابعة لأنساقها اللُّغوي، الأمر الذي اعطى لهذا النتاج حركة داخلية هي أشبه بمحرك يولد الطاقة الدلالية التي تشدُّ الناقد نحو هذا النص أو ذاك؛ وتستدرجه نحو العمق المقاصدي الذي تعمل على إيصاله بالتلميح لا التصريح.

8_ المصادر والمراجع

- (1) _ أحمد يوسف عقلية، مجموعة
- (2) _ إبراهيم الحجري، المتخيل الروائى العربى " الجسد/ الهوية/ الآخر"، مقارنة سردية انثروبولوجية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2013 م.
- (3) _ إدريس الناפורى، لعبة النسيان، دراسة تحليلية نقدية، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1995م.
- (4) _ رشيد بن حدو، قراءة فى القراءة، مجلة الفكر المعاصر، العدد: 48 / 49، 1988م.
- (5) _ زينب عرفات بور، ظاهرة تراسل الحواس فى شعر أبى القاسم الشابى وسعراب سبهري، مجلة إضاءات نقدية فى الأدبين العربى والفارسى، جامعة آزاد الإسلامية، إيران، العدد: 15، 2014 م .
- (6) _ سعيد بنكراد. سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائية، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 2012م.
- (7) سمر الخليل، علاقات الحضور والغياب فى شعرية النص الأدبيّ، دار تموز للطباعة و النشر، دمشق، ط1، 2008م.
- (8) _ سيغموند فرويد، التحليل النفسى للفن، ترجمة: سمر كروم، دار الطليعة، لبنان، ط2، د.ت.
- (9) _ شعيب حليفي، النص الموازي للرواية: استراتيجية العنوان، مجلة الكرمل، العدد: 46، 1996 م.
- (10) _ صادق حسن البوغبيش، النقد النفسى لقصص الاستاذ سعيد مقدم، مجلة الاهواز الالكترونية، العدد: 11، 2014 م.
- (11) _ عبد السلام المساوي، الموت المتخيل عند أدونيس، الشركة الجزائرية السورية، دمشق، ط1 ، 2013 م.
- (12) _ عز الدين إسماعيل، التفسير النفسى للأدب، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، (د، ط) ، (د.ت).
- (13) غاستون باشلار، الصورة الأدبية، ترجمة: سعيد بوخليط. مجلة فكر الثقافية، المغرب، 2018 م.
- (14) _ كمال خير بك، حركة الحدائة فى الشعر العربى المعاصر، المشرق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1982م.
- (15) _ محمود درويش، سمح القاسم، الرسائل، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، د.ط، 1990 م.

رؤية مستقبلية لتطوير الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد

بحث في الخدمة الاجتماعية

أسماء محمد حمودة أبو منيجل

ملخص الدراسة :

هدفت الدراسة إلي الكشف عن الرؤية المستقبلية لتطوير الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد، في مراكز التأهيل بليبيا، من وجهة نظر الاخصائيين الاجتماعيين، ولتحقيق اهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي، وبلغت عينة الدراسة (69) من الاخصائيين الاجتماعيين العاملين بالمراكز التأهيل في ليبيا، قد اشارت نتائج الدراسة الي ان مستوى تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد بمستوي متوسط. وقد قام الباحث بتصميم رؤية مستقبلية لتطوير الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد.

A future vision for the development of social services in the field of autism disorder

ASMA hamouda abo Emnejjel
Department, Faculty, University, Country

Study summary:

The study aimed to reveal the future vision for the development of social services in the field of autism disorder, in rehabilitation centers in Libya, from the point of view of social workers, and to achieve the objectives of the study, the researcher used the descriptive approach. At the level of providing social services in the field of autism disorder at an average level. The researcher has designed a future vision for the development of social services in the field of autism disorder.

المقدمة :

ظهرت الخدمة الاجتماعية مع ظهور الحاجة اليها في المجتمع الانساني، وكان لظهورها كمهنة في اوائل القرن الحالي فرضتها الحاجة الي جهود متخصصة في تقديم خدمات فعالة إلي المحتاجين اليها، وباتجاه العلم الحديث إلي التخصص، وتحديد دائرة بحث كل علم في أضيق الحدود الممكنة؛ ليحقق أقصى فاعلية ممكنة، ومع نمو المجتمع الانساني وتعقيده ومن ثم تعدد مشكلات أفراده كان من الطبيعي أن تظهر الخدمة الاجتماعية النوعية المتخصصة لتقدم بدورها أفضل خدمات ممكنة للإنسان، ومن ثم توالي ظهور الخدمة الاجتماعية النوعية حسب الحاج إلي كل منها (المليجي، 2006، ص 45). ولقد نشأ مجال متخصص في الخدمة

الاجتماعية لذوي الاعاقة كفئات خاصة في عام 1955م، حين اعتمدت الهيئة القومية للاخصائين الاجتماعيين لجنة خاصة للمعاقين (الاشقر ونيازي، 2009، ص 13). وللخدمة الاجتماعية دور مهم مع الاعاقة بشكل عام، ومع اضطراب التوحد بشكل خاص، فقد اظهرت الدراسات أن الاشخاص المصابين بالتوحد يستجيبون جيداً للبرامج المتخصصة عالية التنظيم، التي تصمم لتلبية الاحتياجات الفردية، وقد يتضمن أسلوب التدخل الذي يتم تصميمه بعناية أجزاء تعني بعلاج المشاكل التواصلية وتنمية المهارات الاجتماعية، وعلاج الضعف الحسي، وتعديل السلوك (خليفة وسعد، 2007، ص 49). وتهدف الخدمة الاجتماعية إلي تأهيلهم، واستغلال كافة ما لديهم من قدرات وامكانيات، وتأهيلهم للعمل الذي يناسب قدراتهم حتي تتوفر لهم فرص الكسب والاستقرار، وبالتالي تزداد القوة الانتاجية في المجتمع (الاشقر ونيازي، 2009، ص 20).

يعتبر ميدان التربية الخاصة وما يقدمه من خدمات تعليمية وعلاجية ووقائية من الموضوعات الأساسية التي أخذت حيزاً من اهتمام الباحثين والتربويين وذلك لاسباب عديدة منها زيادة الاهتمام بالافراد المعاقين نتيجة الوعي وتطور اتجاهات وتغيير نظرة المجتمعات نحو الافراد ذوي الاعاقة؛ مما أحدث تغييراً واضحاً ولموسماً علي مر العصور تمثل في الانتقال من الرفض وعدم القبول إلي العزل ومن ثم القبول والاعتراف بالحقوق الاجتماعية والتربوية والصحية والتأهيلية والطبية وصولاً إلي مبدأ الدمج الكلي في النظام التربوي العام (Heward, 2013, p.11). وبالرغم من التغيرات العديدة التي طرأت علي تنظيم الخدمات المقدمة لأسر الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة إلا أن اتجاهات أولياء الامور نحو تلك الخدمات ما زالت غير مستقرة وتتراوح بين السلبية وعدم الرضا ولم تبدل كثيراً بالرغم من العديد من المحاولات والبرامج المقدمة.

مشكلة الدراسة:

ان الخدمة الاجتماعية ليست مجرد (معونة) مؤسسية أو غير مؤسسية، بل هي جهد انساني، تنموي. هذا يظهر في تاريخ الخدمة الاجتماعية بانها كانت نتائج الازمات التي امت بالمجتمع الاوربي والامريكي، من فقر وجريمة، كما كانت الخدمة الاجتماعية احدي افرازات الثورة الصناعية وان كان لها جذور تقليدية دينية وعرفية واخلاقية في معظم الدول الغربية وكانت الخدمات الاجتماعية من مهالك الدول الحديثة التي نشأت بعد الاستقلال من الاستعمار الاوربي. وقد نشأت طبقاً لمفاهيمها مؤسسات لرعاية فئات معينة كالمعوقين والايتام والمسنين، الي جانب ما كانت تقدمه المؤسسة الدينية من مساعدات عينية علي وجه الخصوص، ويمكن القول ان تلك المؤسسات كانت عبارة عن جهود فاقدة للفاعلية، فهي علاجية ضيقة في حدودها البشرية والجغرافية وتناجها الوظيفية. فالمجتمع الليبي كغيره من المجتمعات التي يشهد حالة تغير سريع مما انتج ظواهر اجتماعية مثل انتشار البطالة بين الشباب، وكذلك الایتام والارامل والاسر النازحة بسبب الحرب والنزاعات القبلية خصوصا بعد الاحداث التي مر بها المجتمع الليبي، كما تزايد اعداد المهمشين والمعوقين بسبب الظروف الاقتصادية التي تمر بها البلد نتيجة الاوضاع السياسية.

وفي اطار ما سبق يمكن تحديد مشكلة البحث في التساؤل التالي: "ما هي الرؤية المستقبلية لتطوير الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد؟"

تساؤلات البحث:

- 1- ما الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد؟
- 2- ما المعوقات التي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد؟
- 3- ما الرؤية المستقبلية التي يمكن أن تسهم في تطوير الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد؟

اهمية البحث:

- تكمن أهمية البحث في الاهتمام بالبرامج المقدمة لرعاية الاطفال ذوي اضطراب طيف التوحد في كل قطاعات المجتمع الحكومي وغير الحكومي.
- اهتمام مهنة الخدمة الاجتماعية بتفعيل دور المؤسسات والجمعيات العاملة في مجال التوحد وتوفير الامكانيات اللازمة لتحقيق الاهداف.
- الحث علي الاهتمام بالاختصاصي الاجتماعي وبقوله مهاريا ومعرفيا لكي يستطيع العمل في مجال اضطراب التوحد.

أهداف البحث:

- 1-تحديد الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد.
- 2- تحديد المعوقات التي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد.
- 3-التوصل لرؤية مستقبلية لتطوير الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد.

مصطلحات الدراسة:

- 1- مفهوم الخدمة الاجتماعية : الخدمة الاجتماعية مهنة انسانية تعمل علي تهيئة اسباب التغيير تحقيقا للرفاهية بأسلوب منهجي يحفظ طاقات الافراد والجماعات والمجتمعات المحلية بتدعيم قدراتها وامكانياتها وعلاج مشاكلها علي اساس من المساعدة الذاتية وفي الاطار الايدلوجي للمجتمع.
- 2- التوحد: يمثل اضطراب طيف التوحد والتوحد علي حد سواء مجموعة من اضطرابات النمو المعقدة وتتميز هذه الاضطرابات، بدرجات متفاوتة، بصعوبات في التفاعل الاجتماعي وصعوبات في التواصل اللفظي وغير اللفظي وسلوكيات نمطية متكررة.
- 3- الخدمات المقدمة: الخدمات التربوية والتعليمية والتأهيلية التي تقدمها مراكز التوحد والاقسام الخاصة بالتوحد في مراكز التربية الخاصة بدولة ليبيا وتشمل (خدمات تعليمية وتربوية وتأهيلية وارشادية ونفسية وتشخيصية وخدمات تدخل مبكر ونطق ولغة وعلاج وظيفي وعلاج حركي وخدمات لا منهجية).
- 5- مراكز التوحد: هو عبارة عن المركز الذي يعمل علي تقديم افضل البرامج التربوية والخدمات التعليمية لدعم وتنمية القدرات الذاتية للمصابين بالتوحد لتمكينهم من خدمة انفسهم وتحقيق استقلاليتهم ودمجهم في المجتمع. كما يحرص علي تقديم الدعم والارشاد الاسري لاولياء امور واهالي المصابين بالتوحد واعداد الكوادر التعليمية والتربوية المتخصصة في مجال التوحد.
- 6- الاختصاصي الاجتماعي: هو الشخص المؤهل للعمل في أي مجال من المجالات الاجتماعية والتعليمية، على اختلاف أهدافها التنموية والوقائية والعلاجية، ضمن المفاهيم التي تتضمنها الخدمة الاجتماعية على اختلافاتها الفلسفية، مع ثباته على المبادئ والمعايير الأخلاقية التي تقوم عليها، بالإضافة لالتزامه بنطاق العمل التي ترسمها له المؤسسة أو الجمعية التابع لها في مجال عمله، دون خرق أي من نصوص العمل المتفق عليها، أو التعدي أو التدخل في المجالات الأخرى المكملة لعمل المؤسسة.
- 7- ذوي الاحتياجات الخاصة: أن ذوي الاحتياجات الخاصة هم مجموعة من الأشخاص الذين يحتاجون إلى معاملة خاصة نتيجة لإصابتهم بنوع من الإعاقة حرمتهم من التأقلم، و ممارسة شؤون حياتهم مثل الأصحاء، و لذلك فهم بحاجة إلى معاملة خاصة حتى يتمكنوا من استيعاب الأمور التي تدور حولهم.

8-تعريف الخدمات الصحية: الخدمات الصحيو التي يتم ادارتها وتقديمها بحيث تضمن ادارة وتقديم الخدمات الصحية

حصول الناس علي تواصلية تعزيز الصحة والرقاية من الامراض والتشخيص وعلاج الامراض واعادة التأهيل،

الدراسات السابقة:

تناول الباحث متغيرات الدراسة علي النحو التالي:

أولاً: الدراسات العربية:

دراسة أجراها (منذر، 2007) التي هدفت إلي معرفة مدي رضا أولياء الامور عن الخدمات المقدمة لاطفالهم التوحدين في سوريا، واجريت علي عينة شملت 104 ولي أمر، كشفت النتائج أن اولياء الامور راضون عن الخدمات المقدمة لاطفالهم، ولم يكن هناك دلالات احصائية لمتغيرات النوع الاجتماعي لولي الامر ومدة التحاق الطفل في المركز والدخل الشهري للأسرة والمستوي التعليمي لولي الامر علي مدي رضا أولياء الامور عن الخدمات المقدمة لاطفالهم التوحدين، في حين كشفت نتائج الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوي الدلالة في مستوي رضا اولياء الامور يعزي لمتغير الفئة العمرية التي ينتمي اليها الطفل، فقد عبر أولياء الامور الذين تزيد اعمار ابنائهم عن 10 سنوات عن مستويات اعلي من الرضا مقارنة مع اولياء امور الاطفال الاصغر سنا، كما بينت الدراسة أن أولياء الامور لا تتوافر لديهم معلومات عن خصائص التوحد والخدمات المتوفرة لاطفالهم.

دراسة (القحطاني، 2017) التي هدفت الي التعرف علي واقع الممارسة المهنية للاخصائيين الاجتماعيين في مراكز التوحد، وتعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية، استخدمت فيها الباحثة منهج المسح الاجتماعي الشامل علي عينة قوامها (31) مفردة من الاخصائيين الاجتماعيين العاملين في مراكز التوحد في مدينة الرياض، ومنهج المسح الاجتماعي عن طريق العينة العمدية علي عينة قوامها (90) مفردة من امهات اطفال التوحد، من ادوات الدراسة: الاستبانة. وقد اشارت نتائج الدراسة إلي ما يلي:

- ان جميع الممارسين المهنيين للخدمة الاجتماعية في مراكز التوحد في مدينة الرياض يحملون مؤهل البكالوريوس، او الماجستير في تخصص الخدمة الاجتماعية.
- ان ما يقارب 98% من الاخصائيين الاجتماعيين في مراكز التوحد في مدينة الرياض ملتزمون بمبادئ وقيم المهنة، وخاصة مبدأ السرية، والعمل مع الحالة دون اعتبار للطبقة الاجتماعية، او الجنسية.
- أن اهم المهارات التي يمتلكها الاخصائي الاجتماعي في مراكز التوحد في مدينة الرياض، هي : تكوين العلاقات المهنية مع العاملين في مركز التوحد، وملاحظة سلوك الطفل التوحدي
- ان دور الاخصائي الاجتماعي مع الطفل التوحدي هو بناء علاقة ايجابية مهنية مع الطفل التوحدي، ودراسة الحاجات والمتطلبات المرتبطة بموقف الطفل التوحدي.
- ان دور الاخصائي الاجتماعي مع اسرة الطفل التوحدي هو مساعدة اسر اطفال التوحد علي التخلص من الاتجاهات السلبية نحو اطفال التوحد.

دراسة (البسطامي، 2017) التي هدفت الي التعرف علي أثر بعض العوامل الاجتماعية - الاسرية كصلة القرابة بين الابوين، العلاقة بالطفل، جنس الطفل، المستوي الاقتصادي للأسرة والمستوي التعليمي لكل من الاب والام ودرجة الاعاقة علي مستوي رضا اولياء امور الاطفال المصابين بالتوحد في دولة الامارات العربية المتحدة. ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحثون مقياس مستوي رضا أولياء الامور عن الخدمات المقدمة لاطفالهم ، تكونت عينة الدراسة من (300) اسرة لاطفال من ذوي التوحد يتلقون خدمات في المراكز الحكومية والخاصة بدولة الامارات العربية المتحدة .

أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين مستوي رضا اولياء الامور عن الخدمات المقدمة لاطفالهم يعزي لطبيعة العلاقة مع الطفل، كما أنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية تعزي لصلة القرابة بين الابوين، كما لا توجد فروق ذات دلالة احصائية تعزي لنوع الطفل، كما أظهرت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة في مستوي الرضا يعزي للمستوي الاقتصادي للأسرة، ولا يوجد ايضا فروق ذات دلالة تعزي للمستوي التعليمي لكل من الاب والام، في حين بينت النتائج وجود فروق ذات دلالة احصائية تعزي لدرجة الاعاقة.

دراسة (البشير، 2021) التي هدفت إلى كشف عن فعالية خدمات الرعاية الاجتماعية المقدمة لذوي الإعاقة بمراكز الرعاية النهارية بمدينة بريدة، وهدفت الدراسة إلى قياس فعالية خدمات الرعاية الاجتماعية المقدمة لذوي الإعاقة بتلك المراكز، والتعرف على الصعوبات التي تحد من فعالية تلك الخدمات والتوصل لمقترحات لزيادة فعاليتها، واعتمد في الدراسة على المنهج الوصفي، واستخدمت الاستبانة لجمع البيانات، و تكون مجتمع الدراسة من ذوي الإعاقة المسجلين بمراكز الرعاية النهارية (عبور-قدراتي-رعاية-السادة) والبالغ عددهم (520) حالة، باستخدام طريقة العينة غير العشوائية (القصدية)، وهي تمثل ما نسبته (42.5%) وخرجت الدراسة بعدة نتائج أهمها: أن أفراد الدراسة موافقون بدرجة محايد على مستوى فعالية خدمات الرعاية الاجتماعية المقدمة لذوي الإعاقة بالمراكز في بُعد القدرة بمتوسط حسابي (2.29)، والسرعة بمتوسط حسابي (1.95)، والاستمرارية بمتوسط حسابي (1.96)، والنفقات بمتوسط حسابي (1.95)، أما بُعد الوقت فقد جاء بدرجة موافق على مستوى فعالية خدمات الرعاية الاجتماعية المقدمة لذوي الإعاقة بمراكز الرعاية النهارية بمتوسط حسابي (2.35)، والعلاقات الإنسانية بمتوسط حسابي (2.48)، أما الصعوبات التي تحد من فعالية تلك الخدمات بالمراكز فقد جاءت بدرجة تشير إلى محايد بمتوسط حسابي (1.84). و من أهم توصيات الدراسة: وضع الآليات وتحديد الإجراءات والخطط التي تسهم في تطوير مستوى فعالية خدمات الرعاية الاجتماعية المقدمة لذوي الإعاقة بتلك المراكز.

ثانيا: الدراسات الأجنبية:

دراسة (Bitterman, Daiey, Misra, Carlson, Markowitz, 2008) التي هدفت إلى التعرف على خدمات التربية الخاصة المقدمة للاطفال المعاقين في مرحلة ما قبل المدرسة ورضا الوالدين، شملت عينة الدراسة 3104 طفلا منهم 186 طفلا مصابون بالتوحد تراوحت اعمارهم بين 3-5 سنوات خلال الاعوام 2004-2009، اظهرت نتائجها أن النسب الأكبر من أولياء الامور كانوا راضين عن الخدمات بنسبة تراوحت ما بين 91% - 96%، وكانت نسبة مستوي رضا أولياء امور الاطفال المصابين بالتوحد أقل من غيرهم من الاعاقات الاخرى..

الاطار النظري:

المحور الاول: الخدمة الاجتماعية:

● مفهوم الخدمات الاجتماعية:

تعرف الخدمة الاجتماعية بأنها مهنة وقائية وبنائية وعلاجية، وهي تعد مهنة حديثة نسبيا، ولو أن اوصولها الاولي ترجع إلى الرعاية الاجتماعية، بهدف مساعدة المعوزين من الضعفاء والمحتاجين، والاخذ بأيديهم إلى اشباع حاجاتهم الاساسية؛ من خلال توظيف امكانياتهم وقدراتهم بشكل مثمر، وقد تطورت الخدمة الاجتماعية بتطور المفاهيم والنظريات العلمية، وزيادة المعرفة بالسلوك الانساني وحاجاته النفسية والاجتماعية(احمد، 2008، ص 77).

● أهداف الخدمة الاجتماعية:

- يذكر (بركات، 2011، ص 4-5) أنه يمكن تصنيف مداخل الممارسة المهنية في الخدمة الاجتماعية إلى ثلاثة أنماط هي:
 - المساعدة العلاجية: وهي تركز على مساعدة العميل على تحقيق فهم أفضل لنفسه، وكذلك فهم أفضل لعلاقاته بالآخرين، وبصفة خاصة علاقاته بالأقارب والأصدقاء، ومن ثم اختيار الطرق الفعالة للتعامل مع تلك المواقف، وتركز المداخل العلاجية على الأفراد وادائهم النفسي والاجتماعي الذي يشكل الاساس في عملية التدخل، ويصبح دور الاخصائي بمثابة المساعد الذي يستمع بعناية لما يقول العميل، وبالتالي يسهل له الفرص التي تمكنه لتحقيق فهم افضل للناس، وتحقيق فهم أفضل لظروفه الحياتية، ويتم ذلك في اطار استخدام استراتيجيات فعالة لتحقيق النمو والتعلم الجيد.
 - المداخل الدفاعية: حيث يتحدد دور الاخصائي الاجتماعي المؤثر في تلك المداخل من خلال العمل على تمكين الناس من الكفاح، أو التعامل الفعال مع ظروفهم المعيشية، وفي ظل أطار تطبيق المداخل الدفاعية تنحصر إلى حد كبير أدوار المساعدة العلاجية، حيث يتم التركيز على أدوار التغيير، والتي تقوم على توفير المعلومات الخاصة بالموارد والامكانيات، وتطبيق تلك المداخل يحتاج إلى أن يكون الاخصائي أكثر ارتباطا بالقضايا التي يتشكل منها نسيج المجتمع، وتشكل في بعض الاحيان تحديا كبيرا لافراد.
 - المداخل التحريرية: هي التي تركز على تحقيق العدالة الاجتماعية، وتجعل من تحسين وتطوير نظم الرعاية المختلفة بالمجتمع هدفا لها، وترتكز المداخل التحريرية في الممارسة على أهمية توفير المعارف والمهارات التي تمكن البشر من تحقيق القدرة على ضبط وادارة شؤون حياتهم بشكل أفضل.

● اساليب التدخل المهني:

- يذكر (علي، 2014، ص 25) أن أهم الاساليب والاستراتيجيات التي تستخدم في التدخل المهني مع العملاء (فرد - جماعة - منظمة - مجتمع) ما يلي:
 - 1- علي مستوى الفرد: العلاقة المهنية التأثيرية والتصحيحية، التعاطف، المواجهة، النصيحة، المبادرة، التدعيم السلبي والايجابي، اعادة البناء المعرفي.
 - 2- علي مستوى الاسرة: بناء الاتصالات الاسرية، وتغيير البناء (تغيير القيم وتوضيح الحدود الاسرية)، اعادة التوازن الاسري.
 - 3- علي مستوى الجماعة: المناقشة الجماعية، لعب الدور، المشاركة في الانشطة الجماعية، الرحلات، معسكرات اليوم الواحد.
 - 4- علي مستوى المنظمة: الاشراف، تخطيط البرامج، ادارة الميزانية، تقسيم العمل، زيادة الكفاءة، التأثير على متخذي القرار.
 - 5- علي مستوى المجتمع المحلي: الاقناع، التفاوض، الضغط، المشاركة.
 - 6- علي مستوى المجتمع القومي: تعديل السياسات، المواجهة، المطالبة.

المحور الثاني: اضطراب طيف التوحد:

● تعريف التوحد:

تعرف الجمعية الامريكية التوحد بأنه نوع من الاضطرابات التطورية التي لها دلالتها ومؤشراتها في السنوات الثلاثة الاولى نتيجة خلل ما في كيميائية الدم او اصابة الدماغ تؤثر على مختلف نواحي النمو" (القمش، 2012، 237).

يعرف عبد الله الطفل التوحدي بأنه اضطراب عصبي تطوري ينتج عن خلل في وظائف الدماغ ويظهر كاعاقة تطويرية او نمائية عند الطفل خلال السنوات الثلاث الاولى من العمر لتكون علاماته الرئيسية هي: تأخر في تطور المهارات اللفظية والغير لفظية، اضطراب

المسلوك، اضطراب التفاعل والتواصل الاجتماعي. لا يرتبط بعوامل وراثية. (يصيب الذكور أكثر من الإناث أربعة أضعاف الإناث تقريباً) (عبد الله، 2001، 15).

الخدمة التي يحتاجها ذوي اضطراب طيف التوحد:

ومن الخدمات التي يحتاجها ذوو اضطراب طيف التوحد، منها ما ذكرها (العلي، 2014):

- خدمات الكشف والتدخل المبكر، ويكون خلال المراحل العمرية الأولى، ويساعدهم علي تقديم الخدمة لهم منذ اللحظات الأولى لاكتشاف المرض.
- خدمات تربوية تعليمية، من خلال:
- تصميم خطة تربوية مناسبة لكل فرد وقدراته.
- تصميم برنامج تعديل السلوك، يقوي السلوك السوي ويعززه، ويقلل من السلوكيات السلبية ويطفئها.
- خدمات التأهيل المهني: يكون فيها تأهيلهم علي مهنة، حتي يتسني له التدرج عليها لاحقاً.
- خدمات التدريب المهني: وفيها يتدربون علي مهنة، حتي يصبحوا افراد مستقلين بذواتهم، دون الاعتماد علي غيرهم.
- خدمات التشغيل المهني: وفيها يكون الاتفاق مع جهات عمل، لتشغيلهم باعمال تناسبهم، وتلبي رغباتهم.
- خدمات التوعية لذوي اضطراب طيف التوحد، من خلال اقامة المحاضرات وورش عمل لتدريب الاسر.
- خدمات الارشاد النفسي: حتي يتسني له ولاسرتة التكيف مع الظروف المحيطة.

الطريقة والاجراءات:

نوع الدراسة: البحث الحالي ينتمي إلي الدراسات الوصفية، التي تسعى إلي وصف وتفسير الظواهر والأحداث، وتوضح العلاقة بينها، من أجل كشف الحقائق المرتبطة بها، مع تسجيل دلالاتها وخصائصها، بهدف وصف هذه الظاهرة وصفا دقيقا شاملا من جوانبها كافة، ولفت النظر إلي أبعادها المختلفة.

المنهج المستخدم: يعتمد البحث علي اتباع خطوات المنهج العلمي باستخدام منهج الوصفي و منهج المسح الاجتماعي الشامل لأعضاء فريق العمل مع الأطفال التوحدين باعتباره يمثل أحد المناهج الرئيسية التي تستخدم في البحوث الوصفية.

عينة الدراسة: وقد تم اختيار هذه المؤسسات وذلك للأسباب التالية (القبول من رؤساء مجالس الادارات للتعاون مع الباحث، توافر عينة الدراسة من أعضاء فريق العمل، تميز بعض هذه المؤسسات في تقديم خدمات أفضل للأطفال التوحدين واسرهم).

ادوات جمع البيانات:

الاستبانة: بناء علي طبيعة البيانات، وعلي المنهج في الدراسة، وجد الباحث أن الأداة الأكثر ملاءمة لتحقيق أهداف هذه الدراسة هي "الاستبانة"، وقد تم بناء أداة الدراسة بالرجوع إلي تساؤلات الدراسة، وإلي الأدبيات والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة. تكونت الاستبانة في صورتها النهائية من قسمين:

القسم الأول: وهو يتناول البيانات الأولية الخاصة بأفراد عينة الدراسة المتمثلة في: العمر، المؤهل العلمي، التخصص العلمي،

عدد سنوات الخبرة في مجال التوحد، الحصول علي دورات في مجال التوحد، عدد الدورات التدريبية.

القسم الثاني:

وهو يتكون من (53) عبارة مقسمة علي ثمانية محاور .

صدق أداة الدراسة:

يعني التأكد من أنها تقيس ما وضعت لقياسه، إضافة إلي شموليتها لكل العناصر التي تساعد علي تحليل نتائجها، ووضوح عباراتها، وارتباطها بكل من سبع مجالات، بحيث تكون مفهومة لكل من يستخدمها، وقد قام الباحث بالتأكد من صدق أداة الدراسة، من خلال:

أ-الصدق الظاهري لأداة الدراسة (صدق المحكمين):

للتعرف علي مدى الصدق الظاهري للاستبانة، وللتأكد من أنها تقيس ما وضعت لقياسه؛ عرضت بصورتها الأولية علي عدد من المحكمين في مجال الخدمة الاجتماعية، حيث بلغ عدد المحكمين (4) محكمين، وطلب الباحث من المحكمين تقييم جودة الاستبانة، من حيث قدرتها علي قياس ما أعدت لقياسه، والحكم علي مدى ملاءمتها لاهداف الدراسة، وذلك من خلال تحديد مدى وضوح كل عبارة. ومدى ارتباط كل عبارة بمحورها، وأهميتها، وسلامتها لغويا، إضافة إلي ابداء رأيهم في حال وجود أي تعديل، أو حذف، أو إضافة عبارات للاستبانة، وبعد استرداد المقاييس، قامت الباحث باعتماد الفقرات التي أجمع (80%) فأكثر من المحكمين علي ملاءمتها، أو التعديل عليها، ومن ثم اجراء التعديلات اللازمة التي اتفق عليها غالبية المحكمين، واخراج الاستبانة بالصورة النهائية حيث تم حذف فقرتين واستخراج الاستبانة بالصورة النهائية والتي تكونت من (53)

ب- الاتساق الداخلي للأداة:

للتحقق من الاتساق الداخلي للأداة: اختيرت عينة استطلاعية (20) من أسر الافراد ذوي اضطراب طيف التوحد، في مراكز التأهيل، وجميعهم من خارج عينة الدراسة الأساسية، ووفقا للبيانات حسب معامل ارتباط بيرسون؛ وذلك بهدف التعرف علي درجة ارتباط كل عبارة من عبارات الاستبانة بالدرجة الكلية للاستبانة.

جدول رقم (2) معاملات ارتباط بيرسون لعبارات الاستبانة مع الدرجة الكلية للاستبانة

البعد الاول	البعد الثاني	البعد الثالث	البعد الرابع	البعد الخامس	البعد السادس	البعد السابع	البعد الثامن
معامل الارتباط	معامل الارتباط	معامل الارتباط	معامل الارتباط	معامل الارتباط	معامل الارتباط	معامل الارتباط	معامل الارتباط
0.762	0.712	0.862	0.77	0.698	0.567	0.764	0.865
1	1	1	1	1	1	1	1
0.711	0.600	0.725	0.782	0.833	0.811	0.764	0.675
2	2	2	2	2	2	2	2
0.562	0.542	0.782	0.770	0.648	0.983	0.543	0.865
3	3	3	3	3	3	3	3
0.644	0.692	0.712	0.782	0.732	0.764	0.764	0.811
4	4	4	4	4	4	4	4
0.712	0.524	0.794	0.711	0.698	0.765	0.722	0.987
5	5	5	5	5	5	5	5
0.698	0.499	0.711	0.867	0.754	0.754	0.732	0.769
6	6	6	6	6	6	6	6
0.852	0.623	0.692	0.792				
7	7	7	7				
0.769	0.732	0.644	0.844				
8	8	8	8				
0.821	0.609	0.598	0.711				
9	9	9	9				
0.599	0.643	0.760	0.698				
10	10	10	10				

يتضح من الجدول رقم (2) أن معاملات الارتباط لفقرات المقياس مع الدرجة الكلية جاءت عالية بما يوفر للمقياس دلالات

صدق بنائي داخلي مقبولا لاستخدامه في الدراسة.

ثبات الاداة: تأكد الباحث من ثبات أداة الدراسة، من خلال استخدام معامل الثبات الفا كرونباخ (معامل الفا مرونيباخ)، ومن خلال طريقة التجزئة النصفية، ويوضح الجدول رقم (3) قيم معاملات الثبات لكل محور من محاور الاستبانة وللدرجة الكلية للاستبانة.

جدول رقم (3) معامل الفا كرونباخ والتجزئة النصفية لقياس ثبات اداة الدراسة

م	المجال	التجزئة النصفية	الفا كرونباخ
1	الخدمات التعليمية في مجال اضطراب التوحد	0.873	0.874
2	الخدمات الارشادية في مجال اضطراب التوحد	0.832	0.834
3	الخدمات النفسية في مجال اضطراب التوحد	0.798	0.871
4	الخدمات الترفيهية في مجال اضطراب التوحد	0.870	0.812
5	معوقات مرتبطة بالطفل نفسه	0.800	0.893
6	معوقات مرتبطة بالاسرة	0.893	0.821
7	معوقات مرتبطة بعضو فريق العمل	0.811	0.879
8	معوقات مرتبطة بالمؤسسة	0.863	0.874
9	الثبات العام	0.933	0.957

يتضح من الجدول رقم (3) أن معامل ثبات الفا كرونباخ العام عال، حيث بلغ (0.957)، كما بلغ معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية (0.933)، وهذا يدل علي ان الاستبانة تتمتع بدرجة ثبات مرتفعة، ويمكن الاعتماد عليها في التطبيق الميداني للدراسة، كما أن معامل الثبات عال لكل بعد من ابعاد الاستبانة.

المجال البشري: يتحدد المجال البشري للبحث في مسح الشامل لأعضاء فريق العمل في مجال اضطراب التوحد داخل مؤسسات التطبيق وعددهم (60) اخصائي، وذلك كالتالي:

جدول رقم (1)

يوضح وصف المبحوثين من مجتمع البحث ن=60

النسبة%	ك	مجتمع البحث	البعد
%25	15	من 22 إلي أقل من 24 سنة	السن
%28.3	17	من 24 إلي أقل من 26 سنة	
%23.3	14	من 26 إلي أقل من 28 سنة	
%23.3	14	من 28 سنة فأكثر	
%61.6	37	ذكر	النوع
%38.3	23	انثي	
%11.6	7	معلم فصل	الوظيفة
%15	9	اخصائي اجتماعي	
%16.6	10	اخصائي نفسي	
%13.3	8	اخصائي برامج تربوية	
%15	9	طبيب اطفال	
%13.3	8	اخصائي علاج طبيعي	

3	5%	إحصائي تخاطب	
3	5%	معلم غرفة مصادر	
3	5%	معلم التربية البدنية	
11	18.3%	مؤهل متوسط	المستوي التعليمي
6	10%	مؤهل عالي	
9	15%	دبلوم الدراسات العليا	
18	30%	ماجستير	
16	26.6%	دكتوراه	
12	20%	أقل من 3 سنوات	عدد سنوات الخبرة
18	30%	3 سنوات لاقبل من 6 سنوات	
25	41.6%	6 سنوات لاقبل من 9 سنوات	
5	8.3%	9 سنوات فأكثر	
27	45%	نعم	هل حصلت علي دورات في مجال اضطراب التوحد
33	55%	لا	
4	6.6%	الدبلومة المهنية للتخاطب	الدورات التدريبية
8	13.3%	التواصل البديل (المجسمات والصور)	
5	8.3%	أساليب تعليم الطفل التوحدي	
6	10%	دور تعديل السلوك	
7	11.6%	دور التوحد كيف نعرفه	
8	13.3%	دور التأهيل الرياضي لذوي الاحتياجات الخاصة	
2	3.3%	دورة الارشاد الاسري	
1	1.6%	مدخل في الاعاقة الذهنية	
3	5%	دورة الطفل العدواني	
6	10%	دورة مدرس دعم التوحد	
6	10%	كيف يفكر الطفل التوحدي	
2	3.3%	كيف التعامل مع المشكلات السلوكية	
2	3.3%	التوحد أسبابه وتشخيصه	
40	66.6%	نعم	هل استفدت من هذه الدورات
20	33.3%	لا	

المعالجات الاحصائية: عولجت البيانات باستخدام برنامج الرزم الاحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS ، باستخدام

الحاسوب، بهدف الاجابة عن أسئلة الدراسة، وذلك بالطرق الاحصائية التالية:

- التكرارات، والنسب المئوية، وذلك بهدف التعرف علي خصائص افراد عينة الدراسة.
- المتوسط الحسابي الموزون، وذلك للتعرف علي متوسط استجابات افراد عينة الدراسة، علي كل عبارة من عبارات المحاور، وترتيب العبارات حسب اعلي متوسط حسابي موزون.

- المتوسط الحسابي: وذلك لمعرفة مدى ارتفاع او انخفاض استجابات افراد عينة الدراسة عن المحور الرئيسة.
- الانحراف المعياري: للتعرف علي مدى انحراف استجابات افراد عينة الدراسة لكل عبارة من عبارات متغيرات الدراسة، ولكل محور من المحاور الرئيسية للمتوسط الحسابي.

النتائج الخاصة بتساؤلات الدراسة:

السؤال الاول: ما هي أهم الخدمات التعليمية المقدمة في مجال اضطراب التوحد ؟

وللاجابة عن التساؤل السابق قام الباحث بحساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات افراد عينة الدراسة حول أهم الخدمات التعليمية المقدمة في مجال اضطراب التوحد، كما تم ترتيب هذه الفقرات حسب المتوسط الحسابي لكل منها، وذلك كما يلي:

جدول (4) التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات أفراد عينة الدراسة حول أهم الخدمات التعليمية المقدمة

في مجال اضطراب التوحد

م	الفقرات	درجة الموافقة				المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
		موافق ك	%	إلي حد ما ك	%			
1	تطلب من المسؤولين بالمركز بتوفير الموارد اللازمة لتعليم الطفل التوحد.	30	50%	19	31.6%	11	18.4%	2
2	تسعي في تنمية الحصيلة اللغوية لدي الطفل التوحد.	17	28.4%	13	21.6%	30	50%	10
3	تحرص بعملية دمج الطفل مع زملائه بالفصل.	14	23.4%	21	35%	25	41.6%	9
4	تحرص علي تعليم الطفل التوحد مهارات تصنيف الاشياء.	15	25%	22	36.6%	23	38.4%	8
5	تستفيد من تكنولوجيا التعليم في تنفيذ برامج التعليم الخاص للطفل التوحد.	27	45%	14	23.4%	19	31.6%	4
6	تقوم بتصميم خطة علاجية مناسبة للطفل التوحد من خلال فريق عمل متخصص.	43	71.6%	5	8.4%	12	20%	1
7	تستحدث أساليب جديدة في تأهيل الطفل التوحد.	27	45%	13	21.6%	20	33.4%	5
8	تحرص علي ضبط الفصول الدراسية الشاملة بما يحقق استفادة وتفاعل للطفل التوحد.	19	31.6%	31	51.6%	10	16.8%	3
9	تشارك في وضع وتنفيذ الخطة التربوية الفردية للطفل.	21	35%	15	25%	24	40%	7
10	تقوم بتعليم الطفل التوحد صفات الأشياء والعلاقات فيما بينها (كبير- صغير - تخين - رفيع).	18	30%	27	45%	15	25%	6
		المتوسط الحسابي العام		124.20		13.79		

يتضح من الجدول السابق أن محور أهم الخدمات التعليمية المقدمة في مجال اضطراب التوحد يتضمن (10) فقرات تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (1.78 – 2.516)، وهذه المتوسطات تقع بين الفئتين الثانية والثالثة من فئات المقياس المتدرج الثلاثي، وتشير النتيجة السابقة إلى تفاوت استجابات أفراد الدراسة حول أهم الخدمات التعليمية المقدمة في مجال اضطراب التوحد.

السؤال الثاني: ما هي أهم الخدمات الإرشادية المقدمة في مجال اضطراب التوحد؟

وللاجابة عن التساؤل السابق قام الباحث بحساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات افراد عينة الدراسة حول أهم الخدمات الإرشادية المقدمة في مجال اضطراب التوحد، كما تم ترتيب هذه الفقرات حسب المتوسط الحسابي لكل منها، وذلك كما يلي:

جدول (5)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات أفراد عينة الدراسة حول أهم الخدمات الإرشادية المقدمة في مجال اضطراب التوحد

م	الفقرات	درجة الموافقة				المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب		
		موافق ك	%	إلى حد ما ك	%				لاوافق ك	%
1	تساعد في تخطيط أنشطة الحياة اليومية للطفل.	25	41.6%	24	40%	11	18.4%	2.233	0.744	1
2	تعمل علي اشراك الطفل في نشاط جماعي منظم.	20	33.3%	14	23.3%	26	43.4%	1.900	0.877	10
3	تقوم بتنظيم الدورات التدريبية للاسر.	19	31.6%	24	40%	17	28.4%	2.050	0.768	7
4	تساعد في تحسين مهارة التواصل البصري للطفل التوحدي.	28	46.6%	15	25%	17	28.4%	2.183	0.853	3
5	تحرص علي تحسين العلاقات الاجتماعية للطفل مع الاخرين.	17	28.4%	29	48.3%	14	23.3%	2.050	0.723	6
6	تشارك في تنمية المهارات الاجتماعية للطفل.	18	30%	24	40%	18	30%	2.000	0.781	8
7	ترشد الاسرة للمؤسسات التي تقدم الخدمات للطفل.	27	45%	12	20%	21	35%	2.100	0.896	4
8	تساعد في تنمية مهارة التعاون مع الاخرين لدي الطفل.	15	25%	19	31.6%	26	43.4%	1.816	0.812	9
9	تحرص علي تنمية المهارات الاجتماعية للطفل التوحدي.	29	48.3%	5	8.3%	26	43.4%	2.050	0.964	5
10	تعمل علي تزويد الاسرة بكل ما هو جديد حول التوحد وكيفية التعامل معه.	22	36.6%	27	45%	11	18.4%	2.183	0.724	2
		المتوسط الحسابي العام						123.40	7.763	

يتضح من الجدول السابق أن محور أهم الخدمات الإرشادية المقدمة في مجال اضطراب التوحد يتضمن (10) فقرات تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (1.816 – 2.233)، وهذه المتوسطات تقع بين الفئتين الثانية والثالثة من فئات المقياس المتدرج الثلاثي، وتشير النتيجة السابقة إلى تفاوت استجابات أفراد الدراسة حول أهم الخدمات الإرشادية المقدمة في مجال اضطراب التوحد.

السؤال الثالث: ما هي أهم الخدمات النفسية المقدمة في مجال اضطراب التوحد؟

وللاجابة عن التساؤل السابق قام الباحث بحساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات افراد عينة الدراسة حول أهم الخدمات النفسية المقدمة في مجال اضطراب التوحد، كما تم ترتيب هذه الفقرات حسب المتوسط الحسابي لكل منها، وذلك كما يلي:

جدول (6)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات أفراد عينة الدراسة حول أهم الخدمات النفسية

المقدمة في مجال اضطراب التوحد

م	الفقرات	درجة الموافقة		لا وافق		إلى حد ما		موافق	
		%	ك	%	ك	%	ك	%	ك
1	تعمل علي تخفيف حدة الضغوط الاجتماعية المرتبطة بنسق العلاقات الاسرية.	63.3	38	8.4	5	28.3	17	26.6	16
2	تسعي إلى تخفيف حدة شعور الطفل التوحدي بالقلق.	26.6	16	25	15	48.4	29	45	27
3	تساعد في تخفيف الضغوط النفسية لاسر اطفال التوحد.	45	27	11.6	7	43.4	26	31.6	19
4	تسعي إلى مساعدة الطفل التوحدي من التخلص من القلق الذي يشعر به.	31.6	19	28.4	17	40	24	41.6	25
5	تحرص علي تخليص الطفل التوحدي من الخجل المستمر الذي يمر به من خلال مشاركته في المواقف الاجتماعية.	41.6	25	13.4	8	45	27	18.4	11
6	تعمل علي زيادة انتباه وتركيز الطفل التوحدي.	18.4	11	46.6	28	35	21	30	18
7	تحرص علي تنمية ثقة الطفل التوحدي بنفسه.	30	18	46.6	28	23.4	14	23.4	14
8	تحرص علي تكوين مجموعات دعم اولياء امور الاطفال التوحدين.	23.4	14	40	24	36.6	22	23.4	14
9	تستخدم اساليب العلاج النفسي الجماعي مع الطفل التوحدي واسرته.	23.4	14	18.4	11	25	15	56.6	34
10	تحرص علي دمج الطفل التوحدي في بعض الانشطة مع الاطفال العاديين.	56.6	34	23.4	14	31.6	19	45	27

المتوسط الحسابي العام	126.70	16.84
-----------------------	--------	-------

يتضح من الجدول السابق أن محور أهم الخدمات النفسية المقدمة في مجال اضطراب التوحد يتضمن (10) فقرات تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (1.716 – 2.56)، وهذه المتوسطات تقع بين الفئتين الثانية والثالثة من فئات المقياس المتدرج الثلاثي، وتشير النتيجة السابقة إلى تفاوت استجابات أفراد الدراسة حول أهم الخدمات الإرشادية المقدمة في مجال اضطراب التوحد.

السؤال الرابع: ما هي أهم الخدمات الترفيهية المقدمة في مجال اضطراب التوحد؟

وللاجابة عن التساؤل السابق قام الباحث بحساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات افراد عينة الدراسة حول أهم الخدمات الترفيهية المقدمة في مجال اضطراب التوحد، كما تم ترتيب هذه الفقرات حسب المتوسط الحسابي لكل منها، وذلك كما يلي:

جدول (7)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات افراد عينة الدراسة حول أهم الخدمات الترفيهية المقدمة في مجال اضطراب التوحد

م	الفقرات	درجة الموافقة				المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
		ك	%	ك	%			
1	تحاول ابتكار العاب ترفيهية تناسب الطفل التوحدي	9	15%	18	30%	33	55%	2
2	تستثمر الالعاب التعليمية لترفيه وتعليم الطفل التوحدي.	18	30%	21	35%	21	35%	6
3	تحرص علي مشاركة الاطفال التوحدين في مسابقات مختلفة.	25	41.6%	22	36.6%	13	21.6%	3
4	تعمل علي تنظيم المهرجانات الرياضية للاطفال التوحدين.	24	40%	32	53.4%	4	6.6%	1
5	تساعد في تنظيم الرحلات المختلفة للاطفال التوحدين.	21	35%	11	18.4%	28	46.6%	9
6	تحرص علي تنمية مهارة اللعب بالمشاركة لدي الاطفال التوحدين.	23	38.4%	21	35%	16	26.6%	5
7	تطالب بتوفير الادوات الموسيقية للاطفال التوحدين من المسئولين.	17	28.4%	22	36.6%	21	35%	8
8	تساعد في تكوين صداقات بين الطفل التوحدي واقارانه العاديين.	24	40%	21	35%	15	25%	4
9	تحرص علي اكتشاف مواهب الطفل التوحدي وتميبتها.	17	28.4%	13	21.6%	30	50%	10

7	1.00	1.950	%30	18	%45	27	%25	15	تساعد علي تنمية قيم التعاون والعمل الجماعي بين الاطفال التوحديين والآخرين.	10
96.00		119.80	المتوسط الحسابي العام							

يتضح من الجدول السابق أن محور أهم الخدمات الترفيهية المقدمة في مجال اضطراب التوحد يتضمن (10) فقرات تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (1.77 – 2.33)، وهذه المتوسطات تقع بين الفئتين الثانية والثالثة من فئات المقياس المتدرج الثلاثي، وتشير النتيجة السابقة إلي تفاوت استجابات أفراد الدراسة حول أهم الخدمات الترفيهية المقدمة في مجال اضطراب التوحد.

السؤال الخامس: ما هي أهم المعوقات المرتبطة بالطفل نفسه والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد؟

وللاجابة عن التساؤل السابق قام الباحث بحساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات افراد عينة الدراسة حول أهم المعوقات المرتبطة بالطفل نفسه والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد، كما تم ترتيب هذه الفقرات حسب المتوسط الحسابي لكل منها، وذلك كما يلي

جدول (8)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات أفراد عينة الدراسة حول أهم المعوقات المرتبطة بالطفل نفسه والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد

م	الفقرات	درجة الموافقة				المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
		موافق ك	%	إلي حد ما ك	%			
1	عدم الفهم الجيد لحالة الطفل التوحدي.	13	%21.8	22	%36.6	25	%41.6	5
2	تداخل اضطرابات اخري مع اضطراب التوحد لدي الطفل مما يصعب التعامل معه.	17	%28.4	24	%40	19	%31.6	4
3	شدة السلوك العدواني عند بعض الاطفال.	32	%53.4	11	%18.3	17	%28.3	2
4	اختلاف حالة الطفل التوحدي من طفل لآخر حسب نوع الاضطرابات وشدته.	21	%35	24	%40	15	%25	3
5	عدم مراعاة رغبات وقدرات الطفل عند وضع البرنامج	27	%45	14	%23.4	19	%31.6	1
		المتوسط الحسابي العام		129.40		18.609		

يتضح من الجدول السابق أن محور أهم المعوقات المرتبطة بالطفل نفسه والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد يتضمن (5) فقرات تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (1.816 – 2.633)، وهذه المتوسطات تقع بين

الفئتين الثانية والثالثة من فئات المقياس المتدرج الثلاثي، وتشير النتيجة السابقة إلي تفاوت استجابات أفراد الدراسة حول أهم المعوقات المرتبطة بالطفل نفسه والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد.

السؤال السادس: ما هي أهم المعوقات المرتبطة بالأسرة والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب

التوحد؟

وللاجابة عن التساؤل السابق قام الباحث بحساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات افراد عينة الدراسة حول أهم المعوقات المرتبطة بالأسرة والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد، كما تم ترتيب هذه الفقرات حسب المتوسط الحسابي لكل منها، وذلك كما يلي:

جدول (9) التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات أفراد عينة الدراسة حول أهم

المعوقات المرتبطة بالأسرة والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية المقدمة في مجال اضطراب التوحد

م	الفقرات	درجة الموافقة			
		موافق ك	%	إلي حد ما ك	%
1	عدم تعاون الاسرة مع اعضاء فريق العمل.	25	41.6%	26	43.4%
2	عدم معرفة الاسرة بكيفية التعامل مع الطفل	14	23.4%	27	45%
3	ضعف الامكانيات المادية للأسرة.	17	28.4%	28	46.6%
4	تهاون الاسرة في تنفيذ تعليمات فريق العمل.	21	35%	28	46.6%
5	كثرة عدد الابناء وعدم تفرغ الاسرة للطفل	17	28.4%	18	30%
6	عدم حضور الاسرة لاجتماعات المؤسسة.	23	38.4%	15	25%
		97.911		124.67	

المتوسط الحسابي العام

يتضح من الجدول السابق أن محور أهم المعوقات المرتبطة بالأسرة والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد يتضمن (6) فقرات تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (1.883-2.300)، وهذه المتوسطات تقع بين الفئتين الثانية والثالثة من فئات المقياس المتدرج الثلاثي، وتشير النتيجة السابقة إلي تفاوت استجابات أفراد الدراسة حول أهم المعوقات المرتبطة بالأسرة والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد.

السؤال السابع: ما هي أهم المعوقات المرتبطة بعضو فريق العمل والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال

اضطراب التوحد؟

وللاجابة عن التساؤل السابق قام الباحث بحساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات افراد عينة الدراسة حول أهم المعوقات المرتبطة بعضو فريق العمل والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية المقدمة في مجال اضطراب التوحد، كما تم ترتيب هذه الفقرات حسب المتوسط الحسابي لكل منها، وذلك كما يلي:

جدول (10)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات أفراد عينة الدراسة حول أهم المعوقات المرتبطة بعضو فريق العمل والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد

م	الفقرات	درجة الموافقة					
		موافق		إلى حد ما		لا وافق	
		ك	%	ك	%	ك	%
1	عدم القدرة علي العمل الفريقي.	17	28.4%	18	30%	28	46.6%
2	عدم التطوير في الاداء المهني لمواكبة التطور العلمي.	22	36.6%	24	40%	14	23.4%
3	عدم فهم حالة الطفل والتشخيص غير الجيد.	28	46.6%	11	18.4%	21	35%
4	ضعف مستوي وعي عضو فريق العمل بمتطلبات ومهام دوره.	32	53.4%	13	21.6%	15	25%
5	قلة الخبرة وقصور التخصص.	25	41.6%	17	28.4%	18	30%
6	نقص الدورات التدريبية المتخصصة.	17	28.4%	24	40%	19	31.6%
	المتوسط الحسابي العام					122.67	9.352

يتضح من الجدول السابق أن محور أهم المعوقات المرتبطة بعضو فريق العمل والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد يتضمن (6) فقرات تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (1.866-2.283)، وهذه المتوسطات تقع بين الفئتين الثانية والثالثة من فئات المقياس المتدرج الثلاثي، وتشير النتيجة السابقة إلي تفاوت استجابات أفراد الدراسة حول أهم المعوقات المرتبطة بعضو فريق العمل والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد.

السؤال الثامن: ما هي أهم المعوقات المرتبطة بالمؤسسة والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب

التوحد؟

وللاجابة عن التساؤل السابق قام الباحث بحساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات افراد عينة الدراسة حول أهم المعوقات المرتبطة بالمؤسسة والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية المقدمة في مجال اضطراب التوحد، كما تم ترتيب هذه الفقرات حسب المتوسط الحسابي لكل منها، وذلك كما يلي:

جدول (11)

التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لاجابات أفراد عينة الدراسة حول أهم المعوقات المرتبطة بالمؤسسة والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية المقدمة في مجال اضطراب التوحد

م	الفقرات	درجة الموافقة					
		موافق		إلى حد ما		لا وافق	
		ك	%	ك	%	ك	%

2	0.872	2.133	%31.6	19	%23.4	14	%45	27	عدم تخصيص الدقيق للمؤسسة في رعاية الاطفال التوحدين.	1	
1	0.767	2.233	%20	12	%36.6	22	%43.4	26	عدم توافر العدد الكافي من الاخصائيين.	2	
4	0.746	2.050	%25	15	%45	27	%30	18	عدم وجود نظام اشرافي علي اعضاء فريق العمل.	3	
6	0.929	1.816	%53.4	32	%11.6	7	%35	21	عدم انتظام التمويل.	4	
5	0.832	2.050	%31.6	19	%31.6	19	%36.8	22	عدم وجود مكان مهياً للطفل التوحدي.	5	
3	0.903	2.116	%35	21	18.4	11	%46.6	28	قلة الموارد اللازمة لتقديم الخدمات للطفل التوحدي.	6	
		8.390	124.00	المتوسط الحسابي العام							

يتضح من الجدول السابق أن محور أهم المعوقات المرتبطة بالمؤسسة والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد يتضمن (6) فقرات تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (1.816 – 2.233)، وهذه المتوسطات تقع بين الفئتين الثانية والثالثة من فئات المقياس المتدرج الثلاثي، وتشير النتيجة السابقة إلي تفاوت استجابات أفراد الدراسة حول أهم المعوقات المرتبطة بالمؤسسة والتي تحول دون تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد.

للاجابة علي السؤال الثالث: ما الرؤية المستقبلية التي يمكن أن تسهم في تطوير الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد؟

الرؤية المستقبلية لتطوير الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد:

في ضوء التوجهات النظرية للبحث التي تحددت في النظرية العامة للإنساق والتي يمكن من خلالها تفعيل دور مراكز وجمعيات ذوي الاحتياجات الخاصة عامة وذوي التوحد خاصة كنسق مفتوح يسعي للاتصال والتفاعل مع الانساق المحيطة به من مؤسسات اخري من اجل تقديم افضل خدمة ممكنه للاطفال التوحدين واسرهم وما جاءت به نظرية العلاج المعرفي السلوكي التي تقوم علي التأثير في أفكار ومعتقدات أسر اطفال التوحدين تجاه اصابة طفلهم لأن هذا بشكل كبير يحدد طريقة التعامل مع الطفل.

وبالنالي تتضمن الرؤية المستقبلية كما يلي:

1- الأسس التي تقوم عليها الرؤية المستقبلية:

- معطيات الاطار النظري للعلوم الانسانية والاجتماعية عامة والخدمة الاجتماعية في مجال رعاية المعاقين خاصة بالاضافة الي طبيعة الخدمات الاجتماعية التي يحتاجها .
- نتائج الدراسات السابقة وما يتصل منها بمشكلات الاطفال التوحدين واسرهم وما يرتبط بمهارات الخدمة الاجتماعية واثري.
- نتائج الدراسة الحالية فيما يتعلق بتحديد الخدمات الاجتماعية المقدمة للاطفال التوحدين والمعوقات التي تحول دون تقديمها.

2- الاهداف التي تسعي الرؤية المستقبلية لتحقيقها:

تنطلق هذه الرؤية من هدف رئيس وهو "وضع استراتيجية لتطوير الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد" ويتحقق ذلك من خلال الأهداف الفرعية التالية:

- تفعيل دور مؤسسات رعاية المعاقين عامة وذوي التوحد خاصة من خلال تسهيل اجراءات الحصول علي الخدمات وتوفير فريق العمل القادر علي تلبية مطالب الاطفال واسرهم.
 - توفير التدريب الكافي لاعضاء فريق العمل حتي يستطيع القيام بادوارهم علي احسن وجه ممكن.
 - التنسيق فيما بين اعضاء فريق العمل في تقديم الخدمات الاجتماعية.
 - دعم العلاقة التعاونية بين اعضاء فريق العمل واولياء امور الاطفال التوحديين.
- 3-الخدمات التي يمكن ان تسهم في تحقيق اهداف الرؤية المستقبلية:**
- وزارة التضامن الاجتماعي من خلال:

أ- العمل علي تسهيل اجراءات انشاء جمعيات أهلية متخصصة لرعاية الاطفال التوحديين يمكن من خلالها تحقيق اهداف الرعاية الاجتماعية لهم.

ب- التنسيق بين الجمعيات والمؤسسات العاملة في مجال رعاية الاطفال المعاقين عامة وذوي التوحد خاصة فيما يسمي بروتوكول "التعاون وتبادل الخبرات والكوادر المدربة" من أجل تحسين الخدمات المقدمة للأطفال واسرهم.

- وزارة التربية والتعليم، والتعلم العالي من خلال:

أ- توفير بيئة الدمج باشكالها كافة (المجتمعي، الاكاديمي، والمكاني) للأطفال التوحديين ليستطيعوا اشباع احتياجاتهم التعليمية والاجتماعية.

ب- تفعيل انظمة التقييم للاحتياجات المختلفة التي تنقص الطفل التوحدي، سواء أكانت احتياجات اجتماعية، ام تعليمية، ام صحية.

ت- العمل علي توفير المستحدثات التكنولوجية التي تساعد الطفل علي اكتساب المهارات الاجتماعية ومهارات الحياة اليومية.

ث- العمل علي اعداد معلم التوحد الاعداد النظري والعملي الجيد من خلال التأهيل في الكليات والمعاهد التربوية وفي الميدان العملي مع الاطفال في المدارس والمؤسسات الخاصة.

ج- لا بد لكلية الخدمة الاجتماعية من اضافة مقرر خاص باضطراب التوحد في السنوات الاربع يتضمن هذا المقرر كل ما يخص الاضطراب وكذلك انشاء دبلوم مهني خاص باضطراب التوحد لتعويض النقص الوعي بين الاخصائيين العاملين في هذا المجال.

ح- زيادة اعداد الاخصائيين الاجتماعيين العاملين في مجال اضطراب التوحد واعدادهم الاعداد المهني الجيد بدورهم مع الاطفال التوحديين واسرهم.

4- الاستراتيجيات التي تحقق اهداف الرؤية المستقبلية:

يعد اختيار الاستراتيجية الملائمة أحد اهم ادوار الاخصائي الاجتماعي العامل في مؤسسات رعاية الاطفال المعاقين عامة وذوي التوحد خاصة، وذلك من خلال الدراسة الجيدة والواعية لمتطلبات واحتياجات الطفل التوحدي واسرته، ومعرفة اساليب التفاعل بين الانساق الفرعية للمؤسسة، والامكانيات والموارد التي يمكن استثمارها في تحقيق اهداف المؤسسة.

5- ادوار الاخصائي الاجتماعي في تحسين الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد:

تعدد الادوار التي يمكن أن يمارسها الاخصائي الاجتماعي لتحسين الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد:

- **دور المعلم أو المثقف:** يسعى الإخصائي من خلال هذا الدور إلى تزويد والدي الطفل التوحد بالمعارف والمعلومات والفكر والاتجاهات التي تفيدهما في التعامل مع طفلهم التوحد، وامتدادهم بأساليب التنشئة الخاصة بفئة الاطفال التوحدين وسبل رعايتهم.
- **دور المساعد:** يقوم الإخصائي من خلال هذا الدور بمساعدة الأطفال التوحدين وأسرههم علي مواجهة المشكلات الناتجة عن عدم اشباع الاحتياجات، وذلك عن طريق (تحديد الاحتياجات والمتطلبات، معرفة الخدمات، معرفة اللوائح والتشريعات المنظمة).
- **دور المخطط:** يقوم الإخصائي الاجتماعي بالتخطيط لبرامج جديدة أو خدمات جديدة أو تطوير برامج قائمة بالفعل، والمشاركة في تخطيط بعض الأنشطة ذات الصلة بمشكلات الأطفال التوحدين وأسرههم، وكذلك التخطيط لتحديد الاحتياجات الفعلية لهم والاسهام في اشباعها.
- **دور المرشد:** يسعى الإخصائي الاجتماعي إلى ارشاد اسرة الطفل التوحد بأساليب التعامل الايجابية مع اطفالهم، وتقديم برامج الارشاح الاسري فيما يتعلق بوجود الطفل لديها وتزويدها بالخبرات والمعلومات حول طبيعة الاضطراب وأسبابه.

6- أهم المهارات المهنية المستخدمة في الرؤية المستقبلية:

(مهارات الاتصال، مهارة العمل الفريقي، مهارة حل المشكلة، المهارة في تحديد الاولويات، مهارة الحوار المجتمعي، المهارة في التقييم، المهارة في تخطيط البرامج وتنفيذها).

7- عوامل نجاح الرؤية المستقبلية:

يري الباحث أنه لا بد من توافر مجموعة من العوامل وهي:

- عقد بروتوكول التعاون فيما بين جمعيات ومراكز ذوي الاحتياجات الخاصة وخبراء الاعاقة عامة والتوحد خاصو وذلك بتوفير البرامج التدريبية لتحقيق جودة الاداء المهني لاعضاء فريق العمل في مجال اضطراب التوحد.
- اثارة الوعي المجتمعي والاعلامي بقضية اعاقة التوحد وتنوير الرأي العام بها.

نتائج الدراسة والتوصيات:

نتائج الدراسة:

قد اشارت نتائج الدراسة الي ان مستوى تقديم الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد بمستوي متوسط. وقد قام الباحث بتصميم رؤية مستقبلية لتطوير الخدمات الاجتماعية في مجال اضطراب التوحد

توصيات الدراسة:

- 1- تشجيع الباحثين لاجراء الدراسات التي تبحث في الخدمة الاجتماعية في مجال التوحد ونشر نتائجها، وذلك لتطوير المعارف، وتطوير الممارسة المهنية للاخصائيين الاجتماعيين.
- 2- اقامة المزيد من الدورات في مجال التوحد، والموجهة بشكل خاص نحو الاخصائيين الاجتماعيين لزيادة معرفتهم ومهاراتهم في التعامل مع اطفال التوحد.

المراجع:**اولا: الكتب:**

- بركات، سري رشدي (2014) : مقدمة في تأهيل المعاقين، مكتبة الملك فهد الوطنية.
- خليفة، وليد السيد أحمد، سعد، مراد علي عيسى (2007): كيف تعلم المخ التوحدي، الاسكندرية، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الطبعة الاولى.
- عبد الله، محمد قاسم (2001): الطفل التوحدي او الذاتوي الانطواء حول الذات ومعالجته اتجاهات حديثة. الطبعة الاولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- القنش، مصطفى نوري (2012): الاعاقات المتعددة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- المليجي، ابراهيم عبد الهادي محمد (2006): الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية، القاهرة، سلسلة جدران المعرفة، الطبعة الاولى،
- منذر، وسام (2007): مدي رضا اولياء الامور عن الخدمات المقدمة لاطفالهم التوحدين في سوريا، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان، الاردن.

ثانيا: المجلات العلمية:

- أحمد، نورية عمر (2008): تطور مهنة الخدمة الاجتماعية في المجتمع الانساني، المؤتمر العلمي الحادي والعشرون للخدمة الاجتماعية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان.
- البسطامي، غانم جابر (2017): رضا أولياء امور اطفال التوحد عند الخدمات المقدمة لاطفالهم بدولة الامارات العربية المتحدة وعلاقتها ببعض العوامل، المجلة التربوية، جامعة الكويت، مج31، ع 122، ص 87-123.
- البشير، الامين محمد (2021): فعالية خدمات الرعاية الاجتماعية المقدمة لذوي الاعاقة بمراكز الرعاية النهارية، المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية، مج 16، ع 1، ص 1-45.
- العلي، وائل أمين (2014): واقع الخدمات المقدمة للاطفال التوحدين بالمنطقة الجنوبية في المملكة العربية السعودية واتجاهات أولياء الامور نحوها، المجلة التربوية الدولية المتخصصة، 11(1)، 761 – 777.
- القحطاني، هاجر محمد مفلح (2017): واقع الممارسة المهنية للاخصائيين الاجتماعيين في مراكز التوحد: دراسو مطبقة في مدينة الرياض، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للاخصائيين الاجتماعيين، ع 57، ج 6، ص 385-410.

ثالثا: المواقع الالكترونية:

- الاشقر، مريم صالح، نيازي، عبد المجيد طاش (2009): الادوار المهنية للاخصائي الاجتماعي في المؤسسات الطبية، كتاب الكتروني منشور في منتدى مجلة العلوم الاجتماعية.

رابعا: المراجع الاجنبية:

- Bitterman, Amy; Daley, Tamara; Misra, Sunil; Carlson, Elaine; Markowitz, Joy (2008). A National Sample of Pre-schoolers with Autism Spectrum Disorders: Special Education Services and Parent Satisfaction, 38. Journal of Autism & Developmental Disorders. 1509, 1515 (on-line) Available http://web.a.ebscohost.com/ehost/pdfviewer/pdfviewer?_sid=2f0d2f3d-ell7-48ad-9b4f-ae2c53bd6b2c%40sessionmgr4004&- vid=5&hid = 4104
- Heward, William, L (2013): Exceptional Children: An Introduction to Special Education, 10th Edition. Pearson.

”بعض الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال ودور الإعلام في الحد منها”

دراسة ميدانية على عينة من آراء بعض الآباء والأمهات بمدينة طرابلس

د. مصطفى خليفة إبراهيم
قسم علم الاجتماع - كلية التربية- جامعة الزيتونة

ملخص الدراسة: -

تمثل الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال في بعض المجتمعات ومنه المجتمع الليبي في ظل التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يمر بها من أكثر الظواهر التي تهدد حياة الأطفال والأسرة والمجتمع ككل وبدأ أطفالنا ممارستها ثقافتاً ومظهراً وسلوكاً من خلال شبكات التواصل الاجتماعي والدش والوسائل الإعلامية المختلفة بدعوى تتبع الموضة العالمية دون اعتبار لقيمنا وعاداتنا ومعاييرنا الاجتماعية، فبعض الأطفال قد تشبعوا بثقافة العنف والاستهتار والفوضى والتدخين وتناول الخمر والمخدرات والاتجار بها وممارسة بعض السلوكيات الغير مقبولة في الحي والمدرسة والأسرة، ومنها ما يسمى بتبع الموضة العالمية كلبس الملابس الضيقة والممزقة كالبنطلونات التي تفتقر للعفة والاحتشام { ذكوراً وإناثاً } وحلاقة شعر الرأس بطرق ملفتة للنظر كنوع من الموضات في الحلاقة العالمية أو تربية الشعر كل ذلك يعد أمراض اجتماعية بعيدة عن عاداتنا وقيمنا ومجتمعنا العربي الإسلامي، استلزم فحص إبعادها على الطفل والمجتمع الليبي بلغة العلم حيث هدفت الدراسة الراهنة للتعرف على الظواهر الاجتماعية المرضية التي يقترفها الأطفال في مدينة طرابلس ودور الإعلام الليبي في الحد منها من خلال آراء بعض الآباء والأمهات، باستخدام منهج المسح الاجتماعي .

حيث توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج منها تعدد الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال من العنف بأشكاله والاستهتار بالنظام المدرسي والمجتمعي وظهور بعض الظواهر الغير مقبولة اجتماعياً.

مقدمة: -

تعد مرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة من المراحل التي ينبغي التركيز عليها في حماية الإنتاج الاجتماعي من الأمراض العضوية والسيكولوجية والاجتماعية، وحيث أن الأطفال يلتقطون كل ما هو إيجابي وسلبي في إطار الأسرة، والمدرسة، والحي السكني، والمؤسسات الأخرى التي لها علاقة بالتنشئة الاجتماعية والتربوية للأطفال، تظل الحد من الظواهر الاجتماعية المرضية التي يقترفها الأطفال همماً وطنياً، ينبغي أن ينال الاهتمام على كل المستويات، وخاصةً دور الإعلام في كيفية الحد منها، بدءاً من تحسين المادة الإعلامية التي يعرضها في كل وسائله، وخاصةً الإعلام المرئي، والعمل على استضافة المختصين في مجال التربية من رواد علم النفس والتربية، وعلم الاجتماع، والخدمة الاجتماعية، ورجال الأمن لتعريف الأطفال والأسرة بمخاطر الثقافة الوافدة، والبرامج

الكارتونية ذات طابع العنف، والمسلسلات الهزيلة على تنشئة صحة الأطفال، والحد من السلوكيات والظواهر الاجتماعية المرضية التي بدأ الأطفال ممارستها ثقافاً ومظهراً وسلوكاً، وبالتالي ينبغي على المجتمع أن يكون سفينة نجاة لأطفالنا من الوقوع في بعض الظواهر الغير مقبولة اجتماعياً، ودينياً، من خلال تحريك عجلة الإعلام في التصدي ورصد هذه الظواهر، وتفعيل هذا المنبر خدمةً للأجيال التي نعول عليها في قيادة عجلة التنمية، لذلك التعرف على آراء بعض الأمهات والآباء لبعض الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال على نطاق مجتمع الدراسة يساهم في معرفتها ومحاولة الحد منها، وحث مؤسسات المجتمع المختلفة أن تتساند وتتكامل في الحد من الأمراض الاجتماعية التي بدأت تظهر في المجتمع، ومدينة طرابلس التي تسكنها أسر حضرية بالدرجة الأولى، حيث يعد أطفالها أكثر تعرضاً لبعض الظواهر الاجتماعية المرضية في اكتسابها وممارستها، وتقليداً للغير من سلوكيات العنف، والعدوانية، والاستهتار الاجتماعي، والمدرسي، والمجتمعي، واكتساب ثقافة معادية لقيم وعادات ومعايير وتقاليد المجتمع الليبي ودينه، كلبس الملابس الضيقة والممزقة على جسمه، أو لبس البنطلون القصير في المدارس والأسواق وإطلاق الشعر الطويل أو الحلاقة الغير مقبولة اجتماعياً، بدعوى تتبع الموضة ومحاكاة شعوب العالم الآخر وفقدان الاحتشام والحياء أمام أسرته، وأقربائه، ومعلميه من سلوكيات تمارس، وألفاظاً غير اجتماعية يتم إطلاقها وتداولها أمام الجميع، كالسب والشتم لأعراض الناس والدين دون مبالاة، وخاصة أثناء ثوران وغضب بعض الأطفال، ناهيك عن ما يتم نشره في شبكات التواصل الاجتماعي من صور معيبة وأحاديث سخيفة يتم تداولها بين بعض الأطفال، هذه الأمراض الاجتماعية أصبحت مقلقة لرجال الأمن والقانون، ولرجال التربية والتنشئة الاجتماعية، ويتساءلون عن دور الأسرة، والمدرسة، والإعلام، والمؤسسات التربوية الأخرى في الحد من هذه الظواهر الهدامة لقيمنا، وعاداتنا، وتقاليدنا، وثقافتنا العربية الإسلامية، وتشعب إنتاجنا الاجتماعي بهذه الموضوعات والثقافات الغازية من الاستعمار الخارجي، وبالتالي تناولنا لأبعاد هذه الظاهرة يعد من أولويات الدراسات الاجتماعية في فحصها والعوامل المؤدية إليها في ظل غفلة العديد من الدراسات عنها أو قد أغفلتها.

وهناك من الباحثين من يرى فتح باب الحوار والمناقشة الدائمة بين الأبناء والوالدين حول ما يعرض في التلفزيون أو على المواقع الإلكترونية من معلومات وأخبار، وأن يُظهر الآباء آرائهم ووجهة نظرهم، إضافة إلى التعرف على وجهة نظر أبنائهم فيما يشاهدونه من هذه الوسائل وموقفهم من ذلك، مروراً بتوضيح ما هو خاطئ من معلومات وما ينبغي أن يتابعوه من برامج ثقافية وعلمية جيدة (معتيق: 2015، ص 283)، لذلك نجد أن أجهزة الاتصال الحديثة مثل الدش والأنترنيت والهاتف المحمول قد تضلل العقول إن لم يُحسن استخدامها من الأطفال والأسرة.

فقد بيّنت نتائج دراسة أجريت عن انخفاض الوعي بأهمية الترويج واستغلال وقت الفراغ وربما يرجع ذلك إلى ندرة أماكن الترويج وأماكن الفضاء بالمناطق أو على مقربة منها، أو للمستوى الاقتصادي المنخفض أو لعدم وجود

وقت فراغ يتيح للأسرة ممارسة الترويح (جود: 1994، ص 334)، وفي دراسة أخرى أظهرت النتائج أن أبناء أرباب الأسر يقضون وقت فراغهم في الشارع بنسبة (66%) (ترج: 1998، ص 248).

كما بينت نتائج دراسة أخرى أجريت تؤكد ما ذهبت إليه نظرية الأنومي من أن الجريمة إفرار للبناء الاجتماعي ومعبرة عنه، وأنها نتيجة لضغوط معينة يمارسها البناء الاجتماعي على بعض الأفراد، حيث أكدت النتائج أن ارتفاع الأسعار وانخفاض الدخل، وزيادة الأعباء، وضغوط الحياة الحديثة، والبطالة، وقلة الفرص، والرغبة في الثراء بشكل سريع، والمشكلات الاجتماعية، وأصدقاء السوء، وضعف الضمير كلها لها الدور الكبير في دفع المبحوثين إلى احتراق جرائم العنف (عبد الموجد: 2008، ص 372).

وفي دراسة أخرى أجريت بينت النتائج أن هناك ثلاثة عوامل رئيسية كان لها دور كبير في ارتكاب أفراد العينة جريمة السرقة هي على حسب شدتها كما يلي: - (سوء خلق الأصدقاء، ثم الإدمان، ثم غلاء أسعار المعيشة) (عبد الجواد: 1991، ص 396).

كما أن خطر الفضائيات تؤرق المربين والآباء ألا وهي قضية تحصين أبنائنا وبناتنا من تأثيرات بعض البرامج في وسائل الإعلام غير المنضبطة، التي تعتمد الأثارة الفاضحة المخالفة لكل قيمنا ومبادئنا وأخلاقياتنا، لتجد في النهاية أن قصد هذه البرامج هي صبغة قيم جديدة للمجتمع، تؤدي إلى التردّي، والانحلال، وصرف الأوقات، وإنتاج أسر متفككة، وإنسان غير سوي في تصرفاته وكلماته وحركاته وقيمه وأهدافه، ليقع المجتمع وأجياله تحت سيطرة القيم الوافدة والأخلاقيات المنحرفة والسلوكيات الشاذة (حوي: 2007، ص 89).

وبالتالي هذه المسلسلات والأفلام التي هي دخيلة على مجتمعنا العربي والإسلامي هي تعيق التنشئة والتربية لأطفالنا ويصبحوا في مهب القيم الوافدة في ظل التغيرات التي تمر بها المجتمعات وثورة المعلومات عبر وسائل الاتصال المختلفة، وأصبح أغلب أطفالنا يتشربون هذه القيم ثقافاً ومظهراً وسلوكاً وخاصة ثقافة العنف التي تشبع بها أطفالنا نتيجة مشاهدة الأفلام الكارتونية والمسلسلات التي تحتوي على العنف كمشاهدة الحروب، وطرق ارتكاب الجرائم، وشرب الخمر، أو الهروب من رجال الأمن في المسلسلات الاجتماعية الوافدة. حيث تشير الأرقام أن صناعة لعب الأطفال وبخاصة الحرب تمثل المرتبة الأولى في مبيعات لعب الأطفال، وهذه الألعاب تعمق نزعة الغضب والعنف لدى الأطفال (منصور: 2007، ص 272).

كما بينت نتائج دراسة أجريت عن ارتفاع نسبة أصحاب الميل لممارسة العنف بين قراء نوعيات القصص العنيفة المنشورة بصحفهم، كما ارتفعت بين المفضلين لنوعية الأبطال الذين يتسمون بالعنف أيضاً (الصادق: 2000، ص 335).

لذلك ينبغي أن يكون للإعلام ضمير اجتماعي في الحد من البرامج التي تؤثر على الأطفال وأن يكون الإعلام بوسائله المختلفة وخاصة التلفزيون معلماً للأسرة ولأطفال المجتمع برمته في تعريف كل في مجاله بالحد

من السلوكيات والظواهر الاجتماعية السلبية التي يمارسها الأطفال على نطاق الأسرة والمدرسة والحي السكني، كثافة العنف التي تشبّع بها الأطفال ويمارسونها على نطاق واسع، وكذلك مظاهر اللبس والأزياء التي يلبسونها (ذكوراً وإناثاً) بعيداً عن قيم الاحتشام والحياة، أضف إلى ذلك تباهي الآباء والأمهات بقيادة أطفالهم للسيارات والسرعة الجنونية أو ما يسمى "التسطيب" دون اهتمام باللوائح والقوانين المرورية ورخصة قيادة السيارة كما يمارس الأطفال التدخين، وشرب الخمر، والمخدرات وغيرها من الظواهر السلبية، في غياب دور الإعلام.

وحول بعض الظواهر السلبية التي تمارسها الفتيات، تقول الباحثة أنه من "الملاحظ خروج غالبية الفتيات في الشارع اللبّي بملابس تتنافى مع العفة والاحتشام، حيث البدي والاسترتش والجينز الملتصق، وكثير من المظاهر الخليعة، ووضع المساحيق بشكل لافت للنظر، حتى أن هذا الأمر طال الحجاب أيضاً فأصبح الحجاب عند الفتيات مجرد وضع إشارب على الرأس مع ارتداء ثياب ضيقة تبرز مفاتن الجسم، ناهيك عن المشي والحديث والحركات التي لا ترتبط بدين أو قيم أو تقاليد مجتمعية، كل ذلك تحت ما يسمى اتباع الموضة والعصرنة في الأزياء التي أصبحت منتشرة بشكل كبير ورخيص في السوق اللبّي" (قناوي: 2008، ص ص 199 - 220).

إن التيارات الهدامة قد ركزت ضغوطها على القلوب حتى تفرغ من العقيدة، وبالتالي هذه التيارات التي أفرزتها المجتمعات الصناعية المادية لتستमित في تكوين أجيال تستشيرها الغرائز وتنهكها الشهوات وتذللها الملاهي تلك عن واجبات الدين والدنيا (نقره: 1990، ص 79).

الأطر المنهجية والنظرية للدراسة: -

أولاً - الأطر المنهجية للدراسة: -

● تحديد مشكلة الدراسة: -

ترتب عن عملية التغيير الاجتماعي التي صاحبت المجتمعات ومنه المجتمع اللبّي تأثير العديد من الأسر والأطفال بهذه التغييرات في ظل النسق الثقافي المفتوح للتعرف على ما هو جيد وسلبّي من ثورة المعلومات والموضات التي قد أثرت على الإنتاج الاجتماعي بممارسة بعض الظواهر الاجتماعية المرضية، وأصبحت جزء من ثقافتها المستعارة والخارجة عن قيم وعادات ومعايير المجتمع اللبّي، وقد بدء هؤلاء الأطفال ممارستها ثقافتاً ومظهراً وسلوكاً على نطاق الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل، الأمر الذي يتطلب التعرف عليها ودعوة الإعلام بوسائله المختلفة للحد منها، وبالتالي تكمن مشكلة الدراسة في التساؤل التالي:-

ما هي بعض الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال ودور الإعلام في الحد منها؟

● أهمية الدراسة: -

تكمن أهمية الدراسة بأنها تتناول أهم شريحة في المجتمع وهم شريحة الأطفال، باعتبار أن الطفولة مُكوّن من مكونات النظام الاجتماعي فهم مستقبل الأمة وتنمية المجتمع، وبالتالي حمايتهم من الظواهر الاجتماعية المرضية خطوة ينبغي أن تنال الاهتمام بالتعرف عليها والحد منها، ذلك أن أي سياسة اجتماعية يراد لها النجاح

ينبغي أن تقوم على معرفة تلك الظواهر التي تهدد الإنتاج الاجتماعي، ودعوة الإعلام بكل أصنافه للتصدي لها، وخاصةً أن الإعلام المرئي يعد من أكثر الوسائل مشاهدة لدى الناس، إضافة إلى ذلك تنشيط حركة البحث العلمي في مجال اللجنة العليا للطفولة، ومجال ثقافة الطفل وغيرها من المؤسسات الرسمية، والأهلية العاملة في قضايا الطفولة، والإسهام في تصحيح الصورة المكونة لدى المرين حول تعديل بعض الأفكار عن الحداثة والتطور والموضة العالمية والظواهر السلبية التي يمارسها أطفالنا والتي بدأت تهزنا من الأعماق وكبح جماح الشهوات، والحث على المكارم والفضائل، في ظل الاتجاهات المادية والفكرية الجارفة التي بدأت تحيط بأطفالنا وتحاصرهم بعيداً عن قيمنا وعاداتنا وديننا الإسلامي.

• أهداف الدراسة: -

- 1- التعرف على العوامل الاجتماعية المؤدية بالأطفال إلى ممارسة الظواهر الاجتماعية المرضية من وجهة نظر الآباء والأمهات.
- 2- التعرف على آراء الآباء والأمهات لأكثر الظواهر الاجتماعية مرضية يقترفها الأطفال بمجتمع الدراسة.
- 3- التعرف على آراء الآباء والأمهات عن كيفية دور الإعلام في التصدي للظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال.

• تساؤلات الدراسة: -

1. ما هي العوامل الاجتماعية المؤدية بالأطفال إلى ممارسة الظواهر الاجتماعية المرضية من وجهة نظر الآباء والأمهات؟
2. ما هي آراء الآباء والأمهات لأكثر الظواهر الاجتماعية مرضية يقترفها الأطفال بمجتمع الدراسة؟
3. ما آراء الآباء والأمهات عن كيفية دور الإعلام في التصدي للظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال؟

• مفاهيم الدراسة: -

- الظواهر الاجتماعية المرضية: -

نقصد بها إجرائياً: - بأنها تتعدد تلك الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها بعض الأطفال في مدينة طرابلس من خروج على معايير وقيم المجتمع، بممارسة العنف بأشكاله في الأسرة والمدرسة والحي والمجتمع ككل، أو الاستهتار بالنظام المدرسي والمجتمع والآداب العامة، كذلك التدخين وتناول الخمر والمخدرات، أضف إلى ذلك تقليد ما يشاهدونه في المسلسلات العربية، والأجنبية، والأفلام الكارتونية، و شبكات التواصل الاجتماعي من إتباع ما يسمى الموضة العالمية من لبس الملابس التي تفتقر للعفة والاحتشام للأطفال (الذكور والإناث)، وتربية الشعر الطويل لبعض الأطفال أو الحلاقة لشعر الرأس بأشكال غريبة. مستمدة من مجتمعات غريبة، أو قيادة السيارات والسرعة، والتسطيب في الطرقات العامة دون ترخيص واحترام للقوانين المرورية والعامة ولرجل المرور، أو رجال الشرطة، والسرق، والسطو، والدعارة، والتسقع في الشوارع، والمشاكسة للمارة، والسهر

خارج البيت، وغيرها من الأمراض الاجتماعية والسلوكية التي يمارسها بعض الأطفال، والذي تعد أمراضاً اجتماعية دخيلة على المجتمع الليبي.

- الأطفال:-

الطفولة هي المرحلة التي يمر بها الإنسان، منذ الولادة وتنتهي مع بداية مرحلة الشباب وقبل بلوغ سن الخامسة عشر، وهي المرحلة الأساسية في بناء الفرد المتأثر بعوامل البيئة، والتي تتطلب رعاية وعناية خاصة، لتحقيق نموه المتكامل وإكسابه الشخصية السوية (الدويبي: 1985، ص 13).

ونقصد بالأطفال إجرائياً - هم أطفال المجتمع الليبي من عمر 10 - 18 سنة، القاطنين بمدينة طرابلس الذين يمارسون بعض منهم سلوكيات اجتماعية مرضية، فتشبعوا بها من (قنوات الإعلام العربية والأجنبية، والبرامج الكرتونية ذات الطابع العنيف، وشبكات التواصل الاجتماعي، أو ما تشبعوا به من البيئة الاجتماعية المحلية وأصدقاء السوء) وغيرها بممارستها في الحياة اليومية، وأصبحت موضة مضادة لقيم وعادات وتقاليد ومعايير المجتمع ومرصاً اجتماعياً.

- الإعلام:- تزويد الجماهير بأكبر قدر ميسور من المعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، وذلك من خلال الأدوات التي تنقلها أو تعبر عنها الصحافة، والإذاعة المرئية والمسموعة، والسينما، والفيديو (عبد الباقي: 1979، ص 356).

- نقصد بالإعلام إجرائياً:- هو إظهار الحقيقة لطرق التربية، والتنشئة الاجتماعية للأطفال من خلال وسائله المختلفة، والتصدي لكل ما ينشر على شبكات التواصل الاجتماعي من ظواهر سلبية، وكذلك في وسائل الإعلام المرئية من مسلسلات هزيلة، وأفلام كرتونية ذات الطابع العنيف، وكذلك أن يكون للإعلام الليبي بُعد اجتماعي بتوضيح مخاطر الموضة والعادات الغربية على ثقافتنا وهويتنا العربية الإسلامية، ودعوته لشرح مخاطر بعض الأمراض الاجتماعية التي يمارسها ويقلدها أطفالنا في حياتهم اليومية عليهم وعلى أسرهم، والمجتمع عامة والعمل على الحد منها.

- ونقصد ببعض الآباء والأمهات إجرائياً:- هي تلك الأسر الليبية التي تتكون من الزوج والزوجة والأبناء القاطنين بمدينة طرابلس أثناء فترة الدراسة.

مدينة طرابلس:- هي عاصمة الدولة الليبية التي تتكون من عدة أحياء، راقية، ومتوسطة، وقديمة، تقطنها الآلاف من العائلات الليبية والأجنبية، حيث تحدها من الغرب مدينة جنزور، والجنوب بلدية قصر بن غشير، والشمال البحر المتوسط، والشرق بلدية تاجوراء، وبها العديد من الوزارات والخدمات المختلفة.

● منهج الدراسة:- تم الاعتماد على منهج المسح الاجتماعي بالعينة.

● نوع الدراسة:- تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية.

- عينة الدراسة: - تم الاعتماد على العينة العمدية باعتبارها أنسب أنواع العينات، وذلك لصعوبة حصر مجتمع الدراسة واستخراج العينة..
- أداة الدراسة: - تم الاعتماد على استمارة الاستبيان بالمقابلة.
- مجالات الدراسة: -
 - المجال البشري: - تم إجراء هذه الدراسة على الآباء والأمهات القاطنين بمدينة طرابلس.
 - المجال المكاني: - تم إجراء هذه الدراسة في مدينة طرابلس
 - المجال الزمني: - تم إجراء هذه الدراسة في الفترة من (28 - 7 - 2022 م) إلى (10-9-2022 م).
- الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة: - تم الاعتماد على الجداول التكرارية والنسب.

ثانياً - الأطر النظرية للدراسة: -

- دور الإعلام في تعريف الأسرة بدورها في التنشئة الاجتماعية والحد من الثقافة المستوردة: - تعد الأسرة هو ذلك المثلث الخالد الذي يتكون من ضلعين هما الأب والأم والضلع الثالث الذي يكمن في الأبناء، فهي وحدة المجتمع الأساسية التي تشكل نسيجه الاجتماعي وتمثل حجر الزاوية فيه، ومصدر المعرفة لأعضائها ولتكوين هويتهم الثقافية والقيمية، كما أنها المؤسسة الاجتماعية الأولى لتفاعل الفرد مع محيطه الاجتماعي، وإقامة التفاعل مع المؤسسات الأخرى التي تدعم بناء أجيال سليمة من كل الأمراض الاجتماعية، ومنها المدرسة التي تعد البيت الثاني بعد الأسرة، ففيها تتم عملية التنشئة الاجتماعية والتربية وفق منظور علمي مخطط له سلفاً لتصحيح الأخطاء التربوية العفوية التي اتبعتها الأسرة في الاهتمام بأطفالها، لذلك ينبغي أن يحققوا الأسرة والمدرسة قدرًا من التناسق بينهما في تنشئة وتربية الأطفال وتكوين شخصياتهم اجتماعياً ووطنياً وتحقيق النجاح الأكاديمي.

فالطفل قد يهرب من البيت بعد توقيع العقاب عليه في الأسرة أو حين يشعر برفض المحيطين به، أو يهرب على هيئة سهر خارج المنزل مع غيره والتجوال في الطرق العامة دون هدف (الهمشري وآخرون: 2000، 21).

لذلك ينبغي الاهتمام برفع مستوى الوعي الاجتماعي والثقافي في المناطق المتخلفة والعشوائية والفقيرة، حيث من المعروف أن هذه المناطق مصدر تصدير العنف (غانم: 2004، ص 359).

كذلك نجد المظاهر النفسية التي يعيشها الأطفال في الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل هي الخوف، والقلق، والانطواء، وسرعة الغضب، والعناد، وعدم سماع مربيهم وطاعتهم، وسرعة الاستهواء، وشدة الخجل، والغيرة الشديدة، والكذب، والاستهتار، والسرقعة، والجروح إلى العنف والعدوانية لتحقيق غاياته، وغيرها من مظاهر الاضطراب النفسي وهو مرض العصر، وهذه ظواهر اجتماعية ونفسية ومرضية، يجب على الإعلام أن يحد منها، باستضافة خبراء التربية وعلم الاجتماع والنفس.

- علاقة وسائل الإعلام بالظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال: -

لقد بات من المعروف في ظل النسق الثقافي المفتوح للمجتمعات ومنه المجتمع الليبي أن أصبح العالم قرية بين يديك تشاهدها لحظة بلحظة في كل مناحي الحياة، فالطفل يستطيع عن طريق النت وجهاز الهاتف المحمول أن يتصفح كل ما هو جيد وغير جيد بل قد يتشرب منه بعض الثقافات مظهراً وسلوكاً، كما يحدث في لبس بعض الأزياء والحلاقة والأغاني واستخدام بعض الكلمات التي هي ليست من ثقافة مجتمعنا الإسلامي، بل بعض منها هي خدش لقللة الحياء والاحترام، فينبغي على الإعلام أن يتناول في قنواته المحلية والإذاعة المرئية والمسموعة بل وحتى في الصحف والمجلات مخاطر استخدام النت الغير جيد على أطفالنا، ودعوة كل أسرة وإدارات المدارس بعدم قبول المظاهر الدخيلة على مجتمعنا وطردهم الطلاب من المدرسة ما دام لم يلتزم بثقافة الزي المدرسي أو بالحد من القيافات الغير لائقة للطلاب (ذكور - إناث).

إن الإعلام وخصوصاً التلفزيون يؤدي دوراً مهماً باعتباره رسالة ناقلة للمعلومات، وعرضاً قوياً وجذاباً للمعرفة، فهو أكثر تأثيراً في الأطفال من أي وسيلة إعلامية أخرى، نظراً لارتباط الصوت بالصورة، ويقضون ساعات طويلة في مشاهدة برامجه، وعلى الرغم من أهمية التلفزيون في عملية التنشئة الاجتماعية فما زالت هناك آراء منقسمة بين مؤيد وعارض حول أهميته، فالمعارضون يركزون على الصدمة التي يتلقاها الطفل أثناء العروض التلفزيونية المختلفة بالجريمة والعنف، حيث يقلد الأطفال ما يشاهدونه من عنف وعدوان بالإضافة إلى ذلك بعض البرامج التي تشوه القيم والمعايير التي يعيشها المجتمع والأسرة (داغستاني: 2005، ص 172) وبالتالي انحراف وسائل الإعلام عن رسالتها فهي بهذه الصورة هي تدمير نفسية المجتمع ببطء.

فإعلام الخاطيء نجده يقوم بعرض مسلسلات وروايات ومسرحيات وأفلام العدوان والعنف والجريمة والتدمير والوحشية، فيتوحد البعض مع أبطالها وأحداثها ويقومون بتقليدها (يسرى: 2003، ص 45)، أما زيادة نزوع بعض المجلات العربية والصحف نحو الدعاية والترويج بدلاً من الاتجاه نحو بسط الحقيقة الموضوعية وعرض الأحداث والأفكار عن صورتها الحقيقية (الاحتياط: 2007، ص 140) وهذا يعد تفسخاً قيمياً مرخص به.

فالمواقع السيئة على الشبكة المخلة بالآداب تقوم بعرض صور فاضحة أو نصوص إباحية ولغات تخاطب سيئة، ويلاحظ ازدياد هذه المواقع (إبراهيم، ص 150) وبالتالي الإعلام العالمي عامة والعربي على الأخص يعاني في قصور عند تقديم رسالته التربوية والتثقيفية، حيث اشغل الأطفال عن الاهتمام بدروسهم والتفكير الجاد والمفيد، وبدأ يقدم لهم مادة إعلامية تتنافى مع قيم وعادات وتقاليد المجتمع الليبي من خلال المسلسلات الاجتماعية والكارتونية المليئة بالعنف والغرائز العاطفية والجنسية والموضات واللبس البعيد عن العفة والاحتشام.

فقد بينت نتائج دراسة أجريت أن الفتيات اللواتي يتم القبض عليهن وهن في سن (11 - 13) سنة، ويتهمن بتهم التحريض على الفسق والدعارة هن ضحايا أسرهن اللواتي لم تحتضنهن وتشعرهن

بالأمان بل كانت هي أول من اغتال براءتهن، وضحايا للمجتمع الذي لم يستوعبهن ولم يقم بواجبه بتوفير حقوقهم كأطفال من (مسكن ومأكل وتعليم وصحة) منذ البداية (بدران: 2008، ص 279).

فقط أظهرت نتائج دراسة أجريت انخفاض عدد القيم الإيجابية التي تتضمنها الألعاب الإلكترونية بوجه عام، وكانت أبرز القيم الاجتماعية السلبية التي عكستها تحليل الألعاب الإلكترونية لعينة الدراسة قيمة (إيذاء الآخرين) تليها قيمة (تدمير الممتلكات) في حين قيمة (القبح) من أبرز القيم الجمالية السلبية التي عكستها نتائج التحليل (حجازي: 2010، ص 117).

كما أظهرت نتائج دراسة أخرى أجريت أن غالبية أفراد عينة جمهور المشاهدين أن القنوات الفضائية تؤدي إلى تعود المشاهد على أنماط سلوكية يحرّمها الدين، وأن مجموعة كبيرة من أفراد عينة الدراسة قالوا أن للقنوات الفضائية الوافدة تأثير على سلوك الأطفال، وتعددت أوجه أضرار مشاهدة القنوات الفضائية الوافدة لدى عينة الدراسة في مقدمتها دعم العنف والإدمان والاعتصاب، يليها إثارة الغرائز وترويج الجنس وإظهار مفاتن المرأة (المعشي: 2005، ص 269)، وعليه نجد أن الأطفال ضحية إعلام ضعيف فيما يشاهدونه وليس مهذب لهؤلاء الأطفال، وتدعيم الأسرة في رعاية أبنائها بالثقيف للوصول إلى سلامة إنتاجها.

لذلك ينظر إلى وسائل الإعلام على أنها إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية في أي دولة، حيث تساهم على نطاق كبير في التثقيف والتعليم، والإرشاد والتوجيه وإيصال الأخبار المختلفة للأطفال، فضلاً عن دورها الفعال في الترفيه والتسلية، ودعم ثقافة العفة والاحتشام بين أطفالنا (ذكوراً - وإناث).

- دور الإعلام في حماية الأطفال من ظاهرة التدخين: -

يعد الإعلام قوة ضاربة في حياة المجتمعات الإنسانية المعاصرة بل أصبح أحد المتطلبات اليومية لتغذية الفرد والأسرة بما هو كائن وموجود على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي وكل المجالات الأخرى سواء ذلك الإعلام المرئي أو المسموع أو المقروء من مجلات وصحف وكتب، والأكثر من ذلك قراءة ما يوجد على صفحات التواصل الاجتماعي (النت) حيث أصبح أكبر بيئة إعلامية مؤثرة في حياة الإنسان وخاصة الأطفال الذي يطلع كل لحظة على ما هو جديد ومنشور سواء كان ذلك إيجابياً أو سلبياً قد يؤثر على سلوكيات إنتاجنا الاجتماعي وممارسة الكثير من الظواهر الاجتماعية الخاطئة في حياتهم، فالطفل كقطعة الأسفنج الذي يمتص الماء بسرعة، وأصبحت مؤسسات الأسرة والمدرسة والمؤسسات الأخرى غير قادرة على أداء رسالتها في ظل تشبع أطفالنا بثورة المعلومات المختلفة عبر وسائل الإعلام المختلفة وخاصة ثقافة الاستطلاع على شبكات التواصل الاجتماعي (النت) بما هو مفيد وضار لأطفالنا.

فقد بينت نتائج دراسة أجريت أن أكثر أنواع السلوك غير السوي شيوعاً وتكراراً بين الطلاب تمثل في: التأخر الدراسي، الهروب من المدرسة، التغيب عن المدرسة، الاستهتار بالنظام الدراسي، الكذب، التدخين، العدوان،

السرقه (الدالي: 2006، ص 36). إن ظاهرة تدخين السجائر من أكثر الظواهر غير الصحية انتشاراً بين بيئة الأفراد وخاصة الأطفال المراهقين في المجتمعات ومنهم المجتمع الليبي، وهي ظاهرة ناتجة عن أبعاد سيكولوجية واجتماعية ولها أثارها الصحية والنفسية والاقتصادية على الفرد صغيراً أو كبيراً والتراث السوسيولوجي لم يعطينا نسقاً واضحاً في فهم العوامل المرتبطة بظاهرة تدخين السجائر بأنواعها، بل قد يكون مدخلاً لممارسة ظاهرة المخدرات والهروين والحشيش، فالأطفال هم أكثر تعرضاً لممارسة تدخين السجائر، ومحاكاة للكبار، ومدخلاً للرجولة في نظرهم، والاضطرابات الشخصية والاجتماعية التي يمر بها الأطفال خلال فترة المراهقة فقد أظهرت نتائج دراسة أجريت أنه يمارس عادة التدخين حوالي (30%) من الشباب بانتظام، معظمهم في سن الدراسة (13 - 15 عاماً) (سليمان: 2009، ص 311) ناهيك عن الذين يمارسونها بانقطاع وفقاً للظروف التي يمرون منها، وبالتالي حتى نبعدهم عن هذه العادة ينبغي تدعيم الأنشطة الرياضية مثل إقامة المسابقات الرياضية في الأحياء وبين المدن وتنظيم الدوري الرياضي على مجتمع الدراسة الصغير والمساعدة على تكوين الفرق الرياضية المختلفة والرحلات الاستكشافية والمهرجانات المحلية والفصلية وغيرها. وثبت أن من أثار التدخين الإصابة بالصداع، والدوار، وضعف الذاكرة، وعدم التوازن، وقد يسبب الأرق الطويل، وكذلك زيادة ضربات القلب، وارتفاع ضغط الدم، وتصلب الشرايين، وإصابة الكبد بأمراض عديدة أضرها مرض الضمور الكبدي ويضعفها عن العمل أي عجز عن امتصاص السموم فتسري إلى الدورة الدموية وتصلب الشرايين وضعف القلب وغيرها (حوى: 2007، ص 81).

وفي دراسة أجريت في مصر بينت أن بداية التدخين يكون في سن المراهقة، وأن التدخين غالباً يتم في صحبة من الأصدقاء وبتشجيعهم لبعضهم البعض، وأن التردد عن المقاهي يعد أول الأماكن التي تشجع على التدخين، وكذلك في المناسبات السعيدة كالأفراح والنجاح الدراسي ثم السهر مع الأصدقاء ثم الاقتداء بشخصيات عامة مشهورة أو التباهي أمام الفتيات وغيرها (غانم: 2014، ص 317).

- دور الإعلام في حماية الأطفال من المخدرات: -

تظل ظاهرة المخدرات من الظواهر المؤثرة كثيراً في حياة المجتمعات وخاصة الأطفال سواء المتقدمة منها أو المتخلفة، وأصبحت مصدر قلق للسلطات الرسمية وحتى الأهلية، وقد عقدت من أجلها العديد من المؤتمرات على المستوى الدولي والإقليمي والمحلي، والمجتمع الليبي في ظل الفوضى السياسية التي يشهدها خلال العشر سنوات أو أكثر من التغيير السياسي أن ازدادت هذه الظاهرة تجارةً وترويجاً واستهلاكاً من بعض الأطفال في ظل غياب دور الأسرة والمدرسة والمؤسسات الأمنية بالمجتمع في ضبط هؤلاء والحد من هذه الظاهرة، فالإعلام الرسمي لم يكن له دور في التوعية والتنقيف بمخاطر المخدرات على الأطفال والمجتمع بتكثيف مستوى الندوات والورش في المدارس والنوادي الرياضية والتجمعات السكنية أو حتى استضافة رجال الأمن ومكافحة المخدرات في تناول أبعاد هذه الظاهرة على الطفل الليبي والأسرة والمجتمع ككل، فقد بينت نتائج دراسة أجريت حول ممارسة بعض الفتيات لظاهرة المخدرات أن نسبة من المفحوصات أقرن بانعدام وجود ضبط ورقابة من الأسرة هو أهم

أسباب تعاطيهم للمخدرات، وكذلك المشاكل والخلافات المتكررة بين الوالدين، تليها الرغبة في تجربة شيء جديد، ومصاحبة رفاق السوء، ثم الفقر والشعور بالانحطاط الاقتصادي، وسوء معاملة الوالدين (دحقول: 2003، ص 7)، وأمام هذه المتغيرات بات الأمر أكثر إلحاحاً في دور الإعلام للتصدي لهذه الظاهرة. ومحاولة إقامة سياج اجتماعي وحتى أمني لدر مخاطر المخدرات على الأطفال وحث الإعلام لتناول مخاطرها على المستوى المؤسسي.

- دور الإعلام في الحد من عمالة الأطفال: -

أكد بعض العلماء خطورة تعرض الطفل للعمل من الناحية الميكانيكية واستخدام المواد السامة، وكذلك تعرض الأطفال للحرارة المرتفعة والأثرية والضوضاء قد يسبب لهم التعب وعدم التركيز وصعوبة الفهم، كما أن غالبية الأطفال العاملين يعانون من العزلة، ويفتقدون للتغذية السليمة ويشكون ضعف الصحة (مهدي: 2000، ص 148)، وفي دراسة أجريت بينت نتائجها أن معظم الحالات قد بدأت العمل في المراحل الأولى من طفولتهم فقد دفعهن الكثير من الآباء دفعاً إلى العمل نتيجة للحاجة الاقتصادية، وتعرضهن للمخاطر والأضرار بسبب العمل الغير ملائم، وأن أبرز أنماط الانحراف لدى الفتيات هو التشرد والتسول والانحراف الجنسي وتعاطي المخدرات. (قمر، مبروك: 2009، ص 275) وفي دراسة أخرى أجريت بينت نتائج الدراسة أن هناك فروق بين الطفل العامل في الريف والطفل العامل في الحضر في الاتجاه نحو العمل حيث أوضحت الدراسة أن طفل الريف أكثر اتجاههاً للعمل من طفل الحضر، وإن كانت درجة هذا الاتجاه ليست مرتفعة (غانم: 2010، ص ص 241 ، 242).

كما بينت نتائج دراسة أجريت أن حجم الأسرة التي ينتمي إليها الطفل يؤثر في تحديد الإمكانيات المادية التي تشبع من خلال الكثير من حاجاته البيولوجية والاجتماعية والنفسية، كما أن ذلك قد يؤدي إلى الدفع بالطفل إلى مجال العمل في سن مبكرة ليشترك في مسؤولية الأسرة أو حتى على الأقل يتحمل أعباء نفسه (عبد المطلب: 1999، ص 109). وفي دراسة أخرى بينت نتائجها أن الأسرة تواجه العديد من المشكلات التي يمكن أن تؤدي إلى احتراف الشباب للسلوك الإجرامي مثل مشكلة العبء الاقتصادي الثقيل على الأسرة ومنها حالة الفقر، وهذه المشكلة تؤدي إلى انتشار بعض الظواهر الاجتماعية الإجرامية مثل التسول، والدعارة، وانحراف الأحداث، والانتحار، والعنف (موسى: 2004، ص 278).

- دور الإعلام الديني في الحد من الظواهر المرضية التي يقترفها الأطفال: -

تتبع دور العبادة الأساليب النفسية والاجتماعية في عرض قيمتها الدينية التي لها بُعداً كبيراً في عملية التنشئة الاجتماعية والدينية للطفل مثل الترغيب والترهيب والدعوة إلى ممارسة سلوك سوي طمعاً في الثواب ورضا النفس والابتعاد عن الأعمال والسلوكيات المنحرفة تجنباً للعقاب، إضافة إلى التكرار والإقناع والدعوة إلى المشاركة

الجماعية الخيرة، ومروراً بالإرشاد العملي وعرض النماذج السلوكية المثالية (الشناوي وآخرون: 2001، ص 222).

كما ينبغي استغلال مواهب الطفل الأخرى مثل التردد على مجالس الذكر فهي غذاء الروح والعقل، وكذلك مجالس العلم النافع سواء كانت مجالس علمية دينية أو علمية دنيوية نافعة (منيسي: 2001، ص 182).

إن مفهوم التربية الإسلامية تعني ((تنمية الشخصية الإنسانية كلها بجميع جوانبها الجسمية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية، فلم تترك التربية الإسلامية مجالاً من مجالات الشخصية الإنسانية إلا وأسهمت في تنميته وتوجيه نموه)) (عبد العال: 1990، ص 376).

فالتنشئة الدينية للأطفال هي تربية الطفل إيماناً وروحياً وخلقياً وإعداداً جسمى واجتماعياً ونفسياً وعقلياً عن طريق ربطه بأصول الإيمان وتعليمه مبادئ الشريعة وتعويدته أركان الإسلام، وتلقينه المبادئ الخلقية والفضائل السلوكية والوجدانية، إضافة إلى الاهتمام بصحته الجسمية والنفسية، وكذلك التوعية الفكرية، وإكسابه الآداب الاجتماعية الإسلامية (إبراهيم: 2000، ص 69) خوفاً عليه من تيارات التطرف الديني والإرهاب.

وفي الختام ينبغي على الإعلام أن ينشر ويوضح الأدوار الأخرى في المؤسسات التي أنشأها المجتمع لخدمة أطفالنا، من مؤسسات ترفيهيه وترويحية ونوادي رياضية ومنتزهات سياحية ومتنفسات ومسطحات خضراء يبدد فيها أطفالنا طاقاتهم المكبوتة لتنفيس عن حاجاتهم ومتطلباتهم، والبعد عن الانحراف والجريمة والبعد عن الظواهر الهادمة لحياتهم.

ثالثاً - الإطار الميداني: -

جدول رقم (1) يبيّن توزيع أفراد عينة الدراسة حسب العمر

ر.م	العمر	العدد	النسبة المئوية (%)
1	من 25 فأقل	16	13%
2	من 26 - 35	38	32%
3	من 36 - 45	41	34%
4	46 فأكثر	25	21%
-	المجموع	120	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (1) حول توزيع أفراد عينة الدراسة حسب العمر، فنجد نسبة الذين أعمارهم من 25 فأقل قد بلغت (13%)، ونسبة (32%) أعمارهم من 26 - 35، ونسبة (34%) أعمارهم من 36 - 45، ونسبة (21%) أعمارهم من 46 فأكثر.

ونستنتج من ذلك أن أغلب أفراد عينة الدراسة أعمارهم من 36 - 45 سنة.

جدول رقم (2) يبيّن توزيع أفراد عينة الدراسة حسب النوع

ر.م	النوع	العدد	النسبة المئوية (%)
1	ذكور	87	73%
2	إناث	33	27%
-	المجموع	120	100%

يتضح من بيانات الجدول رقم (2) حول توزيع أفراد عينة الدراسة حسب النوع، فنجد نسبة الذكور قد بلغت (73%) ونسبة (27%) إناث، ويتضح أن أغلب أفراد عينة الدراسة هم من الذكور.

جدول رقم (3) يبيّن توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المستوى التعليمي

ر.م	المستوى التعليمي	العدد	النسبة المئوية (%)
1	يقرأ ويكتب	4	3%
2	تعليم أساسي	32	27%
3	تعليم متوسط	41	34%
4	تعليم جامعي فما فوق	43	36%
-	المجموع	120	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (3) حول المستوى التعليمي لأفراد عينة الدراسة، فنجد نسبة الذين يقرؤون ويكتبون قد بلغت (3%)، ونسبة (27%) من هم بمستوى تعليم أساسي، ونسبة (34%) تعليم متوسط، ونسبة (36%) تعليم جامعي فما فوق.

ونستنتج أن أغلب أفراد عينة الدراسة هم بمستوى تعليم جامعي فما فوق، وتعليم ومتوسط.

جدول رقم (4) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الخلفية الحضرية

ر.م	الخلفية الحضرية	العدد	النسبة المئوية (%)
1	سكن داخل المدينة	83	70%
2	سكن ضواحي المدينة	37	30%
-	المجموع	120	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (4) حول توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الخلفية الحضرية، فنجد نسبة الذين يسكنون داخل المدينة قد بلغت (70%)، ونسبة (30%) يسكنون في ضواحي المدينة.

ونستنتج من ذلك أن أغلب أفراد عينة الدراسة هم من سكان المدينة.

جدول رقم (5) يبيّن رأي أفراد عينة الدراسة حول أكثر الظواهر الاجتماعية مرضية التي يمارسها الأطفال في المجتمع.

ر.م	أكثر الظواهر الاجتماعية مرضية يمارسها الأطفال في المجتمع هي: -	كثيراً	قليلاً	نادراً	المجموع
		العدد	العدد	العدد	العدد
		%	%	%	%
1	العنف اللفظي في المدارس والشوارع	28	36	16	120
		23%	53%	13%	100%

مجلة المناورة	العدد	7 يناير 2023	العدد	7 يناير 2023	العدد	7 يناير 2023	العدد	7 يناير 2023
2	المشاجرة داخل المدرسة وخارجها	53	44%	77	64%	24	20%	120
3	التدخين في المدرسة والحي	61	51%	22	18%	37	31%	120
4	العبث بأثاث المدرسة	71	59%	32	27%	17	14%	120
5	تناول المخدرات والمتاجرة بها	48	40%	28	23%	44	37%	120

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (5) حول رأي أفراد عينة الدراسة عن أكثر الظواهر الاجتماعية مرضية التي يمارسها الأطفال في المجتمع، فنجد نسبة الذين أجابوا بـ (كثيراً) حول فقرة العنف اللفظي في المدارس والشوارع قد بلغت (23%)، ونسبة (53%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (13%) أجابوا بـ (نادراً)، أما نسبة الذين أجابوا بكثير عن فقرة المشاجرة داخل المدرسة وخارجها قد بلغت (44%)، ونسبة (64%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (20%) أجابوا بنادراً، في حين نسبة الذين أجابوا بـ (كثيراً) عن فقرة التدخين في المدرسة والحي فقد بلغت (51%)، ونسبة (18%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (31%) أجابوا بـ (نادراً)، أما نسبة الذين أجابوا بـ (كثيراً) عن فقرة العبث بأثاث المدرسة فقد بلغت (59%)، ونسبة (27%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (14%) أجابوا بـ (نادراً)، في حين نسبة الذين أجابوا بـ (كثيراً) عن فقرة تناول المخدرات والمتاجرة بها فقد بلغت (40%)، ونسبة (23%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (37%) أجابوا بـ (نادراً).

ونستنتج من ذلك أن الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال بمدينة طرابلس متعددة، منها العبث بأثاث المدارس، والتدخين، والمشاجرات في أغلبها.

جدول رقم (6) يبين وجهة نظر أفراد عينة الدراسة عن مدى دور الأسرة اللببية في تربية وتنشئة الأطفال

ر.م	الفقرة	دور ممتاز	دور جيد	دور ضعيف	المجموع
		العدد	العدد	العدد	العدد
1	من وجهة نظرك، دور الأسرة اللببية في تربية وتنشئة الأطفال يعتبر:	19	43	58	120
		16%	36%	48%	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (6) وجهة نظر أفراد عينة الدراسة عن مدى دور الأسرة اللببية في تربية وتنشئة الأطفال، فنجد نسبة الذين أجابوا بدور ممتاز قد بلغت (16%) ونسبة (36%) أجابوا بدور جيد، ونسبة (48%) أجابوا بدور ضعيف.

ونستنتج من ذلك ضعف دور الأسرة اللببية في التنشئة والتربية للأطفال، والذي قد يرجع إلى عوامل عديدة، منها الانفتاح الثقافي للمجتمع، وعمل المرأة والرجل، بحيث لم يسمح لهما برعاية أفضل للأطفال.

جدول رقم (7) يبين إجابة أفراد عينة الدراسة عن السؤال التالي: -

هناك من يرى أن الجيل الحالي من الأطفال يحتاج إلى الرعاية وحسن التوجيه من الأسرة والمدرسة والمجتمع، إلى أي حد توافق على هذا الرأي؟

م.ر	الفقرة	أوافق		أوافق بشدة		لا أوافق		المجموع	
		العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
-	هناك من يرى أن الجيل الحالي من الأطفال يحتاج إلى الرعاية وحسن التوجيه من الأسرة والمدرسة والمجتمع، إلى أي حد توافق على هذا الرأي؟	32	27%	88	73%	-	-	120	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (7) حول إجابة أفراد عينة الدراسة عن السؤال، "هناك من يرى أن الجيل الحالي من الأطفال يحتاج إلى الرعاية وحسن التوجيه من الأسرة والمدرسة والمجتمع" إلى أي حد توافق على هذا الرأي؟ فنجد نسبة الذين أجابوا بـ (أوافق) قد بلغت (27%)، ونسبة (73%) أجابوا بـ (أوافق بشدة). ونستنتج مدى إحساس أفراد عينة الدراسة أن تهتم الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل بحسن الرعاية والتوجيه للأطفال بمنطقة الدراسة من حيث دور الأسرة التربوي، وكذلك دور المدرسة الذي يكمل دور الأسرة بطريقة تربوية علمية، وتفعيل دور الأخصائي الاجتماعي في معالجة بعض الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال، وكذلك دور المجتمع الذي يتمثل في إنشاء النوادي الرياضية والمنتزهات السياحية والترفيهية ومدن الألعاب للأطفال في كل مدينة وحي، وتفعيل دور شرطة الآداب في حماية الإنتاج الاجتماعي من الأمراض الاجتماعية.

جدول رقم (8) يبين رأي أفراد عينة الدراسة في أكثر الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال وشدة انتباههم

م.ر	أكثر الظواهر الاجتماعية التي يمارسها الأطفال وشدة انتباهك هي:	كثيراً		قليلاً		نادراً		المجموع	
		العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
1	الاستهتار وعدم التربية في الأسرة	63	53%	53	44%	4	3%	120	100%
2	استخدام الهاتف المحمول والإدمان عليه	81	68%	37	31%	2	2%	120	100%
3	استخدام العنف للحصول على حاجته	43	36%	60	50%	17	14%	120	100%
4	لبس الملابس الضيقة والممزقة بدافع مساندة الموضة	76	63%	38	32%	6	5%	120	100%
5	حلاقة الرأس بشكل ملفت كموضة أو تربية الشعر بعيداً عن قيمنا وعاداتنا	61	51%	56	47%	3	2%	120	100%
6	تشجيع الأطفال بثقافة العنف من خلال مشاهدة رياضة المصارعة والمسلسلات ذات الطابع العنيف	74	62%	33	28%	13	10%	120	100%
7	تباهي الآباء والأمهات بالسلوكيات ألا سوية التي يمارسها أطفالهم وعدم ردعهم	46	38%	29	24%	55	46%	120	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (8) حول رأي أفراد عينة الدراسة في أكثر الظواهر الاجتماعية مرضية يمارسها الأطفال وشدة انتباههم فنجد نسبة الذين أجابوا بـ (كثيراً) عن فقرة الاستهتار وعدم التربية في الأسرة قد بلغت (53%)، ونسبة (44%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (3%) أجابوا بـ (نادراً)، أما نسبة الذين أجابوا بـ (كثيراً)

عن فقرة استخدام الهاتف المحمول والإدمان عليه فقد بلغت (68%)، ونسبة (31%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (2%) أجابوا بـ (نادراً)، في حين نسبة الذين أجابوا بـ (كثيراً) عن فقرة استخدام العنف للحصول على حاجته فقد بلغت (36%)، ونسبة (50%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (14%) أجابوا بـ (نادراً)، أما نسبة الذين أجابوا بـ (كثيراً) عن فقرة لبس الملابس الضيقة والممزقة بدافع مسאיرة الموضة فقد بلغت (63%)، ونسبة (32%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (5%) أجابوا بـ (نادراً)، في حين نسبة الذين أجابوا بـ (كثيراً) عن فقرة حلاقة الرأس بشكل ملفت كموضة أو تربية الشعر الطويل بعيداً عن قيمنا وعاداتنا فقد بلغت (51%) ونسبة (47%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (2%) أجابوا بـ (نادراً)، أما نسبة الذين أجابوا بـ (كثيراً) عن فقرة تشبع الأطفال بثقافة العنف من خلال مشاهدة رياضة المصارعة والمسلسلات ذات الطابع العنيف فقد بلغت (62%)، ونسبة (28%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (10%) أجابوا بـ (نادراً)، في حين نسبة الذين أجابوا بـ (كثيراً) عن فقرة تباهي الآباء والأمهات في السلوكيات الأسيوية التي يمارسها أطفالهم وعدم ردهم فقد بلغت (38%)، ونسبة (24%) أجابوا بـ (قليلاً)، ونسبة (46%) أجابوا بـ (نادراً).

ونستنتج تباين الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال في مدينة طرابلس، وكانت أكثرها استخدام الهواتف المحمولة والإدمان عليها، ولبس الملابس الضيقة والممزقة بدعوى تتبع الموضة العالمية، وتشبعهم بثقافة العنف التي قد تكون من مشاهدتهم لرياضة المصارعة والمسلسلات الاجتماعية ذات الطابع العنيف، وغيرها في غياب دور الأسرة في توجيه أطفالهم لما ينبغي أن يكون.

جدول رقم (9) يبين رأي أفراد عينة الدراسة عن البرامج التي يطرحها الإعلام الليبي في إشباع الأطفال ثقافياً وترفيهياً

وترويحياً بعيداً عن ثقافة العنف

رقم	الفقرة	نعم	لا	المجموع
		العدد	العدد	العدد
		%	%	%
	الإعلام الليبي يتميز بحسن اختياره للمسلسلات الاجتماعية والكارتونية التي تشبع الأطفال ثقافة وترفيهياً وترويحياً بعيداً عن ثقافة العنف	39	81	120
		33%	67%	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (9) حول رأي أفراد عينة الدراسة عن البرامج التي يطرحها الإعلام الليبي في إشباع الأطفال ثقافياً وترفيهياً وترويحياً بعيداً عن ثقافة العنف، فنجد نسبة الذين أجابوا بـ (نعم) قد بلغت (33%)، ونسبة (67%) أجابوا بـ (لا).

ونستنتج من ذلك أن الإعلام الليبي ضعيف في حسن اختياره للبرامج الهادفة لتشبع الأطفال ثقافياً وترفيهياً وترويحياً، حسب رأي أفراد عينة الدراسة، وقد يفتقر إلى الخبراء والمستشارين في وزارة الإعلام لما ينبغي أن يعرض في الإعلام للطفل الليبي.

جدول رقم (10) يبين إجابة أفراد عينة الدراسة عن السؤال، هل توجد برامج علمية وتثقيفية بتوعية الأسرة بأصول التربية والتنشئة الاجتماعية للأطفال في الإعلام الليبي؟

م.ر	الفقرة	توجد برامج بكثرة		توجد برامج قليلة		لا توجد برامج		المجموع	
		العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
	هل توجد برامج علمية وتثقيفية بتوعية الأسرة بأصول التربية والتنشئة الاجتماعية في الإعلام الليبي؟	14	12%	24	20%	82	68%	120	100%

يتضح من البيانات السابقة بالجدول رقم (10) عن إجابة أفراد عينة الدراسة عن السؤال هل توجد برامج علمية وتثقيفية بتوعية الأسرة بأصول التربية والتنشئة الاجتماعية للأطفال في الإعلام الليبي، فنجد نسبة الذين أجابوا بـ (توجد) برامج بكثرة قد بلغت (12%)، ونسبة (20%) أجابوا توجد برامج بقلّة، ونسبة (68%) أجابوا لا توجد برامج.

ونستنتج من ذلك عن غياب دور الإعلام في توعية وتنشئة الأسرة الليبية بطرق رعايتها لأطفالهم للحد من الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسونها أو قد يمارسونها مستقبلاً.

جدول رقم (11) يبين رأي أفراد عينة الدراسة عما يجب أن يعرضه الإعلام الليبي

م.ر	الفقرة	مهم		مهم جداً		غير مهم		المجموع	
		العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
	هناك من يرى أن وسائل الإعلام وخاصة المرئية أكثر مشاهدة لدى الأطفال والأسرة وأهميتها أنها يجب أن تعرض ما يفيد الأطفال، وليس ما يثير شهواتهم ونزعاتهم العدوانية	45	38%	71	59%	4	3%	120	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (11) حول رأي أفراد عينة الدراسة عما يجب أن يعرضه الإعلام الليبي، فنجد نسبة الذين أجابوا بـ (مهم) قد بلغت (38%)، ونسبة (59%) أجابوا بـ (مهم جداً)، ونسبة (3%) أجابوا بـ (غير مهم).

ونستنتج من ذلك مدى إحساس أفراد عينة الدراسة بما ينبغي أن يعرضه الإعلام الليبي، وخاصة القنوات الإعلامية المرئية للحد من الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها أو قد يمارسها الأطفال.

جدول رقم (12) يبين رأي أفراد عينة الدراسة حول دور الإعلام في الحد من الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال

م.ر	مهم	مهم جداً	غير مهم	المجموع
-----	-----	----------	---------	---------

العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	دور الإعلام في الحد من الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال هي:
48	40%	69	58%	3	2%	120	100%	استضافة رجال التربية والتنشئة الاجتماعية والدينية في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة
59	49%	61	51%	-	-	120	100%	عرض في وسائل الإعلام دور رجال الأمن في قفلهم للمحلات التجارية التي تباع الألعاب النارية والملابس التي تفتقد للعفة والاحتشام.
53	44%	62	52%	5	4%	120	100%	دعوة رجال المرور للحد من تهور قيادة الأطفال للسيارات
52	43%	64	53%	4	3%	120	100%	نشر الإعلام لفوائد النوادي الرياضية على صحة الأطفال جسماً وسلوكياً واجتماعياً ودعوة الأسر لتوجيه أطفالها نحوها
46	38%	71	59%	3	3%	120	100%	أن يعرض الإعلام دور شرطة الآداب في كل مدينة وحي وأهمية تفعيلها

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (12) حول رأي أفراد عينة الدراسة عن دور الإعلام في الحد من الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال، فنجد نسبة الذين أجابوا بـ(مهم) عن فقرة استضافة خبراء التربية والتنشئة الاجتماعية والدينية في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة قد بلغت (40%)، ونسبة (58%) أجابوا بـ(مهم جداً)، ونسبة (2%) أجابوا بـ(غير مهم)، أما نسبة الذين أجابوا بـ(مهم) عن فقرة عرض في وسائل الإعلام قفل الحارس البلدي للمحلات التجارية التي تباع الألعاب النارية والملابس التي تفتقد للعفة والاحتشام فقد بلغت (49%)، ونسبة (51%) أجابوا بـ(مهم جداً)، في حين نسبة الذين أجابوا بـ(مهم) عن فقرة دعوة رجال المرور للحد من تهور قيادة الأطفال للسيارات فقد بلغت (44%)، ونسبة (52%) أجابوا بـ(مهم جداً)، ونسبة (4%) أجابوا بـ(غير مهم)، أما نسبة الذين أجابوا بـ(مهم) عن فقرة نشر الإعلام لفوائد النوادي الرياضية على صحة الأطفال جسماً وسلوكياً واجتماعياً ودعوة الأسر لتوجيه أطفالها نحوها فقد بلغت (43%)، ونسبة (53%) أجابوا بـ(مهم جداً)، ونسبة (3%) أجابوا بـ(غير مهم)، في حين نسبة الذين أجابوا بـ(مهم) عن فقرة أن يعرض الإعلام دور شرطة الآداب في كل مدينة وحي وأهمية تفعيلها فقد بلغت (38%)، ونسبة (59%) أجابوا بـ(مهم جداً)، ونسبة (3%) أجابوا بـ(غير مهم).

ونستنتج من ذلك مدى إحساس أفراد مجتمع الدراسة بأهمية دور الإعلام في الأسرة والمجتمع بأهمية رعاية الأطفال، والحفاظ على الموروث الثقافي من تيارات الموضة العالمية أو الغزو الثقافي الذي يهزنا من الأعماق، وتفعيل دور شرطة الآداب في المجتمع، ودور رجال المرور في اعتراض أي سيارة يقودها أطفال، وكذلك

دور رجال الحرس البلدي في قفل المحلات التي تباع الألعاب النارية، والملابس التي لا تتماشى مع قيمنا وعاداتنا وديننا.

نتائج الدراسة: -

- أظهرت نتائج الدراسة أن أعمار أفراد عينة الدراسة من 36 فأكثر، وأغلبهم من الذكور، وأكثرهم من المستوى التعليمي الجامعي فما فوق، وأكثرهم من الساكنين بمدينة طرابلس.
- كشفت نتائج الدراسة أن أكثر الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال بمدينة طرابلس هي: العبث بأثاث المدارس، ثم التدخين، والمشاجرات، وأن دور الأسرة اللببية ضعيف في رعاية وتنشئة الأطفال نتيجة لظروف عديدة، منها عمل الزوج والزوجة، وتأثير وسائل الاتصال الحديثة، والانفتاح الثقافي على العالم الآخر.
- بينت نتائج الدراسة أهمية رعاية الأطفال من الظواهر الاجتماعية المرضية بدءاً من دور الأسرة، والمدرسة، والمجتمع ككل، والعمل على توفير متطلبات الأطفال من النوادي، والحدائق، والمنتزهات السياحية، والمسطحات الخضراء، ومدن الألعاب، لما لها من حماية للإنتاج الاجتماعي من الأمراض الاجتماعية التي بدأ الأطفال ممارستها ثقافاً ومظهراً وسلوكاً، بدعوى تتبع الموضة العالمية من الملابس التي تفتقر للعفة والاحتشام، وسوء حلاقة شعر الرأس، وتزايد العنف بأشكاله، والاستهتار بنظم المدرسة والمجتمع.
- كشفت نتائج الدراسة عن غياب دور الإعلام في تثقيف الأسرة اللببية بأصول تربية الأطفال، وأن ما يعرض في وسائله وخاصة المرئية هي ما يثير شهوات ولذات الأطفال العدوانية والعمل على مراجعة المادة الإعلامية ما في المسلسلات الاجتماعية والبرامج الكرتونية.
- أظهرت نتائج الدراسة أهمية دور الإعلام في عرض دور رجال الأمن في الحد من الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال في كل مدينة وحي، وخاصة تفعيل دور شرطة الآداب والحرس البلدي في قفل المحلات التجارية ذات الشبهات في نزع الأطفال إلى العنف وعرض منتوجاتها التي لا تتماشى مع قيم وعادات المجتمع الليبي.

توصيات الدراسة: -

- حث وسائل الإعلام المختلفة على استضافة خبراء التربية، وعلم النفس، والاجتماع، والخدمة الاجتماعية، لتعريف الأسرة بأساليب التربية والتنشئة الاجتماعية للأطفال.
- العمل على سن التشريعات في المدارس والمجتمع للحد من ارتداء الأطفال (ذكوراً، إناثاً) للملابس التي تفتقر للعفة والاحتشام، والحفاظ على قيم وعادات ومعايير المجتمع الليبي، وتفعيل دور شرطة الآداب في مكافحة الظواهر الاجتماعية المرضية أو ما يسمى بالموضة العالمية، والجريمة في المجتمع.
- دعوة الإعلام الليبي لتبني برامج اجتماعية هادفة للطفل الليبي، والحد من المسلسلات الهزيلة ذات الطابع العنيف، وشرب الخمر، وطرق الهروب والتحايل على رجال الأمن والعدالة، وكذلك البرامج الكرتونية ذات الطبيعة العنيفة.
- حث مدراء المدارس والأخصائيين الاجتماعيين على معالجة الظواهر الاجتماعية المرضية التي يمارسها الأطفال بالمدارس، وتفعيل النشاطات المدرسية، والمهرجانات، لامتناس الشحنات المكبوتة لدى الطلاب وإبعادهم عن الانحراف، والاستهتار بالنظام المدرسي والمجتمعي.

(1) دعوة اللجنة العليا للطفولة لتبني سياسات توعوية وتربوية بمخاطر التدخين، وتناول المخدرات، والهيروين، والخمور على صحة الأطفال، وإنشاء فروع لها في كل مدينة، ورصد الظواهر الاجتماعية المرضية التي تهدد الإنتاج الاجتماعي بكل مدينة وحي.

قائمة المصادر والمراجع: -

أولاً - الكتب: -

- إجلال محمد يسري، الأمراض النفسية الاجتماعية، القاهرة، عالم الكتب، للنشر والتوزيع، ط 1، 2003.
- أمين منصور، إشكالية حقوق الطفل العربي، دراسة سيكولوجية، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط 1، 2007.
- بلقيس إسماعيل داغستاني، التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، الرياض، مكتبة العبيكان، 2005.
- التهامي نقره، الشريعة الإسلامية وضحايا الجريمة (ضحايا الجريمة) دار النشر المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض المملكة السعودية، 1990.
- سامية عبد العزيز منيسي، دور الأم في تربية الأجيال، القاهرة، دار الفكر العربي، ط 1، 2001.
- عبد الغني عبود حسن عبد العال، التربية الإسلامية وتحديات العصر، ط 1، القاهرة، دار الفكر العربي، 1990.
- عبد السلام البشير الدويبي، مدخل لرعاية الطفولة، طرابلس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1985.
- عبد الله عبد الغني غانم، جرائم العنف وسبل المواجهة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ط 1، 2004.
- عصام توفيق قمر، سحر فتحي مبروك، الرعاية الاجتماعية للأسرة والطفولة، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع المنصورة، ط 1، 2009.
- ماهر محمود عمر، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط 1، 1988.
- محمد الشناوي وآخرون، التنشئة الاجتماعية للطفل، عمان، دار صنعاء للنشر والتوزيع، ط 1، 2001، ص 222.
- محمد حسن غانم، الوقاية من تعاطي المخدرات والتدخين، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2014.
- محمد سعيد حوي، صناعة الشباب، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 2007.
- محمد سعيد حوي، صناعة الشباب، القاهرة، دار السلام، ط 2، 2007.
- محمد علي الهمشري وآخرون، مشكلة الأطفال الجانحين، الرياض، مكتبة العبيكان، ط 2، 2000.

ثانياً- الرسائل العلمية والمجلات والدوريات: -

- أحمد رأفت عبد الجواد، جريمة السرقة والتغير الاجتماعي دراسة ميدانية بين الريف والحضر بمحافظة سوهاج، قسم علم الاجتماع كلية الآداب، جامعة المنيا، 1991، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- أسامة قدرى عبد البارى موسى، دور بعض المؤسسات التربوية في الحد من الجرائم التي يعترفها بعض الشباب المصري ووضع استراتيجية لتفعيل هذا الدور، كلية التربية بسوهاج، قسم أصول التربية، جامعة جنوب الوادي، 2004، رسالة ماجستير غير منشورة.
- أشرف مصطفى طلبه عبد الموجود، جرائم العنف في قرى صعيد مصر، دراسة اجتماعية أيكولوجية، قسم العلوم الإنسانية، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، 2008، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- آمال حلمي سليمان، الرعاية الصحية في الجماهيرية الليبية (دراسة في الجغرافيا الطبية) مجلة الإنسانيات، كلية الآداب بدمنهور، جامعة الإسكندرية، العدد 30 مارس، 2009، ص 311.

- آمال عبد السلام جودة، النمو الحضري والمناطق المختلفة، دراسة اجتماعية عن الآثار الجانبية للنمو الحضري في مدينة طنطا، قسم علم الاجتماع كلية الآداب، جامعة طنطا، 1994، رسالة ماجستير غير منشورة.
- أمينة محمد عبد المطلب، المتطلبات التربوية المستقبلية للطفولة المصرية، دراسة استشرافية، كلية التربية، قسم أصول التربية، جامعة الزقازيق فرع بنها، 1999، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- دعاء سيد إبراهيم مهدي، اتجاه الطفل العامل نحو العمل وعلاقته بالعدوان وتعزيز الذات في الريف والحضر، معهد الدراسات العليا للطفولة، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة عين شمس، 200، رسالة ماجستير غير منشورة.
- رانيا حاكم كامل محمد إبراهيم، استخدام المراهقين للإنترنت وأثره على التنشئة الاجتماعية في الأسرة الحضرية: "دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ المدارس الإعدادية، قسم علم الاجتماع، كلية البنات، جامعة عين شمس، رسالة ماجستير غير منشورة.
- سالم بن عامر بن سالم المعشي، أثر البث الفضائي المباشر على الهوية الثقافية العمانية، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2005، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- سحر فاروق الصادق، قيم العنف في صحافة الأطفال العربية بالتطبيق على ما يقرأه الطفل المصري: دراسة للمضمون والقائم بالاتصال والجمهور، كلية الإعلام، قسم الصحافة والنشر، جامعة القاهرة 2000 رسالة دكتوراه غير منشورة.
- سعاد علي دحوق، العوامل النفسية والاجتماعية التي تكمن وراء تعاطي النساء للمخدرات، دراسة عن نزيلات مستشفى الرازي وسجن النساء بطرابلس، جامعة الفاتح، كلية الآداب، رسالة ماجستير، 2003.
- سماح حسن إبراهيم الدالي، دور الأخصائي الاجتماعي في تفعيل اتفاقية الدولية لحقوق الطفل في المجال المدرسي، دراسة مطبقة على بعض مدارس التعليم الأساسي بشعبية تاجوراء النواحي الأربعة، جامعة الفاتح، كلية الآداب، قسم الخدمة الاجتماعية، 2006 – 2007، رسالة ماجستير غير منشورة.
- صالح السيد عراقي إبراهيم، دور إذاعة القرآن الكريم في التنشئة الاجتماعية للأطفال في المرحلة العمومية من (9 – 12 سنة) دراسة مسحية، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 2000، رسالة ماجستير غير منشورة.
- عبير محمد بدران، أثر المتغيرات البيئية الحديثة على جرائم الاستغلال الجنسي للأطفال وكيفية حمايتهم: "دراسة تطبيقية على مؤسسة القاصرات بعين شمس، قسم العلوم الاقتصادية والقانونية والإدارية البيئية، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، 2008، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- عزة حامد زيان غانم، النوع الاجتماعي وانحراف الفتيات في المجتمع الحضري المصري، دراسة ميدانية في مؤسسة رعاية الفتيات بالهجرة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2010، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- فوزية حسين قنادي، الفضائيات والتغير الثقافي في المجتمع الليبي، دراسة ميدانية على عينة من الشباب بمدينة بنغازي، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2008، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- محمد إبراهيم محمود فرج، العلاقات الاجتماعية في المناطق العشوائية، دراسة أيكولوجية مقارنة على حي شرق القاهرة، قسم الدراسات الإنسانية، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، 1998، رسالة ماجستير غير منشورة.
- محمد عمر سالم معتيق، وسائل الإعلام الحديثة وأثرها على التنشئة الاجتماعية للشباب، أعمال المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب والعلوم – ترهونة، 19 – 20 ديسمبر 2015، جامعة الزيتونة.

- مسعد مسعد محمد الحتياط، دور الأنترنت والصحافة في إمداد المراهقين بالمعلومات: (دراسة ميدانية في محافظة دمياط)، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 2007، رسالة ماجستير، غير منشورة.
- نهاد فتحي سليمان حجازي، القيم التي تعكسها الألعاب الإلكترونية وتأثيرها على الأطفال، دراسة مسحية، كلية الإعلام، قسم الإذاعة والتلفزيون، جامعة القاهرة، 2010، رسالة ماجستير غير منشورة.

رؤية وتصورات طلاب علم الاجتماع لمفهوم وصفات الباحث الاجتماعي

"دراسة استطلاعية على عينات من طلبة قسم علم الاجتماع" كلية الآداب جامعة طرابلس

د. نادية جمعة على الغرياني د. ربيعة الصادق احمد الأطرش
قسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة طرابلس قسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة طرابلس

ملخص الدراسة

مازال دور البحث العلمي بصفة عامة والبحث الاجتماعي بصفة خاصة في ليبيا غير بارز وغير فعال خصوصا على صعيد دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية، كما ان دوره محدود جدا في المشاركة في وضع السياسات، والخطط العلاجية اللازمة لإحداث التطور والتغير الاجتماعي، ولفهم اسباب غياب هذا الدور تم تنفيذ هذه الدراسة الميدانية الاستطلاعية على عينة مكونة من 100 مفردة من طلاب قسم علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة طرابلس، بهدف معرفة تصوراتهم عن البحث العلمي الاجتماعي، واستكشاف مفاهيمهم عن دور واهمية الباحث الاجتماعي في دراسة الواقع الاجتماعي، وكيفية مساهمته في احداث التطور والتغيير، على اعتبار ان وعي طلاب علم الاجتماع بهذه المفاهيم هو العامل الأساسي في تفعيل دور الباحث الاجتماعي في المجتمع واثبات وجوده على المستوى المهني.

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي، البحث الاجتماعي، الباحث الاجتماعي، الاعداد المهني للباحث الاجتماعي.

مقدمة

لقد اسس لعلم الاجتماع في ليبيا كتخصص عدد من الاساتذة الكبار والمرموقين علميا، كالأستاذ الدكتور مصطفى علي التير، والأستاذ الدكتور علي الحوات، والأستاذ الدكتور ابو بكر يوسف شلاي وغيرهم من الشخصيات التي عرفت في هذا المجال على مستوى الوطن العربي، وكذلك العالمي. وعلي الرغم من ذلك ظل دور علم الاجتماع في المجتمع الليبي محدود وغير واضح وغير ملموس، ولم يتطور اداء الخريجين من اقسام علم الاجتماع في مجال البحث الاجتماعي ولم يتوصل

الباحث الاجتماعي في ليبيا الي يومنا هذا الي اثبات وجوده في المجتمع كمتخصص في مجال البحث العلمي، او تفعيل دوره ومهامه كباحث في مجال الظواهر والمشكلات الاجتماعية، كما نلاحظ ان هذا الغموض والابهام يلف هذا المجال ويطغى على اذهان بعض المختصين والدارسين فيه من حيث الدور المهني للباحث الاجتماعي، والوظائف التي يمكن ان يشغلها، الامر الذي سبب في تعطيل دور الباحث الاجتماعي، ومساهماته في دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية، وتعطيل دوره في تقديم المقترحات والحلول والاستشارات اللازمة.

وعليه فهذه الاسباب دفعت بالباحثين الى اعداد هذه الدراسة بهدف الاطلاع والبحث في مفهوم علم الاجتماع والباحث الاجتماعي في تصورات عدد من طلاب المرحلة الجامعية بقسم علم الاجتماع.

المحور الأول موضوع الدراسة واهميته:

أولاً: موضوع الدراسة.

لقد شهد انشاء التعليم الجامعي في ليبيا مراحل متعددة ومختلفة من حيث المكتسبات، وازدهر في فترات، وانتكس في أخرى، وتقسم الدكتوراة عائشة محمد بن مسعود فشيكة في دراسة لها بعنوان "التعليم العالي كأحد آليات التغير الاجتماعي والاقتصادي في ليبيا" (فشيكة، 2019، 111) مراحل تطور التعليم العالي في ليبيا من حيث الكم الى ثلاثة مراحل هي:

المرحلة الاولى من 1970-1994

المرحلة الثانية من 1994 - 2002

المرحلة الثالثة من 2002 الى الوقت الحاضر.

كما تشير الباحثة الي ان التوسع الكمي في عدد الجامعات ادى الى تزايد عدد الطلاب.

وعلى الرغم من هذا التزايد في عدد الجامعات في ليبيا على المستوى الكمي الا ان هذه الجامعات لم تشهد توسعا مماثلا في الجانب الكيفي، ويظهر ذلك في المستوى المتدني من حيث الخدمات التعليمية التي تقدمها هذه الجامعات، ويعتبر متدني ايضا بالنسبة للمقاييس العالمية، وتقارير الامم المتحدة السنوية.

وسنعمل في هذه الدراسة الميدانية على البحث في مفهوم علم الاجتماع، وكذلك مفهوم ومعنى الباحث الاجتماعي في مخيلة وتصورات عدد من طلاب قسم علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة طرابلس، نظرا لان ما يحمله الطلاب من مكون معرفي عن علم الاجتماع ومفاهيم، وافكار سيحدد مهامهم واعمالهم، وادوارهم المستقبلية في المجتمع، وهو مايعكس المستوى الكيفي للدراسة الجامعية، وكذلك يشير الى دور التنشئة الاكاديمية في اعداد الباحث الاجتماعي.

وبالرجوع لتاريخ تأسيس علم الاجتماع في ليبيا نجده دخل الجامعة الليبية "1954م، واصبح قسما علميا الى جانب الفلسفة، تحت مسمى الدراسات الفلسفية والاجتماعية، وانضم اليه عدد من الاساتذة اللامعين آنذاك على المستوى العربي، ثم انفصل علم الاجتماع عن الفلسفة واصبح تخصصا قائما بذاته تحت مسمى علم الاجتماع، وانتشر على مستوى الجامعات الليبية والتي اصبح عددها حاليا يتجاوز الاربعة عشر جامعة.

ويطرح الدكتور حسين المرجين بعد هذا السرد المبسط لتاريخ نشأة علم الاجتماع في ليبيا سؤال مفاده: "بعد مرور حوالي ستين عاما من هذا التأسيس. هل هناك حاجة الى استمرار وجود اقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية؟ او بالأحرى هل هناك فوائد جناها المجتمع الليبي من مخرجات علم الاجتماع بعد ستين عاما على تأسيسه؟" (مرجين، 2018، 44).

وسؤال الباحث هنا يعكس في مضمونه سؤال برز في اوساط البحث العلمي في فترة من الفترات، وهو هل يستطيع المجتمع ان يعيش او يستمر بدون باحث اجتماعي؟

ويمكننا الاجابة بنعم لأننا ببساطة لم نعد ونؤسس الباحث الاجتماعي الذي يقنع المجتمع بأهميته، ويستطيع ان يقدم خدمات تجعل المجتمع غير قادر على الاستغناء عنه ..!

كما نستطيع العيش بدون طبيب عندما يفشل في علاجا، ونستبدله بما اصبح يسمى اليوم بالطب البديل لأنه استطاع ان يقنعنا بأهميته وبقدرته على تقديم العلاج ..!

والسؤال لماذا لم نخلق في جامعاتنا، ونكون باحث اجتماعي يقدم لنا خدمات نحن في حاجة اليها، وتجعلنا غير قادرين على الاستغناء عنه؟

فاليوم نحن في حاجة الى باحث اجتماعي قادر على اعداد البحث العلمي الاجتماعي، وقادر على استخدام مهارات التفكير الناقد وكذلك قادر على تقديم الحجة، وواعي بدوره ومهامه في

المجتمع، والمؤمن بقدرته على احداث التغيير والتطوير في أي مكان يعمل فيه وفي أي مؤسسة من مؤسسات المجتمع.

وخلق مثل هذا الباحث يتأتى من خلال اعداد وتأهيل طلاب علم الاجتماع في المرحلة الجامعية وتوعيتهم بأدوارهم المهنية كباحثين اجتماعيين، وتوسيع مداركهم لمفاهيم التخصص ومتطلباته وادواته، واكسابهم كم معرفي وتصورات عن المهنة تؤهلهم مستقبليا للقيام بأدوارهم العلمية والعملية الفاعلة في توجيه التفاعل الاجتماعي وتنظيمه.

ثانيا: تساؤلات الدراسة.

- 1- هل يحمل الطالب الدارس في قسم علم الاجتماع تصورا واضحا عن عمله مستقبلا كباحث اجتماعي وعن التخصصات الوظيفية التي يستطيع ان يشغلها ويعمل بها؟
 - 2- هل تعد اقسام علم الاجتماع في ليبيا باحث مؤمن بدوره في احداث التغيير الاجتماعي؟
 - 3- هل يدرك الطالب في قسم علم الاجتماع العلاقة بين علم الاجتماع، والبحث العلمي والباحث الاجتماعي في المجتمع؟
 - 4- هل يدرك الطلاب في قسم علم الاجتماع اسباب عدم تطور دور البحث العلمي، والباحث الاجتماعي في المجتمع الليبي؟
 - 5- هل يشعر الطالب في قسم علم الاجتماع بأهميته كمتخصص في هذا المجال؟ وأهمية ودور الباحث الاجتماعي في المجتمع؟
 - 6- هل تقف اقسام علم الاجتماع عاجزة عن مد المجتمع بباحثين متخصصين قادرين على خوض المعترك الوظيفي في كل المجالات والتخصصات؟
- للإجابة على هذه التساؤلات وغيرها، عملنا على تنفيذ واعداد هذه الدراسة الاستطلاعية الميدانية على عدد من الدارسين بقسم علم الاجتماع، من منطلق وافترض ان استيعاب الباحث الاجتماعي لدوره العلمي والبحثي هو مايجعله يفعل مكانته بالمجتمع، ويكون ذلك من خلال ما يكتسبه من معرفة علمية واعداد نظري وميداني في المرحلة الجامعية.

ثالثا: مبررات الدراسة.

- قلة مشاركات الباحثين الاجتماعيين في الدراسات الاجتماعية وفي وضع الخطط العلاجية لما يبرز في المجتمع من مشكلات.
 - اسهامات الباحثين الاجتماعيين بمختلف مستوياتهم في دراسة الحالة اللببية باهتة وغير مجدوية.
 - لا يوجد باحثين اجتماعيين يعملون على الاشتراك او المساعدة في فهم اسباب وعوامل الفوضى الراهنة في البلاد، والمشاركة في وضع الحلول وسبل ووسائل التغيير.
 - الباحث الاجتماعي غير حاضر وغير مساهم في دراسة وتحليل الواقع الاجتماعي الليبي.
- رابعا: اهمية الدراسة.

تكمن اهمية هذه الدراسة في العمل على توضيح مدى ادراك طلاب قسم علم الاجتماع لمفهوم وفلسفة هذا التخصص، ومدى وعيهم ويقينهم بدورهم في المستقبل كباحثين، كذلك مدى استعدادهم لخوض غمار البحث العلمي الاجتماعي، كما تتضح اهمية الدراسة في تسليطها الضوء على جزء من الجانب المعرفي للطلاب الذي يعكس مدى نجاح التنشئة الاكاديمية بمد الطلاب بالمعرفة اللازمة في مجال التخصص ومهامه العملية والعلمية.

خامسا: اهداف الدراسة.

لربط العلاقة بين تصورات الطلاب في قسم علم الاجتماع ودور الباحث الاجتماعي في المجتمع تنطلق الدراسة من اهداف هي:

- 1 التعرف على ما يحمله الطالب الدارس في قسم علم الاجتماع من تصورات عن عمله مستقبلا كباحثا اجتماعيا وعن التخصصات الوظيفية التي يستطيع ان يشغلها ويعمل بها.
- 2- معرفة ما اذا كانت اقسام علم الاجتماع في ليبيا تعد باحثا مؤمنا بدوره في احداث التغيير الاجتماعي.
- 3- التعرف على مدى ادراك الطالب في قسم علم الاجتماع للعلاقة بين علم الاجتماع، والبحث العلمي الاجتماعي، والباحث الاجتماعي في المجتمع.
- 4- التعرف على مدى ادراك الطلاب في قسم علم الاجتماع لاسباب عدم تطور دور البحث العلمي الاجتماعي، والباحث الاجتماعي في المجتمع الليبي.

- 5- معرفة ما يشعر به الطالب في قسم علم الاجتماع بأهميته كمتخصص في هذا المجال، ومعرفته لأهمية ودور الباحث الاجتماعي في المجتمع.
- 6- معرفة مدى نجاح او فشل اقسام علم الاجتماع عن مد المجتمع باحثين متخصصين قادرين على خوض المعترك الوظيفي في كل المجالات والتخصصات.
- سادسا: مصطلحات الدراسة.

- 1- البحث العلمي:** يتضمن مجموعة الاجراءات المنهجية المنظمة والمتسلسلة التي ينتهجها الباحث للوصول الي دراسة وتفصي الحقائق في موضوع ما.
- 2- البحث الاجتماعي:** مجموعة من الخطوات المنهجية التي يسلكها الباحث لدراسة ظاهرة أو مشكله اجتماعية وكشف العلاقة بين الاسباب والعوامل بهدف الوصول الى نتائج وحقائق.
- 3- الباحث الاجتماعي:** هو من يقوم بادارة وتصميم وتخطيط المشاريع البحثية في مختلف المؤسسات باستخدام الطرق المنهجية العلمية لجمع البيانات وتنظيمها وتحليلها للوصول الي نتائج واتخاذ القرار.
- 4- الاعداد المهني للباحث الاجتماعي:** هو استخدام افضل الطرق والبرامج لتكوين الشخصية المهنية في مجال البحث العلمي الاجتماعي.

المحور الثاني: الاطار النظرى.

اولا: وضع البحث الاجتماعى في ليبيا.

تعانى ليبيا كغيرها من دول العالم الثالث الكثير من المشكلات السياسية والاقتصادية على الرغم من امتلاكها لثروات طبيعية هائلة كان من الممكن استغلالها في احداث التغيير، والتطور. كما يسطو شبح التخلف والازمات على الكثير من مسارات، ونشاطات الحياة الاجتماعية، ومن بينها العلم والبحث العلمي، فالبحث العلمي في ليبيا لا يتمتع بأي اهتمام، ولا إمكانيات، ولا يوجد رصد لميزانيات تُعنى بالإنتاج والبحث العلمي. كما هو حال العلم والبحث العلمي في اغلب الدول العربية، فنحن نسمع باستمرار عن الانتاج العربي للنفط وبصورة يومية، ولا نسمع عن الانتاج العلمي العربي بنفس الصورة، "فالمجتمعات العربية مازالت غير قادرة على التعاطي مع انتاج المعرفة على الوجه الكافي واللازم رغم مقوماتها المادية والمهدورة" (عبد الغفار، 2013، 1 يناير).

وعلى الرغم من ارتفاع عدد الحاملين للشهادات العلمية بمختلف درجاتها وانخفاض نسبة الامية في اغلب الدول العربية الا ان هذه الدول لم تشهد أي نهضة على المستوى الفكري والعلمي. ويعتري البحث العلمي في هذه الدول الكثير من المعوقات، والعراقيل التي تمنعه من الازدهار والنمو، وما يحدث في ليبيا مثال على ذلك. فالأزمة فيها مضاعفة، وانتاجها العلمي خير دليل على ماتمر به من ظروف، فأجمالي الانتاج العلمي في ليبيا من سنة 2008 الى 2018 بلغ 2902 بحث، وشكل هذا العدد نسبة 1% على مستوى الوطن العربي (الخطيب، 2012، 4). ولا يذكر على المستوى العالمي.

وكباحثين اجتماعيين وكأعضاء هيئة تدريس نعمل في هذا مجال علم الاجتماع منذ سنين فقد لامسنا وعن قرب كثير من العراقيل، وعایشنا العديد من الاسباب التي تمنع الباحث من التطور والمساهمة في التطوير. وبرز هذه الأسباب، الكيفية التي يتم من خلالها اعداد الباحث الاجتماعي في مرحلة الدراسة الجامعية، والتنشئة الاكاديمية التي تتم من خلال جامعات تفتقر الى الامكانيات

والقدرات التي يجب ان تكسب الطالب القدرات والمهارات التي تؤهله لخوض معترك الحياة كباحث اجتماعي.

فالتنشئة الاكاديمية التي تتم من خلال جامعات بدون مكتبات، وبدون معامل، ولا مراكز او حتى وحدات بحثية، وبدون كتاب جامعي او خدمات الانترنت، وغير ذلك من متطلبات وأدوات، هذا الفقر في الإمكانيات، ادى الى اعداد اجيال هزيلة على المستوى الفكري، وكذلك على مستوى الادراك العلمي لمفهوم البحث العلمي الاجتماعي ومهام الباحث الاجتماعي.

ثانيا: اهمية العلم والبحث الاجتماعي.

من زاوية اهمية العلم الاجتماعي، ودوره فقد برز عدد من علماء الاجتماع الذين اولو اهتماما كبيرا بدراسة العلم ووظيفته في المجتمع، من بينهم روبرت ميرتون الذى نظر للعلم كمؤسسة، ويقوم بتحليل تنظيمها، واعداد نظريات تقدم تصورا لوظيفة العلم كمؤسسة، ويصف العلاقات الفردية والجماعية للعلماء، والتي تمكن المؤسسة الاجتماعية للعلم من تحقيق المنطقية العلمية، وتراكم المعارف ونشرها في المجتمع، ويقصد ميرتون بالتصرفات الفردية والجماعية للعلماء، مجموعة القواعد والعادات الاجتماعية، والمهنية، والقيم، والافكار التي تشجع التطور الجاد والمستقل للعلم" (دسوقي، 2004، 33-34) فالعلم عند ميرتون يمنح الفرصة لتنمية النظام الديمقراطي الذى ينمو مع اخلاقيات العلم.

ويشمل البناء الاجتماعي للعلم عند ميرتون ثلاثة فرضيات هي:

الفرضية الأولى: في انه مستوطن ومتماشي مع السياق، وهو سياق فعال ويحتوى على مجمل الظواهر الاجتماعية.

الفرضية الثانية: فتمثل في ان العلم اجتماعي في بنائه الداخلي، اذ يتكون من الافراد (العلماء) وتنظيمهم اجتماعيا لتحقيق نشاطات، والحصول على نمط من المعارف.

الفرضية الثالثة: ان جميع التحولات التي تحدث في بنية العلم تكون متأثرة بالتغيرات الاجتماعية، وتشمل بنية العلم الداخلية والخارجية، وهو مايشير الى وجود تفاعل بين النظام الاجتماعي والعلم، واذا حدث استقلال للعلم عن المجتمع يعد استقلالا نسبيا(دسوقي، 35) اذن ميرتون يجعل من نظام التعليم والبحث الاجتماعي نسق او بالأحرى كل متفاعل له آلياته الخاصة والمؤثرة داخليا في ما يحدث به من تفاعل وكذلك مؤثرة ومتأثرة باليات التفاعل التي تشمل النظام الاجتماعي الكلي للمجتمع.

لقد أصبح الصراع في العالم اليوم مبنى على الانجاز في مجال البحث العلمي كما أصبح للباحث دور ضروري وأساسي ان لم يكن رئيسي في مسائل اتخاذ القرار، فهو مطالب بتقديم المشورة والحلول في كل صغيرة وكبيرة، الحلول المبنية على الدراسات والبحوث العلمية وكذلك مطالب بتحليل ما يستجد من إحصائيات في شتى المجالات والاحداث، فالباحث الاجتماعي يقوم بدور المستشار بناء على ما يحمله من رؤية علمية محللة ومفسرة للأحداث والظواهر والوقائع الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.. الخ. ومتنبئة بنتائجها المستقبلية، وهذا ما يجعل الباحث قادرا على تقديم التفسير والنظريات المستسقاة من المرجعيات العلمية والتي تبنى على اساسها تنظيم مسارات التفاعل الاجتماعي.

وخير دليل على ذلك ما شهدناه في دول العالم من تحركات واجراءات بهدف التحكم في مجريات الاحداث، والعلاقات الاجتماعية للحد من انتشار وباء كوفيد 19، وهو ما يعكس دور البحث العلمي في ماأخذ من قرارات للتحكم في انتشار هذا الوباء، وهي قرارات اشترك فيها الباحثين من مختلف التخصصات، السياسيين والقائمين على القطاع الصحي والاقتصاديين، والباحثين المختصين في مجال علم الاجتماع بما لديهم من خبرة ودراية في مجال التفاعل الاجتماعي والمركب الثقافي.

ان للباحث الاجتماعي دور أساسي ومهم في تنظيم آليات الحياة الاجتماعية، وفهم ديناميكية التفاعل الاجتماعي، وبالتالي دوره في الدفع بعجلة التطور، واحداث التحول، والتغيير المطلوب، وفي الاتجاه المرغوب.

لكن هذا الدور مازال متعترا في كثير من الدول والمجتمعات وبالأحرى تلك التي لا تعطي اهمية كبيرة للعلم والبحث العلمي ولا تستند اليه في اتخاذ القرارات.

ثالثا: الدراسات السابقة.

سيتم الاشارة في هذا الجزء الي عدد من الدراسات التي تشير لواقع علم الاجتماع في ليبيا ومصر.

1- دراسة ميلاد مفتاح الحراث بعنوان: علم الاجتماع في ظل المآزق والاعطاب المفاهيمية "رؤية نحو توطين علم اجتماع عربي اسلامي مع دراسة الحالة الليبية لتطور علم الاجتماع" 2018.
ي طرح الباحث في هذه الورقة ثلاثة تساؤلات اساسية وهي كالتالي:

1. لماذا علم الاجتماع في ليبيا تدريسا وتطبيقا ليس بعلم قائم بذاته حيث ان مجتمع دراسته له خصوصياته البيئية.

2. لماذا لا يتمتع علم الاجتماع في ليبيا بخصائص العلوم الاخرى من حيث مادة البحث، مجتمعات البحث الظواهر، المتغيرات الاثبات والتعميم.

3. ماهي طبيعة الاعطاب والمآزق المفاهيمية والمعرفية لعلم الاجتماع نحو رؤية توظيفية لعلم اجتماع عربي اسلامي معاصر. " (الحراثي، 2018، 29 مايو).

يذكر الباحث ان الاسباب التي دعت الي هذه الدراسة انطلقت من ملاحظته لمعاناة علم الاجتماع من اعطاب ومآزق منهجية ومفاهيمية تعكس اثارها باستمرار في تطور هذا التخصص. والجدير بالذكر ان الباحث ظل يردد بعض المصطلحات ككلمتي اعطاب ومآزق مفاهيمية دون توضيح او شرح للمقصود من هذه التعابير. وما يمكن ان نستشفه من بين السطور ان الباحث يدعو الي مايدعو اليه الكثير من الباحث العرب في مجال علم الاجتماع منذ زمن ولم يصلوا اليه الي الان، وهو استخدام منهجية جديدة لتحليل الفعل الاجتماعي والظواهر الاجتماعية العربية، لخصوصية هذه المجتمعات واختلافها عن المجتمعات الأوروبية التي نشأ فيها علم الاجتماع وافرز نظرياته التي لا تستطيع تحليل مظاهر الحياة العربية الاسلامية في ضوءها. وقد تمت الاشارة الي هذه الدراسة كدراسة سابقة لما نوهت اليه من وجود معضلة في هذا استخدام هذا التخصص في فهم وتحليل الواقع الاجتماعي العربي على كل من الجانبين النظري والعملية.

2- ورقة بعنوان: هل هناك حاجة الى اقسام علم الاجتماع في الجامعة الليبية للدكتور حسين

سالم المرجيني وسالمة ابراهيم بن عمران 2018.

تطرق الباحثان في هذه الورقة الى تاريخ انشاء وتطور قسم علم الاجتماع في الجامعات الليبية الذي بداءت حسب ما ورد في الورقة سنة 1954، حيث تم انشاء قسم علمي الى جانب الفلسفة تحت مسمي الدراسات الفلسفية والاجتماعية. كما تتطرق الباحثان في هذه الورقة الى اهم المشكلات التي تواجهها اقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية وبعض اسباب تخلف هذه الأقسام، وعدم قدرتها الى الوصول لخلق باحثين اجتماعيين لهم القدرة على دراسة وتغيير الواقع الاجتماعي في ليبيا منطلقين من عدد من التساؤلات:

- ما هو واقع قسم علم الاجتماع في كلية الآداب جامعة طرابلس؟
- ماهي اهم المشكلات والتحديات التي تواجه علم الاجتماع في جامعة طرابلس؟
- ماهي الخطوات المتخذة لتطوير علم الاجتماع في جامعة طرابلس؟ (مرجين وبن عمران، 2018)

- كما تطرق الباحثان لعدد من المشكلات التي تواجه القسم يمكن تلخيصها في التالي:
1. قصور لدى المشتغلين بقسم علم الاجتماع بالتعريف به وبأهميته ودوره في المجتمع؟
 2. جمود المقررات الدراسية وعدم خضوعها للتجديد.
 3. وجود مقاومة كبيرة للتغيير والتجديد من قبل بعض الاساتذة بالقسم.
 4. عدم وجود شروط ومعايير لقبول الطلبة بالقسم جعل القسم ملاذ للفاشلين في التخصصات الاخرى.
 5. طرق التدريس تقليدية وقديمة لا تساهم في أي تطور في التخصص.
 6. قلة الانتاج المعرفي لاعضاء هيئة التدريس. "(المرجحين وبن عمران، 2018، 52-56)
- على الرغم من اهمية ما جاء في هذه الورقة من طرح، وبصفتنا زملاء للباحثين ونعمل بنفس القسم نشهد على صحة بعض ما ذكر من وصف للواقع التعليمي به، ونوافق كذلك على عدد من الانتقادات، والتي يمكن القول انها تصف واقع اغلب اقسام علم الاجتماع بالجامعات الليبية. لكننا نتفق هذا العمل من حيث اعتماده بالكامل في تحديد هذه المشكلات على الخبرة الذاتية، وجاءت النتائج عمومية دون رصد علمي رصين.

3- دراسة بعنوان: "اساليب التنشئة الاكاديمية للباحثين في مصر" دراسة استطلاعية للحصول

- على درجة الماجستير للباحثة نفيسه حسن حسن دسوقي 2004. استهدفت الدراسة التالي:
- التعرف على اليات عملية التنشئة الاكاديمية التي تتم داخل اقسام علم الاجتماع بالجامعات المصرية، ابتداء من البنية الهيكلية للأقسام الى اليات اعداد الطلاب بالمراحل الدراسية المختلفة (الليسانس، والدراسات العليا).
 - التعرف على نسق والاعراف السائدة داخل الوسط الاكاديمي.
 - التعرف على تطوير العملية التعليمية بهذه الاقسام وكيفية مواجهة المشكلات التي يعاني منها الباحثون.

وطبقت الدراسة على عينة مكونة من 62 مفردة تم اختيارها من عدد من اقسام علم الاجتماع هم (القاهرة، عين شمس، الإسكندرية، والزقازيق)، حيث شملت الدراسة عدد من اعضاء هيئة تدريس، واساتذة، واساتذة مساعدون كما تضمنت العينة عدد من المعيدون والمدرسون المساعدون بالإضافة الى عدد من طلاب الماجستير والدكتوراه، وجمعت البيانات باستخدام المقابلة المعمقة مع افراد العينة. كما بنيت الدراسة على التساؤلات الآتية:

- هل يفترق النسق المعرفي لعلم الاجتماع في مصر الى وجود توجه عام لرؤية العلم والتعامل معه وبالتالي غياب السياسة الموجهة لحركة الاقسام العلمية في هذا المجال؟
- هل يؤدي غياب المنهج النقدي الى شيوع نمط التلقين وتقليدية النسق التربوي؟
- هل نجح المشتغلون بعلم الاجتماع في تقديم هذا العلم للدولة والمجتمع بالصورة التي تنبه لأهميته وضرورته؟
- هل يؤدي تشكل جماعات المصلحة في الاقسام الى شيوع الطابع المنفعي الذي ينعكس على اساليب التنشئة الاجتماعية؟
- هل يؤدي نسق الاخلاقيات العلمية السائدة في اقسام علم الاجتماع الى اعادة انتاج اجيال غير قادرة على توجيه العلم وتطويره؟ (دسوقي، 2004، 16-17): وخلصت الباحثة الى النتائج التالية:
 - ان اقسام علم الاجتماع التي طبقت عليها الدراسة تعاني من ضعف في البنية الهيكلية، بمعنى ضعف في المستوى العلمي لأعضاء هيئة التدريس وكذلك المعيدون، والمدرسون المساعدون.
 - وجود سلبيات لا حصر لها ترتبط باللوائح المنظمة لهذه الاقسام كلوائح الترقيات والبعثات واللوائح المنظمة للعمل داخل القسم.
 - عدم وجود اجندة بحثية للأقسام، كذلك ضعف النشاط العلمي من ندوات ومؤتمرات ورحلات علمية.
 - عدم وجود معايير او شروط لقبول الطلاب بالأقسام.
 - ضعف المناهج الدراسية واعتمادها كلياً على الملخصات ما يسمى (بالشيتات) وهي ملخصات لبعض الكتب المقررة.
 - مشكلات مرتبطة بمسألة التقييم، الامتحانات، التصحيح، التقييم النهائي، والاطلاع، والمعرفة بشكل واسع.
 - تعثر طلاب الدراسات العليا في اعداد اطروحاتهم بسبب ضعف تنشئتهم الاكاديمية في مرحلة الليسانس وجهلهم بطرق البحث والتحليل الاحصائي.
 - تكرار نفس النماذج السائدة للرسائل العلمية دون ادنى محاولة للابتكار والأبداع.
 - اعتماد التقييم النهائي للرسائل على العلاقات الاجتماعية والمصالح المشتركة. ادى الى تدهور قيم العلم والابداع والعمل.

- انحصار قيم النقد العلمي المرتبطة بأزمة الحرية داخل المجتمع وهو مادي الى تدهور مستوى الانتاج العلمي بصفة عامة.
 - نشوء حالة من الصراع الخفي وغير المعلن بين الجماعات والمصالح المتشابكة بين افراد هذه الجماعات (اغضاء هيئة التدريس، المعيدين المدرسين، الاداريين الخ ..
 - عدم توفر المراكز البحثية المتخصصة وغيرها من الامكانيات كالمجلات المحكمة ذات الجودة العلمية التي تساعد على تطور مستوى البحث (دسوقي 2004، 613-614).
- ما استخلصته الباحثة في دراستها تؤكد على بعض ما ذكره الدكتور حسين المرجين في ورقته، ويمكن الاشارة الى ان هذه النتائج عن التنشئة الاكاديمية للباحثين في مصر تصف واقع مشابه في اقسام علم الاجتماع بالجامعات الليبية، هو ما يجعلنا نفترض ان عوامل واسباب ازمة علم الاجتماع في العالم العربي متقاربة.

المحور الرابع: منهجية الدراسة.

1- منهج الدراسة.

للإجابة على تساؤلات الدراسة تم تنفيذ دراسة ميدانية طبقت على عينة من طلاب قسم علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة طرابلس، واستخدام المنهج الوصفي للوصول لمرحلة استخلاص النتائج، والخروج ببعض التوصيات.

2- عينة الدراسة.

لتنفيذ الجانب الميداني للدراسة تم اختيار عينة عشوائية من 100 مفردة من الطلاب الدارسين بقسم علم الاجتماع، جامعة طرابلس كلية الآداب، حيث شملت العينة مختلف الفصول الدراسية أي مختلف المستويات باستثناء الفصل الدراسي الأول، على اعتبار ان هؤلاء حديثي العهد في الدراسة بالقسم ولا زالوا في مرحلة لا تؤهلهم لامتلاك رؤية واضحة عن التخصص ومجرباته.

3- اداة جمع البيانات.

لجمع البيانات الميدانية الخاصة بالدراسة تم استخدام استمارة استبيان، شملت عدد من الأسئلة تكشف عن رؤية الطلاب وتصوراتهم لعلم الاجتماع كتخصص، تكشف كذلك عن ما يحملونه من مفاهيم ومعطيات عن البحث الاجتماعي، كما صحت عملية جمع البيانات مقابلات شخصية استهدفت جمع عدد أكبر من المعلومات، ومحاولة الوصول الى تحقيق مستوى اعلى لفهم وجهات نظر الطلاب، التي كان من الممكن ان تكون غير واضحة اذا اعتمدت الدراسة فقط على استمارة الاستبيان.

المحور الخامس: تحليل البيانات واستخلاص النتائج.

لاستخلاص النتائج وتحليل البيانات تم استخدام تحليل احصائي يعتمد على عرض البيانات في جداول تكرارية ونسب مئوية، ولم يتم استخدام مقاييس احصائية استدلالية تبحث في العلاقة بين المتغيرات لان النتائج التي تم التوصل اليها من خلال الجداول التكرارية تكشف عن نتائج ندعو الي عدم الحاجة لذلك النتائج. وعليه تم الاكتفاء بما اشارت اليه النسب المئوية من استدلالات.

أولاً: عرض وتحليل البيانات.

بيانات توضح مواصفات افراد العينة من حيث النوع والفصل الدراسي.

1- بيانات توضح مواصفات افراد العينة من حيث النوع.

جدول رقم (1) يوضح توزيع افراد العينة حسب النوع

النوع	العدد	%
ذكر	7	7%
انثى	93	93%
المجموع	100	100%

نلاحظ من الجدول رقم (1) ان 93 % من افراد العينة هم من الاناث، كما نلاحظ ان نسبة الذكور لم تتجاوز 7%. وقد تتدل هذه النتيجة على عزوف الذكور عن الاستمرار في الدراسة الجامعية واختيار مسارات أخرى.

2- بيانات توضح مواصفات افراد العينة من حيث الفصل الدراسي.

جدول (2) يوضح توزيع افراد العينة حسب الفصل الدراسي.

الفصل الدراسي	العدد	%
الثاني والثالث	25	25%
الرابع والخامس	38	38%
السادس والسابع	37	37%
المجموع	100	100%

نلاحظ من البيانات الواردة في الجدول رقم (2) ان توزيع افراد العينة على الفصول الدراسية متقارب، وذكرنا سابقا انه قد تم استثناء طلاب الفصل الدراسي الاول لا سباب بحثية.

3- بيانات توضح بعض مفاهيم افراد العينة ومعلوماتهم عن ماهية علم الاجتماع.

جدول رقم (3) يوضح توزيع افراد العينة حسب رايهم في ماهية علم الاجتماع

النسبة	التكرار	ما هو علم الاجتماع في نظرك؟
65%	65	يدرس الظاهرة
32%	32	يدرس المشكلات الاجتماعية
3%	3	لا اجابة
100%	100	المجموع

للكشف عن مفاهيم ومعلومات الطلاب العامة عن التخصص تم طرح سؤال مفتوح على افراد

العينة مفاده ماهو علم الاجتماع في نظرك؟

وكانت النتائج كما وردت في الجدول رقم (3) ان 65% من الطلاب ذكروا ان علم الاجتماع يدرس الظاهرة ولم يحددوا أي مفهوم للظاهرة، و32% منهم رأوا ان علم الاجتماع يدرس المشكلات الاجتماعية، و3% منهم لم يحددوا أي اجابة. وتوضح هذه الاجابات محدودية معلومات الطلاب عن موضوع علم الاجتماع وبساطة خلفياتهم الثقافية والعلمية عن التخصص.

4- طموحات افراد العينة بعد التخرج والحصول على المؤهل العلمي في مجال علم الاجتماع.

في سؤال مفتوح يكشف عن توقعات الطلاب في قسم علم الاجتماع عن الوظائف التي سيشغلونها بعد التخرج، واهم الاعمال التي يطمحون لممارستها بعد الحصول على المؤهل العلمي كانت النتائج كما وردت في الجدول رقم (4).

جدول رقم (4) يوضح طموحات افراد العينة بعد التخرج.

%	التكرار	ماهي الوظيفة التي تسعى للحصول عليها بعد التخرج؟
43%	43	سأعمل في الضمان الاجتماعي
16%	16	في الشؤون الاجتماعي

العدد 7 يناير 2023

مجلة المنارة

29%	29	في التدريس
9%	9	انا اعمل حاليا واريد فقط الحصول على شهادة
3%	3	الاستمرار في الدراسات العليا
100%	100	المجموع

حيث تشير هذه النتائج الى محدودية تطلعات طلاب علم قسم علم الاجتماع المستقبلية بالنسبة لعملهم كمتخصصين في مجال علم الاجتماع، فوجد ان 43% منهم يعتقدون انهم سيعملون الضمان الاجتماعي والشؤون الاجتماعية، 29% يرون انهم بهذا التخصص مؤهلون للتدريس، اما نسبة 3% تفكر في الاستمرار في الدراسة العليا على اعتبار ان ذلك سيؤهلهم للتدريس بالقسم وتعكس هذه النتائج رؤية ضيقة ومحدودة لطلاب علم الاجتماع عن تخصصهم كباحثين في شتى ميادين ومؤسسات المجتمع، وكخبراء في تنظيم وتطوير هذه المؤسسات وما يجري بها من تفاعلات وعلاقات اجتماعية وادارية تمكنهم من تقديم الاستشارات استشارات المبنية على الدراسة البحثية العلمية .

5- توقعات الطلاب عن الصفة الوظيفية للخريج من قسم علم الاجتماع.

في سؤال مفتوح طرح على افراد العينة عن المسمى الوظيفي الذي سيكتسبه الدارس في قسم علم الاجتماع بعد التخرج فكان السؤال كالتالي: يسمى خريج كلية الهندسة مهندس، وخريج كلية الطب طبيب فما الاسم الذي سيجمله خريج قسم علم الاجتماع؟ وكانت الاجابات كالتالي:

جدول رقم (5) يوضح توزيع افراد العينة حسب تصوراتهم للمسمى الوظيفي.

الاجتماع	الصفة الوظيفية التي يحملها المتخرج من قسم علم	التكرار	%
أخصائي اجتماعي	67	67	67%
لا اعرف	24	24	24%
لا إجابة	9	9	9%
المجموع	100	100	100%

كما هو واضح في الجدول رقم(5) ان 67% من هؤلاء الطلاب يعتقدون انهم أخصائيين اجتماعيين، والباقي من الطلاب انقسم بين من لا يعرف اجابة او ليس لديه إجابة، تشير هذه النتيجة

الى ان طلاب قسم علم الاجتماع لا يحملون رؤية واضحة عن التخصص ومفاهيمه ولا يدركون الفرق بين الخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع.

6- صفات الباحث الاجتماعي في تصور طلاب علم الاجتماع.

هناك صفات اساسية وضرورية يجب ان يحملها الباحث الاجتماعي ويتصف بها ويكتسبها لممارسة المهنة والخوض في مجالاتها، ومن هذه الصفات: الموضوعية، دقة الملاحظة، سعة الأفق، المعرفة، الخبرة بمنهجية وممارسة البحث العلمي، واخلاقياته الى غير ذلك من المهارات والصفات التي تمكن الباحث من ممارسة فن البحث الاجتماعي وتميزه عن غيره سألنا الطلاب عن هذه الصفات لنعرف مدى وعيهم بها وادراكهم لها، كانت النتائج كالآتي :

جدول رقم (6) يوضح صفات الباحث الاجتماعي في مخيلة الطلاب.

النسبة	التكرار	ماهي اهم صفات الباحث الاجتماعي في نظرك؟
12%	12	متعلم
5%	5	صادق
83%	83	لا اجابة
100	100	المجموع

توضح النتائج ان اغلب طلاب علم الاجتماع ليس لهم أي دراية بخصوصية صفات الباحث الاجتماعي واهميتها بالنسبة لهم كباحثين. فكما نلاحظ ان نسبة 83 لم يدونوا أي إجابة عن صفات الباحث الاجتماعي.

7- لمعرفة الاسباب التي دفعت افراد العينة الى الدراسة بقسم علم الاجتماع، طرح عليهم سؤال مفتوح مفاده لماذا اخترت هذا التخصص؟ وكانت حصيلة الاجابات كالتالي:

جدول رقم (7) توزيع افراد العينة حسب اسباب التحاقهم بالقسم.

%	التكرار	لماذا اخترت هذا التخصص
23%	23	لم اوفق في قسم اللغة الانجليزية
18%	18	انتقلت من قسم الاقتصاد

العدد 7 يناير 2023

مجلة المنارة

انتقلت من اللغة الغربية	17	17%
للحصول على شهادة	42	42%
المجموع	100	100%

نلاحظ من النتائج الواردة في الجدول السابق رقم (7) ان 58% من افراد العينة قد درسوا بأقسام اخرى ولم يوفقوا فانتقلوا الى قسم علم الاجتماع، اما الباقي فيرون ان التحاقهم بالقسم سيمكنهم من الحصول مؤهل علمي، وكما ذكر عدد من هؤلاء في المقابلات الشخصية التي دارت معهم عند جمع البيانات ان الحصول على المؤهل سيمكنهم من الحصول على الترقية الوظيفية في وظائفهم الحالية، والملاحظ من هذه النتائج ان الرغبة الشخصية والطموح الذاتي والتطلع لشغل مهنة الباحث الاجتماعي لا يمكن لهم في دوافع الطلاب للاتجاه نحو الدراسة بالقسم.

8- لمعرفة الخلفية الثقافية للطلاب ومدى اطلاعهم على المعرفة وبحثهم عن المعلومات في مجال

التخصص تم طرح سؤالين اساسيين وكانت النتائج كالتالي:

- سؤال مفتوح مفاده ماهي اهم المصادر التي تستمد منها معلوماتك في مجال تخصصك؟

جدول رقم (8) يوضح توزيع افراد العينة حسب مصادر معلوماتهم التخصصية.

ماهي مصادر معلوماتك في مجال التخصص؟	التكرار	النسبة
الشيتات	100	100%
المجموع	100	100%

نلاحظ من النتائج الواردة في الجدول رقم (8) ان الطلبة يعتمدون مائة بالمائة في استقاء معلوماتهم الدراسية على ما يسمى بالشيتات، وهو عبارة عن ملخص هزيل يعتمده مدرس المادة كمرجع أساسي، ويستخدمه الطلاب للمراجعة، والاطلاع، والحصول على متطلبات المادة لاجتياز الامتحان، وهو ما يثبت، ويشير الى اننا امام جيل من الباحثين الذين لا يملكون أي قاعدة ثقافية ولا اساسيات معرفية تكسبهم مفاهيم ومهارات البحث العلمي الاجتماعي.

9- هل تحب القراءة والاطلاع؟

جدول رقم (9) يوضح توزيع افراد العينة حسب حبهم للقراءة والاطلاع.

النسبة	التكرار	هل تحب القراءة والاطلاع؟
100	100	لا
%100	100	المجموع

نلاحظ من النتائج الواردة في الجدول رقم 7 ان هؤلاء الطلاب من جيل لا يعير المعرفة والاطلاع أي اهتمام، ولا يدرك اهميتهما بالنسبة للباحث الاجتماعي.

10- لمعرفة الخلفية الثقافية للطلاب واطلاعهم على كتب عامة تم سؤال الطلاب سؤال مفتوح عن اهم الكتب التي قرأوها في حياتهم كانت النتائج كالتالي:

جدول رقم (10) يوضح توزيع افراد العينة حسب اهم الكتب التي قرأوها في حياتهم.

النسبة	التكرار	ماهي اهم الكتب التي قرأتها في حياتك؟
%80	80	لم اقرأ كتاب كامل في حياتي
%2	2	كتاب ولم اكمله
%18	18	لا اجابة
%100	100	المجموع

تؤكد النتائج الواردة في الجدول (10) على ما جاء في الجدول (9) وهي اننا امام اجيال لا تعير القراءة والاطلاع اى اهتمام، وقد ساهم في هذا الواقع العديد من العوامل والمؤثرات من بينها نشأت هذا الجيل في فترة تم فيها تهيمش العلم والبحث والقراءة، وضعف مستوى الاهتمام بالاطلاع وباقتناء الكتاب.

ثانيا: نتائج الدراسة. يمكن تلخيص نتائج الدراسة في التالي:

1- ان مفهوم تخصص علم الاجتماع مبهم امام افراد العينة، وان مهام البحث العلمي وكذلك دور الباحث الاجتماعي غير واضح في مخيلة وتصورات افراد العينة.

2- ان اغلب افراد العينة توجهوا للدراسة بقسم علم الاجتماع لانهم فشلوا في الدراسة بأقسام وتخصصات أخرى، ولم يكن التحاقهم بالقسم بدافع الرغبة او الاهتمام الشخصي.

- 3- ان اغلب افراد العينة لا يملكون أي فكرة عن المواصفات المهنية للباحث الاجتماعي ولا دوره بالمجتمع، ويخلطون بينه وبين دوره الأخصائي الاجتماعي.
- 4- ان الاعداد الاكاديمي لافراد العينة يشوبه الكثير من الوهن، والضعف العلمي.
- 5- ان افراد العينة لا يملكون أي اهتمام بالمعرفة العامة، ولا يحبون الاطلاع، والقراءة العاملين الاساسيان للتكوين المعرفي لدى الباحث الاجتماعي.
- 6- ان اغلب النتائج السابقة تنبئي بعدم تمكن هؤلاء مستقبلا من شغل واداء ادوارهم بالمجتمع كباحثين.
- 7 - اغلب هؤلاء الطلاب لا يدركون الصفات الاساسية التي يجب ان تميز الباحث الاجتماعي كالملاحظة، الاطلاع والمعرفة والقدرة على النقد والتحليل.
- 8- توضح نتائج هذه الدراسة اننا في حاجة لثورة على مستوى التعليم، وخصوصا التعليم العالي، لأننا لا نستطيع ان نحدث أي تغيير وتطور بالمجتمع من خلال جامعات لا تملك امكانيات لنشر التعليم.
- 9- نتائج الدراسة لا يحملون أي تصور او مفهوم لدور الباحث الاجتماعي، وهم عاجزين تمام عن تقديم انفسهم للمجتمع، وليس لديهم أي اهداف او طموح مستقبلية، تدفعهم للمشاركة في التنمية والتغيير الاجتماعي.

توصيات الدراسة.

تطور علم الاجتماع في العالم، واصبح دوره أساسي في المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية... الخ، كما اصبحت الجامعات في العالم تعد الباحث الاجتماعي القادر على المضي في هذا الدور الفعال.

كما تطور علم الاجتماع من حيث بنيانه العلمي والنظري، وتشعبت وتعددت تخصصاته، ومن بين هذه التخصصات التي ظهرت حديثا ما يسمى بعلم الاجتماع التطبيقي، وهو تخصص مبني على دراسة وتحليل تفاصيل الواقع الاجتماعي من خلال تفاصيل الحياة الاجتماعية اليومية، لتحول الباحث الاجتماعي من متخصص مراقب يقدم التصورات النظرية، الى الباحث الذي يستطيع ان يغوص في جوانب الحياة الاجتماعية العملية وليكون قادرا على تقديم الخطط الاستشارية العملية، والعلاجية اللازمة لتطوير، وتغيير كل المؤسسات التي تحتوى على تجمعات انسانية و تعج بالنشاطات الاجتماعية المختلفة والمتنوعة. ولاستحداث وتطوير مهام ودور الباحث الاجتماعي في المجتمع علينا بأحداث ثورة علمية وفكرية تهدف لتطوير مسارات هذا التخصص بدءا بالمؤسسات العلمية والاقسام الجامعية التي تنتج وتقدم الباحث الاجتماعي للمجتمع، وبناء على نتائج هذه الدراسة نقدم التوصيات التالية:

1- العمل على تطوير وتحسين دور علم الاجتماع في المجتمع من خلال اعداد الباحث الاجتماعي المدرك لدوره كباحث اجتماعي، والواعي بمهامه كناقذ ودراس ومحلل للواقع الاجتماعي، والمتسلح بالمعرفة العلمية ومهارات التفكير العلمي والمنهجي، والقادر علي التسويق لنفسه كأداة فعالة في احداث التطور والتغيير في أي مؤسسة من المؤسسات الاجتماعية، بما يمكن ان يقدمه من دراسات، واستشارات وخبرات وخطط علاجية.

2- العمل على دراسة الواقع التعليمي لا قسام علم الاجتماع بالجامعات، والبحث في اهم المشكلات التي تعيق هذه الاقسام في اعداد الباحث الاجتماعي وتفعيل دور البحث العلمي الاجتماعي في المجتمع.

3- العمل على تطوير المناهج والمقررات الدراسية التعليمية في مجال علم الاجتماع بما يواكب التغيرات الاجتماعية، ومتطلبات الحياة اليومية في احداث التطور والتغيير.

4- تعريف طلاب علم الاجتماع بدوهم العلمي والاجتماعي والمهني، ومدهم بالمكتسبات العلمية التي تمكنهم من تفعيل دورهم بالمجتمع، ومن التسويق لا نفسهم كباحثين في شتى المجالات، والمؤسسات.

5- جعل التدريب الميداني خطوة اساسية من الخطوات التي يجتازها الباحثين اثناء الدراسة الجامعية، وهو ما يساعد هؤلاء على فهم المهنة، كما يساعدهم على الاعداد للحياة العملية بعد التخرج، كما ان التدريب الميداني بالمؤسسات يعرف المجتمع بالمهنة، ويساعد الباحث في اختيار تخصص يتماشى مع تطلعاته واهدافه المستقبلية من حيث العمل.

6- التعريف بدور علم الاجتماع في المجتمع من خلال اعداد الندوات والمؤتمرات العلمية، وحملات التوعية وغير ذلك من الانشطة التي تقدم لهذا التخصص، الذي لم مازال غير واضح في مهامه ودوره بالمجتمع وانحصر تقريبا في مجال التدريس.

7- تفعيل دور اقسام علم الاجتماع من خلال انشاء وحدات بحثية لدراسة مستجدات الاحداث بالمجتمع، والربط بين هذه الوحدات والمؤسسات المختلفة، ومن ثم تشجيع كافة هذه المؤسسات، والقطاعات التعليمية مثلا والصحية والادارية كذلك وايضا التوثيق والمعلومات والوزارات... الخ على استحداث وانشاء وحدات بحثية متخصصة في مجال علم الاجتماع يشغلها باحثين اجتماعيين من خريجي اقسام علم الاجتماع قادرين على المساعدة في تقديم الاستشارات المبنية على الدراسات العلمية، والمساعدة في اتخاذ القرار واحداث التطور والتغيير طبقا لا اهداف ومتطلبات هذه الجهات.

قائمة المراجع:

- 1- الفن جولدنر، الازمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي، ترجمة وتقديم علي ليلة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2004.
- 2- الحراشي، ميلاد مفتاح، علم الاجتماع في ظل الأزق والاعطاب المفاهيمية، منشورات المركز العربي الديمقراطي، 29 مايو، 2018. <https://www.democratic.de>
- 2- الخطيب، خليل محمد، واقع البحث العلمي في الوطن العربي من (2008 - 2018) دراسة وصفية تحليلية منشورة على موقع منظمة المجتمع العلمي العربي.. <https://arsco.Org>
- 3- دسوقي، نفيسة حسن حسن، اساليب التنشئة الاكاديمية للباحثين في علم الاجتماع في مصر دراسة استطلاعية منشورة للحصول على درجة الماجستير، كلية الاداب، قسم علم الاجتماع، جامعة القاهرة، 2004.
- 4- عبد الله، يوسف عبد الغفار، انتاج الوعي العلمي، اضاءات لدور الجامعات العربية في البحث العلمي وخدمة المجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة، 2013.
- 5- فشيكة، عائشة محمد بن مسعود، في دراسة لها بعنوان " التعليم العالي كأحد آليات التغير الاجتماعي والاقتصادي في ليبيا، مجلة كلية الاداب، العدد33، 2019.
- 6- مرجين، حسين سالم، وبن عمران، سالمة إبراهيم، هل هناك حاجة الى اقسام علم الاجتماع في الجامعات الليبية ؟، مجلة التغير الاجتماعي، المجلد 3، العدد 1، 2018.

بعض آليات الضبط الاجتماعي وتأثيرها على تربية الأبناء

دراسة ميدانية لأرياب الأسر الليبية بمدينة الجميل

د. خيري الصادق عبد الله رحومة
قسم علم الاجتماع- جامعة الزنتان

المقدمة :-

تعتبر الأسرة إحدى مؤسسات تربية الأبناء وهي وظيفتها الأولى ، وعن طريق هذه الوظيفة تتمكن الأسرة من نقل ثقافة المجتمع لأطفالها ، وعن طريق التربية يمكنها تحديد شخصية أفرادها حسب السلوك العام للمجتمع ، فهي الناقل الأول لقيم المجتمع وترى وجهة النظر الفرويدية أن تربية الأبناء هي (عملية اكتساب الطفل وتمثل لمعايير والديه وتكوين الأبناء الأعلى) ، فالأسرة تربي أطفالها على معايير المجتمع وقيمه وعاداته ، كما أنها تهذب سلوكهم وتضبطه وفق السلوك العام ؛ لذلك هذه التربية التي تقوم بها الأسرة تلعب دوراً هاماً في عملية الضبط الاجتماعي، لأنها تهذب عاداتنا وأعرافنا ، كما أن التربية مهمة كوسيلة لإكساب الفرد ما يتوقعه منه المجتمع فيما يخص الأدوار المستقبلية كدور الأزواج.... وبذلك تعمل على توحيد سلوك الأفراد من خلال ضبطه حسب معايير المجتمع وقيمه المتوارثة عن الأجيال السابقة .

أولاً :- موضوع البحث :

الأسرة وعن طريق التربية تضبط سلوك أفرادها ، لذلك فالأسرة تقوم بدور كبير كونها تصقل الفرد وتسهل عملية تكيفه مع مجتمعه . فهي الوسيط الذي يربط الفرد بمجتمعه وقيمه وعاداته ، وهي الوسيلة التي من خلالها يتم نقل هذه المعايير والقيم للفرد عن طريق عملية التربية ، لذلك فالعلاقة متلازمة بين الأسرة وعملية التربية فبدونها لا يوجد تربية ولا تكون التربية متكاملة وكاملة إلا بوجودها ، وفي الوقت ذاته هذه العلاقة تنتج علاقة أخرى ملازمة لها لتكون بذلك حلقة متكاملة هي العلاقة بين الأسرة وعملية تربية الأبناء والضبط الاجتماعي ؛ إذ إن الأسرة ومن خلال عملية تربية الأبناء تضبط سلوك أفرادها ، فتربية الأبناء هي القاعدة الأساسية للضبط الاجتماعي الذي يعتبر الآلية الحيوية لتربية الأبناء من هنا انطلق هذا البحث ليبين آليات الضبط الاجتماعي ومدى تأثيرها على تربية الأبناء .

ثانياً :- فرضيات البحث :-

فرض عام :- من أهم وسائل تربية الأبناء الضبط الاجتماعي :

(الفروض الفرعية)

- 1- من الأمور الأساسية لتربية الأبناء اتباع القواعد الدينية .
- 2- من الضوابط الأساسية لتربية الأبناء اتباع القيم الاجتماعية الأسرية والمجتمعية.
- 3- لتربية الأبناء تربية سليمة لابد من جعل القوانين الوضعية مرجعاً أساسياً لعملية التربية .

ثالثاً:- أهمية البحث :

تكمن أهمية الموضوع من حيث إن الضبط الاجتماعي وسيلة من وسائل التربية في المجتمعات وفي أسلوب حياتها . حيث إن عملية تربية الأبناء لاتقف عند الوالدين فقط ؛ بل إنّ المجتمع بأكمله مسؤول مسؤولية كاملة عن هذه العملية والضبط الاجتماعي بأشكاله المختلفة مسؤول أيضاً عن هذه العملية ، وعلى أساس الدور المهم الذي تلعبه الأسرة في تطور المجتمع ونمائه ورفاهيته من خلال توجيهه وارشاد وتربية أبنائه ، يتعين في هذا البحث القيام بتشخيص الواقع الفعلي لعملية تربية الأبناء من خلال معرفة تأثير آليات الضبط الاجتماعي على هذه العملية في الأسرة الليبية ، ويصبح من الضروري إحاطة هذا الموضوع بمزيد من الاهتمام من خلال توظيف الوسائل العلمية والمعرفية في مجال العلوم الاجتماعية بصفه عامة ، وعلم الاجتماع العائلي على وجه الخصوص التي تندرج هذه الاشكالية ضمن اهتماماته .

رابعاً:- أهداف البحث :-

فيما يخص الأهداف المرجوة من وراء هذا البحث فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- 1- تقديم اطار نظري ، وتحليل مدى تأثير آليات الضبط الاجتماعي على تربية الأبناء في الاسرة الليبية .
- 2- محاولة الكشف عن الطرق المثالية لتربية الأبناء في الأسرة الليبية .
- 3- تسليط الضوء على تأثير الضبط الاجتماعي في تربية الأبناء .
- 4- تهدف إلى القيام بدراسة علمية من خلال توظيف الوسائل المنهجية للوصول إلى نتائج عملية وعلمية .

خامساً:- مفاهيم البحث :

1- الأسرة :-

الأسرة ظاهرة إنسانية عامة تسود سائر المجتمعات والثقافات ومن ثم فالأسرة تتميز بالعمومية والانتشار والقدم لذلك ارتأينا في تعريفنا للأسرة التطرق إلى التعريفات التي تخدم بحثنا هذا ، وذلك بالانتقال من التعريفات العامة إلى الخاصة التي وضعت من قبل العلماء والباحثين ونستهل تعريفنا بما جاء به (أوجست كونت) الذي عرف الأسرة بقوله: هي الخلية الأولى في جسم المجتمع وهي النقطة الأولى التي يبدأ منها في التطور ، ويمكن مقارنتها في طبيعتها وجوهر وجودها بالخلية الحية في التركيب البيولوجي للكائن الحي ، وهو وسط طبيعي واجتماعي نشأ فيه منه المكونات الأولى لثقافته ولغته وتراثه الاجتماعي (الخشاب ، 1985، ص32) .

بينما ذهب علماء آخرون إلى أن الأسرة هي: البيئة الاجتماعية التي يتلقى فيها الطفل التربية وهي العادات الاجتماعية والصفات الشخصية ، وكيفية ضبط الانفعالات واللغة والعادات والتقاليد (عوض و آخرون ، 1994 ، ص 25).

من خلال التعريف الذي جاء به (أوجست كونت) نلاحظ أنه شبه وظيفة ودور ومكانة الأسرة في المجتمع بوظيفة ودور الخلية في جسم الكائن الحي ، فالخلية رغم بساطتها تقوم بدور هام وفعال في تطور ونمو الجسم البيولوجي وكذلك فيما يخص الأسرة بالنسبة للمجتمع فهي مصدر بقاءه واستمراره وبقائه وذلك من خلال كونها مؤسسة التربية الأولى التي تزود الأفراد بالقيم والعادات وثقافة وتراث المجتمع ليكونوا أفراداً صالحين وفاعلين فيه .

2- الضبط الاجتماعي :-

يقصد بالضبط الاجتماعي بشكل عام هو:- مفهوم ينطوي على تقرير علاقة الفرد والنظام الاجتماعي وعلى كيفية تقبل الأفراد وفتات المجتمع للطرق ومجموعة الأساليب والإجراءات الرسمية وغير الرسمية التي يتم بها هذا الضبط ويتخذها المجتمع لرقابة الأفراد فيه بهدف الحفاظ على سلامة واستقرار وتماسك المجتمع .

وفي تعريفات أخرى نجد أن الضبط الاجتماعي يشير إلى: مجموعة القيم والمعايير السائدة في المجتمع والتي يمكن أن تصد التوترات والصراعات التي تحدث بين الأفراد يتحقق التماسك والتواصل بين الأفراد والجماعات (قنوص ، 2000، ص305) ، الخلاصة إن الضبط الاجتماعي هو القوة التي يمثل لها الأفراد وينظم بها المجتمع الذي يعيشون فيه ، وتختلف وسائل الضبط تبعاً

لاختلاف المجتمعات بل ونفس المجتمع باختلاف الزمان ، ويتم ذلك في ضوء ما يتحصل عليه الفرد من الجماعات التي ينتمي إليها حيث إنها تعبر عن أنماط السلوك السائد في المجتمع .

3- تربية الأبناء :-

كثرت التعريفات لمصطلح تربية الأبناء باختلاف المدارس الفكرية التي ينتمي إليها أصحاب التعريف وأن كانت جميعها تتفق على أن عملية تربية الأبناء هدفها الأساسي اكتساب الأطفال سلوكاً ومعاييراً واتجاهاتٍ مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنهم من مسايرة الجماعة والتوافق الاجتماعي ؛ أي تكسبهم الطابع الاجتماعي وتيسر لهم الاندماج في الحياة الاجتماعية (الشرييني و اخرون، 1996 ، ص17) وتنطوي عملية التربية على العمليات الأساسية اللازمة لاستمرارية الحضارة وتراكم حصيلة المعرفة الاجتماعية ونقل الثقافة والتراث من جيل لآخر ، هذا من ناحية المجتمع ، أما من ناحية الفرد فإن عملية تربية الأبناء تزوده بالمهارات والخبرات اللازمة للعيش في جماعة إنسانية والتكيف لمطالبها والتوافق مع قيمها .

سادساً: الدراسة النظرية لموضوع البحث :-

أولاً: التربية الأسرية :-

رغم اختلاف مؤسسات تربية الأبناء وتنوعها ألا أنه تبقى الأسرة أول وأهم مؤسسة اجتماعية يعزى إليها وظيفة تربية ، لأنها تعتبر الخلية الأساسية في نقل الطابع الاجتماعي للأفراد وتعمل على تشريب التراث الثقافي والاجتماعي والاخلاقي لأفرادها ، كما تعمل على بناء هويتهم الشخصية وفق هوية الجماعة للمجتمع واطافة إلى انها تعمل على تعزيز التواصل بين الأجيال ، لذلك داخلها تتجلى بوضوح عملية نقل العادات والتقاليد كما انها الحارس الوحيد على هذه العادات والحامي لها و الحريص على إداؤها من خلال عملية تربية الأبناء.

إن هدف كل جماعة اجتماعية في الوجود ، هو الحفاظ على بقائها واستمراريتها وذلك لا يمكنه أن يتم إلا بمحافظتها على عاداتها الاجتماعية ومعايير السلوك التي بها تضبط الجماعة معتقداتها ، وذلك من خلال نقلها إلى أفرادها حتى يتمكنون من تمثيلها في سلوكهم وتعاملهم مع بعضهم البعض وتنغرس في وجدانهم ثم يقومون بنقلها إلى غيرهم مما يساعد على حفظ توازن الجماعة وتماسكها من خلال اشتراك أفرادها في هذه العادات والمعايير وهذا ما يتحقق عن طريق تربية الأبناء ، لذلك يعرف البعض التربية على أنها (عملية اكتساب الفرد لثقافة مجتمعه ولغته والمعاني والرموز

والقيم التي تحكم سلوكه وتوقعات وسلوك الغير والتنبؤ باستجابات الآخرين وإيجابية التعامل معهم) (عدنان ، 2006 ، ص11) ، وعليه فإن الفرد لا يكتسب ثقافة مجتمعه إلا من خلال عمليات التربية لذلك فهو يكتسب انتماء داخل الجماعة وبواسطتها .

- أهداف تربية الأبناء وعناصرها :-

من الاهداف الأساسية لتربية الأبناء ، اكساب الفرد المعايير والقيم والمثل السائدة في المجتمع وضبط السلوك وفقاً لما يقتضيه ويحدده المجتمع ، فالتربية تعمل على أن يتشرب الفرد ثقافة مجتمعه وتُغرس فيه النظم الأساسية حتى يسير عليها ويلتزم بها تحت طائلة العقاب ، كما تساعد على غرس الهوية في الفرد من خلال غرس الأنماط السلوكية والمعايير الاجتماعية من أجل تكوين فرد يمثل لضوابط مجتمعه وبالتالي ينتمي إليه اجتماعياً وثقافياً .

- عناصر التربية الاجتماعية للأبناء :-

أ- **المراكز والأدوار الاجتماعية:** حيث يلعب المركز دوراً أساسياً في عملية تربية الأبناء ، ويظهر ذلك من خلال العلاقات التي تقوم بين الأفراد مثل علاقة الابن بالأب ، ويعرف الدور حسب رأي (ليتون) بأنه : ((مجموعة من الأنماط الثقافية التي ترتبط بمركز معين)). وبذلك تتضمن الاتجاهات والقيم والسلوك التي يصفها المجتمع لكل فرد يحتل هذا المركز ، والدور الاجتماعي هو الجانب الديناميكي للمركز (الرشدان ، 2005 ، ص 78) .

ب- **القيم والمعايير الاجتماعية:** تلعب القيم والمعايير الاجتماعية دوراً هاماً وعنصراً فعالاً في عملية تربية الأبناء ، وذلك أن القيم تعتبر نتاج اجتماعي يتعلمها الفرد ويقوم بتدريجياً وبعد ذلك يضيفها إلى إطاره المرجعي للسلوك من خلال عملية تربية الأبناء ، كما أن المعايير الاجتماعية تعتبر عنصراً متداخلاً في عملية تربية الأبناء بما أنها من محددات السلوك والمساهمة في ضبط السلوك المثالي الذي يرتضيه المجتمع لأفراده فهي كذلك المحددة للأدوار الاجتماعية ، ويبقى هدفها الأساسي هو إعطاء الفرد معان موحدة مشتركة مع غيره حتى يتمكن على أساسها من التفاعل معهم وتنمي فيهم روح الجماعة وبذلك فإن هذه العناصر تكون عملية تربية الأبناء وتجعلها ممكنة وتسهل القيام بها .

ج- **الأسرة وتربية الأبناء (عملية التربية والضبط الاجتماعي):** - تقوم الأسرة بدور كبير كونها تصقل الفرد وتسهل عملية تكيفه مع مجتمعه فهي الوسيط الذي يربط الفرد بمجتمعه وقيمه وعاداته ،

وهي الوسيلة التي من خلالها يتم نقل هذه المعايير والقيم للفرد عن طريق عملية التربية لذلك فالعلاقة متلازمة بين الأسرة وعملية تربية الأبناء فبدون أسرة لا يوجد تربية ولا تكون التربية متكاملة إلا بوجود أسرة (شريف ، 2006 ، ص78).

وفي الوقت ذاته هذه العلاقة تكوّن علاقة أخرى ملازمة لها لتكون بذلك حلقة متكاملة هي العلاقة بين الأسرة وتربية الأبناء والضبط الاجتماعي إذ إن الأسرة ومن خلال التربية تضبط سلوك أفرادها لذلك (فالتربية هي القاعدة الأساسية للضبط الاجتماعي والضبط الاجتماعي يعتبر الآلية الحيوية للتربية)(العمر ، 2006 ، ص126) .

والمجتمع دائم الحاجة للضوابط ، إذ يضع كل مجتمع لنفسه مجموعة من الضوابط التي يتمكن بفضلها تنظيم حياته وعلاقاته الاجتماعية وسلوكياته العامة حتى لا تسوده الفوضى لذلك تعتبر الضوابط حاجة اجتماعية تنظيمية تعكس حاجة الأفراد إلى بعضهم البعض .

والقوانين هي التي يضعها الإنسان في حياته من أجل تنظيم المجتمع ، وتكون مسايرة للتطور الاجتماعي وكلما كان نابعة من الوجدان الاجتماعي وأتية من الماضي ونفعت المجتمع كلما كانت لها أن تبقى وتلتزم بها الجماعة ، ولكن تختلف درجة الالتزام من شخص لآخر ولذلك وضع المجتمع عقوبات على كل من يخرج سلوكه عن السلوك العام للمجتمع ويتجاهل الضوابط الاجتماعية ، وبذلك فإن هذا الإجراء يحفظها ويحميها وينظم المجتمع بذلك نفسه ، فالمجتمع بحاجة كبيرة للضوابط لأنها تحفظ نظامه ووحدته وتماسكه وتضمن الامتثال والطاعة فيشارك الأفراد في نفس السلوكيات ، وبالتالي تتكون روح الجماعة في المجتمع ويحفظ استمراره وبقائه ولكي يتسنى للمجتمع أن يحافظ على استمراريته عليه أن يجد الطرق المناسبة ليضمن بها سيرورة عملية تربية الأبناء وفق عملية الضبط الاجتماعي وتكمن هذه الطرق في :-

1- الضوابط الداخلية:- وتكون عن طريق غرس المعايير في ضمير الفرد ووجدانه بواسطة عملية التربية ، وذلك من اجل أن يكتسب سلوك ترتضيه الجماعة.

ويكون الضبط الداخلي عندما يتقبل الأفراد معايير المجتمع باعتبارها جزءاً من ضمائرهم الاجتماعية وهويتهم الشخصية ، حتى يصبح الامتثال نابع من نفس الفرد ، وليس لأنه خائف من العقوبة ، أي يكون الامتثال بفعل الإرادة ، وتكمن أهمية الضبط الداخلي في أنه يمنع الأفراد من الانحراف لإنهم يملكون معايير وقيم اجتماعية غرست في انفسهم وجبلوا عليها وأي انحراف يتعدون

عنها ، وبذلك فإن هذا النوع من الضبط يترسخ في اللاشعور وينشأ منه تكوين مفهوم الانا والانا الاعلى لديهم على حد تعبير فرويد .

فالضوابط الداخلية بمثابة الحصانة الداخلية الخلقية والاجتماعية لأنها تحمي الفرد من الانحراف وجنوح الشخصية الجماعية وبذلك فهي التي تضمن الانتماء للأفراد.

2- **الضغوط الخارجية :-** وهي تُمارس على الأفراد من خارجهم لكي يكونوا متماثلين في سلوكهم ، وتكون هذه الضغوط على شكل عقوبات اجتماعية وعرفية ، إذ كل مجتمع يكتسب آليات مجتمعية يمارسها الأفراد تقوم بتعزيز المعايير والقيم الاجتماعية كالسخرية والاستهزاء والتهميش ، وبالتالي المجتمع يمتلك الآت ضبطيه موجهة للسلوك يتمكن من خلالها ضبط كل من يريد الانحراف عن عرفه وقواعده ، وبالتالي فإن الأسرة هي الأساس الأول الذي يمارس هذه الضغوط الخارجية على الافراد ، وبالتالي فإن الضوابط الداخلية والخارجية ماهي إلا آليات تحاول من خلالها الأسرة أن تحافظ على كيانها داخل المجتمع .

ثانياً :- **الضبط الاجتماعي وآلياته :**

الضبط الاجتماعي Social Control وهو جميع الوسائل والممارسات الرسمية وغير الرسمية المطبقة داخل المجتمع أو مجموعة اجتماعية بحيث يتصرف أعضاؤها وفقاً للمعايير السائدة في هذا المجتمع أو المجموعة بهدف ضمان النظام الاجتماعي واحترام نظام القيم المشتركة ، لتحفيز السلوك المقبول والتحذير من السلوك السلبي الذي يضر بمصالح الآخرين والحد من (الضبط الاجتماعي toupee.org ، 15-4-2022) .

- **أنواع الضبط الاجتماعي :-**

1- **الضبط الاجتماعي الإيجابي :-** وهذا النوع يعتمد على رغبة الفرد الإيجابية للامتثال ، وقبوله للمعايير والنظم الاجتماعية لأنه يعتقد في صدق المعيار الاجتماعي وتم هذه الصورة من الضبط عن طريق المكافأة التي تتفاوت من المنح المادية الملموسة إلى الاستحسان والتأييد الاجتماعي .

2- **الضبط الاجتماعي السلبي :-** سواء كان رسمياً أو غير رسمي هذه الصورة من الضبط تعتبر مفروضة لأن الفرد يمثل لتجنب النتائج غير المرغوبة إذا حاول خرقها وانتهاكها ، وهذا النوع يعتمد على العقاب أو التهديد ، من خلال القانون أو من خلال العادات والتقاليد الشعبية .

3- **الضبط الاجتماعي الرسمي:** - من خلال السلطة والقوانين واللوائح التي تحدد إما المكافأة أو الجزاءات الإيجابية مثل المكافأة المادية أو المعنوية أو تحديد العقوبات وهي مثل الجزاءات السلبية المنظمة (فرج ، years .ago ، المجتمع البشري) .

4- **الضبط الاجتماعي غير الرسمي:** - وهذا النوع مختلف الصور غالباً ولا يعتمد على العنف والقوة ، ووسائل هذا النوع من الضبط تلقائية تحقق أهدافها تماماً في المجتمعات التقليدية الصغيرة التي يقوم التماسك الاجتماعي فيها على أساس العلاقات الشخصية المباشرة وهذه الوسائل مثل السخرية و التهكم وعزل الفرد أو نبذه من دائرة المجتمع (ابو زيد ، 2002، ص 42) .

- آليات الضبط الاجتماعي:-

1- آليات الضبط الاجتماعي الرسمية :-

أ- **القانون:** - يعد القانون ومؤسساته من أهم واقوى وسائل الضبط الاجتماعي ، كما أنه يعتبر أكثر من ضرورة في الحياة الاجتماعية لما يتمتع به من خاصية العمومية والتجريد والالتزام والعقاب(احمد ، 1997 ، ص 188) .

ب- **التربية:** - التربية في الواقع هي عملية انتقال الثقافة والحضارة ؛ أي التراث الاجتماعي إلى الفرد منذ طفولته(اسماعيل ، 2009 ، ص33) فالتربية إذأ هي الأساس الذي تبنى عليه الضوابط الاجتماعية وتمارس سيطرتها على الأفراد ، والطفل الذي ينشأ نشأة تمكنه من تحدي سلطة والديه ومربيه غالباً ما يتحدى سلطة الدولة فيخرج عن القانون ولذلك قيل أن الاجرام نموذج من السلوك الذي يصبح عادة ذات سلطان قاهر .

2- آليات الضبط الاجتماعي غير الرسمية :-

أ- **الدين:** - يضمن الدين تزويد الافراد والمجتمعات بمنظومة من القيم والمعايير تعتبر كموجهات لسلوكهم وممارستهم ، كما يقوم بتعويض الافراد عن الاخفاقات وهذا ما اكده (دور كايم) في دارسته عن الانتحار التي توصلت إلى أن معدلات الانتحار ترتفع عند غير المتدينين(فياض ، 2018 ، ص15)، بذلك فالدين يضمن التكامل والتكافل الاجتماعي ويعتبر من أهم وسائل تربية الابناء التي يرتبط من خلالها الفرد بهويته الدينية .

ب- **العادات الاجتماعية:** - العادات ظاهرة اجتماعية تحوي كل ما يفعله الناس وهي ضرورة اجتماعية إذ تصدر عن غريزة اجتماعية وليست عن حكومة أو سلطة تشريعية وتنفيذية ، فهي تلقائية لأن اعضاء المجتمع الواحد متعارف فيما بينهم على ما ينبغي أن يفعلوه وذلك برضى

جميع أعضائه ، وهي غير مكتوبة ، أي أنها متوارثة ، ولها قوة القانون المكتوب ، ولذا فهي ملزمة بالنسبة لأعضاء المجتمع الذين يعيشون فيه مجتمعين وهي تصرفات سلوكية تتسم بالترار والانتشار عند غالبية افراد المجتمع وقد الفها الناس ويرون أن لا لزوم للخروج عليها ومن امثلة ذلك اسلوب التحية وعادات تناول الطعام وعادات الملبس و الطقوس والاعباد وعادات الزواج(ثابت ، 1999، ص 141).

ج- **القيم الاجتماعية:-** القيم الاجتماعية مقبولة من قبل الافراد لأنها مكتسبة من قبل الجماعة التي ينتمي إليها ويتفاعل معها ، لذلك نجده يرضى بها وبحكمها وعدالتها لذا تكون أحد اركان مفاصل الضبط الاجتماعي (العمر ، 1999، ص 19) . واذا قامت عملية تربية الأبناء بغرس القيم فإن هناك احتمالاً كبيراً على استمرار وجودها وهذا يتم من خلال الأسرة والمدرسة ومجموعة الاصدقاء.

د- **التقاليد الاجتماعية:-** من الأساليب والصور المدعمة للتقاليد نذكر الشعائر ، الرموز ، الاحتفالات ، ومجموعة أخرى من الوسائل تتمثل في المعتقدات الشعبية الدارجة والحكم و الأمثال والأساطير و القصص و الأغاني ، وتمارس التقاليد ضغوطاً على الفرد لكي يتوافق مع أساليب الجماعة ، كما أنها تعتبر أداة تنظيمية فعالة للضبط الاجتماعي ، لأنها تخاطب عموم المجتمع وتعمل على المحافظة على استقراره وتماسكه ، وتجيد التوافق بين أفراد المجتمع وتماسكه(فياض ، مرجع سابق ، ص 21).

هـ- **العرف:-** يعتبر العرف من أهم وسائل وآليات الضبط الاجتماعي ويشمل على الأحكام ، والمثل ، والكتابات ، والقصص ، ومجموع ما هو مستوح من التراث ويشكل المغزى الأخلاقي للمجتمع ، ويعتبر أيضاً نسقاً من أنساق المجتمع المعيارية لما يتميز به من قدرة على الضغط والتأثير في نفوس الأفراد والمجتمع ، كما يساعد العرف على المحافظة على القواعد القانونية والأخلاقية والروحية.

سابعاً:- الإجراءات المنهجية للبحث الميداني :-

1- مجالات البحث :-

أ- **المجال المكاني:-** تم إجراء البحث في مدينة الجميل التي تقع في أقصى الغرب من دولة ليبيا وتبعد عن مدينة طرابلس من الغرب بحوالي 120 كيلو متراً ، والتي يحدها من الشمال مدينة زوارة ومن الشرق مدينة صبراتة ومن الغرب مدينة رقدالين ومن الجنوب قاعدة الوطنية الجوية .

ب- **المجال البشري :-** المجال البشري لهذا البحث يتمثل في سكان مدينة الجميل منطقة (بئر الحلو) بالتحديد والبالغ عدد سكانها 24482 نسمة منهم 11231 إناث بنسبة 48% والذكور 13251 نسمة بنسبة 52% وهذه الأرقام والنسب مأخوذة من السجلات الموجودة في الجمعيات الاستهلاكية لمنطقة بئر الحلو .

2- **المنهج المتبع في البحث:-** يستهدف البحث الراهن الكشف عن مدى تأثير آليات الضبط الاجتماعي في تربية الأبناء لذا يعد هذا البحث من الدراسات الوصفية التي يلائمها الأسلوب الوصفي التحليلي الذي يلجأ الباحث إلى استخدامه حيث يكون على علم بأبعاد وجوانب وعناصر الظاهرة التي يريد دراستها نظراً لتوافر المعلومات من خلال بحوث استطلاعية أو وصفية سابقة تناولت هذه العناصر من ثم يعتمد البحث على التحليل الكمي والكيفي لمعطيات وبيانات الدراسة الميدانية .

3- **عينة البحث:-** من المشكلات التي تواجه الباحث مشكلة اختيار العينة ، من هنا قام الباحث باختيار عينة من مجتمع البحث تحمل خصائصه وميزاته وتسمح بتعميم النتائج على المجتمع بأكمله ، لذلك على الباحث أن يختار عينة بحثه باستعمال الطرق المناسبة للبحث .

فالعينة هي:- مجموعة من المفردات تؤخذ من مجتمع البحث ويقوم الباحث باختيارها بهدف جمع البيانات وتوفير الجهد والوقت والعمل بها لتوافق النتائج التي يتوصل إليها باستعمال العينة بحيث يمكن تعميمه على باقي مفردات المجتمع (شفيق ، 1985 ، ص84) .

وبما أن مجتمع البحث يتكون من أرباب الأسر في منطقة بئر الحلو والبالغ تعداد أسرها 4298 أسرة (الهيئة الوطنية للتوثيق ، 2006 ، الجميل) ونظراً لكثرة عدد الأسر في هذه المنطقة وعدم وجود تعدادات واضحة وبيانات محددة لهذه الأسر ، قام الباحث بأخذ عينة عمدية قصدية

تتكون من (107) حالة للدراسة وذلك بأخذ نسبة 5% من مجموع مجتمع البحث البالغ عدده 2149 رب أسرة .

4- أدوات جمع البيانات:- يتوقف اختيار الأداة على طبيعة الموضوع ومصدر البيانات كما تقف القيمة الموضوعية لنتائج البحث ودقتها إلى حد كبير على طبيعة الأداة المستخدمة في جمع البيانات وأهم هذه الأدوات التي تم استخدامها في نطاق بحثنا بعض آليات الضبط الاجتماعي وتأثيرها على تربية الأبناء ما يلي:-

أ- الملاحظة:- تعتبر الملاحظة من الوسائل الهامة والأساسية في جمع المعلومات والحقائق ، فهي الأداة التي تتيح للباحث فرصة ملاحظة السلوك الفعلي للجماعة في صورته الطبيعية كما يحدث في مواقف معينة (حسن ، 1988 ، ص107).

كما أكد (أوجست كونت) على أن أهداف عام الاجتماع هو فهم المجتمع ، بل مظاهره المختلفة ، لكن لا يمكن أن يتحقق الفهم الدقيق إلا من خلال المنهج العلمي وتعد الملاحظة من أهم أسس هذا المنهج (داوود ، 1989 ، ص191).

وقد عمدنا في بحثنا هذا استخدام الملاحظة البسيطة في مختلف الجولات التي قمنا بها في الميدان ومن خلالها تمكنا من ملاحظة الاتجاهات السلوكية للأبناء داخل وخارج أسرهم بصورة مبدئية ومدى تأثير آليات الضبط في تربية الأبناء .

ب-استمارة المقابلة:- إن موضوع البحث يفرض علينا استمارة المقابلة التي تساعد كثيراً في جمع المعلومات فهي وسيلة اتصال بين الباحث والمبحوث وتشمل على مجموعة أسئلة مرتبة حول الموضوع حيث يتم وضعها في استمارة وبواسطتها يمكن التوصل إلى نتائج وحقائق جديدة عن الموضوع ، أو التأكيد من معلومات متعارف عليها لكنها غير مدعمة بالحقائق ، كما تهدف إلى تسجيل الإجابة في الوثيقة مع ردود أفعال المبحوثين المتعلقة بالموضوع (محمد ، 1981، ص7) .

ثامناً:- عرض وتحليل بيانات البحث الميدانية:-

1- تحلل البيانات الميدانية:- بعد تحديد الإجراءات المنهجية للدراسة ، يأتي هذا الجزء من الفصل الأخير الخاص بالبيانات المجمعة من المعلومات لعرضها في جداول ليتم قراءتها وتفسيرها

بغرض الوصول إلى النتائج الهامة للبحث وتعد هذه المرحلة من أهم مراحل البحث لما لها من أهمية في تأكيد منطلقات البحث النظري وأهدافه وفرضياته .

أولاً: - البيانات الشخصية :

الجدول (01) يوضح توزيع المبحوثين حسب الفئة العمرية

النسبة %	تكرار	الفئة العمرية
4.6%	05	30-25
13.5%	14	35-31
26.5%	29	40-36
51.2%	55	45-41
4.2%	04	51- فأكثر
100%	107	المجموع

يتضح من البيانات الواردة في الجدول رقم(01) أن الفئة العمرية من (45-41) قد جاءت في المرتبة الأولى ، إذ بلغت نسبتها (51.2%) تليها الفئة العمرية الواقعة ما بين (40-36) بنسبة (26.5%) بينما نسبة (13.5%) من إجمالي الفئة جاء في الفئة العمرية من (35-31) سنة ، بينما باقي الحالات من أفراد العينة جاءت نسبهم (4.6%) يتضح من الجدول أن الأكثرية من افراد العينة المختارة تركزت في الفئة العمرية (45-41) سنة وهذه السن من المتوقع أن تثري البحث من خلال خبرتها كما أن توزيع أفراد عينة البحث بين فئات السن المختلفة ما هو إلا مؤشر جيد في التعرف على آرائهم واتجاهاتهم وتنوعها فيما يتعلق بموضوع البحث.

الجدول رقم(02) يوضح توزيع افراد العينة حسب مهنتهم

النسبة %	تكرار	الوظيفة
47.9%	52	وظيفة حكومية
28.8%	31	قطاع خاص
23.3%	24	حرفيون
100%	107	المجموع

يتضح من الجدول رقم (02) أن نسبة من أرباب الأسر من العينة والذين يعملون في وظائف حكومية تأتي في المرتبة الأولى بنسبة (47.9%) في حين أن من يعمل في القطاع الخاص يأتون في المرتبة الثانية بنسبة(28.8%) وتأتي نسبة الذين لا يمارسون أي وظيفة (حرفيون) في المرتبة الأخيرة بنسبة (23.3%) ربما يفسر ذلك في ضوء ما توليه الدولة الليبية من اهتمام بالمواطن .

الجدول (03) يوضح عدد الابناء للأسرة الواحدة لأفراد العينة

عدد الابناء	التكرار	النسبة
من 1-5	16	15.7%
من 6-9	73	68.4%
10 فأكثر	18	15.9%
المجموع	107	100%

تكشف البيانات الموضحة بالجدول رقم (03) ان فئة عدد الابناء في الاسرة من (6-9) جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (68.4%) من مجموع افراد العينة أما فئة عدد الابناء من (10- فأكثر) قد جاءت المرتبة الثانية بنسبة (15.9%) من مجموع افراد العينة لا غرابة أن تأتي البيانات بهذا الشكل فالأسرة في هذه المنطقة تتميز بالطابع الريفي المعروف بكثرة الأبناء في الاسرة وخصوصاً أن العينة في البحث الحالي تشتمل على نوعين من الأسرة منها الأسرة الممتدة ومنها أسرة نووية .

ثانياً :- بيانات خاصة بالقيم الدينية :-

الجدول (04) يوضح اهم مجالات تربية الابناء باتباع القواعد الدينية

أهم المجالات	التكرار	النسبة %
الاهتمام ببناء الشخصية	16	16.3%
تعميق الوازع الديني	15	14.9%
تنمية الثقة بالنفس	19	18.1%
ترسيخ القيم والتقاليد الإسلامية	26	24.7%
التوجيه و الإرشاد	31	26.0%
المجموع	107	100%

يتضح من الجدول رقم (04) أن مجال التوجيه والإرشاد يحتل صدارة المجالات التي يعتني بها أرباب الأسر في تربية الأبناء بنسبة (26.0%) من مجموع أفراد العينة وجاء مجال ترسيخ القيم والتقاليد الإسلامية في الترتيب الثاني من الأهمية بنسبة (24.7%) من مجموع أفراد العينة ، أما مجال تنمية الثقة بالنفس فقد جاء في الترتيب الثالث من الأهمية بنسبة (18.1%) من مجموع أفراد العينة ، وجاء في المرتبة الرابعة مجال الاهتمام ببناء الشخصية بنسبة (16.3%) من مجموع أفراد العينة ، واحتل مجال تعميق الوازع الديني المرتبة الأخيرة بين مجالات تربية الأبناء بنسبة (14.9%) من مجموع افراد عينة البحث .

الجدول (05) يوضح أهم القيم التي يتربى عليها الابناء باتباع القواعد الدينية

اهم القيم	تكرار	نسبة
اهمية الاجتهاد	17	15.8%

العدد 7 يناير 2023	مجلة المنارة
25.1%	الحرص على المستقبل
20.0%	الاعتماد على النفس
19.5%	الانتماء للمجتمع
19.5%	القيم الدينية
100%	المجموع

تكشف البيانات الموضحة بالجدول رقم (05) عن أن قيمة الحرص على المستقبل جاءت في الترتيب الأول بين منظومة القيم التي يتربى عليها الأبناء بنسبة (25.1%) من مجموع أفراد العينة ، أما قيمة الاعتماد على النفس فقد احتلت المكانة الثانية من حيث الأهمية ، بنسبة (20.0%) من مجموع أفراد العينة ، وجاءت قيمتا الانتماء للمجتمع والقيم الدينية في الترتيب الثالث بنسبة (19.5%) لكل منهما من مجموع أفراد عينة البحث ، أما أهمية الاجتهاد فجاءت في الترتيب الرابع من الأهمية في منظومة القيم التي يتربى عليها الأبناء بنسبة (15.8%) من مجموع أفراد العينة .

يتضح من خلال ما سبق بأنه مازالت القيم التقليدية مستمرة بالنسبة لأهم القيم التي تربي الاسرة ابناءها عليها فتربيه الطفل وتدريبه تجعله يدرك أن التعاون هو التفاعل الايجابي في الحياة الاجتماعية ويقدر معني المسؤولية ، كما يتعلم الحرص على المستقبل ، باتباع القواعد الدينية .

ثالثاً:- بيانات خاصة بالقيم الاسرية :-

الجدول (06) يوضح أهم الطرق في تربية الابناء

النسبة %	تكرار	أفضل طرق التربية
13.0%	10	الحوار مع الأبناء
14.9%	15	الحزم المرتبط بالود
13.5%	11	فرض الرأي
42.3%	45	التشدد مع الأبناء
16.3%	16	إقناع الأبناء
100%	107	المجموع

يتضح من الجدول رقم (06) أن التشدد مع الابناء هو افضل الطرق في تربية الأبناء حيث جاء هذا الأسلوب في الترتيب الأول بنسبة (42.3%) من مجموع أفراد العينة وهذا استمرار للقيم الاسرية التقليدية المعروفة عن الاسرة الليبية ، اما أسلوب التربية القائمة على أسلوب الإقناع فقد جاء في الترتيب الثاني من الأهمية بنسبة (16.3%) وجاء أسلوب الحزم المرتبط بالود في الترتيب الثالث

بنسبة (14.9%) من منظور أرباب الأسر ، أما أسلوب فرض الرأي فقد جاء في المرتبة الرابعة من الأهمية وبلغت نسبتها (13.5%) من مجموع أفراد العينة .

الجدول (07) يوضح أكثر الأساليب العقابية التي تقع على الأبناء في حالة الخطأ

النسبة %	تكرار	الأساليب العقابية
29.8%	32	الضرب
48.8%	52	التوبيخ
6.0%	7	منعه من الخروج من المنزل
9%	9	حرمانه من اللعب
6.0%	7	عدم التحدث إليه
100%	107	المجموع

تكشف البيانات الموضحة بالجدول رقم (07) عن التوبيخ هو أكثر الأساليب العقابية استخداماً مع الأبناء إذا أخطأ احدهم ووافق على هذا الأسلوب (48.8%) من مجموع أفراد الأسرة ، ويتضح أيضاً أن الضرب هو أسلوب العقاب الذي تحتل ممارسته الترتيب الثاني بعد التوبيخ بنسبة (29.8%) من مجموع أفراد العينة ، أما أسلوب حرمانه من اللعب فقد جاء في الترتيب الثالث من حيث ممارسة العقاب بنسبة (9.3%) من مجموع أفراد العينة ، وجاء أسلوب حرمانه من الخروج من المنزل وعدم التحدث إليه في الترتيب الرابع من حيث الأهمية كأسلوبين عقابيين يقعان على الأبناء إذا أخطأ أحدهم بنسبة (6.0%) من مجموع أفراد عينة البحث .

رابعاً :- بيانات خاصة بالقوانين الوضعية :-

الجدول (08) يوضح شكل السلطة في الأسرة

النسبة %	التكرار	المتغيرات
28.4%	30	تراجعت سلطة رب الأسرة
18.6%	20	أصبحت القرارات تتسم بالمشاركة
20.6%	22	تدخل الأبناء في بعض القرارات
17.7%	19	تدخل المرأة في بعض القرارات
15.3%	16	معارضة الآباء تحرر الأبناء
100%	107	المجموع

توضح بيانات الجدول رقم (08) تعدد صورة التأثير ويأتي في مقدمتها تراجع سلطة رب الأسرة لتصل إلى (28.4%) وذلك بعد أن أصبحت المرأة تخرج للعمل وتساهم في ميزانية الأسرة مادياً بالإضافة لتشربها قيم التحرر وحقوق المرأة ، يليها تدخل الابناء في بعض القرارات بنسبة

(20.6%) يليها أصبحت القرارات تتسم بالمشاركة بنسبة (18.6%) من مجموع أفراد العينة ، تم يليها تدخل المرأة في بعض القرارات بنسبة (17.7%) من مجموع أفراد العينة .

الجدول (09) يوضح كيفية إدارة الأسرة (الإدارة الأسرية)

المتغيرات	تكرار	النسبة
تراجع دور الوالدين في تربية الأبناء	23	21.4%
تراجع الدور التثقيفي للوالدين بما يعرض في الإعلام	36	24.0%
تراجع دور الأم في التربية نتيجة لفكرة التحرر	22	20.5%
سوء العلاقة بين الرجل و المرأة نتيجة لفكرة التحرر	15	18.1%
أصبح كل فرد في الأسرة منشغل بنفسه فقط	11	6.0%
المجموع	107	100%

يتضح من الجدول (09) أن تراجع الدور التثقيفي للوالدين بما يعرض في الإعلام وهذا له أكبر أثر في عملية تربية الأبناء وقد جاء هذا المتغير في المرتبة الأولى بنسبة (34.0%) من مجموع أفراد العينة ، ثم يأتي في المرتبة الثانية الذين يرون في تراجع دور الوالدين في تربية الأبناء بنسبة (21.4%) من مجموع أفراد العينة وجدنا في المرتبة الثالثة تراجع دور الأم في التربية نتيجة لفكرة التحرر بنسبة (20.5%) تليها من يرون أنها أدت إلى سوء العلاقة بين الرجل و المرأة نتيجة لفكرة التحرر بنسبة (18.1%) ثم الذين يرون أنه أصبح كل فرد في المجتمع منشغل بنفسه بنسبة (6.0%) من مجموع أفراد العينة .

تاسعا :- عرض النتائج :-

إن الهدف من هذا البحث هو الكشف عن تأثير آليات الضبط الاجتماعي في عملية تربية الأبناء في الأسرة الليبية بمدينة الجميل (منطقة بئر الحلو) ومن خلال هذا المنطلق تم وضع مجموعة من الفرضيات سنحاول التحقق من صحتها ، من خلال مؤشراتنا الأساسية التي تندرج ضمنها والتي جاءت في شكل أسئلة رئيسية وأخرى جزئية جاءت في استمارة البحث وفيما يلي عرض لأهم النتائج التي عبرت في رأينا عن البحث والتي اسفرت عنه الدراسة الميدانية من خلال تحليل البيانات الميدانية:-

أ- الفرضية الأولى :-

- من الامور الأساسية لتربية الأبناء اتباع القواعد الدينية:-

تعد القواعد الدينية بما تتضمنه من أساليب متنوعة ومؤثرة في تربية الأبناء والتي تسهم بشكل إيجابي أحياناً وسلبي أحياناً أخرى في تكوينه النفسي والاجتماعي والتربوي والثقافي فهي من أهم آليات الضبط في تربية الأبناء ففي بحثنا هذا جاء مجال التوجيه الإرشاد في مقدمة آليات الضبط في التربية التي تعني بها الأسرة ويلبها ترسيخ القيم والتقاليد الإسلامية ثم تنمية الثقة بالنفس ثم الاهتمام ببناء الشخصية وأخيراً وليس آخراً تعميق الوازع الديني لدى الطفل ، من هنا يبين البحث من خلال نتائج هذه الفرضية أن القواعد الدينية من المصادر الأساسية لتربية الأبناء في الأسرة الليبية في مدينة الجميل .

الفرضية الثانية :-

من الضوابط الأساسية لتربية الأبناء اتباع القيم الاجتماعية الأسرية . يقصد بالقيم الاجتماعية والأسرية في تربية الأبناء اتباع الطرق التقليدية في التربية المنبثقة من التقاليد والعادات الاجتماعية المتعارف عليها بالمجتمع وهي آلية معروفة للضبط الاجتماعي الأسري التقليدي ، ومن خلال نتائج البحث يتم تأكيد هذا الرأي فقد جاء التشدد مع الأبناء في مقدمة أفضل طرق تربية الأبناء ، ويلبها أسلوب إقناع الأبناء ثم الحرز المرتبط بالود ثم أسلوب فرض الرأي وآخرها أسلوب الحوار مع الأبناء ، ويأتي التوبيخ في مقدمة الأساليب العقابية التي تقع على الأبناء ويلبها أسلوب الضرب ، ثم أسلوب حرمانه من اللعب ، ويلبها منعه من الخروج من المنزل وعدم التحدث إليه ، يتضح من خلال ذلك إتباع الأسرة في تربية الأبناء آليات الضبط الاجتماعي التقليدية وهي من القيم الاجتماعية الأسرية التي تربي عليها جيل الآباء وهي من الآليات الناجحة في تربية الأبناء .

الفرضية الثالثة :-

لتربية الأبناء تربية سليمة لابد من جعل القوانين الوضعية أساسياً لعملية التربية . تبين نتائج البحث الخاصة بهذه الفرضية بأن السلطة الداخلية الخاصة بالأسرة وتوجيه الأبناء قد تراجعت ، وأصبح الأبناء يتدخلون في بعض القرارات الأسرية ، وأصبحت القرارات في الأسرة تتسم بالمشاركة ، وأصبحت المرأة تتدخل في بعض القرارات الأسرية والآباء يعارضون تحرر الأبناء هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد تراجع الدور التنقيحي للوالدين لما يعرض في وسائل الإعلام هذا في المرتبة الأولى ويلبها تراجع دور الوالدين في التربية بشكل عام ثم تراجع دور الأم في تربية الأبناء نتيجة لفكرة التحرر ، وفي المرتبة الأخيرة نجد أن وجود نوع من سوء العلاقة بين الرجل و المرأة أيضاً لثقافة

التحرر ، والتي اجازها لها القانون الوضعي والذي غير بعض الأدوار الأسرية وأثر على عملية تربية الأبناء وما يؤكد ذلك أن كل فرد في الأسرة أصبح منشغل بنفسه فقط ، يتبين من ذلك أن القوانين الوضعية ليست إلبة من آليات الضبط التي تخص عملية التربية .

الهوامش و المراجع

- أبوزيد ، أحمد ، البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 2002 ، ص42.
- أحمد ، غريب سيد ، علم الاجتماع دراسة المشكلات الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1997 ، 188 .
- إسماعيل ، قباري ، قضايا عالم الاجتماع المعاصر ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 2009 ، ص 33.
- الخشاب ، مصطفى ، دراسات في علم الاجتماع العائلي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 ، ص 32.
- الشربيني ، زكريا آخرون ، تنشئة الطفل ومواجهة مشكلاته ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1996 ، ص 17.
- الرشدان ، عبدالله ، التربية و التنشئة الاجتماعية ، دار وائل للنشر ، عمان ، 1 ، 2005 ، ص 78 .
- العمر ، معن خليل ، الضبط الاجتماعي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2006 ، ص 126 .
- العمر ، معن خليل ، البناء الاجتماعي ، انساقه وتظميانه ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1999 ، ص 19 .
- ثابت ، ناصر ، دراسات في علم الاجتماع التربوي ، مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع ، الكويت ، 1999 ، ص 141 .
- حسن ، احسان محمد ، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 2 ، 1988 ، ص 107 .
- داوود ، ليلي ، البحث في العلوم النفسية و الاجتماعية ، مطبعة عابدين دمشق ، 1989 ، ص 191 .
- شريف ، فائق ، الأسرة و القرابة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2006 ، ص 88.
- شفيق ، محمد ، البحث العلمي الخطوات المنهجية ، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية ، 1985 ، ص 84.
- عوض ، عباس وآخرون ، علم النفس الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1994 ، ص 25 .
- عدنان ، رانيا ، التنشئة ، دار البداية ، عمان ، 2006 ، ص 11.
- فياض ، حسام الدين محمود ، الضبط الاجتماعي ، مكتبة نحو علم اجتماع تنويري ، عمان ، ط 1 ، 2018 ، ص 15 .
- فياض ، حسام الدين ، مرجع سابق ، 2018 ، ص 21.
- قنوص ، صبحي ، دراسات في علم الاجتماع ، دار النهضة العربية بيروت ، ط 1 ، 2000 ، ص 305.

- محمد ، على محمد ، علم اجتماع المنهج العلمي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 1981 ، ص7 .
- مقال مفهوم الضبط الاجتماعي ، منشور في موقع toupee .org تمت مراجعة في 15-4-2022 .
- مقال "الضبط الاجتماعي" منشور في years . ago للباحث محمد فوج ، مقالات المجتمع البشري .
- الهيئة العامة للتوثيق و المعلومات تعداد ، 1995 - 2006 ، الجميل .

الاغتراب الفكري وأزمة العلاقة بين الباحث وواقعه الاجتماعي

"دراسة في المنهج والنظرية في الفكر العربي"

د. عبد الحكيم حسن أحمد رحومه

قسم علم الاجتماع كلية الآداب، الاصابة، جامعة غريان

المستخلص :

هدفت الدراسة في محاولة الكشف عن الاغتراب الفكري الذي يعيشه الباحث من حيث أزمة العلاقة ما بين المنهج والنظرية، والواقع الاجتماعي الذي كثيرا ما يخفق في تحليل الواقع، كونه نظرية ومنهج بنيت وتطورت في بيئة اجتماعية تختلف كثيرا عن البيئة العربية، وأتت كقوالب جاهزة طبقت دون تعديل الأمر الذي نتج عنه أخفاق كبير على مستوى المنهج والنظرية. ولتحقيق هذا الهدف نهجت الدراسة عن تتبع الكثير من الدراسات العلمية المنشورة التي تتناول أزمة الفكر العربي، في محاولة لصياغة نتيجة عامة ممن وصلت إليه تلك الدراسات من نتائج . وقد تبين أن الفكر العربي الحديث ولد مشوها لكونه ارتبط بالتعبئة الغربية سواء على مستوى النظرية أو المنهج .

مقدمة :

أهتم الباحثون العرب بتشخيص الوضع القائم للبحوث الاجتماعية، وتم رصد الملامح العامة للدراسات والبحوث السائدة في البلدان العربية، وقدم بعض المهتمين بقضايا الواقع العربي تحليلات متعمقة في محاولة التعرف على عوامل الإخفاق في تفسير الواقع، وتحليل مشكلاته محاولين وضع تصورات مستقبلية لما يجب أن يكون عليه علم الاجتماع، والدور المنوط به الباحث الاجتماعي، وعلاقته بواقعه في المرحلة المقبلة، وتوصل بعضهم إلى نتائج مهمة في تفسير الوضع غير المرضي للبحوث الاجتماعية في وقعا العربي.

ويمكن أن نعرض لعوامل الإخفاق في التالي :

- 1- عدم التواصل أو ضعفه بين مؤسسات البحث الاجتماعي في الوطن العربي .
- 2- انعدام الصلة بين المؤسسات البحثية وغيرها من مؤسسات المجتمع .
- 3- اغتراب الباحث الاجتماعي عن قضايا الإنسان العربي وانفصال الفكر عن الواقع .
- 4- هدر لإمكانات البحثية أو عدم القدرة على استعمالها في المجتمعات العربية.

5- ضعف الوعي بالبحث الاجتماعي لدى كثير من فئات المجتمع وخاصة بين المسؤولين عنه أو القائمين به.

6- هجرة المبدعين أو المجددين من الاجتماعيين العرب بسبب عجزهم عن تغيير الواقع وإصلاحه.

7- ارتباط النشاطات البحثية في المجتمعات العربية بتوجهات أيديولوجية، وأطر نظرية مفروضة عليها إما من الخارج أو من القائمين على البحوث الاجتماعية في هذه المجتمعات، تكاد الأطر النظرية التقليدية تكون هي المسيطرة على النشاطات البحثية في هذه المجتمعات، كما أن المناهج المستخدمة متكررة في معظم البحوث الجارية، وكثيراً ما تكون هذه الأطر وتلك المناهج غير متقنة إلى حد بعيد مع الواقع العربي بسبب استيرادها أو فرضها من الخارج .

هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى كثيرة منها ما هو موضوعي، ومنها ما هو ذاتي، بعضها يتعلق بميزات البحوث الاجتماعية والمؤسسات المتحكمة فيها، ومنها ما يرتبط بأهداف أيديولوجية، والواقع أن هناك عوامل كثيرة ومتداخلة يتفاعل بعضها مع البعض الآخر وتشكل في النهاية عائقاً أمام المنتج البحثي في علم الاجتماع. (سمير نعيم: 1984، ص 65)

وعلى الرغم من أهمية الرؤى النقدية والتحليلية التي قدمها الباحثون الملتزمون بقضايا الإنسان العربي، فإنها ظلت تعبر عن رؤى جزئية لعناصر وأبعاد دون غيرها، فهي تحتاج إلى تحليل أوسع يتمثل في دراسة العلاقة بين الباحث ومجتمعه، وبين الفكر والواقع في إطار عالمي - محلي، موضوعي - ذاتي . بعبارة أخرى نحن في حاجة إلى تحليل لمآزق العلاقة بين النظرية والتطبيق، بين فكر الباحث وموضوع بحثه، وهو الهدف الذي تسعى هذه الدراسة إلى تقديمه للمناقشة حتى يمكن التعرف على الهوية والتناقض السائدين بين الفكر الاجتماعي الذي يتبناه الباحث وبين الواقع التطبيقي لهذا الفكر، في سبيل معرفة العوامل المؤدية إلى هذا التناقض والوقوف على سبل التقارب أو بالأحرى التطابق بين الفكر و إفرازات الواقع الفعلي ومعطياته المتجددة .

يرى المتخصصون في مناهج البحث الاجتماعي أن النظرية هي ما نتحدث عنه، بينما يصبح منهج البحث هو ما نفعله، ويرد عليهم واضعو النظريات بأن منهج البحث ربما يمثل ما نفعله، ولكن النظرية تمثل ما نقصده، ويعلق (كارل فان ميتر Karl m. van meter) على هذا الجدل فيقول : ليس أمامنا فعليا سبيل لإنكار أن علم الاجتماع يقدم بوصفه علما من خلال التقدم المشترك في كل

من النظرية ومنهج البحث وأي ضعف في أي منها ينعكس عاجلاً أو آجلاً على الآخر، وينعكس على علم الاجتماع جملة، والتقدم في وأي واحد منهما يسهم في تقدم الآخر وفي تقدم هذا الفرع من المعرفة ككل (كارل فان ميطر: 1994، ص 29)

والسؤال المطروح هنا وفقاً للمناقشة السابقة: إلى أي مدى ينطبق ذلك على النشاطات البحثية التجارية في مجتمعاتنا العربية بصورة عامة؟ وأي نظرية أو منهج يسود فيها؟ وهل هناك أمل في تقدم حقيقي في كل من النظرية والمنهج؟ وما العلاقة بين الفكر والواقع في علم الاجتماع العربي؟.

من استعراض حالة البحث الاجتماعي في المنطقة العربية - برغم وجود دراسات جادة ومتميزة - يمكن أن نلاحظ غياب التفسير الواقعي لقضايا الواقع العربي ومشكلاته، ومن غياب المنظرين في علم الاجتماع، بل وصل الأمر إلى حد الخلط الواضح بين مجالي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، فإذا كان لنا أن نتفق على أن علم الاجتماع الغربي ظهر بوصفه رؤية ملحة لتفسير أزمات جديدة طرأت على الواقع الأوروبي في منتصف القرن التاسع عشر حين عجز الاجتماع آنذاك عن تفسير هذه الأزمات، فإننا مطالبون بتفسير عدم تبلور أطر نظرية عربية في علم الاجتماع تكون قادرة على تشخيص الواقع العربي ومشكلاته، الحقيقة التي يشعر بها المختصون. بعبارة أخرى لماذا ظل علم الاجتماع الغربي هو الإطار المسيطر على فكر الباحثين العرب برغم اختلاف الظروف الاجتماعية والتاريخية في كل من أوروبا والبلاد العربية؟ لماذا هيمن الفكر الغربي بنظرياته ومناهجه على البحث الاجتماعي في واقعنا العربي؟ أين علما الاجتماع العرب، وما دورهم الحقيقي في تقريب الفجوة بين الفكر والواقع؟. للإجابة عن تلك التساؤلات يمكن لنا طرح القضايا التالية للمناقشة، بالتحليل الموضوعي الموسع من أجل تشخيص العوامل الكامنة في الفكر الاجتماعي ذاته وعلاقة كل منهما بالآخر.

أولاً: مظاهر التباين والاختلاف في الواقع العربي:

من الخطأ أن نتصور المجتمع العربي كونه يمثل وحدة كلية متكاملة، حيث أن اقتصاديات وثقافات البلدان العربية تزهر بالتنوع القائم بين اتجاهات الفكر العربي وخطابات المفكرين الاجتماعيين، حيث نجد مجموعات متميزة داخل هذه المنطقة، فهناك مجموعة البلاد النفطية التي تعتمد في اقتصادها على استخراج النفط وتصديره، وفي المقابل نجد أقطارا أخرى تعتمد على نموذج إحلال الواردات مثل: مصر وسوريا والعراق والجزائر، ثم نجد بلدانا ثالثة انتقلت من مراحل تطورها إلى نماذج أخرى، إلا أن المدقق في أوضاع البلدان العربية يلحظ أن معظمها تتكامل في التنسيق

الرأسمالي العالمي أي تندمج داخل اقتصاديات المركز الرأسمالي، وبالتالي أصبحت تعبر عن " النموذج التابع " (رمزي زكي : 1982، ص 88).

وفي دراسة متعمقة حول المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية يقدم خلدون النقيب تحليلاً بنائياً - تاريخياً لواقع هذه المجتمعات (خلدون النقيب : 1997، ص 62) ، حيث يشير إلى أن هذه المنطقة - خاصة في منتصف القرن التاسع عشر - أصبحت مكتملة الإستعاب في النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي، معنى ذلك أن هذه المنطقة أصبحت منطقة " هامشية " تختص بإنتاج نوع من السلع الثانوية موجهة إلى السوق الدولية وليس إلى الأسواق المحلية باعتبارها منطقة تجارية، كما كانت في السابق . ويمكن فهم ديناميات التخصص السلعي وآليات تطبيقه بشكل أفضل من خلال تحليل أبعاد العلاقات الدولية غير المتكافئة لتقسيم العمل الدولي في ظل السوق الرأسمالي العالمي والوقوف على طبيعة علاقات التبعية، وطبيعة التفاعل بين المركز والمحيط عند لارشتاين وتصادم العوالم الخارجية والرأسمالية والقرايية الأكثر شمولاً عند أريك ولف (خلدون النقيب : 1997، ص 167) .

إن المتتبع لتاريخ المنطقة العربية يستطيع أن يقرر أن التحول في هذه المنطقة لم يكن بمعزل عن السياسات الاستعمارية التي كانت تترجمها بريطانيا في منتصف القرن التاسع عشر، ويكفي دراسة تاريخ العلاقة بين المشرق والجزيرة العربية وبين المجتمع الاستعماري البريطاني لكي يمكن التذليل على مدى ربط هذه المنطقة بسياسة استغلالية تقودها بريطانيا، وفي ضوء هذه السياسة تمت تجزئة بلدان المنطقة ومنع اتحادها حتى بعد الاستقلال، هذا ولم تكن هذه التجزئة بمعزل عن متطلبات واعتبارات أخرى مرتبطة بالتحويلات في المجتمع الرأسمالي الدولي، تلك التحويلات التي أدت إلى تشكيل أساليب جديدة من السيطرة والاستغلال، وواقع الأمر أن هذه السيطرة وهذا الاستغلال لم يشكلوا بالدرجة نفسها مع كل الدول في المنطقة ولم يمارسا بالأساليب المتبعة من خلال التحول إلى " رأسمالية هامشية " تمثل فيها النخبة الحاكمة دور المتسلط بل تلعب الوسيط بين الرأسمالية العالمية وجماهير هذه المجتمعات (Lerner .O ; 1995, p 71) .

وهكذا نجد أن الواقع العربي يعيش حالة من الركود الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والثقافي، حتى وصل الحال في العصر الحالي إلى حالة من حالات الأزمة، أزمة التخلف بأبعادها المتشابكة، والتي نرى مظاهرها في الهيمنة البيروقراطية، والتفاوت الاجتماعي، وضيق القاعدة الإنتاجية، وهدر

الإمكانات الاقتصادية للمجتمع، وتصدير رؤوس الأموال العربية إلى الخارج (Frank, A . G. ; 1981, p 162).

وتمثل هذه تناقضات واقع المجتمعات العربية، تلك المتناقضات الناتجة عن تدخل عوامل التغلغل الرأسمالي مع عوامل التقبل الداخلي لهذا التغلغل، ومن ثم تكون المحصلة النهائية، باختصار هي: ظهور " رأسمالية رثة " بمفهوم فرنك أو رأسمالية مشوهة تعمل في إطار تدمير نمط الصناعة الوطنية واستنزاف فائض العمل وفائض الإنتاج وتصديرهما إلى الخارج ليساهما في التراكم الرأسمالي في العواصم ويحرم أبناء هذه المجتمعات من مصادر التقدم، بل يجعلها في حالة تبعية كاملة للمراكز الرأسمالية الغربية، ويحافظ على عدم التوازن بين النمط الرأسمالي الخالص، والنمط الرأسمالي الرث (نادر فرحات: 1983، ص 162).

وواقع الأمر أن إشكالية النمو " الرأسمالي الرث " تكمن في عدم قدرة المجتمع على الاستقلال الاقتصادي والسياسي، حيث يتضح من الشواهد التاريخية للمجتمعات الرأسمالية أن إعادة التراكم الاستثماري في النمط الرأسمالي الخالص ترتبط بمدى استغلال الجزء الآخر المتخلف من العالم. لقد أصبح الواقع العربي يحمل تعامشاً فارقاً بين أنماط تقليدية متخلفة وأخرى مستحدثة (رأسمالية مشوهة أو رثة) وأضحى ذلك من أهم السمات السائدة في المجتمعات العربية شأنها شأن مجتمعات العالم الثالث، والمتتبع لأحوال هذه المجتمعات يستطيع رصد مظاهر هذا التخلف في قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، كما أنه يستطيع الوقوف على ازدواجية أنماط الإنتاج المتخلف والمستحدث في آن واحد، فنجد نمطاً اقتصادياً يقوم على إنتاج الكفاف بتعايش مع نمط اقتصاد السوق والفارق بينهما عظيم، الأول بدائي والثاني عصري، الأول ضعيف لا يستطيع منافسة الثاني، والآخر غير مكتمل النمو لكنه يستطيع أن يقضى على النمط الأول، ومع ذلك فإنه تابع ومغترب، فعملية اكتماله متوقفة على إستراتيجية المركز الرأسمالي في العوامل والتي لا تسمح له بالاكتمال والنمو في ضوء آليات السوق العالمي، ووفقاً لعملية تقسيم العمل الدولي.

والباحث المدقق يجد أيضاً تعامشاً فارقاً بين أدوات تكنولوجية حديثة مستوردة وبجانبتها تقليدية بالية، الأولى تخدم السلع التصديرية والثانية تخدم السلع الجماهيرية، بالإضافة إلى قيام مصانع حديثة قادمة من الخارج تنتج لصالح السوق الرأسمالي، وأخرى تصل لصالح الطبقات الميسورة برؤوس أموال

أجنبية، وفي الوقت نفسه نجد ورشاً ومصالح أساسية لا تستطيع منافسة المصانع المتقدمة في الغرب ومن هنا تفقد قدرتها أمام المنافسة غير المتكافئة وتصبح وبالأعلى على المجتمع المحلي ذاته .

والخطر الأكبر ليس في تعايش التقليدي مع العصري، وإنما في المنافسة غير المتوازنة بين إنتاجية عصرية وأخرى تقليدية، فإنتاجية الأولى غير محدودة بحكم أنها تعتمد على أدوات ذات إمكانيات هائلة تستطيع بها غزو الأسواق بكميات وفيرة وبأسعار لا تقبل المنافسة، مما يؤدي إلى تحطيم أسس النمط الإنتاجي الثاني، وأمام هذا التنافس - غير المتكافئ - بين الأنماط الإنتاجية تتحطم أسس الكفاف الاقتصادي لدى الفئات الدنيا، وهنا تجد المؤسسات الاستثمارية طريقها إلى احتكار السلع الأساسية ذات الصلة بقوت الشعوب مثل السلع التموينية التي تصبح مجالاً للضغط في بعض المجتمعات، تختفي المواد السلعية الوطنية لتحل محلها مواد مستوردة بحجة تطوير الإنتاج وتحسينه، ويتحطم تدريجياً الإنتاج الوطني، ويسود نمط الإنتاج التابع، وتدخل الفئات الدنيا حلبة المنافسة بالسلع، ويصبح الاستهلاك هو الهدف الذي تسعى إليه هذه الفئات، بل يصبح قيمة في حد ذاته وتسود ثقافة الاستهلاك الترفي (سعد الدين إبراهيم : 1983، ص 88).

ولا شك أن هذه وغيرها من مظاهر التشتت والتمايز والتشوه في المجتمع العربي قد أدت إلى :

1- عدم قدرة القطاعات الإنتاجية على إعادة الإنتاج، حيث أن توجيه الإنتاج إلى الاستثمار الأجنبي مع عدم التكافؤ مع الإنتاج المحلي يؤدي فشل هذه القطاعات الإنتاجية الوطنية في تحقيق تراكم استثماري في الداخل وبالتالي يصبح عالية على الاقتصاد الوطني.

2- تشابك الأنماط الإنتاجية التقليدية مع الأنماط المستحدثة مما يؤدي ليس فقط إلى تشوه البنية الاقتصادية والاجتماعية في الدولة التابعة، بل يساعد على تراكم التخلف وترسيخه، وفي هذه الحالة يشكل خليط غريب متناسق أو متناغم من المكونات تنتمي كل طائفة منه لعصر مختلف من عصور التاريخ، ولقسم مختلف من أقسام البشرية، ومع هذا فالكل متشابك سوياً في كيان واحد بحيث تتحقق الغاية النهائية: استمرار نهب الثروات العربية و نزوح أكبر قدر من فائض قيمة الجهد العربي واستمرار إعادة إنتاج التخلف والتبعية (سمير نعيم: 1983، ص 93) .

3- ظهور تركيبة اجتماعية تختلف عن التركيبات الاجتماعية الطبيعية، بعبارة أخرى تظهر هياكل جديدة تتشكل في ضوء معطيات واقعية ومع ذلك تبدو كأنها غريبة عنها ومفروضة عليه، والمثال الواضح على ذلك تلك الفئات الاجتماعية الانتهازية أو "جماعات المصلحة التي تستفيد فقط من

التناقضات الداخلية وعدم التكافؤ بين القطاعات الإنتاجية التقليدية والواردة و تحول المكاسب لصالحها أو لصالح النظام الرأسمالي العالمي "سيد الموقف" في الاقتصاد الدولي.

4- ظهور السلع الهامشية وغياب السلع الإنتاجية، مما يؤدي إلى حدوث أزمات معيشية في بعض المناطق، وزيادتها في مناطق أخرى، ويكفي دراسة حالة السوق في المنطقة العربية ككل لتجد سلعاً واردة من جميع أنحاء العالم في بعض الدول، وسلعاً أخرى أساسية تبحث عنها في دول أخرى فلا تجدها . وليس ذلك هو لب المشكلة وإنما الأزمة الحقيقية تكمن في نمط التبادل السلعي بين دول المنطقة ذاتها. إن الاستثمارات الأجنبية في هذه الدول أدت إلى تقليل حجم التبادل السلعي والتكامل العربي، فالسلع مكدسة في منطقة عربية، لكنها لا تجد السوق العربي لترويجها، وسلع أخرى تختفي لصالح شركات أو نخبة انفتاحية جديدة في دول أخرى.

وإذا كان هناك من يرى أن بعض المجتمعات العربية قد شهدت تطورات اقتصادية منتعشة، فإن ذلك وإن كان صحيحاً، فإنه يعد انتعاشاً هامشياً أو سطحيّاً إلى حد كبير، فلم يصاحبه توسع في القاعدة الإنتاجية. ومن الملاحظ أن الازدهار الذي تشهده بعض الدول العربية قد اعتمد على دينامية قطاع التشييد والبناء والاستيراد والتصدير، لذلك نجد تراجعاً حقيقياً - في الوقت الراهن - لنمو الاقتصاد الفعلي، خاصة بعد استقرار قطاع التشييد والبناء أو بعد استكمال المشاريع العامة مثل الإسكان والمرافق والطرق والمواني ... وغيرها من مجالات البنية التحتية " وحتى تظهر قدرة الاقتصاد على توليد فرص عمل جديدة، فليس هناك مجال للتوسع الإضافي أمام الاقتصاد المحلي في بلدان الخليج والجزيرة العربية " (خلدون النقيب: مرجع سابق، ص 170).

وهكذا ستبقى الأوضاع الحالية على ما هي عليه إذا لم تتدخل عوامل أخرى بنائية وحضارية يمكن أن تحل أزمة التفكك والارتباط بالسوق الرأسمالي العالمي. وتتضح صعوبة الأمر إذا ما نظرنا إلى الأزمة على أنها ليست أزمة اقتصادية فحسب بل هي بنائية - تاريخية في الأساس كما رصدها علماء الاجتماع، تقوم على تدهور البناء الثقافي والسياسي.

ثانياً: التناقض بين الفكر والتفسير الاجتماعي :-

في العقدين الأخيرين قام علماء الاجتماع العرب بنقد علم الاجتماع الغربي، وعلم الاجتماع الماركسي، وقام بعضهم بنقد مجتمعاتهم، أما الذي لم يقوموا به إلى الآن هو أن يمارسوا نقداً ذاتياً لذاتهم، وأهم من ذلك أن يقوموا بدراسة الواقع الاجتماعي العربي وقيمه. (سعد الدين إبراهيم: 1986، ص 77).

لعل هذه العبارة الموجزة توضح أبعاد أزمة علم الاجتماع، كما نراها اليوم، حيث اغترب عالم الاجتماع عن واقعه، وحصر اهتماماته في جوانب هامشية، أو جزئية في الحياة الاجتماعية، مما لا يجعل علم الاجتماع يرقى إلى مستوى عالٍ من التنظير يمكنه من التفسير الشمولي لظواهر المجتمع. (حيدر إبراهيم : 1985، ص 37).

وإذا كان هناك شبه اتفاق، علني أو ضمني بوجود أزمة في علم الاجتماع فهذا لا يعني عدم وجود اختلافات شتى بين رجال الفكر الاجتماعي حول تحديد أسباب الأزمة والظروف المنتجة لها.

تُرى هل أزمة علم الاجتماع في المجتمع العربي ترجع إلى عوامل داخلية كامنة في "التراث المجتمعي" أم أنها ترجع إلى عوامل خارجية مستحدثة أم هي نتاج لتفاعل بين الداخل والخارج؟

لعل الإجابة على هذا التساؤل، وما يتعلق به من قضايا محورية كان موضوع نقاش هيئات علمية متخصصة، ومحور تحليلات فردية وجماعية متعددة، ونظراً لكثرة الروافد والاتجاهات الفكرية والأيدولوجية وما بينها من تعارضات موضوعية في القليل وذاتية في الكثير، فقد أصبح هناك ما يسمى بإشكالية علم الاجتماع في الوطن العربي، وخلال المحاورات التفصيلية التي دارت لفهم هذه الإشكالية تاهت القضية المحورية بين الداخل والخارج، بين السلفي - التقليدي، والمعاصر - الليبرالي، بين القومي والعالمي، بين المحافظ و الراديكالي، بالرغم من ذلك تسود الفكرة التي تؤكد أن تخلف علم الاجتماع في المنطقة العربية يرجع إلى حداثة ظهور هذا العلم وتطبيقاته (محمد عزت حجازي: 1997، ص 32). وفي وقعا العربي، وكأن التاريخ الاجتماعي العربي لا يحمل تحليلات اجتماعية قدّمها باحثون قبل مولد علم الاجتماع بخمسة قرون أمثال ابن خلدون وغيره ممن اهتموا بتحليل واقع هذه المجتمعات وما يطرأ عليها من تغيرات دون تبني فكرة الآخر، ومع ذلك فإن علم الاجتماع الذي ظهر في الغرب كعلم أكاديمي متخصص في القرن التاسع عشر، نشأ نشأة محافظة من أجل تبرير أوضاع ومصالح الطبقات الرأسمالية، ومدعماً للنظام الصناعي الحر، ولذلك نحن لا نعدّه علماً

اجتماعيًا في مضمونه الثوري لأنه يهدف إلى تحريره من السيطرة، هذا بالإضافة إلى أننا يجب أن نسأل أنفسنا: لماذا "اقترضنا" التراث السوسيولوجي الغربي، وهل هو يعبر عن أزمات المجتمع العربي وواقعه في الوقت نفسه؟

ولم تكن مقولة حدائة العلم هي نهاية المطاف في أسباب تدني علم الاجتماع العربي واغترابه عن واقعه. فهناك من يلمح إلى أزمة الديمقراطية باعتبارها محور الخلل في البناء ككل (احمد مجدي حجازي: 2008، ص 277). ويبدو أن بعض دعاة هذا الاتجاه ينطلقون من قضية النقاش والجدل الليبرالي الغربي، مغفلين طبيعة أسباب التكوين الثقافي المغترب في المجتمع العربي الذي يشكل هو نفسه خليطاً غريباً من هنا وهناك، يربط بين أيديولوجيات مستوردة تجمع بين المحافظة والراديكالية، تشوه التراث وتطمس معالم الوعي التاريخي، وتشكل لدى مفكرينا رؤية غير محدده الهوية والمعالم تفتقد الأصالة لكنها سلفية، تفتقد المعارضة لكنها استهلاكية، تطرح قضايا الواقع بمنحى راديكالي وتنتهي بتفسيرات لاهوتية أو قدرية، تطلق شعارات التغيير لتدعيم النظام القائم، تبحث في الهوية والتراث وتتغافل الحاضر، وتنقل عن الغرب وتحدث عن الموروث (احمد مجدي حجازي: 2008، ص 158). وإذا كان دعاة هذا الاتجاه يدللون على وجهة نظرهم بأن القيود التي يعاني المفكر العربي والباحث الاجتماعي تؤدي إلى تغييب الفكر السوسيولوجي فنحن يجب أن نتساءل أولاً عن أسباب عدم ملاءمة الديمقراطية الغربية لمجتمعاتنا العربية، فإذا كانت الديمقراطية أسلوباً للممارسة الحرة فيجب أن تتشكل خصائص الحرية بشكل طبيعي من واقع المجتمع. فالممارسة لا تستورد ولا تقتض. وإلى جانب ذلك هناك ثمة تفسيرات أخرى تربط بين أزمة علم الاجتماع في الوطن العربي والانحيازات الأيديولوجية للمشتغلين بهذا العلم، وكأن العلوم تستطيع أن تنفصل عن التيارات الأيديولوجية.

إن هذه التفسيرات تطعن في صحة تاريخ العلم بعامة، وعلم الاجتماع بخاصة، وقد قامت الأنساق الرائدة فيه على أسس أيديولوجية صريحة، بل إن فكرة الموضوعية ذاتها توظف عند بعض أهم دعائها لخدمة أهداف أيديولوجية (محمد عزت حجازي: 1985، ص 81). إن هذه التفسيرات ذاتها تنطلق من أيديولوجيات تبريرية غالباً ما تكون محافظة ومستمدة أصولها من علم الاجتماع الرومانسي الغربي، إن الموضوعية بهذا المعنى التفسيري تصبح خرافة أكثر منها منحى منهجياً علمياً سليماً (حيدر إبراهيم على: 1985، ص 27).

وأياً كانت الخلافات حول تفسير ما يسمى بأزمة علم الاجتماع في المجتمع العربي فإن المتتبع لتاريخ هذا العلم يلاحظ أنه نما على هامش المجتمعات العربية دون الاهتمام الكافي، بل أن المتفحص لإشكاليات هذا العلم يفاجأ بقلة ما أراد علماء الاجتماع العرب الحديث عنه، فبالرغم من أن لرجال الفكر الاجتماعي العربي رغبة في التأثير في عمل المجتمع من خلال ضبط أو توجيه مجريات التغيير الاجتماعي في مجتمعاتهم، فإن المقوم لإنجازات علم الاجتماع الفعلية يصاب بخيبة أمل شديدة لبعدها الموضوعات التي يقوم الباحث بدراساتها عن واقع مجتمعه والمشكلات الفعلية التي يعاني منها، "وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو جلية في شتى ميادين علم الاجتماع فلعلها أكثر وضوحاً في الميدان الرئيسي (التغيير الاجتماعي) الذي اعتبره علماء الاجتماع أبا شرعياً للقضايا المجتمعية الكبرى في الوطن العربي (سالم ساري: 1985، ص 95).

وربما لذلك نرى أن ولادة علم الاجتماع العربي تعد ولادة غير شرعية أو ولادة غير كاملة النمو، فالبدرة مستورده من الخارج، وضعت في بناء غريب عنها لذلك فقد ولدت قبل أوانها ووضعت في "إبقائها حية" وباليته حضانة من صنع المجتمع الغربي، بل هي دخيلة عليه، وهذا هو سر تعثر العلم الاجتماعي الحقيقي أو الواقعي.

إن هوية علم الاجتماع ليست عربية فهي لم تمس القضايا المجتمعية العربية، أي قضايا الإنسان العربي، لذلك فإن اهتمامات علماء الاجتماع العرب مازالت هي نفس اهتمامات رجال الفكر السوسيولوجي الغربي - يكفي أن نراجع وقائع الندوات والمؤتمرات التي نوقشت فيها إشكالية علم الاجتماع العربي وهي كثيرة، " في واقع الأمر فإن المحاولات التي بذلت لمناقشة أزمة علم الاجتماع في الوطن العربي بدأت بمحاولات فردية قامت لمناقشة قضايا النظرية والمنهج في علم الاجتماع، ثم تطورت إلى محاولات جماعية تهدف للنهوض بعلم الاجتماع في العالم العربي، ثم تبلورت هذه المحاولات في المطالبة بقيام علم اجتماع عربي قومي، ثم عقدت ندوات ومؤتمرات متعددة كثيرة ناقشت أزمة الثقافة وأزمة علم الاجتماع، وأزمة المجتمع وعلاقته بهذا العلم وإشكالياته، من هذه الندوات : النهوض بعلم الاجتماع في الوطن العربي (الجزائر 1973)، تطوير العلوم الاجتماعية في الشرق الأوسط (الكويت، 1978)، نحو علم اجتماع عربي (أبو ظبي، 1983)، إشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي (القاهرة، 1983)، علم الاجتماع وقضايا الإنسان العربي (الكويت، 1984)، نحو علم اجتماع عربي (تونس، 1985) - لنرى إلى أي مدى يعاني هذا العلم من

التدهور والاغتراب حيث نلاحظ الانفصال الكامل بين الفكر والعمل أو بين التراث النظري والواقع المتحقق منه (مصطفى ناجي: 1987، ص 179).

أن انحياز علماء الاجتماع للتراث النظري الغربي و أيديولوجية هذا التراث، وبخاصة تبني الأيديولوجية التقليدية المحافظة، هذا بالإضافة إلى غياب قضايا المجتمع العربي عن المشتغل بعلم الاجتماع، إلى جانب سيطرة القوى الرجعية على المؤسسات التعليمية في بعض أجزاء المجتمع العربي، وزيادة حدة التشوه الثقافي والفكري، وغياب الوعي التاريخي، والانشغال بالمفاهيم التحليلية الغربية مثل: التكيف الاجتماعي، والإجماع القيمي، والتفكك، والنسق، والتوازن، والوظيفة، والتكامل ونسحب ذلك على الطرق المنهجية للبحث الاجتماعي، حيث نجد سيادة الوضعية بوصفها أساساً منهجياً لمعظم البحوث الاجتماعية، في الوطن العربي (احمد مجدي حجازي: 2008، ص 289).

وهكذا انشغل علماء الاجتماع العرب بمشكلات المجتمع الغربي، وحاولوا النكوص إلى الماضي في عهد ولادة هذا العلم، واهتموا بمشكلات مجتمعات غيرهم ولم يهتموا بمشكلات مجتمعاتهم، تحدثوا الحضارة الغربية وابتعدوا عن فهم تراث الحضارة العربية، والأخطر من هذا أنهم يرددون ما يريد الغرب منهم أن يردده! ويبدع الغربيون نظريات تعبر عن واقعهم لكنها تبرز سيطرتهم وتغلغلهم في المناطق الأخرى. ويشتركون مع رجال الفكر الاجتماعي العرب في ترسيخ نتائج أبحاثهم ودراساتهم، ويتركون هذه النتائج تنسب لعلماء عرب، وهنا تصبح دليلاً دامغاً " أمام المستشرق أو المفكر أو الباحث الأوروبي الغربي" على صدق هذه النتائج، وهنا يبدأ التغلغل الثقافي في داخل المجتمعات العربية حيث تجد صدى لأفكارهم دون تقديم النقد الموضوعي لهذه الأفكار، وتصبح الساحة العربية مهياً للأفكار المرتبطة بتحقيق مصالح المجتمعات الغربية، وفي هذا الإطار يتم التعاون الثقافي لصالح الغرب وتزداد الدراسات والبحوث الممولة من الخارج في المجتمعات العربية، ونلاحظ في ظل غياب أيديولوجي قومي مستقل وفي ظل أزمات بنائية في المجتمع المتلقي لإمكانيات المجتمع العربي، في ظل كل هذا يندفع الباحثون نحو إجراء هذه البحوث الممولة، بل إنهم يقدمون البيانات والمعلومات عن مجتمعاتهم دون حتى مطالبة هذه الهيئات الأجنبية لتلك المعلومات! (احمد مجدي حجازي: 2008، ص 290).

ثالثاً: إشكالية العلاقة بين اغتراب الباحث وواقعه:

وفي ضوء ما سبق يتضح لنا - ونحن بصدد فهم وتحليل أزمة التناقض بين النظرية والتطبيق في علم الاجتماع في المجتمع العربي - أن نقدم فكرتين أساسيتين تحتويان على مجموعة من القضايا التي يمكن أن تفسر إشكالية علم الاجتماع في المجتمع العربي:

1- أزمة علم الاجتماع لا تنفصل عن أزمة المجتمع العربي جملة، والأزمة التي نعنيها هنا ليست أزمة "البداءة السوسولوجية" كما يطلق عليها سعد الدين إبراهيم، وإنما هي أزمة التغريب في مجال النشاط الإنتاجي بمعناه الشامل. بعبارة أخرى أنها تعبير عن أزمة تبعية الفكر الاجتماعي للغرب تغييب الذاكرة التاريخية لتراثه.

وفي هذا الصدد نرى أن هناك اختلافاً واضحاً بين أزمة علم الاجتماع في الغرب وأزمته في دول العالم الثالث والمجتمع العربي، وهذا الاختلاف ليس فقط اختلافاً مادياً وإنما هو تعبير عن اختلاف فكري مؤثر، ففي المجتمعات الغربية ظهر العلم الاجتماعي من أجل حل أزمة تناقضات واقعية وتقديم تبرير لنظام اجتماعي، وطبقي خاص، وفي سبيل ذلك تطور الوعي التاريخي والسوسولوجي وإبداع الخيال العلمي بوصفه أحد عناصر التطور في المجتمع الرأسمالي الغربي، بينما في الدول الأخرى لم تفرز أزمات الواقع - خلال تطورها - نظريات علمية تتسم بالتكامل، وذلك لأن أزمات هذا الواقع "مفتعلة ودخيلة عليه أكثر منها واقعية ومحلية، ونعني بذلك أن واقع المجتمعات العربية يحتوي على تناقضات، بل خليط متشابك يجمع بين أزمات ذات جذور محلية وأخرى مستوردة أو مستحدثة على هذا الواقع نتيجة تداخل عوامل دولية وأخرى محلية، وإذا دققنا النظر سوف نرى أن أزمة المجتمع الغربي ظهرت في إطار أيديولوجية قومية واضحة ذات أهداف تنحصر في الوصول إلى نظم متطورة ورفاهية اجتماعية، وهنا فالإبداع الإنتاجي يرتبط بالإبداع الفكري، والخلق التكنولوجي يتداخل مع التطوير الثقافي والفني، والتطور في العلم الطبيعي لا بد أن يضاويه تنمية في العلم الاجتماعي، وفي وسط هذه التغييرات كانت المصالح والقوى الاجتماعية تعمل على دفع المجتمع نحو المحافظة على مستوى التطور الشامل، أي المحافظة على المجتمع هذا من جانب، ومن جانب آخر، كان هذا النظام المتطور في حاجة إلى نظريات نقدية تقدم البديل وتشير الحوار بين الاتجاهين المتناقضين، مما خلق المجال لتنمية الإبداع والابتكار والتعامل مع قضايا الواقع ومشكلاته بأسلوب علمي دقيق.

والمجتمعات العربية- شأنها شأن العالم الثالث، في ضوء مقولات الغرب المحافظ منها والنقدي- نهلت من التراث دون وعي بهويتها الذاتية، لذلك بدأ الفكر العربي الحديث وهو يبحث عن هوية جديدة من خلال علاقته بالنموذج المسيطر في الغرب ومر بمراحل تبدأ من إثبات علمية وموضوعية علم الاجتماع ومروراً "بالجدلية المشوهة أو ما نطلق عليه الجدلية الفقهيّة" وأخيراً الاتفاق على نقل التراث الغربي ووضعه في "حضانة" المجتمع العربي، لذلك ظل غير مكتمل النمو (سعد الدين إبراهيم: 1986، ص 85).

وفي ضوء المقولة السابقة يصبح العلم الاجتماعي العربي علماً "تابعاً" نظراً لغياب الوعي التاريخي، واقتراض الأساليب المنهجية من المجتمعات الغربية، لكن في الوقت نفسه يعبر عن فكر الصفوة المسيطرة في المجتمع العربي، أو التي تبحث عن القوة تحت مظلة الطبقة الحاكمة، لذا نجد أن الفكر الاجتماعي إما مرتبط بالسلطة أو يعبر عن مصالح "الفئات التابعة"، أو "الوسيط الخادم" ولذلك نجد أنه يمثل أيديولوجية الفئات غير المنتجة، تلك التي نشأت في أحضان النظام الرأسمالي العالمي، واتخذت من الممارسة الديمقراطية الغربية أسلوباً مظهرياً للتعبير عن تقدمها وتبرير أوضاعها. ومع ذلك فهي تبحث في الوقت نفسه عن الشرعية، التي تحس بفقدانها نظراً لأنها غريبة الفكر منفصلة عن المجتمع التي من المفترض أن تعبر عنه، وهذا التناقض والتشوه هو ما يجعلها تزيد في تبعيتها للخارج وتضغط في الداخل وبذلك يتشوه البناء الاجتماعي والثقافي الذي يكرس لصالح تبرير الأوضاع المتناقضة داخل المجتمع.

ونختتم باستنتاج: أن الفكر العربي الحديث ولد تابعاً وهو من خلق الاستعمار وتطور في تغريبه، وتبنى الاتجاهات الأيديولوجية الغربية ونهل منها تراثها النظري الذي يبرر أوضاع الطبقة الرأسمالية في الخارج، لا ينتج جديداً ولكنه ينقل عنها أو يترجم أعمال مؤيديها أو يفترض أسلوب ممارستها، وهنا يصبح الواقع وقضاياها مشكلات هامشية في كثير من الأحيان، وفي القليل منها يعالج في ضوء الاتجاهات الأيديولوجية المحافظة، لقد بات هذا الفكر تابعاً بل فقد القدرة على الاستقلالية فهو لا يستطيع أن ينمو حتى في حضائنه المستوردة.

لقد أصبح من المتعثر على الفكر الاجتماعي العربي الخروج من أزمة التشوه والتغريب، نظراً لغياب مشروع قومي يجمع بين مجموعة الدول ليس العربية فقط بل دول العالم الثالث جملة، وهنا تبرز أهمية العمل على توحيد الصفوف والآراء من أجل الحصول على الاستقلالية التامة للمساعدة على الخلق

والإبداع، وهنا يصبح الخيال السوسولوجي أمراً وارداً، وواقعاً نابعاً من جذور هذا المجتمع، وهنا فقط ينشأ علم اجتماع حقيقي غير مزيف، يربط بين الفكر والواقع، بين الباحث وموضوع بحثه، بين الباحث الاجتماعي ومعطيات واقعه.

المراجع :-

- 1- أحمد، سمير نعيم، بحوث في علم الاجتماع والالتزام بقضايا الإنسان العربي: بحث قدم في مؤتمر "علم الاجتماع وقضايا الإنسان العربي"، جامعة الكويت، أبريل، 1994.
- 2- ميتر، كارل فان، منهج البحث في العلوم الاجتماعية، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، ترجمة: أحمد مصطفى، اليونسكو، العدد 139، فبراير، 1994.
- 3- رمزي زكي، أزمة مصر الاقتصادية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1982.
- 4- النقيب، خلدون حسن، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية من منظور مختلف، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أكتوبر، 1987.
- 5- نادر فرجاني، الهجرة إلى النفط: أبعاد الهجرة للعمل في البلدان النفطية وأثرها في التنمية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1983.
- 6- إبراهيم، سعد الدين، العمالة العربية: المشاكل والآثار و السياسات: " مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1983.
- 7- أحمد، سمير نعيم، التكوين الاقتصادي - الاجتماعي وأنماط الشخصية في الوطن العربي، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، السنة 11، العدد 4 ديسمبر، 1983.
- 8- إبراهيم، سعد الدين، تأمل الآفاق المستقبلية لعلم الاجتماع في الوطن العربي، من إثبات الوجود إلى تحقيق الوجود: في نحو علم اجتماع عربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد 7، 1986.
- 9- على، حيدر إبراهيم، علم الاجتماع الأيديولوجي في المجتمع العربي: في المستقبل العربي، السنة 8، العدد 77، أغسطس 1985.
- 10- حجازي، محمد عزت، الأزمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي، المستقبل العربي، السنة 8، العدد 75، مايو 1985.
- 11- حجازي، أحمد مجدى، إشكاليات الثقافة والمثقف في عصر العولمة، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2008.
- 12- سالم ساري، الاجتماعيون العرب ودراسة القضايا المجتمعية العربية: ممارسة نقدية، المستقبل العربي، السنة 8، العدد 75، مايو 1985.
- 13- مصطفى ناجي، علم الاجتماع في العالم العربي بين المحلية والدولية، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، العدد 3، صيف 1987.

14- Lerner, O.; The passing of traditional society: Modernizing the middleeast, N. Y; 1995.

15- Freank, A. G.; Uber die Sogenate ungleiche Akkumulation
in: D. Senghaas (ed): Kapitalistische Weltokonomie in Frnkfurt.
Am. 1981.

الإرشاد الأسري لعائلات أطفال اضطراب التوحد

د. ماجدة سالم صالح حريبيش
كلية التربية جامعة بنغازي

د. مفيدة مصطفى الاشهب
كلية الآداب جامعة غريان

ملخص البحث:

أن اهتمام البحث الحالي بأسرة الطفل التوحدي باعتبار أن العبء الأكبر في رعاية الطفل التوحدي يقع على عاتقها، ولأنه يقضي أغلب وقته معها، فهي أكثر تفاعلاً معه بالمقارنة بأي جهة أخرى، يمكن أن تقدم الرعاية له والحياة الطبيعية مع الآخرين والبيئة المحيطة به. ويهدف هذا البحث على مدى أهمية الإرشاد الأسري بعائلات أطفال طيف التوحد وأهدافه، والتعرف على البرامج التربوية العلاجية والعوامل الأساسية لنجاح الإرشاد الأسري لعائلات أطفال التوحد وعليه توصل البحث إلى أهمية الإرشاد الأسري في تنمية الوعي لدى عائلات أطفال التوحد، كونهم الأكثر احتكاكاً بهم والأكثر تواصلًا معهم، والأثر الذي تركه البرامج الإرشادية الأسرية في تنمية الوعي لدى أسر أطفال التوحد ومساعدتهم على تقبل ابنائهم كما هم

الكلمات الدالة. الإرشاد الأسري؛ عائلات أطفال التوحد؛ العلاقة الإرشادية.

أهداف البحث:

_ التعرف على أهمية الإرشاد الأسري لعائلات طيف التوحد.
_ معرفة البرامج التربوية العلاجية والعوامل الأساسية لنجاح الإرشاد الأسري لعائلات التوحد.

أهمية البحث:

1_ أهمية الإرشاد الأسري في تنمية الوعي لدى عائلات أطفال التوحد.
2_ يساهم الإرشاد الأسري في إحساس الأسرة بالمسؤولية والتخفيف من شدة العزلة لدى هؤلاء الأطفال ومساعدتهم في زيادة تفاعلهم الاجتماعي وتواصلهم مع الآخرين.

3_ يساعد الإرشاد الأسري في نجاح الخطة العلاجية لأطفال ذوي طيف

التوحد.

مقدمة :

يعد اضطراب التوحد أحد الإعاقات النمائية التطورية التي تصيب الطفل في سن مبكرة ومصدراً لمعاناة الحياة وتهديداً لاستقرار وأمن أسرته نظراً لما يحتاجه من رعاية خاصة مالم اكتشفه مبكراً ، تبدأ ظهور أعراض التوحد لدى اطفال قبل الثالثة وتتمثل في صعوبات التواصل واللغة ، وأوجه القصور في التفاعلات الاجتماعية ، وردود الفعل العاطفية غير اللائقة ، وسلوكيات النشاط الزائد ، والسلوكيات المتكررة ، والاهتمامات والانشطة غير اللائقة ، كما تبدأ الصعوبات الاجتماعية بالتطور بشكل متزايد ونجد الطفل يتجنب الاتصال بالعين مع من يحدثه ، إضافة الي ضعف الرغبة لديه في مشاركة من حوله اللعب ، حيث يفرط الطفل في الانطواء والانعزال عن الآخرين والتوقع داخل الذات ، وعدم الارتباط بهم حتى مع اقرب الناس وهم والديه ، ويكون انفعاله حاد لاي تغيير طفيف في البيئة من حوله مثل ترتيب الاثاث داخل المنزل ، (American Psychiatric Association -A , 2013 ; Bernard, et al : 123)

والطفل التوحدي يعاني من مشكلات اجتماعية عدة مصاحبة لاضطراب التوحد ومن الأعراض المميزة له الانطواء والذي يتضمن الانسحاب من مواقف التفاعل الاجتماعي وعدم القدرة علي الانخراط في تكوين علاقات اجتماعية والخجل من الغرباء والابتعاد عن مواقف التفاعل الاجتماعي والذي يتضمن تجنب الحديث مع الآخرين وبصورة أقل في اللعب التفاعلي ، وصعوبة البدء في التواصل والتلقين لديه للتفاعل مع الآخرين نتيجة قصور في اللغة ومهارات التواصل الاجتماعي ، حيث كشفت نتائج الدراسات الي ان الطفل التوحدي والانخراط بشكل كبير في اللعب الانفرادي ومستويات مرتفعة من الشعور بالوحدة ومعاناة الطفل التوحدي ينجم عنها معاناة الوالدين وشعورهم بالضيق والتوتر من اعاقه طفلهم التي قد تستمر معه مدي حياته وشعورهم بالضيق والتوتر من اعاقه طفلهم التي قد تستمر معه مدي حياته فضلاً عن اعتقاد بعض الاسر ان اعاقه طفلهم عقاب من السماء ، وقد كشفت دراسة عصام محمد زيدان (2004) التي توصلت عن معاناة الوالدين النفسية نتيجة اصابة اطفالهم بالتوحد من خلال حساب درجاتهم على مقياس الانها النفسي لأباء الاطفال التوحديين

ويعد الإرشاد الأسري احدي طرق علاج التوحد التي لاقت اهتماما بالغا من الباحثين ، لأنها ترشد الاسرة بكيفية التعامل مع الاطفال التوحدين بشكل مناسب ولائق حتي يتمكنوا من مساعدتهم مما يساهم في تنمية قدراتهم واستغلالها نظرا لفرص الاباء الكبيرة والمتزايدة في احداث التعلم من جانب اطفالهم ، وتقديم الإرشاد الأسري للوالدين في علاج اضطراب التوحد في وقت مبكر من عمر الطفل تكون نتائجه افضل من تقديمه في مرحلة متأخرة ، لان المسارات العصبية اللازمة لاكتساب اللغة تكون نشطة ، وان التدخلات الارشادية والعلاجية التي تناول التوحد تصبح اكثر استحسانا في حالة الوالدين الذين يتعاونون بنشاط في تصميم التدخلات لأطفالهم ، والتفاعل بين الطفل والوالدين والدعم العاطفي للام والتماس الأسر بين الآباء والأمهات يؤثر إيجابياً علي المهارات الاجتماعية للطفل المصاب بالتوحد.

ويهدف الإرشاد الأسري إلى توضيح كيفية تعامل الأسرة مع الطفل، وتوضيح دور الأبناء وتقبلهم لأخيهم واحتياجاته، ويهدف أيضا إلى مساعدة الآباء على تقبل الإعاقة لدى الطفل، ومساعدتهم على إدراك أن الطفل لديه درجة من الإعاقة تتطلب العناية والدعم، ومساعدتهم على فهم الحقائق والنتائج المتعلقة بإعاقة الطفل ومساعدتهم على فهم مشاعرهم (خولة احمد، 2007: 20).

الخلاصة مما سبق فان زيادة معارف ومعلومات الوالدين باضطراب التوحد وتأثيره على طفهم والمشكلات المختلفة المصاحبة له تسهم في مساعدتهم على وضع الخطط العلاجية والتدريبية لهم ولأبنائهم تسهل من عملية التعامل مع طفلهم، واشراك الاسرة في البرامج الارشادية وحرصهم على صحة اطفالهم المصابين بالتوحد يكون دافعا قويا في التخفيف من حدة المشكلات الاجتماعية والانفعالية لدي اطفالهم.

مشكلة البحث

نظرا لنقص البرامج الإرشادية التي تهتم بأسر أطفال التوحد وتنمية الوعي لديهم وتقبل أبنائهم، والتي تساهم في تخفف السلوكيات الغير سوية وتنمية التفاعل الاجتماعي لدى أطفالهم التوحدين شعرت الباحثتان بالحاجة لإبراز أهمية الإرشاد الأسري لأسر أطفال التوحد وأهم المقومات التي تساهم في أنجاح العملية الإرشادية وإبراز حاجات أسر أطفال التوحد للإرشاد والتوجيه وتنمية قدراتهم المعرفية، وتأهيلهم للتعامل الفعال مع مشكلات أطفالهم التوحدين، وقد جاء هذا البحث للإجابة على التساؤلات الآتية:

تساؤلات البحث

- _ ما أهمية الإرشاد الأسري لعائلات طيف التوحد
 ما هي أبرز البرامج التربوية العلاجية لأطفال التوحد؟
 ما العوامل الأساسية لنجاح الإرشاد الأسري لعائلات أطفال التوحد؟

مصطلحات البحث:

يتناول البحث الحالي بعض المصطلحات الهامة، وسوف تتناول الباحثتان مصطلحات البحث كما يلي:

1- الإرشاد الأسري: هو مجموعة من التوجيهات العلمية التي تقدم لأسرة المعوق خاصة الوالدين، بهدف تدريب وتعليم أفراد الأسرة على اكتساب المهارات والخبرات التي تساعد في مواجهة مشكلاتها المترتبة على وجود طفل معوق لديها سواء ما يتعلق منها بأساليب التنشئة الاجتماعية، أو ما يتعلق بتأهيله، وكل ما من شأنه أن يحقق للمعوق أقصى استفادة من قدراته (علي حنفي، 2009:29).

2- التوحد: هو اضطراب في النمو العصبي يظهر خلال السنوات الثلاثة الأولى من عمر الطفل يؤثر على التطور في ثلاث مجالات أساسية منها: القصور في نمو وتطور المهارات التواصلية، بالإضافة إلى صعوبة التفاعل الاجتماعي، والتعلق بالأعمال الروتينية، والمحافظة على أنماط وأداء السلوكيات على وتيرة واحدة، وضعف مهارات الاعتماد على النفس. (NIMH, 2009:10)

3- إرشاد الوالدين: هو تدريب والدي الأطفال التوحديين على تنمية المهارات التي يحتاجها الطفل التوحد وتعليمه هذه المهارات في نطاق الأسرة وذلك في سبيل توفير فرص جيدة أمامهم للتفاعل الاجتماعي من خلال تشجيعهم على أداء تلك المهارات عن طريق الأنشطة المقدمة له والتي تقدم من خلال جدول الأنشطة اليومية وذلك يساعد الطفل التوحد على الاندماج مع الآخرين وتنمية المهارات التي يحتاجها (علاء كفاي، 1999: 65)

ويذهب علاء كفاي إلى أن الإرشاد الأسري هو المدخل العلاجي الذي يتخذ الأسرة نقطة انطلاقه ومحور ارتكازه، وليس الفرد الذي حدد كمريض فقط بل إن الأسرة ككل تحتاج إلى الرعاية بعد تشخيصها جيدا (كفاي، 1999: 65)

الإطار النظري للبحث:

يعد الإرشاد الأسري مجالاً هاماً من مجالات الإرشاد النفسي، فأى خطة علاجية يضعها المرشد النفسي لتعديل سلوك الأطفال لا يمكن ان تتحقق أهدافها بفعالية ما لم يشرك فيها الوالدين. يعرف طه فرج وآخرون الإرشاد الأسري بأنه أسلوب مهني منظم يقوم على المدخل الاجتماعي بحيث يشمل كل أو معظم أفراد الأسرة بدرجات متفاوتة وفقاً لموقع وأهمية كل فرد فيها بهدف إحداث تغييرات فعالة في العلاقات الأسرية المضطربة وتحقيق أفضل صور للتفاعل الإيجابي (فرج، 2005: 500)

الإرشاد الأسري لأسر أطفال اضطراب التوحد:

يعرف الإرشاد الأسري لأسر أطفال ذوي اضطراب التوحد بأنه: علاقة مساعدة بين متخصصين ذي معرفة ووالدي طفل ذو حاجة خاصة، يحاولان التعرف أكثر بحاجات الطفل ومشكلاته المتفردة، وفيها يتم مساعدة الوالدين على تقبل الطفل كما هو وتعلم المهارات والأساليب الجيدة للتعامل مع الطفل التوحدي

أشار (كوهين ودنلان) إلى المشكلات التي تبرر احتياج أسر أطفال التوحد إلى الإرشاد والتوجيه في عدة نقاط وهي:

- محاولة إشباع الحاجات الشخصية والنفسية للطفل وحاجات باقي أفراد الأسرة، والحفاظ على النظام في البيئة

- الحاجة إلى توفير المعلومات الدقيقة عن طبيعة الاضطراب وكيفية التعامل معه، وما هي أدوار الأسرة

- كيفية التعامل مع الطفل الذي لا يستطيع التعبير عن حاجاته ورغباته.

- الحاجة إلى الدعم النفسي؛ وذلك لما تعانيه الأسرة من ضغوط التي يفرضها المتجمع على الأسرة والتي تتمثل في العزلة أو الرفض أو السخرية، والاستجابة الغير ملائمة لمتطلبات الأسرة

- الحاجة إلى التحكم في السلوكيات الشاذة ذات الطقوس النمطية التي يمارسها الطفل (عاطف،

فيصل، 20:2012)

أهداف الإرشاد الأسري:

يهدف الإرشاد الأسري إلى التأكد من أن ذوي الاحتياجات الخاصة وذويهم يحصلون على أفضل مستوى معيشي ممكن، ويتمتعون بفرص تعليمية عالية المستوى، ورعاية صحية واجتماعية مناسبة، لذا فإن من واجبات الإرشاد التأكد من زيادة فاعلية الخدمات المقدمة. (Cook, 1992:15)

ولا يقتصر هدف الإرشاد الأسري على توضيح كيفية التعامل مع الطفل ذي الاحتياجات الخاصة فقط، بل يهدف إلى توضيح أهمية دور الأبناء وتقبلهم أخ باحتياجات خاصة. أي إرشاد الأخوة لمساعدتهم على لعب دور إيجابي في حياة أختهم وتفهم ظروفه ونموه (عبد العزيز الروسان وآخرين 2003:1958)

كما يهدف الإرشاد الأسري إلى مساعدة آباء وأمهات الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة علي:

- تقبل الإعاقة والطفل المعوق
- إدراك أن طفلهم طفل أولاً وأن لديه درجة من الإعاقة تتطلب العناية والدعم.
- فهم الحقائق والنتائج المرتبطة بإعاقة الطفل وكيفية مساعدته بشكل بناء.
- مساعدتهم على فهم مشاعرهم، وتبني أفكارا عقلانية نحو الإعاقة والطفل المعوق.
- مساعدتهم على مواصلة تطوير تحقيق ذواتهم الخاصة (عبد النبي 2007:207)

المبادئ التي يستند عليها الإرشاد الأسري لأسر أطفال التوحد:

- 1- أن التعلم يحدث في بيئة الطفل والأسرة الطبيعية، حيث اوضحت اغلب الأبحاث أن الأسرة هي البيئة الرئيسة لعملية التعلم و البيئة الطبيعية لحدوث التعلم بتلقائية.
- 2- المشاركة الأسرية هي كافة الأدوار الفعلية التي تقوم بها الأسرة مع باقي المؤسسات والهيئات التي تؤدي دورها في مجال رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة ومنهم الطفل التوحدي من كافة الجوانب.
- 3- كلما تم تعلم الطفل السلوك في بيئته الطبيعية وعلى أيدي الأشخاص الذين يقومون برعايته ساعد ذلك على تعميم السلوك المرغوب و استمراريته.

- 4- انضمام الأسرة بكاملها إلى الإرشاد الأسري بما في ذلك الأطفال، يعد عاملاً مساعداً على نجاح التدريب والتأهيل والعلاج
- 5- دور المرشد هو توفير جو من الأمان والثقة وإيجاد بيئة تمكن الأسرة من اختبار عملية التغيير ثم المبادرة إلى صباغة بناء أسري واقعي جديد.
- 6- هناك حد أدنى من الخصائص التي يجب أن يتميز بها المرشد كالانفتاح على الآخرين والنشاط والحيوية في العمل والمشاركة الإيجابية مع الآخرين.
- 7- لا يوجد للأسرة حدود واضحة فهي نسق مفتوح وشامل، وعلى ذلك فالإرشاد الأسري قد يشمل أشخاص آخرين لهم تأثير على الأسرة.
- 8- إن تدريب أولياء الأمور سيزودهم بالمهارات الضرورية للتعامل مع السلوكيات الجديدة التي يمكن أن تظهر لدى الطفل، فحين يدرّب ولي الأمر يصبح قادراً على التعامل مع كل مستجد قد يظهر في سلوكيات أبنائهم (خولة احمد ، 2007 :30)

الحاجات الرئيسية لأسر الأطفال التوحد:

- ان تعرض الانسان لازمة ما، قد تشعره بعدم الاتزان، ويكون في أمس الحاجة الي المساعدة، ولا شك فإن شدة الحاجة تختلف كما وكيفاً، حسب طبيعة مصادر الأزمة وحدتها، وحيث أن مصدر الأزمة، هنا يعد من النوع الشديد والفاسي لذلك نتوقع أن تزداد حاجة الوالدين إلى المساعدات الخارجية التي تعينهم على استعادة التوازن، ومحاولة التكيف في ظل وجود الابن المعاق، وتعد معرفة اهتماماتهم واحتياجاتهم أساسية لتقديم الخدمات المناسبة والدعم الفاعل الذي تعينهم على تحقيق التكيف المنشود (فرج، 2005 :70)
- 1- الحاجة المستمرة إلى التوجيه والإرشاد: أسباب احتياج الأسرة لي الإرشاد لان هناك الكثير من الأسئلة التي تدور في ذهن الوالدين لا توجد لها إجابة مباشرة أو واضحة مما يتيح الفرصة لبعض القلق أن يواصل وجوده ومن بين الأسئلة التي تشغل الوالدين
- ما سبب الإعاقة؟

- هل سيتقدم الطفل المعاق سريعا ويسلك مثل الطفل العادي ام أنه سيظل على حاله دون أي تقدم؟
- كيف يمكن التعامل معه وكيف ننمي قدراته وإمكاناته وتهديب سلوكه؟
- هل إذا أنجبنا أطفالا آخرين هل سيكونون أيضا معاقين؟

2- الحاجة إلى الدعم: يحتاج الوالدان إلى الدعم من قبل المهنيين والأخصائيين والأسر التي لدىها مشكلات مماثلة ويمكن أن تكون مصادر الدعم أما رسمية: كالأخصائيين المهنيين واللجان الحكومية، أو غير رسمية: كالجيران والأصدقاء والأقارب (خولة احمد، 2003، 53)

3- الحاجة إلى إقامة حياة أسرية عادية:

إن قدوم طفل معوق إلى الأسرة يسبب في تمزيق كيان الأسرة، ورغم هذا التمزق يميل لأن يكون ظاهرة طبيعية: فلإن الأسرة تحتاج إلى المحافظة على أكبر قدر من الحياة الطبيعية لصالح الوالدين وباقي الأطفال.

الاستراتيجيات المستخدمة في ارشاد اسرة اطفل التوحد:

حدد ستبورات الاستراتيجيات التي يمكن استخدامها في ارشاد والدي الطفل التوحد فيما يلي:

- برامج المعلومات التي تزود الاباء بالحقائق حول حالة اطفالهم.
- برامج العلاج النفسي لمساعدة الوالدين على التعامل مع مشكلاتهم الشخصية.
- برامج تدريب الوالدين لمساعدتهم على تطوير مهارات فعالة في تدريب طفلهم
- برامج تدريب الوالدين لمساعدتهما على تطوير مهارات فعالة في تدريب طفلهم
- اما عن طريق الارشاد الاسري، فقد ظهرت في هذا السياق عدة اتجاهات، فالبعض يؤيد الارشاد الفردي والبعض الاخر يؤيد الارشاد الجمعي والبعض الثالث يؤيد الدمج بين الاتجاهين، إذا يؤكد مؤيدو هذا الاتجاه امثال كوزلوف (1984) وكولين ودونالان اهمية الدمج بين الاتجاهين ويستندون في ذلك علي الاستفادة من ايجابيات كل اتجاه، مستخدم جلسات الارشاد الجمعي

من اجل التأييد العاطفي للأسرة والمشاركة في التجارب مع الاسر التي لها وضع مشابه مع عدم اهمال المشكلات الفردية والعناية بها.

ويشير التراث السيكولوجي الي فعالية برامج الارشاد المقدمة لوالدي الاطفال التوحدين في تحسين حالات اطفالهم، ومن أقدم وأشهر البرامج التي اعتمدت على آباء الاطفال التوحدين كمعالجين لأبنائهم برنامج (TEACCH) الذي أعده كل من ريشادر وسكوبلر (1976)، غير ان متليهانواخرون يشيرون الي ان جلسات الارشاد الفردي لعائلات الاطفال التوحدين أفضل من الجلسات الجماعية للأسباب التالية:

- بعض الاباء يسطعون القيام ببعض الانشطة التدريبية، بينما يواجه اخرون صعوبات في فهم المواد المكتوبة والشفوية، وهذا يسبب لهم نوعا من الاحباط.
- اباء الاطفال ذوي الاعاقات الشديدة يشعرون بالاحباط واليأس عندما يقرؤون تقارير ذوي الاعاقات البسيطة.
- اباء الاطفال الاكبر سنا لا يهتمون بالحدث الذي يدور عن المشكلات الخاصة بالأطفال الصغار والعكس صحيح (القمش 2011:264,267)

العوامل الأساسية لنجاح الإرشاد الأسري لأسر أطفال التوحد:

- 1- من العوامل الأساسية في نجاح الإرشاد الأسري هو العلاقة الاجتماعية الطيبة التي تكون بين الأسرة والمسؤولون عن المراكز المتخصصة في رعاية الطفل التوحدي، حيث تمثل الثقة والتعاون بين الطرفين من مفاتيح لتحقيق النجاح في تأهيل وتدريب الطفل التوحد
- 2- من العوامل الأساسية في نجاح الإرشاد الأسري هو العلاقة الاجتماعية الطيبة التي تكون بين الأسرة و المسؤولين عن المراكز المتخصصة في رعاية الطفل التوحدي، حيث تمثل الثقة والتعاون بين الطرفين من مفاتيح لتحقيق النجاح في تأهيل وتدريب الطفل التوحدي: العملية الإرشادية وعلى الطفل التوحدي خاصة (نصيف، 2011 : 117)

نماذج عن بعض البرامج الإرشادية التي تساعد أسر التوحدي:

بمراجعة التراث السيكولوجي في مجال علاج التوحد والتكفل به على المستوى العربي والمحلي فإنه يرصد العديد من النماذج المقترحة والمتاحة في هذه المجال، ونقدم فيما يلي بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر، ونستند إلى نتائجها لنقف على أهمية إرشاد الأسرة في إنجاح البرامج العلاجية للتوحد.

- برنامج لوفاس (Lovas)

وهو برنامج تربوي من برامج التدخل المبكر للأطفال التوحدين، ويقوم هذا البرنامج على التدريب في التعليم المنظم والتعليم الفردي بناءً على نقاط القوة والضعف، وإشراك الأسرة في عملية التعليم ويقبل في البرنامج الأطفال الذين شخّصت حالاتهم بالتوحد والعمر المثالي لابتداء البرنامج من عمر (5 سنوات)، وتكون درجات الذكاء للأطفال التوحدين أعلى من 40 ولا قبل من هم أقل من ذلك وقد يقبل من هم في عمر (6 سنوات) إذا كان لديه القدرة على الكلام، وتعتمد طريقة لوفاس على استخدام الاستجابة الشرطية بشكل مكثف حيث يجب أن لا تقل مدة العلاج السلوكي عن 40 ساعة في الأسبوع ولمدة غير محددة، ويعتمد برنامج لوفاس على إشراك الوالدين والأسرة، وذلك بإعداد برنامج تدريبي مكثف من الأخصائيين، وتقوم فلسفة البرنامج على ضرورة تدريب الطفل في منزله لفترات طويلة لمدة 40 ساعة أسبوعياً، وتعد هذه الطريقة مكلفة جداً نظراً لارتفاع تكاليف العلاج خاصة مع العدد الكبير من الساعات المخصصة للعلاج، كما أن كثيراً من الأطفال الذين يتحسنون بشكل جيد في المركز قد لا يستخدمون المهارات التي اكتسبوها في حياتهم العادية (الحياري ، 6:2918)

2- برنامج سن رايز:

هو أحد أساليب التدخل التي تركز على المنهج التفاعلي، ويتم استخدامه بشكل مكثف داخل بيئة المنزل بعد تدريب الوالدين على كيفية تنفيذ تقنياته. الغرض منه هو تلبية رغبة الوالدين في البحث عن إستراتيجيات للتعامل مع طفلهم، فبعض الآباء لا يحبون هذا الأسلوب حيث لا يشعرون أنهم هم أصحاب القرار أي المسؤولون عن ابنهم، فإستراتيجية التقليد، وخلق لغة مشتركة وتشجيع الطفل على التقليد، هي أبرز الأساليب المستخدمة في هذا البرنامج، والتي تمكنهم من تعلم مهارات ضرورية. ويعرف كوفمان البرنامج بأنه المفتاح الذي يمكن الأسرة من مساعدة طفلها للنمو والتطور السليم، من خلال التفاعل مع السلوك الذي يقوم به الطفل، فالبرنامج لا يسعى إلى تغيير الطفل بقدر ما يسعى إلى تغيير علاقة الوالدين بالطفل لتحقيق التواصل الذي من خلاله يتم تطوير مهارات أخرى مثل المهارات

الاجتماعية، ومهارات التواصل، والمهارات المعرفية، ومهارات العناية بالذات، كما يركز البرنامج على مهارتين أساسيتين؛ القدرة على التواصل، والتفاعل الاجتماعي السليم، ويعتبرهما المفتاح الأساسي الذي يمكن من خلاله مساعدة الطفل على التطور، ولقد تبين للعاملين على هذا البرنامج أنه من خلال التركيز على هاتين المهارتان في المقام الأول يصبح بمقدور الأفراد ذوي اضطراب طيف التوحد بناء علاقة تفاعلية جوهرية وجيدة مع والديهم، وأقرانهم، وأصدقائهم. (محمد غالب، 2018، 130)

3- برنامج نجلاء أمين (2013) ،

وهو برنامج مصمم لأمهات الأطفال ذوي اضطراب التوحد لتنمية التواصل اللفظي مع أطفالهن، حيث جاءت فكرة الدراسة من منطلق أن العناية بالطفل ذي اضطراب التوحد ليس بالأمر السهل على الآباء والأمهات وتحمل الأم بالأخص مسؤولية وأعباء الطفل من متطلبات جسدية وانفعالية واقتصادية واجتماعية، فجاءت فكرة كيفية إرشاد أمهات الأطفال ذوي اضطراب التوحد للتواصل اللفظي مع أطفالهن من خلال برنامج إرشادي يعمل على تنمية التواصل لديهن مع أطفالهن التوحديين، وتم اختيار متغير التواصل اللفظي على اعتبار أن الأطفال الذين يعانون من التوحد تظهر لديهم مشاكل رئيسية تتمثل في اضطرابات الاتصال اللفظي لأن لديهم قصورا لغويا شديدا في تفاعلهم مع الآخرين وفي مواقف لعبهم أيضا، وكان الهدف هو إعداد برنامج إرشادي لأمهات ذوي اضطراب التوحد لتنمية التواصل اللفظي مع أطفالهن.

وهناك العديد من الاعتبارات يجب الاخذ بها اثناء المشاركة الاسرية للطفل التوحدي نذكر منها:

- تصميم نماذج للوالدين الكفاءات والقدرات لتعليم الطفل مهارات حياتية وتأهيلية ونقل أساليب التعليم لجميع أفراد الأسرة
- إتاحة الفرص امام الوالدين للعمل مع الطفل بشكل مباشر ومنظم ضمن حدود واضحة مسبقا.
- مساعدة الطفل التوحدي على التكيف والاستجابة لبرامج تدريبية يمكن تطبيقها في المنزل.
- دعم البرنامج التربوي الفردي للطفل وتعلم مهارات جديدة في ظروف حياتية يومية.

التوصيات والمقترحات:

- 1- اقتراح وجود هيئة شاملة ومنظمة شاملة تلبى وتتابع احتياجات أسر الاطفال ذوي اضطراب الوحد من تشخيص مبكر على اسس سليمة، توفر العلاج الطبي والسلوكي، الدعم المعرفي والتدريبي لعائلات الاطفال ذوي اضطراب التوحد.
- 2- تقديم الدعم المالي لعائلات الاطفال ذوي اضطراب التوحد غير القادرين على تحمل النفقات الباهظة والمستمرة لرعاية ابنائهن سواء من الناحية الطبية او التعليمية او التأهيلية او الخدمات المساندة وغيره.
- 3- التوسع في تقديم البرامج التدريبية الارشادية التي تساعد الامهات على التواصل والتفاعل مع ابنائهن وتدريب ابنائهن على الاستقلالية في اداء المهارات الحياتية اليومية.
- 4- عمل برامج علاجية تهدف إلى تعديل الأفكار السلبية لدى أسر أطفال التوحد.
- 5- تصميم بعض المواقع الالكترونية على شبكة الانترنت؛ تعرض برامج لتنمية المهارات الحياتية.

نتائج البحث:

مما سبق توصل البحث إلى أهمية الإرشاد الأسري في تنمية الوعي لدى لعائلات أطفال التوحد، واشراك الأسرة في برامج الطفل التوحد، كونهم الأكثر احتكاكا بهم والأكثر تواصلًا معهم، والأثر الذي تتركه البرنامج الإرشادية الأسرية في تنمية الوعي لدى أسر أطفال التوحد، ومساعدتهم على تقبل أبنائهم كما هم، و يساهم الإرشاد في إحساس الأسرة بالمسؤولية، و التخفيف من شدة العزلة لدى هؤلاء الأطفال ومساعدتهم في زيادة تفاعلهم الاجتماعي وتواصلهم مع الآخرين مما يخفف عنهم الأعراض والسلوكيات الغير سوية لدى أطفالهم التوحدين، و منه لا بد للأسرة أن تكون البيئة الأولى الأكثر فعالية في مواجهة مشكلات الطفل، وعلى القائمين على مراكز تأهيل وتدريب الطفل التوحد أن يشركوا الآباء في العملية التعليمية وأن يتعرفوا على قيمة الإرشاد الأسري لأسر أطفال التوحد في المساهمة في نجاح الخطة العلاجية

قائمة المراجع

- خولة احمد يحي (2003): إرشاد أسر ذوي الاحتياجات الخاصة، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن
- خولة احمد يحي (2007): إرشاد أسر ذوي الحاجات الخاصة. الاردن: دار الفكر
- عاطف عبد الله، فيصل على الزيوت (2012) : مفاهيم أساسية في إرشاد أسر ذوي الحاجات الخاصة . الأردن : زمزم
- طه فرج وآخرين 2005 () : معجم علم النفس والتحليل النفسي ، بيروت ، دار، النهضة العربية
- عبد المعطي، حسن مصطفى (2004) : الأسرة ومشكلات الابناء، القاهرة، دار السحاب
- علاء الدين، كفاي: (1999) الإرشاد والعلاج النفسي الأسري المنظور النسقي الاتصالي. القاهرة: دار الفكر العربي.
- عبد العزيز الروسان، أيمن خشان، وائل أبو جودة استراتيجي (2003): استراتيجيات العمل مع أسر ذوي الاحتياجات الخاصة، دبي، دار القلم.
- علي عبد النبي محمد (2000): مدي فاعلية العلاج الأسري في تحسين مفهوم الذات لدى الأطفال ذوي الإعاقة السمعية رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الزقازيق، فرع بنها
- علي عبد النبي حنفي (2007) : العمل مع أسر ذوي الاحتياجات الخاصة، دليل المعلمين والوالدين، الرياض، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
- علاء الدين، كفاي: (1999) الإرشاد والعلاج النفسي الأسري المنظور النسقي الاتصالي. القاهرة: دار الفكر العربي.
- غالب، محمد الحيارى (2018). اضطرابات طيف التوحد الأسس، والخصائص، والاستراتيجيات الفعالة. الأردن : دار الفكر.
- مصطفى نوري القمش (2011): اضطرابات التوحد، الاسباب والعلاج، دراسة عملية، دار المسيرة للنشر والتوزيع
- نجلاء أحمد أمين: (2013) برنامج إرشادي لأمهات الأطفال ذوي اضطراب التوحد لتنمية التواصل اللفظي مع أطفالهن، مجلة الطفولة والتربية العدد العشرون-الجزء الرابع -السنة السادسة
- -American Psychiatric Association, A (2013): Diagnostic and statistical manual of mental disorders, (DSM-IV- TR) 5 th ed, Text Revision. Washington, American Psychiatric Pub d
- -Mc Goldbrick, M., Giordano, J.& Garcia-Proton. (2005): Ethnicity, Family therapy. Guilford press
- -Cook, E.R.P., Tessier, A. & Klein, D. (1992): early childhood

- curricula for children with special needs. Macmillan Publishing Company, New York
- -National Institute of Mental Health (NIMH)
- ,(2009):Comparing parent-Implemented intervention for toddlers with autism. Clinical Trials.gov

التحليل الجغرافي لتساقط الأمطار في مدينة الأصابعة

للفترة من (1984-2020)

د. الضاوي علي أحمد المنتصر
كلية الآداب الأصابعة جامعة غريان
EMAIL: dawli.almontsir@gu.edu.ly

الملخص:

يعالج هذا البحث موضوع تحليل عنصر المطر في مدينة الأصابعة، من خلال تتبع السلسلة الزمنية للأمطار خلال الفترة من 1984-2020 م، ويهدف إلى التعرف على أهم السمات الجغرافية والاحصائية التي تميز أمطار المنطقة، وذلك من خلال فحص البيانات اليومية والشهرية والفصلية والسنوية عبر السلسلة الزمنية قيد البحث، وما يتعرض له من تذبذب وتطرف في الكمية أو في عدد الأيام الممطرة أو في التوزيع الزمني والاتجاه العام الفصلي والسنوي ومعنوية هذا الاتجاه نحو الزيادة أو النقص.

وخلص البحث، الى مجموعة من النتائج لعل أهمها التغير والتذبذب الواضح في خصائص تساقط الأمطار سواء في المجموع التراكمي الشهري والفصلي والسنوي أو عدد الأيام الممطرة أو القيم المتطرفة، كما بينت النتائج أن الاتجاه العام للأمطار يأخذ طابعاً صاعداً خلال فترة الدراسة، وهذا الاتجاه ليس له دلالة إحصائية هامة، بسبب ارتفاع كميات التساقط في بعض المواسم بشكل متلاحق أو متباعد، الأمر الذي يشوش على السلوك العام للتساقط.

Geographical analysis of Precipitation in Asabah city (1984-2020)

Dr ALdawi Ali almontsir
Faculty of Arts, Al-Asabaa, Gharyan University

Summary:

The research deals with the subject of analyzing the element of precipitation in the finger by tracking the time series 1984-2020 and aims to identify the geographical and statistical characteristics of precipitation by examining the daily, monthly, seasonal and annual data and the fluctuation and extremism of precipitation in the quantity or number of rainy days or the time distribution and the general tendency of precipitation to increase or decrease.

The most important results of the research are the great fluctuation in the values and the number of days, as well as the trend that takes an upward character, but it has no significance due to the high values in some seasons in a successive or distant manner, which disturbs the general behavior of precipitation.

المقدمة:

المطر هو شكل من أشكال التساقط (*) وهو أهم العناصر المناخية ودراسته تعد من المواضيع المهمة في الدراسات المناخية، لارتباطه بجميع جوانب الحياة على سطح الكرة الأرضية، وهو العامل الرئيسي الذي يحدد معظم أنماط الحياة النباتية والبشرية، وما يرتبط بها من أنشطة مختلفة (رؤوف، 2012 م، ص 224)، وفي مقدمتها جوانب التخطيط لإدارة الموارد المائية خصوصاً عندما يمثل المطر المصدر الرئيسي لموارد المياه.

يتساقط المطر في منطقة الدراسة في النصف البارد من السنة ومعظمه يتبع النوع الاعصاري(**) بفعل الانخفاضات الجوية التي تتكون أو تمر عبر البحر المتوسط، لتكتسب قدراً كبيراً من الرطوبة وتصبح في كثير من الأحيان كتلاً غير مستقرة تسهم في معظم التساقط بالمنطقة، ويتركز

* - أشكال التساقط (الأمطار - الثلج - البرد) ويحدث نتيجة تكاثف بخار الماء حول نويات التكاثف وتحوله من الحالة الغازية إلى الحالة السائلة نتيجة التبريد في طبقات الجو العليا، ويفعل تجمع قطرات الماء وعدم قدرة الهواء على حملها يهوي إلى الأرض في شكل مطر، وسيتيم استخدام هذا المصطلح للتعبير عن المطر أينما ورد في متن البحث.

** - ينقسم المطر إلى ثلاثة أنواع: المطر التضاريسي وينتج عن اصطدام السحب بالجبال فتجبر على الصعود أكثر لتزداد كثافة السحب ومن ثم زيادة في التساقط - المطر التصاعدي نتيجة ارتفاع الحرارة وتمدد الهواء وخفته تنشأ تيارات صاعدة قوية تتسبب في تساقط الأمطار وهذا النوع مرتبط بشكل أساسي بالنطاقات الاستوائية. الأمطار الاعصارية ويحدث نتيجة اختلاط وتصادم الهواء الساخن بالهواء البارد أو ما يسمى بالتقاء الجبهات الباردة بالدايفة، حيث تنشأ حالة من عدم الاستقرار تصاحبها في الغالب أمطار من هذا النوع.

المطر بشكل رئيسي في فصل الشتاء، وبالأخص في شهري ديسمبر ويناير ويتدرج في الانخفاض حولهما نحو بداية ونهاية موسم المطر الذي يبدأ من شهر سبتمبر ويستمر حتى شهر مايو.

تخضع الأمطار بصفة عامة لمجموعة من المتغيرات أهمها الرطوبة ودرجة الحرارة، والارتفاع عن مستوى سطح البحر، والبعد الأفقي عن البحر المتوسط، والرياح، وخط الطول ودائرة العرض (الموقع الفلكي) (اللوحي، 2004، ص 210)، وتتميز الأمطار عادة في البيئات الجافة وشبه الجافة بالتذبذب والتباين والعشوائية وعدم الانتظام سواءً في الكمية أو موعد التساقط أو التوزيع الفصلي، حتى أنه يصعب تحديد الشهر الذي يبدأ عنده موسم التساقط أو قمته خلال الموسم الواحد (مقبلي، 1995 م، ص 175).

يلعب الاتجاه العام للأمطار وما يصاحبه من تباين وتبدلات في خصائصه الشهرية والفصلية والسنوية دوراً كبيراً في التخطيط المستقبلي واستخدامات الأرض، خصوصاً فيما يتعلق بالميزان المائي وما يتبع ذلك من نشاطات أخرى في مقدمتها الزراعة وتربية الحيوانات.

مشكلة البحث:

إن التقلب الشديد والتذبذب في مسار سلوك عنصر المطر بالمنطقة، سواء في الكمية أو عدد الأيام الممطرة وتوزيعها خلال موسم المطر أو الاتجاه العام الفصلي والسنوي، وما يتبع ذلك من انعكاسات على الحياة البشرية والاقتصادية في منطقة الدراسة، وبالأخص في المجال الزراعي، يتطلب التحليل التفصيلي للسلسلة الزمنية قيد البحث لمعرفة خصائص هذا العنصر لوضع قاعدة بيانات يحتاجها الباحثون ومتخذي القرار، وفي ضوء ذلك تتمحور مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات التالية.

- هل يوجد تغير في كميات الأمطار على المدى الزمني خلال فترة الدراسة؟
- هل هناك علاقة بين عدد الأيام الممطرة والمجموع التراكمي للأمطار؟
- هل الاتجاه الشهري والفصلي يتبع الاتجاه العام للتساقط السنوية عبر السلسلة قيد البحث؟
- هل يمثل المجموع التراكمي للأمطار بالمنطقة حدود أمانة يمكن الاعتماد عليها والتخطيط على أساسها؟

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من الآتي:

- الاعتماد شبه الكلي على الأمطار في النشاط الزراعي والحيواني بالمنطقة.
- الاستنزاف المتزايد للمياه الجوفية المعتمدة على مياه الأمطار كمصدر للتغذية المتجددة.
- التدهور الكبير في الغطاء النباتي، وتدني الإنتاج الزراعي والحيواني خصوصاً في السنوات الجافة يحتم دراسة وتحليل وتفسير أهم التبدلات والتغيرات التي تحدث في خصائص الأمطار خلال فترة الدراسة.
- أن معرفة الاتجاه العام للأمطار من شأنه أن يساعد على التنبؤ بسلوك المطر في المستقبل واستخدام ذلك في التخطيط والإدارة البيئية.
- وفرة البيانات الخاصة بالأمطار وغيرها من العناصر المناخية عبر مواقع البيانات مفتوحة المصدر من خلال الشبكة العنكبوتية مكن من تتبع السلسلة الزمنية قيد البحث والتي امتدت من 1984-2020، أي لمدة 37 سنة، مما ساعد على البحث والتقصي واستخلاص نتائج يعول عليها عند التخطيط.

أهداف البحث:

- التعرف على طبيعة الخصائص المناخية والاحصائية لعنصر الأمطار.
- التعرف على السلوك الذي تتبعه الأمطار في تغيرها، وما إذا كان هذا السلوك يأخذ نمطاً عشوائياً أو منتظماً.
- التعرف على الانحرافات السالبة والموجبة لمعاملات عنصر المطر خلال التوزيع الزمني داخل الفترة قيد البحث.
- تحديد الاتجاه العام لخصائص الأمطار من أجل عمليات التخطيط وإدارة الأنشطة المعتمدة على هذا العنصر.

أولاً: البيانات المستخدمة في الدراسة:

نظراً لعدم وجود محطة مناخية سطحية بمنطقة الدراسة تشمل العناصر المناخية وإن وجدت فهي لا تزيد على قياس عنصر المطر والحرارة في شكل بيانات كثيرة التقطع ولفترات طويلة لا تصلح للدراسة والتحليل، ولهذا تم الاعتماد في على البيانات المناخية مفتوحة المصدر والمتاحة على مواقع الشبكة العنكبوتية (*) حيث تم تحميل هذه البيانات في شكل يومي وعلى مدى أيام فترة الرصد)

* - <https://worldclim.org/data/index.html>

1/1/1984-2021/3/31) في شكل 15 ألف مصفوفة من أجل إعادة ترتيبها وتحليلها على المستوى الشهري والفصلي والسنوي، بغية الإجابة على تساؤلات الدراسة وتحقيق أهدافها.

- من المعروف أن البيانات المناخية تسجل حسب تسلسل السنة الميلادية، أي من بداية شهر يناير حتى نهاية شهر ديسمبر، وهذا مخالف للسنة المطرية (*) السائدة بالنسبة للمناطق المطلة على حوض البحر المتوسط، وخاصة المناطق الواقعة في شمال إفريقيا، حيث يمثل شهر سبتمبر بدايتها وشهر أغسطس نهايتها، ولهذا تم تجميع البيانات وإعادة ترتيبها في مصفوفات، تشمل الأشهر من سبتمبر إلى ديسمبر سنة 1984 مثلاً، وتستمر من شهر يناير إلى أغسطس سنة 1985، وهكذا لبقية السنوات.

جدول (1) الموقع المناخي المستخدم في الدراسة

الموقع	الارتفاع (متر)	دائرة العرض (درجة شمالاً)	خط الطول (درجة شرقاً)	فترة الرصد	عدد السنوات
الأصابعة	835	32° 02' 19"	12° 52' 15"	1984-2020	37

مناهج ووسائل البحث:

ارتبط موضوع البحث بالجانب التطبيقي لدراسة وتحليل سلوك عنصر المطر في منطقة الأصابعة، مما أدى إلى الاعتماد على منهجين: المنهج الإحصائي التحليلي، وتم من خلاله تحليل البيانات الكمية ذات الصلة بالموضوع، والمنهج الإحصائي الاستنتاجي، لاستنباط النتائج المرتبطة بتحليل بيانات قيم العنصر قيد البحث، حيث تم إدخال بيانات الأمطار اليومية خلال الفترة من 01/01/1984 - 31/12/2020 للحزمة الإحصائية SPSS وبرنامج Microsoft Office Excel لمعالجتها إحصائياً وبيانياً بالنماذج الرياضية التالية:-

- تم استخدام الإحصاء الوصفي لاستخراج (المعدل - أكبر قيمة - أصغر قيمة - المدى - المجموع التراكمي) بعد إعادة ترتيب البيانات اليومية في شكل بيانات شهرية وفصلية وسنوية.

* - تم اعتماد السنة المطرية في كامل البحث، وكلما ورد ذكر سنة ما دل على الموسم المطري للسنة المذكورة والسنة التي تليها، فعند ذكر السنة 1990 مثلاً يدل على السنة المطرية 1990/1991.

معامل الانحراف:

يستخدم معامل الانحراف لبيان مقدار تذبذب أو تشتت القيم في توزيعها خلال السلسلة، وذلك لبيان مقدار التطرف الايجابي أو السلبي لتلك القيم ممثلة في صورة نسبة بالعلاقة التالية: -

$$M = \frac{DX}{X} \times 100 \dots\dots\dots (1)$$

حيث أن M = معامل الانحراف.

DX = مقدار الزيادة أو النقص عن المعدل.

X = متوسط المطر خلال السلسلة الزمنية.

- معامل الاختلاف.

يستخدم معامل الاختلاف لبيان درجة ونسبة الاختلاف بين القيم ويحسب بالمعادلة التالية:

$$CV = \frac{SD}{X} \times 100 \dots\dots\dots (2)$$

حيث أن CV = معامل الاختلاف.

SD = الانحراف المعياري

X = متوسط المطر خلال السلسلة الزمنية.

- نموذج الأوساط المتحركة:

يهدف هذا النموذج إلى تحديد واكتشاف دورات متعاقبة خلال السلسلة الزمنية، وذلك من خلال إلغاء الذبذبات القصيرة، التي يصعب معها تحديد تلك الدورات المتعاقبة، وسيستخدم نموذج الخمس سنوات المتحركة الأكثر شيوعاً في هذا المجال.

- تحليل الانحدار ومعادلة الخط المستقيم:

يستخدم الانحدار لتحديد درجة العلاقة، بين متغير قيم الأمطار وعامل الزمن خلال السلسلة المدروسة، أما معادلة الخط المستقيم، فيتم من خلالها تحديد الاتجاه العام للأمطار بالعلاقة التالية:-

$$Y = a + bx \dots\dots\dots (3)$$

$$b = N \frac{(\sum x y) - (\sum x)(\sum y)}{N(\sum x^2) - (\sum x)^2} \dots\dots\dots (4)$$

$$a = y - bx \dots\dots\dots (5)$$

حيث أن: $Y =$ قيم المتغير التابع.

$X =$ قيم المتغير المستقل.

$a =$ قيمة Y عندما تكون X تساوي صفر.

$b =$ ميل خط الانحدار.

ثانياً : مجال البحث وحدوده.

يقع البحث في مجالين، الأول مكاني، وهو مدينة الأصابعة، حيث تقع المنطقة على بعد 100 كم جنوب طرابلس، وجغرافياً تقع في نطاق الجبل الغربي بين غريان في الشرق وككلة في الغرب وبين الرابطة شمالاً الى الشقيقة جنوباً (*) شكل رقم (1) والثاني موضوعي، ويخص دراسة خصائص الأمطار وسلوكها في منطقة الأصابعة أما حدود الدراسة فلها بعدان، البعد العلمي يقتصر على دراسة وتحليل السلسلة الزمنية لعنصر المطر في المنطقة ، أما البعد الثاني الزمني، فيرتبط بمدة الدراسة والتي امتدت إلى 37 عام، أي خلال الفترة 1984-2020.

شكل (1) موقع منطقة الدراسة



* لا توجد حدود فلكية دقيقة لعدم وجود خريطة حديثة للمنطقة حسب التقسيم الإداري الحالي، فالخرائط المعتمدة للمنطقة تعود الى التقسيمات الإدارية منذ أيام الشعبيات وهي الان متداخلة ضمن بلديات مجاورة كبلدية مزدة وغريان وككلة.

الدراسات السابقة

- دراسة اللوح (2004) بعنوان "العلاقة بين الأمطار وبعض المتغيرات الجوية والطبيعية في الضفة الغربية"، تناول خلالها الباحث تأثير المتغيرات الطبيعية (كالتضاريس والبعد والقرب عن البحر ودائرة العرض وخط الطول والمتغيرات المناخية الحرارة والرطوبة والتبخر والرياح) وعلاقة هذا التأثير بتغير كميات الأمطار. باستخدام معامل التغير ومعامل ارتباط بيرسون، واستنتج أن المتغير التضاريسي أكثر المتغيرات على المستوى الفصلي والشهري، بالإضافة الى التغيرات المتداخلة بين العوامل الطبيعية والجوية في التأثير في كميات الأمطار.
- دراسة رؤوف (2012) بعنوان "الانحرافات السنوية في كميات الأمطار المتساقطة على العراق في معدلاتها العامة خلال الفترة 1971-2000"، تناول خلالها مدى الانحرافات السنوية الموجبة والسالبة لكميات الأمطار خلال السلسلة المدروسة، واستنتج أن هناك سنوات تميزت بالتطرف في انحرافها الموجب أو السالب، وبينت الدراسة أن فترة السبعينيات امتازت بأنها الأكثر مطراً، بعكس نهاية التسعينيات التي أظهرت جفافاً حاداً، وأن التذبذب هو الصفة العامة للأمطار في العراق.
- دراسة مشتهي (2013) بعنوان "اتجاه التغير في كميات الأمطار في الضفة الغربية بين عامي 1997-2008"، تناولت الدراسة خصائص التغير في كميات الأمطار على المستوى الشهري والفصلي والسنوي وأبرز نتائجها التباين من سنة الى أخرى بشكل عشوائي غير منتظم، كما بينت الدراسة صغر التباين في الأشهر الأكثر مطراً مقارنةً بالأشهر التي تقل عن المعدل، كما أظهرت الدراسة زيادة التباين كلما كانت السنة أكثر جفافاً.
- دراسة مسعود (2015) بعنوان "الاتجاه العام لمعدلات الأمطار ودوره في حدوث ظاهرة التصحر بمنطقة سهل الجفارة"، حيث تناول فيها خصائص التساقط بالمنطقة وطبيعة التغير في كمية الأمطار وأثرها على حدوث الظاهرة، وأبرز نتائجها تباين التوزيع الجغرافي لمعدلات الأمطار، بالإضافة الى التباين الكبير خصوصاً في فصل الشتاء، حيث سجل 56.3% وأن الاتجاه العام يميل إلى التناقص في المعدلات السنوية، وأن التذبذب أدى الى هبوط منسوب المياه الجوفية، الامر الذي نتج عنه مشاكل بيئية أهمها تداخل مياه البحر مع المنسوب الجوفي وتفاقم مشكلة التصحر.
- دراسة الموسى (2015) بعنوان "الخصائص المناخية والاحصائية لكميات الهطل السنوية في دمشق"، تناول خلالها الباحث دراسة خصائص المطر في محطة دمشق وأبرز نتائجها أنه لا يوجد اتجاه عام هام إحصائياً على الرغم من اتجاه خط الانحدار إلى الهبوط، كما أثبتت

الدراسة من خلال التحليل الطيفي أن سلوك المطر يظهر في شكل دورات بين الجافة والرطبة، وبينت الدراسة أيضاً أن الاعتماد على نتائج الاحتمالات أكثر دقة من الاعتماد على المتوسط عند التخطيط المستقبلي.

المناقشة والتحليل:

أولاً: الخصائص الجغرافية للأمطار.

يتبع نظام الأمطار في المنطقة النظام الاعصاري الذي يتركز معظمه في فصل الشتاء، أما من حيث كمياتها وتوزيعها زمنياً ومكانياً فإنها تخضع لمجموعة من المتغيرات الجوية، مثل تمركز المنخفضات الجوية ودرجة الحرارة ورطوبة الهواء والتضاريس، وترتبط بشكل خاص بالمنخفضات الجوية المتكونة فوق حوض البحر المتوسط أو التي تغزوه من ناحية الغرب، والكتل الهوائية الباردة والرياح الغربية (شرف، 1963، ص215)، حيث تسقط الأمطار بفعل مرور جبهة هوائية باردة تكتسب قدرًا كبيراً من رطوبتها أثناء مرورها فوق مياه البحر المتوسط الدافئة، وتصبح في كثير من الأحيان كتلاً غير مستقرة، مما يجعل جزءاً كبيراً من أمطار منطقة الدراسة يرتبط بحالات عدم الاستقرار الناتج عند وصول كتل هوائية باردة قطبية، نتيجة لشدة انخفاض الضغط الجوي، وسرعة التيارات الهوائية الصاعدة (شحادة، 1992، ص257)، ولا يعني هذا أن كل حالات عدم الاستقرار تجلب الأمطار، إذ تتعرض المنطقة لمنخفضات جوية في فصلي الربيع والخريف، إلا أنها غالباً ما تثير الأتربة وتجلب معها الأمراض (اللوحي، 2004، ص210).

تعتمد كمية التساقط السنوية - فضلاً عن الظروف المحلية - على نوع المنخفض الجوي المار فوق المنطقة وشدته وسرعته ومسلكه وحمولته من الرطوبة، فهذه العوامل مجتمعة هي المسؤولة عن التباينات السنوية بين سنوات غزيرة الأمطار وأخرى شحيحة، فالمنخفضات الجوية والتيارات النفاثة تلعب دوراً مهماً في هذا المجال، فالأولى هي المسؤولة عن التساقط، والثانية هي المسؤولة عن تكون وتطور المنخفضات (الهدال، 1996، ص80).

في البيئات شبه الجافة التي تقع جنوب البحر المتوسط وتتبع مناخه، تمتد فترة التساقط من سبتمبر إلى مايو تقريباً، إلا أن الفترة من أكتوبر إلى نهاية فبراير، تمثل نسبة 70% من مجموع التساقط السنوي، معظم هذه النسبة يتركز في شهري ديسمبر ويناير قلب موسم الأمطار.

ثانياً: تحليل المجموع التراكمي للأمطار

(1) المجموع التراكمي اليومي.

يعرف اليوم الممطر باليوم الذي تتساقط فيه كميات من الأمطار تساوي أو تزيد عن 0.1 ملم، بمعنى أنه قد تتساقط كميات كبيرة في فترة وجيزة من اليوم أو تكون متقطعة، وقد لا تزيد الكميات المتساقطة على مدار اليوم أو جزء منه على رذاذ لا يزيد على عدة مليمترات، وقد يكون التساقط ممزوجاً بالثلج مثل العاصفة التي استمرت أربعة أيام من تاريخ 29-31/2014 بمجموع مطري 64 ملم، وكذلك العاصفة الثلجية التي استمرت أيام 4 و 5 و 6 فبراير سنة 2019 وتساقطت خلالها 71 ملم، لتعود مرة أخرى في نفس الشهر أيام 23 و 24 و 25 بمجموع 51 ملم.

(1) كبريات المجموع اليومي أو ما يسمى بالقيم المتطرفة.

تساقط الأمطار خلال اليوم على مدى فترات متلاحقة أو متقطعة أو في عاصفة مطرية واحدة في وقت قصير حسب ظروف الطقس لذلك اليوم (وفرة الرطوبة النسبية وتزايد السحب الركامية الماطرة وعمق المنخفض الجوي ومدى عنف التيارات الجوية الصاعدة. بحيث تساقط الأمطار في ذلك اليوم بغزارة لتسجل بكميات كبيرة تشكل نسبة عالية من المجموع الشهري أو الفصلي وتسجل كقيم متطرفة خلال الموسم أو المدة الخاضعة للدراسة، وتعتمد كثافة الأمطار أثناء التساقط على حجم قطرات المطر فكلما كانت الاحجام كبيرة وسرعتها عالية كان التساقط غزيراً (النعيمي، 1993، ص7).

وعند تتبع السلسلة الزمنية نلاحظ أن أكبر مجموع تراكمي يومي سجل 66.8 ملم يوم 2015/09/25 وكان المجموع السنوي لنفس الموسم 389.3 ملم، وهي أعلى مجموع يومي خلال فترة الدراسة جدول (2)، وجاءت القيمة الكبرى الثانية 64.1 ملم في يوم 10/05/1991، تلتها القيمة 60 ملم في يوم 02/10/2017، ثم القيمة 50 ملم في يوم 03/03/2004. شكل (2).

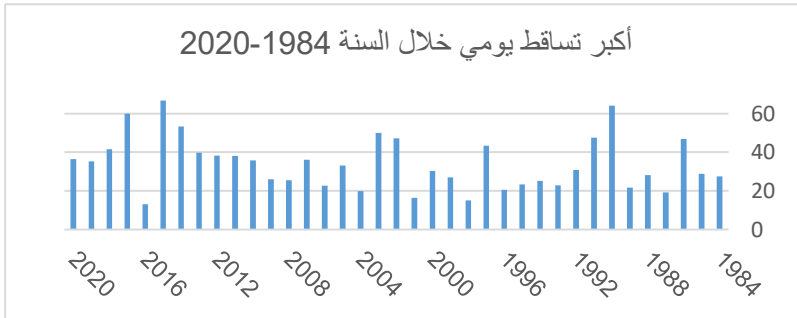
جدول (2) أكبر مجموع يومي خلال السنة (1984-2020)

المجموع السنوي	الكمية	اليوم	الشهر	موسم المطر	المجموع السنوي	الكمية	اليوم	الشهر	موسم المطر
201.9	50	03	03	2003	335.1	27.44	22	12	1984
139.5	19.94	31	12	2004	177.6	28.8	17	12	1985
296.9	33.16	01	02	2005	405.5	46.87	27	11	1986
200.3	22.64	10	03	2006	166.7	19.25	10	01	1987

343.7	36.03	24	01	2007	288.9	28.21	16	02	1988
248.5	25.45	03	12	2008	152.4	21.69	21	01	1989
223.3	26.02	09	09	2009	305.2	64.1	10	05	1990
264.3	35.71	06	02	2010	241.3	47.46	07	11	1991
431.4	38.06	11	03	2011	157.9	30.84	06	01	1992
212.6	38.28	29	01	2012	174	22.87	13	01	1993
387.1	39.81	30	11	2013	246.2	25.24	08	09	1994
244.6	53.3	11	12	2014	297.3	23.44	13	03	1995
389.3	66.8	25	09	2015	182.9	20.55	10	03	1996
172.8	13.04	09	01	2016	325.4	43.45	16	01	1997
361.1	59.95	02	10	2017	158.4	15.17	23	04	1998
272.2	41.63	05	02	2018	227.8	27.04	12	07	1999
235.6	35.31	31	12	2019	169.2	30.24	11	02	2000
236.1	36.48	27	10	2020	174.4	16.48	03	11	2001
					169.2	47.21	27	01	2002

المصدر: الباحث بالاعتماد على البيانات اليومية لموقع الرصد.

شكل (2) أكبر مجموع تراكمي يومي خلال السنة الأصابعة 2020-1984.

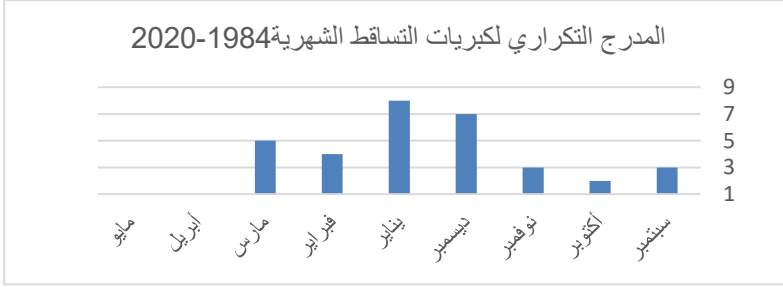


المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (2)

ومن خلال تتبع السلسلة قيد الدراسة نلاحظ أن القيم المتطرفة اليومية خلال الأشهر تتكرر في أي شهر خلال الموسم الفعلي للأمطار، لكنها تبدو بوضوح تتركز في الأشهر التي تمثل قلب موسم المطر، حيث تكررت مثلاً في شهر يناير لثمان مواسم شكل (3)، كانت قيمها تراوحت بين 13 ملم سجلت يوم 2017/01/09 و 47.2 ملم سجلت في 2003/01/27. تلاها شهر ديسمبر

بتكرار سبع مواسم تراوحت مجاميعها بين 20 ملم سجلت في 2004/12/31 و 53.3 ملم سجلت في 2014/12/11. أي أن تكرارات المجاميع اليومية المتطرفة خلال شهري ديسمبر ويناير شكلت نسبة 40% من مجموع تكرارات القيم المتطرفة الكبرى خلال السلسلة الزمنية.

شكل (3) المدرج التكراري لكبريات التساقط الشهري الأصابعة 1984-2020



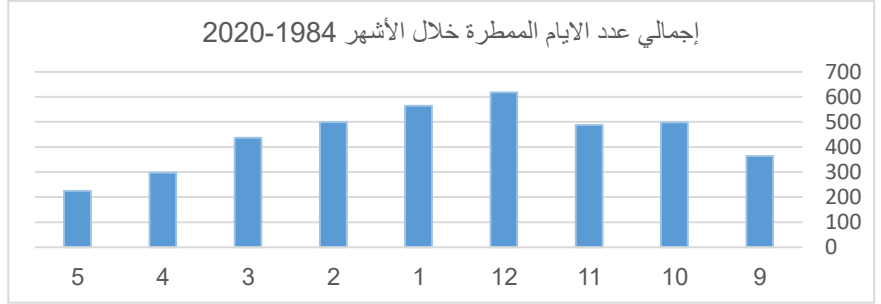
المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (5)

(2) عدد الأيام الممطرة.

بما أن منطقة الدراسة تأتي ضمن البيئات شبه الجافة فإنها تتميز بالتذبذب الشديد في الكميات المتساقطة في اليوم الواحد، فقد تسقط معظم الكمية المسجلة في الشهر أو في الموسم بشكل عام في يوم واحد، وقد تعدد الأيام الماطرة ولا تسقط خلالها إلا بعض المليمترات. (مسعود، 2015 ص 104).

ومن خلال تتبع السلسلة قيد الرصد بلغ الإجمالي لعدد الأيام الممطرة بلغ عدد الأيام الممطرة خلال كامل السلسلة 3990 يوم ممطر أي ما نسبته 29.5% من إجمالي عدد أيام السلسلة قيد الرصد، وبلغ إجمالي عدد الأيام الممطرة لفصل الشتاء 1681 يوماً أي ما نسبته 42% تلاه فصل الخريف ب 1350 يوماً ونسبة 33.8%، في حين لم يتحصل فصل الربيع سوى على نسبة 24% فقط. أما على المستوى الشهري فجاء شهر ديسمبر في اعلى نسبة ب 618 يوماً، تلاه شهر يناير ب 564 يوماً واقترب كل من أكتوبر ونوفمبر من عتبة 500 يوماً، بينما لم يزد شهر مايو عن 225 يوماً خلال كامل فترة الرصد شكل (4).

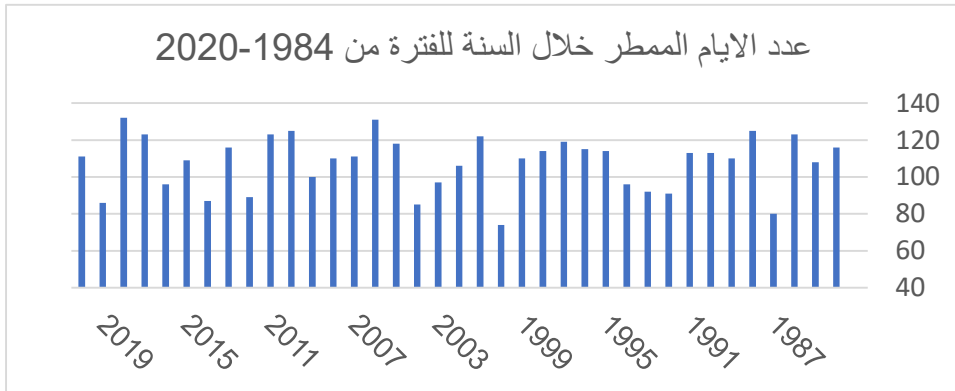
شكل (4) إجمالي عدد الأيام الممطرة خلال الأشهر 1984-2020



المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (5)

وبالنسبة للتوزيع السنوي لعدد الأيام الممطرة فكان على النحو التالي: تراوح عدد الأيام الممطرة بين 136 يوم و 76 يوم ، وكان هناك 27 سنة عدد أيامها الماطرة أقل من 120 يوم وبنسبة 73% من اجمالي سنوات سلسلة الرصد ، وإذا استبعدنا أيام الفصل الجاف (الصيف) وركزنا على تحليل أيام الموسم الفعلي للأمطار الذي يبدأ في شهر سبتمبر ويستمر حتى شهر مايو، فنجد أن عدد الأيام الممطرة يتراوح بين 132 يوم في الموسم 2017 وبنسبة 48.9 % من اجمالي أيام الموسم و74 يوم في عام 2000 وبنسبة 27.4 % فقط من اجمالي عدد أيام الموسم المذكور شكل (5)، مما يعني أن عدد الأيام الممطرة لم يتجاوز نسبة 50% ، وهذا يؤكد وجود المنطقة ضمن أقاليم المناخ شبه الجاف الذي يتميز بالتذبذب الكبير في عدد أيام التساقط.

شكل (5) عدد الأيام الممطرة خلال السنة 2020-1984



المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (5)

أما التوزيع الفصلي لعدد الأيام الممطرة فكان على النحو التالي:

تساقط الأمطار خلال فصل الخريف أثناء فترة الرصد في 36.5 يوم في المعدل العام، حيث تراوح عدد الأيام الممطرة بين 54 يوم خلال خريف 2015 وبنسبة 60% من إجمال عدد أيام الفصل و18 يوم عامي 1990 و عام 2000، وبنسبة 20%، فقط، ليكون أقل فصول الخريف في عدد الأيام الممطرة أثناء فترة الرصد جدول (3)، وهذا التباين نتيجة خصائص المنخفض الجوي من حيث مدة بقاءه وسرعة حركته وما يحمله من رطوبة جوية.

في فصل الشتاء يزداد تعمق المنخفضات الجوية جنوب السواحل الليبية وتزداد قوتها وفعاليتها، حيث يمثل هذا الوقت ذروة الفصل الماطر في منطقة الدراسة وليبيا بشكل عام. فتراوح عدد الأيام الممطرة خلال هذا الفصل بين 62 يوم في شتاء 1988 بنسبة 68.9% من إجمالي عدد أيام الفصل و27 يوم في شتاء 2009 وبنسبة 30% من إجمالي عدد أيام الفصل. وقد تجاوزت نسبة عدد الأيام الممطرة الـ 50% من إجمالي عدد أيام الفصل في 19 فصلاً خلال فترة الرصد، وبالمقارنة مع الأيام الممطرة في فصل الخريف نجد أن الأيام الممطرة كانت أكثر مما هو في فصل الخريف في 30 موسم، ولم تسجل أقل من أيام الخريف سوى في سبع مواسم كان أبرزها خريف 1997 و2009. مما يؤكد تزايد الأيام الممطرة في فصل الشتاء نتيجة زيادة تكرار وتوالي مرور المنخفضات الجوية.

جدول (3) عدد الأيام الممطرة خلال موسم المطر (9-5) خلال الفترة 1984-2020

السنوات	1984	1985	1986	1987	1988	1989	1990	1991	1992
الخريف	37	40	53	33	42	32	18	30	19
الشتاء	51	40	44	32	62	38	46	60	50
الربيع	28	28	26	15	21	40	49	23	22
السنوات	1993	1994	1995	1996	1997	1998	1999	2000	2001
الخريف	28	38	37	39	50	40	39	18	33
الشتاء	37	37	47	41	39	54	52	35	57
الربيع	27	21	30	35	30	20	19	21	32
السنوات	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010
الخريف	34	35	26	40	44	36	39	42	40
الشتاء	41	35	42	59	53	57	49	27	51
الربيع	31	27	17	19	34	18	22	31	34
السنوات	2011	2012	2013	2014	2015	2016	2017	2018	2019
الخريف	39	33	37	20	54	28	52	48	30
	2020								47

الشتاء	59	39	47	45	37	42	52	51	30	43
الربيع	25	17	32	22	18	26	19	33	26	21

المصدر: الباحث بالاعتماد على البيانات اليومية لموقع الرصد.

أما فصل الربيع فيشهد تناقصاً في عدد الأيام الممطرة باعتباره يمثل الثلث الأخير من موسم الأمطار، حيث سجل 26 يوماً في المعدل العام، ويمثل ربيع 1990 الأعلى، حيث وصل عدد الأيام الممطرة خلاله 49 يوماً بنسبة 54.4% من إجمالي عدد أيام الفصل للسنة المذكورة، بينما يمثل ربيع 1987 الأقل في عدد الأيام الممطرة، وقد سجل 15 يوماً فقط، وبنسبة 16.7% من عدد الأيام الممطرة في الفصل المذكور. وعند مقارنته مع فصل الشتاء لم يسجل أي زيادة باستثناء 3 مواسم كان أبرزها موسم 1992 بفارق 9 أيام. مما يدل على تباعد مسارات المنخفضات الجوية وقلة تكرارها.

ثالثاً : التحليل الشهري للمجموع التراكمي للأمطار.

تبدأ عادة الاضطرابات الجوية وحالات عدم الاستقرار في النصف الثاني من شهر أغسطس، وتصل آثارها إلى شمال ليبيا بصفة عامة مع اقتراب أولى المنخفضات الجوية التي تعبر البحر المتوسط ناحية الشرق، حيث يخضع توغلها جنوب الساحل الليبي الى مدى عمق وقوة المنخفض (Howard,1983,pp411-416). الجوي، ولهذا فقد تتأخر الأمطار على منطقة الدراسة وشمال غرب ليبيا بشكل عام الى النصف الأخير من شهر سبتمبر، وقد لا تسقط خلاله سواء بعض الملليمترات.

جدول (4) المجموع الشهري لتساقط الأمطار (الأصابعة) خلال الفترة 1984-2020

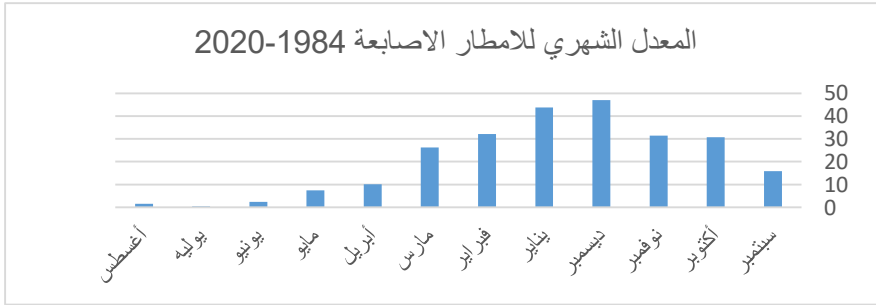
الشهر	9	10	11	12	1	2	3	4	5	6	7	8
المعدل	15.9	30.8	31.5	47.0	43.8	32.1	26.2	10.2	7.4	2.4	0.4	1.6
أكبر حجم	99.3	138.3	150.6	167.0	190.3	154.6	94.5	46.6	111.6	23.5	12.7	23.4

المصدر: الباحث اعتماداً على البيانات اليومية لموقع الرصد.

وفيما يخص التوزيع الشهري للأمطار في منطقة الدراسة يشير الجدول (4) الى أنها تتوزع خلال تسعة أشهر (بصورة عامة)، أي أن أكثر من نصف السنة يعد ماطرًا، مقارنة بالنصف الآخر (الاقصر)

والجاف، ويشير الشكل رقم (6) الى أن المعدل الشهري للأمطار في منطقة الدراسة يأخذ في الازدياد من شهر سبتمبر بمعدل 15.9 ملم، ويستمر في الارتفاع الى شهري ديسمبر ويناير، حيث سجلا 47 و 43.8 ملم على التوالي، ويعزى ذلك الى زيادة تكرار المنخفضات الجوية التي يصل عدد في هذا الوقت من السنة الى أكثر من 28 منخفضاً (اللوح، 2004، ص210)، خصوصاً وأن منطقة الدراسة تقع في النطاق الأعلى من سلسلة الجبل الغربي، مما يوفر فرصاً أكبر لتقدم الكتل الهوائية الرطبة، ثم يبدأ المعدل في الانخفاض التدريجي، فيسجل في نهاية موسم المطر الفعلي في شهر مايو 7.4 ملم فقط. وذلك لعودة سيادة حالات الاستقرار وسيطرة المرتفع الأوزوري على معظم الشمال الافريقي.

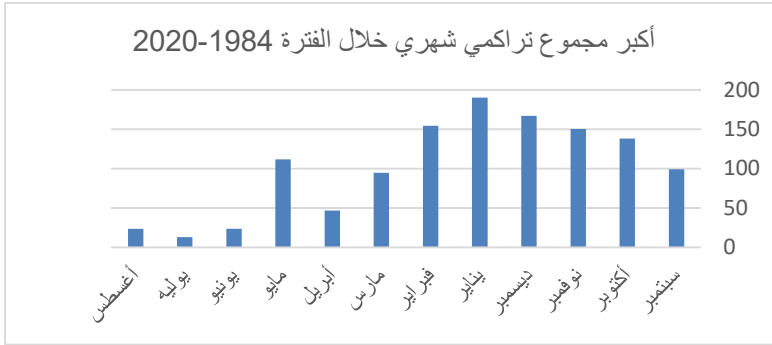
شكل (6) المعدل الشهري للمجموع التراكمي للتساقط الأصابعة 1984-2020



المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (4)

أما أكبر مجموع تراكمي شهري سجل خلال فترة الرصد، فكان في شهر يناير وبلغ 190.3 ملم، عام 2011، يليه شهر ديسمبر الذي سجل 167 ملم، في عام 2014، حيث لم يقلل المجموع الشهري بالنسبة لديسمبر ويناير خلال فترة الدراسة عن 20 ملم في 27 موسم، ثم شهري فبراير ونوفمبر، حيث سجلا مجموع تراكمي بلغ 154.6 و 150.6 ملم على التوالي شكل (7)، أما شهر مارس بالرغم من أنه مجموع تراكمه لم يتجاوز 94.5 ملم، ألا انه لم يقلل مجموع تراكمه الشهري عن 20 ملم في 18 موسم، وعند تتبع السلسلة لوحظ أن هذه القيم تعتبر متطرفة وشاذة داخل السلسلة شأنها في ذلك شأن بعض القيم المتطرفة في بقية الأشهر كشهر مايو عندما سجل 111.6 ملم سنة 1990، بينما بقيمة المواسم لم يتجاوز مجموعها الشهري 26 ملم طيلة فترة الرصد.

شكل (7) أكبر مجموع تراكمي شهري خلال الفترة 1984-2020



المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (4)

وبالنسبة للأشهر الجافة خلال الموسم الفعلي للأمطار سجلت جميع الأشهر حضورها بمجموع تراكمي أقل من 10 ملم خلال الموسم الواحد، وكان شهر مايو على رأسها في 30 موسم يليه شهر إبريل 24 موسم وسبتمبر 20 موسم، والسبب يرجع كون هذه الأشهر تمثل بداية ونهاية موسم المطر الفعلي، أما أقلها جفافاً فكان شهر يناير، حيث لم يقل مجموعه التراكمي خلال فترة الرصد على 10 ملم إلا في ثلاثة مواسم هي 1995 و 2001 و 2017، تلاه شهر ديسمبر ب 5 موسم جافة كان أبرزها موسم 2002 حيث لم يسجل بمجموع 2.8 ملم فقط.

رابعاً: التحليل الفصلي للمجموع التراكمي للأمطار.

تبدأ عادة فرص تساقط الأمطار مع بداية شهر سبتمبر عندما تتراجع مسارات التيارات النفاثة ناحية الجنوب بسبب انحسار المرتفع الجوي (الأوزوري) الذي يسيطر بهوائه الهابط طيلة موسم الجفاف على معظم الشمال الأفريقي، (الكتري، 1998، ص 89)، وتستمر فرص التساقط طيلة موسم الأمطار حتى شهر مايو عندما تبتعد مسارات المنخفضات الجوية ناحية الشمال ويقبل أو يندر تأثيرها على منطقة الدراسة وشمال غرب ليبيا بشكل عام.

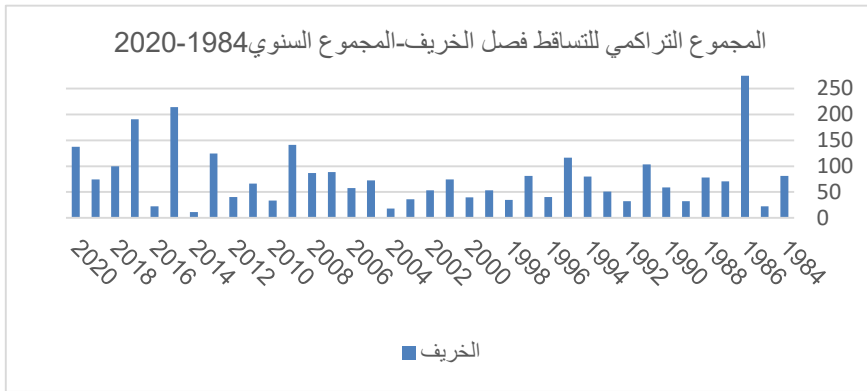
جدول (5) المجموع الفصلي والسنوي لكميات أمطار (الأصابعة) خلال الفترة 1984-2020

السنة	1992	1991	1990	1989	1988	1987	1986	1985	1984	
الخريف	32.2	103.5	58.9	32.4	78.3	70.5	274.6	22.4	81.4	
الشتاء	118.3	97.3	70.7	56.3	149.2	64.9	101.3	112.4	207.2	
الربيع	7.4	40.3	166.5	63.5	60.4	30.7	29.3	41.6	46.5	
السنوي	157.9	241.3	305.2	152.4	288.9	166.7	405.5	177.6	335.1	
السنة	2001	2000	1999	1998	1997	1996	1995	1994	1993	
الخريف	74.2	40.0	53.1	34.7	81.2	40.5	116.4	80.0	51.0	
الشتاء	69.0	103.4	135.0	83.4	174.5	48.8	113.5	99.9	53.5	
الربيع	30.9	25.8	16.3	40.3	68.7	70.6	53.1	64.4	69.5	
السنوي	174.4	169.2	227.8	158.4	325.4	182.9	297.3	246.2	174	
السنة	2010	2009	2008	2007	2006	2005	2004	2003	2002	
الخريف	33.3	141.2	86.4	88.4	57.7	72.2	18.3	36.0	53.3	
الشتاء	215.1	42.1	140.2	236.2	70.2	187.7	85.5	60.8	97.6	
الربيع	13.8	39.2	21.1	17.3	72.0	23.2	28.1	105.1	18.0	
السنوي	264.3	223.3	248.5	343.7	200.3	296.9	139.5	201.9	169.2	
السنة	2020	2019	2018	2017	2016	2015	2014	2013	2012	2011
الخريف	137.2	74.1	99.7	190.8	22.4	213.9	11.0	124.2	40.1	66.6
الشتاء	87.7	137.9	152.7	117.3	116.6	131.2	208.6	164.0	158.8	278.7
الربيع	8.8	23.6	19.3	50.7	33.7	5.9	23.2	90.9	12.9	86.1
السنوي	236.8	235.6	272.2	361.1	172.8	389.3	244.6	387.1	212.6	431.4

المصدر: الباحث اعتماداً على البيانات اليومية لموقع الرصد

سجل معدل المجاميع التراكمية لفصل الخريف 78.2 ملم خلال فترة الدراسة، وهذا المعدل لا يعكس حقيقة التساقط الفعلي خلال السلسلة. فعند تتبع سنوات الرصد نجد انخفاض قيمة المجموع في هذا الفصل الى حدود دينا كما في العام 2014، بمجموع التراكمي لم يتجاوز 11 ملم، جدول (5) ويرتفع أحيانا في بعض المواسم الى قيم عالية بل وشاذة، كما في العام 1986 عندما سجل 274.6 ملم شكل (8)، أي أن المدى الفصلي كبير جداً في هذا الفصل، والمتتبع للسلسلة يلاحظ وجود ارتباط متوسط بلغ 0.66 بين المجموع التراكمي لفصل الخريف والمجموع السنوي للتساقط، وتفسير ذلك هو مساهمة فصل الخريف في المجموع العام ولكن ليس بشكل منتظم أو تسلسلي.

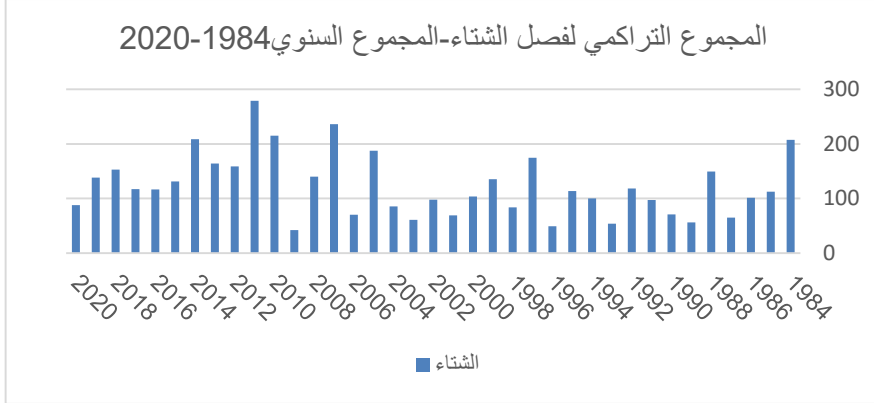
شكل (8) المجموع التراكمي للأمطار، فصل الخريف الأصابعة 1984-2020



المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (5)

أما المجموع التراكمي لفصل الشتاء سجل معدل 122.9 ملم، لأنه يمثل قمة موسم المطر، بسبب الزيادة في تكرار المنخفضات الجوية والمنظومات الإعصارية التي تصل المنطقة. ومن خلال تتبع السلسلة قيد البحث نلاحظ أن المجموع التراكمي لفصل الشتاء يتراوح بين أقل مجموع تراكمي 42.1 ملم في سنة 2009، وأعلى مجموع تراكمي 278.7 ملم في عام 2011، شكل (9)، ويمكن ملاحظة أن المجموع التراكمي لفصل الشتاء يرتبط هو الآخر بالمجموع التراكمي السنوي من خلال قيمة معامل الارتباط 0.66 مثل فصل الخريف ونفس التفسير، على العكس من علاقة الارتباط الضعيفة جداً -0.02 بين الفصلين لكون كل فصل يخضع لظروف طقسية منفصلة عن الآخر.

شكل (9) المجموع التراكمي للأمطار، فصل الشتاء الأصابعة 1984-2020



المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (5)

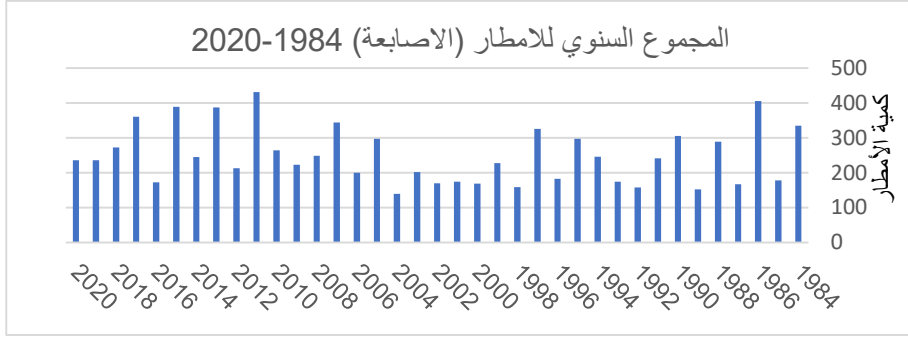
بالنسبة لفصل الربيع، تأخذ الأمطار بالتناقص التدريجي مع نهاية فصل الشتاء، نتيجة تباعد مسارات المنخفضات الجوية وعودة الدورة العامة للضغط الجوي والرياح باتجاه الفترة الجافة الدافئة من السنة، (المنتصر 2002 ص224)، فقد سجل المعدل العام 43.7 ملم، ليتراوح بين أدنى قيمة 5.9 ملم سنة 2015، وأعلى قيمة 166.5 ملم سنة 1990، أما علاقة الارتباط بين المجموع التراكمي لفصل الربيع والمجموع التراكمي السنوي فضعيفة جداً، 0.19، وذلك لتدني نسبة مساهمة فصل الربيع في المجموع السنوي.

يتضح لنا مما تقدم أن المجاميع الفصلية للتساقط لا تسير وفق نظام محدد خلال فترة الرصد نحو الارتفاع أو الانخفاض، بل تتفاوت فيما بين فصل وآخر وبين المواسم المطرية، وهذه صفة غالباً ما تلازم المناخات الجافة وشبه الجافة، (Mashkor, 1972, pp119).

خامساً : المجموع التراكمي السنوي للأمطار.

يكشف التحليل السنوي للسلسلة المطرية خلال فترة الدراسة 2020-1984 أن معدل المجموع السنوي للأمطار بالمنطقة بلغ 249.1 ملم، تجاوز المجموع السنوي قيمة المعدل العام في 14 سنة مطرية، أي ما يعادل نسبة 37.8% من سنوات السجل قيد الدراسة. تراوح المجموع التراكمي السنوي بين أعلى مجموع سنوي 431.4 ملم خلال السنة المطرية 2011 وأدنى مجموع سنوي 139.5 ملم خلال العام 2004.

شكل (10) المجموع التراكمي السنوي، الأصابعة 2020-1984



المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (5)

وعند تتبع السلسلة الزمنية لفترة الرصد نلاحظ التذبذب الكبير بالنسبة للمجموع التراكمي السنوي، حيث أظهر الشكل (10) أن معظم السنوات غزيرة المطر جاءت محاطة بسنوات أقل بكثير في مجموعها السنوي، فقد كانت سنة 1986 بمجموع تراكمي 405.5 ملم بين سنة 1985 بمجموع 177.6 ملم وسنة 1987 بمجموع 166.7 ملم، كذلك سنة 1997 بمجموع تراكمي 325.4 ملم جاءت بين سنة 1996 بمجموع 182.9 ملم وسنة 1998 بمجموع 158.4 ملم.

جدول (6) عدد المواسم حسب الفئات المطرية الأصابعة خلال الفترة 1984-2020

2020

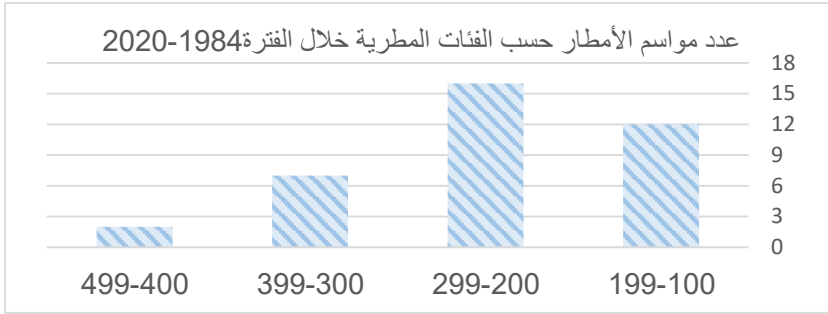
النسبة المئوية %	عدد التكرارات	الفئة المطرية
32.4	12.0	100-199
43.2	16.0	200-299
18.9	7.0	300-399
5.4	2.0	400-499

المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول رقم (5).

كما يكشف تحليل السلسلة الزمنية أنه لم تسجل أكثر من سنتين متتاليتين فوق المعدل باستثناء سنتي 2010 و2011 بمجموع تراكمي 264.3 ملم و431.4 ملم، وسنتي 2017 و2018 بمجموع تراكمي 361 ملم و272.2 ملم على التوالي، في حين كانت السنوات الأقل من المعدل العام متتالية في كثير من السنوات، وبالأخص سنوات 1991 و1992 و1993 وكذلك

السنوات من 1998 – 2004 وستي 2019 و2020. وهذا راجع بطبيعة الحال الى وقوع منطقة الدراسة ضمن إقليم المناخ شبه الجاف الي يتصف بالتذبذب في تساقطه خلال موسم الأمطار من سنة الى أخرى نتيجة الدورة العامة للرياح وتغير مسارات المنخفضات الجوية من حيث القوة والعمق والاقتراب أو الابتعاد عن منطقة الدراسة، (المنتصر، 2010 ص43)، بالإضافة الى تغير المناخ بشكل عام، إلا أنه من المطمئن أن المجموع السنوي للأمطار خلال فترة الرصد جاء ضمن الفئة المطرية 200-300 ملم شكل (11) أي أن أمطار المنطقة تمثل حدود آمنة للاعتماد عليها في الأنشطة خصوصاً الزراعة وتربية الحيوانات وبالأخص في المواسم الرطبة.

شكل (11) عدد مواسم الأمطار حسب الفئات المطرية الأصابعة 1984-2020



المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول (6)

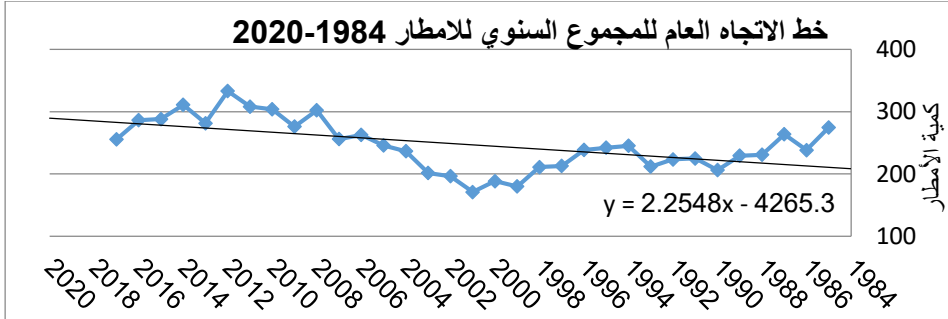
سادساً □: الاتجاه العام لتساقط الامطار.

من خلال الجدول (7) نلاحظ ان الاتجاه العام لكميات الأمطار السنوية خلال فترة الرصد يشير الى التزايد ولكن هذا التزايد ليس له دلالة إحصائية هامة من خلال قراءة معامل الارتباط بين المجاميع المتساقطة وسنواتها الذي يشير الى القيمة الضعيفة 0.18 وكذلك معامل التفسير الذي لا يعطي قيمة هامة لهذه الزيادة 0.03، بالرغم من أن خط الانحدار يشير الى قيمة موجبة 1.3، بمعنى أن سلوك الأمطار يسير في شكل دورات بين الموجبة والسالبة وهذا يتفق مع معظم الدراسات إقليمياً وعالمياً (الموس، 2015 ص12)، ولكن للوقوف على حقيقة الدلالة الإحصائية لمعامل الانحدار، تم تقسيم الفترة الزمنية الى 4 فترات كانت نتائجها متباينة بين الزيادة والنقص كما في الجدول (7).

ومن خلال الشكل (12) نلاحظ أن المجموع السنوي للتساقط عبر السلسلة الزمنية قيد البحث بالمنطقة يتجه نحو الزيادة بشكل عام، ولكن عند النظر الى نموذج الخمس سنوات المتدرجة

يتضح المسار الصحيح عبر السلسلة الزمنية، والذي يظهر التذبذب الكبير في شكل دورات رطوبة تتخللها أو تعقبها دورات جافة متتالية، وأن الاتجاه نحو الزيادة جاء نتيجة بداية فترة الرصد كانت في نهاية الدورة الرطبة في سبعينيات والنصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي، يضاف الى ذلك كانت الدورة الرطبة 2008 – 2012 ضمن الثلث الأخير من فترة السجل.

شكل (12) خط الاتجاه العام للمجموع السنوي للأمطار الأصابعة 1984-2020



المصدر: الباحث اعتماداً على نموذج السنوات المتدرجة الخمس للفترة 1984-2020

ولتفسير هذا الاتجاه يمكن تقسيم فترة الرصد الى 4 فترات، حيث أظهرت الاشكال (13-16) أن الفترة الأولى من 1984 – 1992 اتسمت بالانحدار الشديد نحو التناقص بسبب وقوع بدايتها ضمن الدورة الرطبة سالفة الذكر، ثم تلتها الفترة الثانية من 1993 – 2001 ، حيث كانت سنواتها تتجه نحو الجفاف ليستمر الاتجاه نحو التناقص، ثم الفترة الثالثة والتي امتدت من 2002-2010 شهدت ارتفاعاً ملحوظاً في الاتجاه نتيجة وقوع ثلثها الأول ضمن السنوات الأكثر جفافاً خلال فترة الرصد، وأخيراً الفترة الرابعة التي اظهر خط انحدارها نحو التناقص بسبب انتقال بداية الفترة من الدورة الرطبة الى الدورة الجافة الأخيرة في نهاية فترة الرصد.

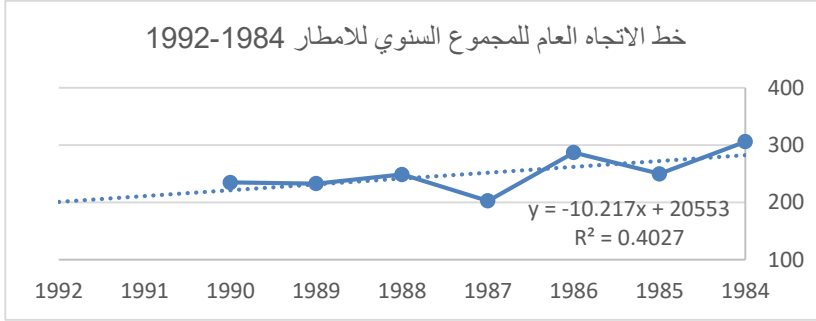
جدول (7) معادل خط الانحدار للمجموع التراكمي عبر فترات خلال المدة 1984-2020

المنطقة	معادلة الخط المستقيم	R	R2	SIG	اتجاه الأمطار
(2020-1984)	$Y=1.3358x-223.72$	0.18	0.03	0.89	تزايد
(1984-1992)	$Y=-12.212x+308.91$	-0.37	0.14	0.93	تناقص
(1993-2001)	$Y=-6.5532x+250.06$	-0.29	0.08	0.86	تناقص

العدد	7	يناير 2023	مجلة المنارة		
تزايد	0.89	0.25	0.51	$Y=11.82x-172.86$	(2002-2010)
تناقص	0.90	0.17	-0.42	$Y=-12.354x+362.22$	(2011-2020)

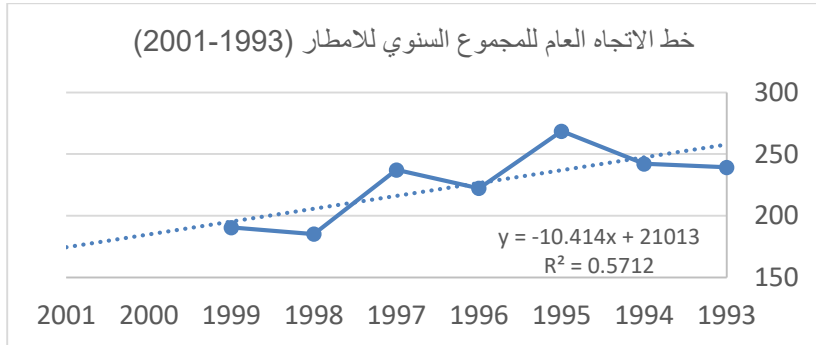
المصدر: الباحث اعتماداً على بيانات الجدول رقم (5).

شكل (13) خط الاتجاه العام خلال الفترة 1992-1984



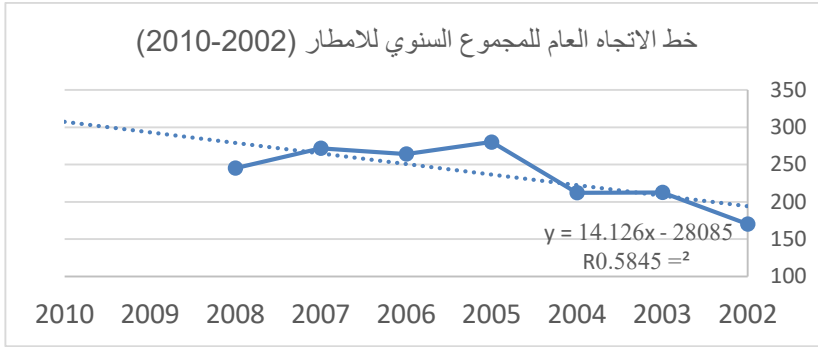
المصدر: الباحث اعتماداً على نموذج السنوات المتدرجة الخمس للفترة 1992-1984

شكل (14) خط الاتجاه العام خلال الفترة 2001-1993



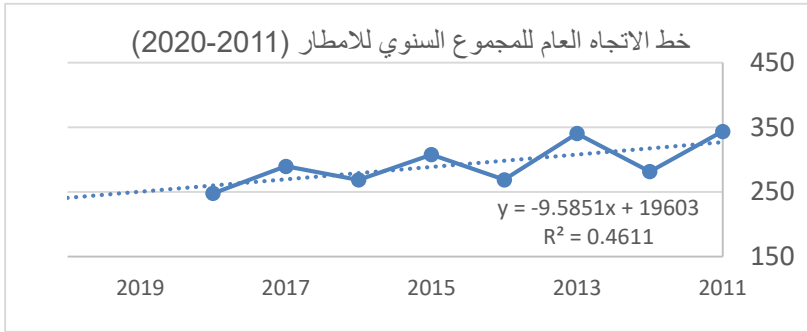
المصدر: الباحث اعتماداً على نموذج السنوات المتدرجة الخمس للفترة 2001-1993

شكل (15) خط الاتجاه العام خلال الفترة 2010-2002



المصدر: الباحث اعتماداً على نموذج السنوات المتدرجة الخمس للفترة 2010-2001

شكل (16) خط الاتجاه العام خلال الفترة 2020-2011



المصدر: الباحث اعتماداً على نموذج السنوات المتدرجة الخمس للفترة 2020-2011

سابعاً: النتائج والتوصيات.

1- النتائج.

من خلال تحليل السلسلة الزمنية للأمطار الأصابعة خلال الفترة من 1984-2020 توصل البحث إلى النتائج التالية.

- بلغ متوسط الأمطار في منطقة الدراسة خلال فترة الرصد 1984-2020 (249.1) ملم بانحراف معياري 80.4 ملم، ومعامل اختلاف 32.3% وهذا التباين كبير جداً إذا ما قورن بمعامل الاختلاف لكميات الأمطار في المناطق الساحلية الأقل تذبذباً.
- عدد السنوات التي تساقطت بها مجاميع أكبر من المعدل 14 سنة أي ما يعادل 37.8% من سنوات السجل مقابل 23 سنة كانت مجاميع امطارها أقل من المعدل أي بنسبة 62.2%. مما يعني زيادة الفترات الجافة وحدتها خلال السلسلة قيد البحث.
- أظهرت النتائج أن معظم السنوات الرطبة جاءت محاطة بسنوات اقل بكثير في مجموعها السنوي، كما أظهرت النتائج أنه لم تسجل أكثر من سنتين متتاليتين فوق المعدل باستثناء 2010 و 2011، في حين كانت السنوات الأقل من المعدل متتالية في كثير من السنوات وبالأخص سنوات 1991 و 1992 و 1993، ومن سنة 1998 الى 2004 وسنتي 2019 و 2020.
- بلغ عدد الأيام الممطرة 3990 يوماً خلال فترة الرصد بنسبة 29.5% من اجمالي عدد أيام موسم الأمطار خلال كامل فترة الدراسة، شكلت الأيام الممطرة في فصل الشتاء ما نسبته 42% من اجمالي عدد الأيام الممطرة، مقابل 33.8% لفصل الخريف و 24% لفصل الربيع.
- تتصف أمطار منطقة الدراسة بالتذبذب بالنسبة للمجموع التراكمي خلال السلسلة قيد البحث وهو ما دل عليه معامل الانحراف، حيث سجل المعامل الإيجابي 73.2% والمعامل السلبي -44%. مما يعني مؤشر حسناً لأنه يفوق التطرف السلبي ب 29%.
- الاتجاه العام للأمطار في منطقة الدراسة خلال فترة الرصد يتجه نحو الصعود، لكن ذلك ليس له دلالة إحصائية هامة. وهو راجع للارتفاع الكبير في مجاميع الفترة من

2002-2010، وهو ما أكدته المعاملات الإحصائية للفترة الأولى والثانية والرابعة لاتجاه خط انحدارها نحو الهبوط.

2-التوصيات والمقترحات

توصي الدراسة بالتوصيات والمقترحات التالية:

- الاهتمام بالمحطات المناخية القائمة وتحديثها باستمرار وتزويدها بأحدث المعدات والأجهزة المتطورة.
- توسيع القاعدة الأفقية للبيانات المناخية من خلال تغطية معظم المناطق بمحطات الأرصاد الجوية.
- من الضرورة بمكان الأخذ بنتائج مثل هذه الدراسة عند التخطيط والإدارة البيئية.
- في ضوء نتائج مثل هذه الدراسة يجب التركيز على المزروعات والنباتات التي تحتاج الى مياه أقل والتوسع في تشجير الأراضي بالأشجار التي تتحمل الجفاف وتحافظ على التربة من الانجراف، بغية الحد من مظاهر التصحر والمحافظة على موارد المياه.
- الاستعداد والاستفادة قدر الإمكان أثناء الفترات الرطبة في الإنتاج الزراعي والحيواني لتعويض تدني الإنتاج في السنوات الجافة.

المصادر والمراجع:

- الكتري، بحري أحمد، "التحليل الجغرافية لتباين الأمطار في ليبيا" رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب قسم الجغرافية، جامعة قارون، 1991.
- اللوح، منصور نصر، "العلاقة بين الأمطار وبعض المتغيرات الجوية والطبيعية في الضفة الغربية"، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثاني، يونيو، 2004.
- المنتصر، الضاوي علي، "التباين المكاني للخصائص الحرارية في شمال غربي ليبيا" رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2010.
- النعيمي، علي شاکر وآخرون، "التغيرات في كميات الأمطار المصاحبة للمنظومات الجوية المؤثرة على القطر العراقي، مجلة علوم المستنصرية، مجلد (4)، العدد الأول، 1993.
- الموسى، فواز أحمد، "الخصائص المناخية للحرارة والأمطار في منطقة شرق البحر المتوسط، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، قسم الجغرافيا، جامعة عين شمس، القاهرة، 2002.
- الهذال، يوسف محمد علي، "تكرار المنظومات الضغطية وآثرها في تباين قيم الإشعاع الشمسي"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 1996.
- رؤوف، محمد طه، "الانحرافات السنوية في كميات الأمطار المتساقطة على العراق عن معدلاتها خلال المدة 1970 – 2000، مجلة ديالي، جامعة بغداد، العدد 54، بغداد، 2012.
- شحادة، نعمان، "حالات عدم الاستقرار التي يتعرض لها الأردن خلال الفصل المطير"، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد 20، 1992.
- شرف، عبد العزيز طريح، مناخ الكويت، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، 1980.
- مسعود، البشير الطاهر، "الاتجاه العام لمعدلات الأمطار ودوره في حدوث ظاهرة التصحر بمنطقة سهل الجفارة، المجلة الجامعة، العدد السابع عشر، المجلد الثاني، أغسطس 2015.
- مشتهى، عبد العظيم قدورة، "اتجاه التغير في كمية الأمطار في الضفة الغربية بين عامي 1997-2008. مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد 15، العدد 1، القاهرة، 2013.
- مقيلي، إمام محمد عياد، جغرافية الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، (تحرير) الهادي أبو لقمة، سعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت، 1995.
- Hassan, A. Hassan and Mustafa Mashkor, 1972. Mean Annual Precipitation in Iraq; Jor. of the Geological Soc. of Iraq.Vol.v.P.119.
- Howard, J. General Climatology, fourth Edition, New Jersey, 1983, pp. 3- 14, 227 – 238

الصناعات اليدوية والحرفية التقليدية في آيالة تونس

خلال فترة القرن التاسع عشر (1837-1881م)

د . منيرة علي مسعود الشبيخي
كلية الآداب والعلوم سلوق جامعة بنغازي

المقدمة :

تعتبر الصناعات التقليدية الحرفية من الدعائم الأساسية لأقتصاد الآيالة التونسية خلال فترة القرن التاسع عشر ، فقد أختصت العديد من أسواق تونس في بعض المنتجات الصناعية ، بل أن بعضها تجاوز حدود الآيالة ، حيث كان يُصدر إلي الدول المجاورة والبعيدة عن طريق القوافل من البر ، وكذلك عن طريق البحر بواسطة السفن التجارية عبر الموانئ المنتشرة على طول السواحل التونسية ، وقد لاقت المنتجات الصناعية التقليدية بالآيالة إقبال وإعجاب الكثيرين في المعارض الدولية ، نظراً لوجودها ودقة صناعتها ، فضلاً عن تحقيقها للاكتفاء الذاتي للسكان المحليين الذين أعتمدوا عليها في توفير احتياجاتهم الضرورية .

وبناء على ما تقدم تم اختيار موضوع البحث الذي حمل عنوان (الصناعات اليدوية و الحرفية التقليدية في آيالة تونس خلال فترة القرن التاسع عشر 1837-1881م) .

وتكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضؤ على الصناعات التقليدية و دراستها دراسة تاريخية تحليلية في الفترة ما بين (1837-1881م) ، وذلك للوصول الي نتائج علمية ، تُبرز أهمية هذه الصناعات اليدوية ودورها في دعم أقتصاد الآيالة التونسية .

ويعود سبب اختيار آيالة تونس مجالاً للدراسة هو حديث بعض الرحالة ، الذين قاموا بزيارة تونس في فترات متفاوتة ، وكتبوا عن مدنها و أريافها و شوارعها و بيوتها و أسواقها و سكانها ، كما أشاروا الي العديد من الأنشطة الأقتصادية ، وخاصة الصناعات اليدوية التي كانت قائمة فيها آنذاك ، فهذه المعلومات المُتناثرة هنا و هناك أثارت لدي الرغبة للبحث في هذا الموضوع ولم شتاته .

أما اختيار الفترة من (1837-1881م) دون سواها فيعود أولاً أن سنة 1837م هي السنة التي أستلم فيها أحمد باي مقاليد السلطة في الآيالة التونسية ، وقد تميز حكمه بالأصلاحات السياسية والأقتصادية ، وكان من ضمن أصلاحاته تشجيع الصناعة المحلية التقليدية ، وفي عهده شهدت

الصناعات اليدوية رواجاً كبيراً داخل الأيالة وخارجها ، ولكنها بدأت تتدهور تدريجياً بعد تولي محمد باي لحكم الأيالة سنة 1855م ، حيث دخلت الأيالة فترة عصيبة ، وعانت المُنتجات المحلية من المنافسة الأجنبية ، وأستمر الوضع هكذا الي أن وقعت تونس تحت الحماية الفرنسية سنة 1881م ، وبهذا التاريخ ينتهي الأطار الزمني للبحث .

أما الهدف من الدراسة أو تحديد أشكاليتها ، فيمكن طرحها على شكل تساؤلات تتمحور أساساً حول الصناعات اليدوية والحرفية التقليدية بايالة تونس خلال فترة القرن التاسع عشر وهي كالاتي :

- هل كان للموقع الجغرافي تأثيراً على نشاط الصناعات التقليدية بايالة تونس خلال تلك الفترة ؟

- ما هي اهم الصناعات اليدوية الحرفية التي كانت قائمة بالايالة التونسية خلال فترة القرن التاسع

عشر ؟

- وهل كان للتنظيم الحرفي دوراً في الحفاظ على الصناعة التقليدية خلال تلك الفترة ؟

تلك التساؤلات المُتداخلة تُمثل أشكاليات وفرضيات ، نحاول طرحها والأجابة عنها تباعاً

خلال مراحل البحث .

وحرصاً على أكمال الصورة التاريخية ، والوصول إلي نتائج علمية حول موضوع الصناعات

اليدوية والحرفية التقليدية في إيالة تونس في الفترة ما بين (1837-1881م) ، فأن هذا البحث

قد أستقى معلوماته من مجموعة من المصادر والمراجع المختلفة .

أما المنهج المُتبع في هذا البحث هو المنهج السردى التحليلي مع اللجوء إلي المنهج الوصفي

في العديد من المواضع ، وذلك لتقديم صورة واضحة عن هذه الصناعات التي كانت قائمة بتونس

آنذاك .

وقد قسمت البحث إلي مقدمة وثلاث عناصر أساسية وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع

، كان العنصر الأول بعنوان ((لمحة جغرافية وتاريخية عن إيالة تونس)) ، أما العنصر الثاني كان عنوانه

((الصناعات اليدوية والتقليدية في الايالة)) ، وحمل العنصر الثالث عنوان ((التنظيم الحرفي)) ،

أما الخاتمة فتناولت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

أولاً / لمحة جغرافية وتاريخية عن إيالة تونس :

تقع تونس على ساحل شمال أفريقيا ، حيث تحدها الجزائر غرباً ، والصحراء وليبيا جنوباً ، والبحر من الجهات الأخرى (صفا ، 1987م ، ص 11) ، وهي مقابلة لصقلية بمسافة قريبة ومتمركزة في منتصف حوض البحر المتوسط ، مما جعلها تستفيد من شرايين النقل البحري بهذا الحوض ، ويمكن التوجه منها غرباً وشرقاً نحو باقي مناطق شمال أفريقيا (الذيب ، 1987م ، ص 50-51) ، لهذا كانت علاقتها وطيدة مع المناطق المجاورة لها خاصة طرابلس الغرب (مزالي ، 1990م ، ص 19-20) ، كما تعتبر تونس قريبة من مناطق عديدة بواسطة حدودها البحرية ، فهي تكاد تُلامس إيطاليا ، وتقع بنزرت وسط خط دائري عبر أهم موانئ البحر المتوسط ، لذلك فإن تونس بحدودها تُدير ظهرها إلي أفريقيا ووجهها نحو البحر أي المشرق و أوروبا (أبو عيانة ، 1989م ، ص 11) .

أما من الناحية التاريخية فقد سكن ارض تونس في البداية الفنيقيين الذين أسسوا قرطاجنة على الساحل الشمالي لأفريقيا على شبه جزيرة في خليج تونس ، قريباً من مدينة تونس اليوم ، وذلك في القرن التاسع قبل الميلاد ، وسريعاً ماتحوّلت المستوطنة الجديدة إلي مدينة تجارية ، لتبدأ في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد بالعمل على بسط سيطرتها على غرب البحر المتوسط ، وقام تجارها ببناء شبكة تجارية واسعة ، كان من نتائجها أن أصبحت قرطاجنة مدينة مزدهرة تنعم بالغنى والثراء (الناضوري ، 1966م ، ص 190) ، ولكن السياسة التي أتبعها قرطاجنة في البحر المتوسط أوقعتها في عدة حروب ، نتج عنها أن سيطر الرومان على قرطاجنة سنة 146 قبل الميلاد (مصروعة ، 1963م ، ص 190) ، وأستقر بها الرومان إلي أن جاء الغزو الوندالي وسيطر عليها سنة 439 ميلادي (ورمتقتن ، 1994م ، ص 33-34) .

وبعد أن عاد الأمن للبلاد ، وتمتعت بحياة الرخاء قرنين متواليين اضطرت الأحوال بسبب ضعف السلطات الحاكمة و أستفحال النزاعات الدينية ، وأفضى ذلك إلي سيطرة الروم على المناطق الأفريقية ، ودخلت تونس تحت الحكم الروماني مرة ثانية (ثامر ، 1988م ، ص 3) ، وأستمر الوضع على ما هو عليه إلي مجيء الفتح الإسلامي ، حيث قامت بتونس دولة الأغالبة في الفترة ما بين (800-909م) ، وقد تعاقب عليها الخلفاء المسلمين لمدة تزيد عن القرن ، وأصبح لهم صيت وأسع ليس في المدن والمناطق العربية فحسب ، بل وصل صيتهم إلي أوروبا (الطالبي ، 1985م ، ص 239) ،

ونتيجة لضبطهم أمور دولتهم ساد الأمن والرخاء البلاد ، ولكن هذه الدولة القوية مع مرور الزمن أنتابها الضعف ، ولم يكتب لها الأستمرار ، فكانت ملاذاً للشيعية الذين نجحوا في تنظيم دعوتهم ونشر مذهبهم وخلع طاعة الأغالبة ، فتأسست الدولة الصنهاجية التي يُعد عصرها من أزهى عصور الحضارة في تونس ، ولكنها ما لبثت الا أن سقطت نتيجة للأضطرابات السياسية ، وقامت على أنقاضها الدولة الموحدية (حسن وآخر ، 1947م ، ص ص 116،269) ، وتمكن أمرائها من بسط سلطانهم على البلاد بصفة عامة (المطوي ، 1986م ، ص ص 549 ، 579) ، ومكنوا أنفسهم في بعض المدن الهامة بصفة خاصة ، وبذلك كان الحكم أوطد ممكن كان عليه في العهود السابقة ، وقد عظم شأن دولتهم إلي أن أصبحت من البلدان البارزة سياسياً في العهد الإسلامي ، وكان لها نهضة حضارية في جميع المجالات الأقتصادية والعمرانية والثقافية للبلاد ، ونتيجة لأستقرار اوضاعها أداخلية وفدت عليها العديد من الأجناس المختلفة التي زادت في عمرانها وساهمت في نهضتها (عامر ، 1972م ، ص ص 73 ، 119 – 120) .

وظلت الدولة الحفصية محتفظة بقوتها فترة من الزمن إلي أن بدأت تظهر عليها ملامح الضعف والتدهور ، بسبب ضعف أمرائها الأواخر وعدم قدرتهم على السيطرة و الأمساك بزمام السلطة ، لذلك بدأ النفوذ الأسباني يمتد إلي سواحل المغرب ، وخاصة بعد أن تمكنوا من أسترداد الأندلس بسقوط غرناطة عام 1492م ، وفي نفس الوقت ظهر في الحوض الشرقي للبحر المتوسط بعض القادة مثل عروج باشا وأخيه خير الدين باربروسا ، اللذين كان يعملان في البحر بأسم السلطان العثماني (ثامر ، 1988م ، ص 51) ، وهكذا أصبح الأسبان والعثمانيون يتسابقون للأستيلاء على سواحل تونس بعد أن عجز أمراء بني حفص على رد هجماتهم ، لذلك وقعت تونس تحت حكم العثمانيين كغيرها من البلاد العربية سنة 1574م (قدورة ، 1973م ، ص ص 453-454) ، و في الحقيقة أن تونس لم ترتبط بالدولة العثمانية الأ بشكل أسمى ، مقابل دفعها الإعانة السنوية لخزينة الدولة العثمانية ، حيث شهدت نوعاً من الأستقلالية والحكم الذاتي ، إذ كانت تتولى مقاليد الحكم فيها الأسرة الحسينية ، وأستمر الوضع هكذا إلي أن وقعت تونس تحت الحماية الفرنسية سنة 1881م (زيادة ، 1985م ، ص 12) .

ثانياً / الصناعات اليدوية التقليدية في الأيالة :

كانت الصناعة اليدوية في إيالة تونس خلال القرن التاسع عشر ، تُمثل مصدراً اقتصادياً هاماً لقسم كبير من سكان المدن والأرياف التونسية ، فمن خلالها كانوا يوفرّون حاجياتهم الضرورية اليومية ، وقد تجاوزت هذه الصناعات البسيطة حدود الأيالة ووصلت إليّ دول العالم الإسلامي و أوروبا ، وبلغت أوج ازدهارها في بدايات القرن التاسع عشر ، حيث كان يُصدر جزءاً كبيراً منها إليّ الخارج ، مما كان يدر أموالاً طائلة على الأيالة (الجنحاني ، 1968م ، صص 137-138) ، وكانت من أهم هذه الصناعات وأكثرها نشاطاً في تلك الفترة هي :

1 . صناعة النسيج :

تُمثل صناعة النسيج مصدر اقتصادي هام في الأيالة ، حيث يُقدر عدد الحرفيين الذين يعيشون من هذا القطاع بعشرات الألاف ، وقد تخصصت كلاً من جربة و قفصة وبلاد الجريد في صناعة الأغطية ، أما المنسوجات الصوفية الأخرى باستثناء الأغطية مثل البرانيس والجبة فكانت تُنتج في العديد من مراكز الأيالة مثل تونس والقيروان وسوسة والمُنستير وجربة والجريد ومعظم مدن الساحل (الغالبى ، 1988م ، ص 117) ، وكانت جزيرة جربة تمتاز أيضاً بصناعة الشالات إليّ جانب العديد من المنسوجات الصوفية الفاخرة مثل البرانيس والبطاطين والفراشيات ، وقد عادت تلك الصناعات على الجزيرة بأرباح كبيرة (الأمام ، 1980م ، ص 275) .

ويعتبر النسيج في واحات الجنوب التونسي صناعة منزلية تقليدية ، أما في تونس وجربة والساحل فكانت هذه الصناعة أغلب الأحيان تُنظم في ورش ، حيث تضم الورشة الواحدة أما اثنين أو أربعة أو ستة نساجين محترفين ، معتمدين على (النوال) وهي آلة تقليدية مكونة من ركائز عمودية مغروسة في الأرض ومن قضبان أفقية تُسمى بالقوائم ، بالإضافة إليّ (المولي) الذي يُدار بواسطة دواسات ، وظيفته دفع الخيوط بالتناوب من أعلى إليّ أسفل بطريقة منظمة ، تسمح بمرور الخيوط داخل الآلة لتتم عملية النسيج المطلوبة (مزالي ، 1990م ، ص 157) .

وإليّ جانب صناعة المنسوجات الثقيلة فإن النساء التونسيات في تلك الفترة كُنّ يصنعن بأنفسهن لباس عائلاتهن (الحشائشي ، 1996م ، ص 121) ، والجدير بالإشارة أن الصناعات النسيجية كانت تختلف بين مناطق ومدن الأيالة في الشكل والجودة والحجم ، لذلك فقد نسب كل منسوج لبلده ، على الرغم من استخدامهم نفس الأدوات التقليدية ، ويرجع ذلك إليّ توفر المواد الخام

وطبائع الأهالي ، حيث نجدهم في مدينة تونس مثلاً وهي الحاضرة المُزدهمة بكل الأجناس يقومون بحالات الغش والخلط وما إلي ذلك ، وهو ما لم يُلاحظ في المناطق الجنوبية للإيالة ، بل كانت مدينة سوسة أكثر المدن أتقناً لهذه الصناعة ، والدليل على ذلك أن المنسوجات المصنوعة في مدينة سوسة كانت تُشارك بها الأيالة في المعارض الدولية (عبادة وآخرون ، 1964م ، ص 8) .

2 - صناعة الحرير :

تُعتبر صناعة الحرير من الصناعات الهامة التي تميزت بها الأيالة خلال فترة القرن التاسع عشر ، حيث كانت هذه الصناعة تُلاقي الأستحسان ليس في المنطقة العربية فحسب ، بل وحتى في الدول الأوروبية سواء كان الحرير الخالص أو المُطعم بعناصر أخرى ، وكان رواجها على الأخص في الجزائر والمغرب الأقصى ، ولها حرفيون بارعون متخصصون بجميع خفائها (الثعالبي ، 1988م ، ص 117) ، ومن أهم المنسوجات الحريرية الرائجة في تلك الفترة هي (التقاريط الشعالة) وهي مناديل تُنسج بالفضة والحرير تُعطى بها المرأة رأسها ، وأيضاً (الشملي) وهو حزام مزركش بمربعات ملونة ، وأنواع أخرى من الأقمشة الحريرية كالمختم والفساسر للنساء والرجال، وكذلك (الشينان) الذي يوضع على الكتفين و (الفوطه) و (الأعجرة) أي الخمار الذي كانت تتحجب به النسوة ، وغير ذلك من المصنوعات الحريرية المُختلفة بالأيالة (الحشائشي ، 1996م ، ص 128) .

3 - صناعة الشاشية :

يُقصد بالشاشية القبة التقليدية التي يلبسها الرجال والنساء بإيالة تونس قديماً ، وهي تُصنع من مادة الصوف الجيد ، وقد مثلت هذه الصناعة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إحدى دعائم الأقتصاد التونسي (مزالي ، 1990م ، ص 165) ، كما تعددت صنوفها و أحجامها وهي تُمثل قيمة تراثية وفنية وتاريخية في اللباس التونسي الأصيل ، وقد وجدت هذه الصناعة التقليدية في الأيالة منذ قرون سابقة بشكل بسيط ، ولكنها بدأت تزدهر وتطور منذ عهد عثمان داي (1598-1610م) الذي أستغل وجود المهاجرين الأندلسيين للنهوض بها ، وأصبحت إحدى الموارد الهامة للبلاد (أبن أبي الضياف ، 2001م ، ص 31) ، وأستمرت في النشاط والتطور مع نهاية القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر ، وقد وصلت صادرات الأيالة منها سنة 1837م إلي ما قيمته 1.742.000 ريال إي مايقرب 2 مليون فرنك في تلك الفترة ، في حين بلغ إيرادها فيما بين سنتي 1861-1863م إلي 3 مليون فرنك وهي نسب مرتفعة في تلك الفترة ، ولكنها تراجعت فيما بعد

من جراء الأزمات والمنافسة الأوروبية التي أشدّت على الأيالة إلى 250.000 فرنك في سنة 1875م (المحجوبي ، 1986م ، ص 19) .

4 . صناعة الزرابي :

تُعد صناعة الزرابي من الصناعات التقليدية القديمة التي عرفتها الأيالة التونسية ، وهي تُمثل اختصاصاً بالنسبة لبعض مناطق ومدن الأيالة ، وتكاد تقتصر هذه الصناعة على المنازل ، حيث كانت المرأة هي التي تغسل الصوف وتغزله وتصبغه ثم تُنسج الزربية ، ونعني بالزربية السجادة المصنوعة من الصوف (المرزوقي ، 1980م ، ص ص 256-257) ، وقد كانت هذه الصناعة البسيطة التقليدية تحتل مكانة هامة ضمن المنسوجات المُختلفة في الأيالة ، لما تشغله من يد عاملة حتى وأن كانت نسائية بحثة ، وقد تجاوزت هذه الصناعة حدود الأيالة ، وعُرفت بزخرفتها ، وتناسق الوانها ، وخاصة أنها تعتمد على أصباغاً طبيعية نباتية (المحفوظي ، 1993م ، ص 51) .

5 . صناعة الحصر والسلال وظفر الحلفاء :

تعتبر مدينة نابل التونسية من أشهر مدن الأيالة في هذه الصناعة التقليدية ، حيث بلغ عدد العمال بها ما يقرب المئة عامل ، وكان يدخل في صناعة الحصر السّمّار المجلوب من الشمال الشرقي للأيالة ، وخاصة من منطقة الوطن القبلي ، وقد كان نوال الحصر يتكون من قطعتين خشبيتين مرتكزتين بشكل مُتوازي على الأرض ، وتفصل بينهما بعض الأمتار ، وتُشد هاتين القطعتين حبال صغيرة من الحلفاء تصنعها النساء مسبقاً (مزالي ، 1990م ، ص 172) ، والجدير بالأشارة أن حصر مدينة نابل كانت تُباع في كُل أرجاء الأيالة ، وفي بعض الأحيان تُصدر إلى الجزائر وبعض المناطق المُجاورة للأيالة التونسية (كورو ، 1984م ، ص 48) .

أما صناعتنا السلال والحلفاء فتنتشران في معظم مدن الأيالة ، لأن المواد الأولية المُستعملة في صناعتها غزيرة ، وهي القب والحلفاء وجريد النخيل (كريكن ، 1988م ، ص ص 243-244) وأهم منتوجات هذه الصناعة هي (المظلة) التي كانت عبارة عن قبة كبيرة تُستعمل للعمل أو للمشي تحت أشعة الشمس (المرزوقي ، 1980م ، ص 242) ، إضافة إلى العديد من الصناعات الأخرى مثل أغطية الصحون والمراوح والسلال التي تحملها الدواب بحاجامها المُتخلفة ، وكذلك السجادات والمكانس والحبال على أختلاف أنواعها (مزالي ، 1990م ، ص 172) ، ومن ناحية أخرى كان لظفر الحلفاء رواج كبير في الأسواق ، وكانت البلاد تُنتج كميات كبيرة منها ، وهي صناعة قديمة

بتونس ، كان لها سوقاً خاصاً بها حتى بدايات القرن العشرين ، كما كان لها أمين خاص وصناع أو حرفيون أغلبهم من التونسيون ، وبالتحديد أهل مدينة تونس (الحشائشي ، 1996م ، ص 143).

6 - الدباغة والصناعات الجلدية :

تُعد دباغة الجلود من الأنشطة الصناعية المهمة بأيالة تونس (الثعالبي ، 1988م ، ص 117) ، حيث حضت الجلود المدبوغة في القيروان بشهرة كبيرة في مناطق عديدة ، مثلما هو الشأن بالنسبة للجلود المدبوغة في المغرب الأقصى (المحفوظي ، 1993م ، ص 53) ، وكانت توجد بأيالة مراكز للدباغة في معظم مدنها ، والعامل المشترك بينها هو أساليبها التقليدية والوقت الطويل الذي تتطلبه تكاليفها الباهظة ، فالجلود كانت تمر بالعديد من المراحل لكي تتم عملية دباغتها ، وهذه المراحل كانت تستغرق وقتاً وجهداً إلى جانب تكلفة مواد الدباغة ، فالمواد المستخدمة على الرغم من كونها مواد محلية متوفرة بمدينة القيروان إلا أن تكلفتها كانت باهظة ، نظراً للأقبال عليها وتصديرها خارج تونس إلى بعض الدول العربية المجاورة ، ونتيجة لذلك فإن الجلود المدبوغة محليين بتونس كانت أسعارها مرتفعة نوعاً ما مقارنة بالمنتجات الأوربية الموجودة في الأسواق التونسية ، مما جعل هذه الصناعة تتدهور بشكل مستمر في أواخر القرن التاسع عشر (المحفوظي ، 1993م ، ص 53) .

أما بالنسبة للمصنوعات الجلدية فإن صناعة الأحذية تُمثل أهم منتجاتها ، وكان يعمل بهذه الصناعة الألاف من العمال خاصة في تونس و صفاقس والقيروان ، ويوجد عليها إقبال في العديد من البلاد الإسلامية الواقعة في حوض البحر المتوسط (الثعالبي ، 1988م ، ص 117) ، وكانت أهم منتوجات صناعة الأحذية بتونس هي البلغة والصباط والكنتره والجزمة (الخوجة ، 1986م ، ص 177) ، والجدير بالإشارة أن هذه الصناعة كانت تشكو من المنافسة الحادة من قبل اليهود الذين كانوا يصنعون أحذية فاقت المصنوعات التونسية التقليدية ، ومع منتصف القرن التاسع عشر لم يكن لصناع الأحذية المحليين غير زبائنهم الريفيين المتمسكين باللباس التقليدي (الخامس ، 1884م ، ص 127-128) ، ويمكن القول أن الحرفيين التونسيين لم يُفكروا في التكيف مع المتطلبات السوقية للمستهلك ، بل على العكس كانوا متمسكين بما يصنعون دون إدخال أي تطوير عليه .

7 - الخزفيات :

ترجع صناعة الخزفيات في إيالة تونس إلى عهود قديمة ، وطريقة صناعتها تعود إلى العهد الفينيقي (الحشائشي ، 1996م ، ص120) ، ولكنها بلغت أوج أزدهارها في الفترة التي تلت الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب العربي سنة 1609م ، فقد كان الأندلسيون يحترفون هذه الصناعة ، وبفضلهم بلغت الخزفيات المطلية والمصنوعة في ورش تونس ونابل والقيروان وسوسة والمُنستير وجربة درجة كبيرة من الأتقان من حيث جمال رسومها وتناغم ألوانها (مزالي ، 1990م ، ص170) ، وكانت أكثر المدن التونسية بروزاً في هذه الصناعة هي جربة ونابل ، فبخار جربة كان معروفاً ويُصدر إلى كافة بلدان البحر المتوسط عن طريق البحر (راي ، 1968م ، ص161) ، وكذلك مدينة نابل التي كانت تُتقن فيها هذه الصناعة نظراً لإحتوائها على الطفلة الجيدة التي صنع منها الحرفيون القدور والأقداح والجرار وأواني الطبخ وغيرها (الحشائشي ، 1996م ، ص122) .

ثالثاً التنظيم الحرفي :

عرفت إيالة تونس نظام الجمعيات الحرفية خلال فترة القرن التاسع عشر ، وتعود أصول هذه الجمعيات الحرفية التونسية إلى مؤسسة الأمناء أو الخبراء المشهود لهم بالخبرة في كل مهنة ، وهي مؤسسة يعود تاريخها إلى زمن الحفصيين (برنشفيك ، 1988م ، ص208) ، حيث يجتمع الحرفيون المنتمون إلى نفس المهنة تلقائياً حول أمينهم ، ويخضع هؤلاء الحرفيون إلى ترتيب مُعين ، إذ نجد (الأمين) يُمثل أعلى رتبة ، ويتولى مهمة رئيس الجمعية ، ثم يأتي (المُعلمون) الذين لهم حق أملاك الورش ، وهم الذين يختارون من بينهم الخبراء المحكمين الذين يُشكلون بدورهم مجلس الجمعية ، ثم نجد (الصناع) الذين يشتغلون مجاناً في انتظار الأرتقاء إلى رتبة قلفوات ، وهي تُمثل أدنى رُتب الحرفة (التيمومي ، 1999م ، ص395) .

وقد تحدد تنظيم الحرف بتجمع المحلات التي تؤدي نفس المهنة في حي خاص بها ، وأصطفافها على جانبي الطريق داخل المدن ، بينما تُنصب في أطراف المدن وقرب أسوارها الحرف التي تحتاج إلى فضاء أكبر وكميات مياه أوفر مثل الدباغين ، وعندما بدأت أوضاع هؤلاء الحرفيين تسوء و تندهور خلال منتصف القرن التاسع عشر ، بسبب تدخل الاقتصاد الأوربي ، كانت ردة فعل الدولة هي التمسك الشديد بالجمعيات المهنية ، وبنظمها الداخلية العتيقة التي كانت تمنع عن طريق مجلس الجمعية أي منافسة بين الحرفيين ، وترفض أي تجديد لمناهج العمل بدعوى المحافظة على جودة المُنتجات (التيمومي ، 1999م ، ص396-397) .

الخاتمة :

وأخيراً توصل البحث إلي العديد من النتائج أهمها :

- 1 - أوضح البحث أن الصناعات اليدوية في إيالة تونس منذ بداية القرن التاسع عشر حتى سنة 1881م ، ظلت تقليدية ولم يدخلها أي تطور تقني ، إلا أن الصنّاع والحرفيون التونسيون حافظوا عليها وأستمروا في القيام بها ، لأنهم اعتبروها مصدراً أساسياً لرزقهم .
- 2 - تبين من خلال البحث أن الصناعات التقليدية التونسية في تلك الفترة على الرغم من بساطتها ، إلا أنها حققت لمعظم سكان الأيالة الأكتفاء الذاتي ، كما كان يُصدر جزءاً منها إلي خارج الأيالة ، مما در أموالاً طائلة على تونس ، وساهم في النهوض باقتصاد البلاد .
- 3 - أتضح من خلال البحث أن التنظيم الحرفي على الرغم من قوانينه وأحكامه الكثيرة ، إلا أن دوره أنحصر في الحفاظ على الوضعية التقليدية القائمة ، مما حال دون أي تقدم صناعي ، بل كان مجرد حماية للحرفيين المحافظين فقط ، أما غيرهم من الحرفيين المُبدعين الذين يرغبون في تطوير حرفهم أو تجديد مناهج العمل ، فقد عرفلهم وأدخلهم في منافسة أجنبية ، وحرّمهم من أي تطوير في أساليب الصناعة وأدواتها ، بحجة المحافظة على جودة الإنتاج .

مصادر ومراجع البحث :

أولاً المصادر :

- 1 - أحمد ابن ابي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تحقيق . لجنة وزارة الشؤون الثقافية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 2001م ، ج 1 .
- 2 - إدوارد راي ، المغرب العربي (طرابلس ولبدة والقيروان في القرن التاسع عشر 1877م) ، ترجمة . مصطفى محمد جودة ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، ط 1 ، 1968م .
- 3 - محمد ابن الخوجة ، تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد ، تحقيق . الجيلاني بن الحاج يحيى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 2 ، 1985م .
- 4 - محمد بن عثمان الحشاشي ، العادات والتقاليد التونسية (الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية) ، تحقيق . الجيلاني بن الحاج يحيى ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1996م .
- 5 - محمد بيم الخامس ، صفوة الأعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، المطبعة الأعلانية بمصر ، القاهرة ، ط 1 ، 1884م ، ج 1 .

ثانياً المراجع :

- 1 - أحمد بن عامر ، الدولة الحفصية ، دار الكُتب الشرقية ، تونس ، ط 1 ، 1972م .
- 2 - أحمد عبادة وأخرون ، صناعة الغزل والنسيج ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1964م .
- 3 - ب . هـ ورمنتنتن ، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلديانوس إلي الأحتلال الوندالي ، ترجمة . عبدالحفيظ الميار ، جامعة طرابلس ، طرابلس ، ط 1 ، 1994م .
- 4 - ج . س . كريكن ، خير الدين التونسي ، ترجمة . البشير بن سلامة ، دار سحنون ، تونس ، ط 1 ، 1988م .
- 5 - جورج مصروعة ، هنيعل ، مطابع سيما ، بيروت ، ط 2 ، 1963م .
- 6 - الحبيب ثامر ، هذه تونس ، تقديم . الرشيد إدريس وآخر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1988م .
- 7 - الحبيب الجنحاني ، القيروان عبر أزدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط 1 ، 1968م .
- 8 - حسن إبراهيم حسن وآخر ، عبيدالله المهدي إمام الشيعة الأسماعلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، مطبعة الشبيكشي ، القاهرة ، ط 1 ، 1947م .
- 9 - رشاد الأمام ، سياسة حمودة باشا في تونس ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، ط 1 ، 1980م .
- 10 - روبرار برنشفيك ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ، ترجمة . حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1988م .

- 11 - رشيد الناضوري ، المغرب الكبير (العصور القديمة) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط 1 ، 1996م ، ج 2 .
 - 12 - زاهية قدورة ، تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1973م .
 - 13 - عبدالعزيزالتعالبي ، تونس الشهيدة ، ترجمة . حمادي الساحلي وآخر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988م .
 - 14 - علي المحجوبي ، أنتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، ترجمة . عمر بن ضؤ وآخر ، دار سراس ، تونس ، 1986م .
 - 15 - فنحي محمد أبو عيانة ، جغرافيا تونس ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989م .
 - 16 - محمد أسد الله صفا ، هانيبال ، دار النفاثس ، بيروت ، ط 1 ، 1987م .
 - 17 - محمد محمود الذيب ، الجغرافيا الاقتصادية ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ، ط 2 ، 1978م .
 - 18 - محمد الصالح مزالي ، تطور تونس الاقتصادي 1881-1920م ، تحقيق الهادي التيمومي ، تونس ، ط 1 ، 1990م .
 - 19 - محمد الطالب ، الدولة الأغلبية ، ترجمة . المُنجي الصيادي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1988م .
 - 20 - محمد العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1986م .
 - 21 - محمد المرزوقي ، البدو في حلهم وترحالهم ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1980م .
 - 22 - معن زيادة ، خير الدين التونسي وكتابة أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، المؤسسة الجامعية ، تونس ، ط 2 ، 1985م .
 - 23 - الهادي التيمومي ، الكادحون الخماسة في الأرياف التونسية 1861-1943م ، دار محمد علي الحامي ، تونس ، ط 1 ، 1999م .
- ثالثاً الرسائل غير المنشورة :**
- - آمال المحفوظي ، التجار والحرفيون بمدينة القيروان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الاجتماعية ، قسم التاريخ ، تونس ، 1993م .